

مِنَ الْإِثْرِ الْإِسْلَامِيِّ



المملكة العربية السعودية  
جامعة أم القرى  
مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي  
مركز أبحاث التراث الإسلامي  
مكة المكرمة

١٧٩ - - - ٤

# مَعَالِي الْإِثْرِ الْإِسْلَامِيِّ

للإمام أبي جعفر النحاس

المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق

الشيخ محمد علي الصّابوني

الأستاذ بجامعة أم القرى

الجزء السادس

الطبعة الأولى  
١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م  
حقوق الطبع محفوظة  
لجامعة أم القري

إِنِّي لَا أُحِبُّ مِمَّنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَيْفَ  
يَكُنْ ذُبُّ الْوَقْتِ وَلَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ  
« الإمام الطبري »

تفسير سورة الصافات  
مكية وآياتها ١٨٢ آية

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ الصَّافَّاتِ هِيَ مَكِّيَّةٌ<sup>(١)</sup>

١ — من ذلك قوله جل وعز ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [ آية ١ - ٣ ] .

رَوَى مسروق عن عبد الله بن مسعود ، وعكرمة عن ابن عباس قالا في قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ هذه كلها الملائكة<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : ﴿ الصَّافَّاتِ ﴾ جمع صافّة ، كأنه جماعة

(١) أخرج ابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت سورة الصافات بمكة . اهـ . وانظر الدر المنثور ٢٧٠/٥ . وقال القرطبي : مكية في قول الجميع .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧١/٥ وابن كثير ٣/٧ وهذا هو القول الراجح الذي عليه جمهور المفسرين ، واختاره الطبري ٣٤/٢٣ وابن كثير ٣/٧ أنه قسم بالملائكة الأبرار الأظهر ، التي تصفّ لربها في السماء ، للعبادة والذكر ، وتزجر السحاب فتسوقه إلى حيث شاء الله ، وتتلو آيات الذكر الحكيم ، المنزل على سيد المرسلين ، مع التسييح والتقديس ، والتحميد والتمجيد ، أقسم تعالى بهذه الأنواع من الملائكة ، تنبيهاً على جلالة قدرهم ، وكثرة طاعتهم وعبادتهم ، فهم مع رفعة قدرهم وعظيم شأنهم ، لا ينفكون عن عبادة الله ، يصطفون للعبادة كاصطفاف المؤمنين في الصلاة ، مع الخشوع والخضوع ، وقيل : هي الطير لقوله تعالى ﴿ ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ والأول أرجح ، وما يدل على أن المراد بهم الملائكة قوله تعالى ﴿ وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون ﴾ وانظر صفوة التفاسير ٢٨/٣٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٧ وتفسير الفخر الرازي ١١٤/٢٦ .

صَافَّةٌ ، أي مصطفةٌ تذكرُ اللهَ جلَّ وعزَّ ، وتُسَبِّحُه<sup>(١)</sup> .

﴿ وَالزَّاجِرَاتِ ﴾ جمعُ زاجرةٍ ، أي التي تزجرُ السحابَ ، على ما مضى<sup>(٢)</sup> .

وقال قتادة : ﴿ الزاجرات ﴾ : كلُّ ما زجر عنه<sup>(٣)</sup> ، كأنه يريد ذوات الزجر .

ويجوزُ أن تكون ﴿ الزَّاجِرَاتِ ﴾ : كلُّ ما يزجر عن معاصي الله جلَّ وعزَّ ، وأن تكون ﴿ التَّالِيَاتِ ﴾ كلُّ ما يتلو ذكر الله جلَّ وعزَّ وكُتِبَه<sup>(٤)</sup> .

٢ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [ آية ٥ ] .

رَوَى أَبُو ظِيَّانٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لِلشَّمْسِ كُلِّ يَوْمٍ

---

(١) قال القرطبي : الصَّفُ : ترتيبُ الجمعِ على خط كالصف في الصلاة ، والصفات جمعُ الجمع ، يُقال : جماعة صافة ، ثم يُجمع على صافات . اهـ. القرطبي ٦٢/١٥ .

(٢) أي أنها من صفات الملائكة ، فهي التي تسوق السحاب إلى حيث شاء الله بأمره جلَّ وعلا ، وهو الأظهر .

(٣) عبارة الطبري ٣٤/٢٣ وقال قتادة : ما زجر عنه القرآن ، ثم قال ابن جرير : والذي هو أولُ بتأويل الآية عندما قاله مجاهد أنهم الملائكة ، لأن الله تعالى ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع ، فلأن يكون ما بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه . اهـ.

(٤) هذا هو القول الآخر لبعض المفسرين وهو مروي عن قتادة ، والجمهور على أن هذه الأقسام كلها في الملائكة ، وهو الأظهر والأرجح كما نقلنا عن الطبري ، وابن كثير .

مشرق ، وكل يوم مغرب ، فتلك المشرق والمغرب<sup>(١)</sup> .

وللصيف مشرق ومغرب ، وللشتاء مشرق ومغرب ، فذلك قوله

جل وعز ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾

[ آية ٦ ] .

على البديل ، و ﴿ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾<sup>(٣)</sup> قال أبو حاتم : أعني

الكواكب .

(١) الأثر ذكره الطبري ٣٥/٢٣ والفخر الرازي ١١٨/٢٦ والقرطبي ٦٣/١٥ ولفظه ﴿ رَبُّ

الْمَشَارِقِ ﴾ : أي مالك مطالع الشمس ، وقال ابن عباس : للشمس كل يوم مشرق ومغرب ، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ( ٣٦٥ ) ثلاثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع في كل يوم في كوة منها ، وتغيب في كوة ، فلذلك قال ﴿ رب المشرق ﴾ . اهـ .

أقول : وإنما لم يذكر المغرب ، اكتفاء بذكر المشرق ، ولدلالة الكلام عليه ، وإنما جمع المشرق في هذه الآية ، لأنه أراد مشارق الشمس ومغاربها ، فلها — كما قال ابن عباس والسدي — كل يوم مشرق ومغرب ، ويحتمل أن يكون الجمع باعتبار إرادة الشمس ، والقمر ، وسائر النجوم والكواكب ، فلكل مشرق ومغرب . قال الحافظ ابن كثير ٤/٧ ومعنى الآية أنه تعالى هو المالك المتصرف في الخلق ، بتسخيره بما فيه من كواكب ثابتة وسيارات ، تبدو من المشرق ، وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشرق عن المغرب لدلالتهما عليه ، وقد صرح بذلك في مكان آخر في قوله تعالى ﴿ فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ يعني في الشتاء والصيف ، للشمس والقمر . اهـ .

(١) سورة الرحمن آية رقم ١٧ .

(٢) في هذه الآية قراءتان ، قرأ حمزة وحفص عن عاصم بالتثنية ﴿ بزينة الكواكب ﴾ بكسر الباء ، =

قال أبو جعفر : وأجودُ ممَّا قال أن يكون بمعنى : بأن زَيْنَا الكواكبَ فيها ،

ويجوزُ ﴿ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾<sup>(١)</sup> بمعنى : بأن زَيْنَتَهَا الكواكبُ ، أو بمعنى : هي الكواكبُ .

٤ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ [ آية ٧ ] .

أي وحفظناها حفظاً<sup>(٢)</sup> من كلِّ شيطانٍ مارد .

٥ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى .. ﴾ [ آية ٨ ] .

يعني الملائكة<sup>(٣)</sup> .

قال أبو حاتم<sup>(٤)</sup> : أي لئلا يسمعوا ، ثم حُذِفَ « أَنْ » فُرِغَ

---

= فعلى هذه القراءة تكون خفصاً على البدل أي زينها بالكواكب ، وقرأ عاصم بالتثنية في « زينة » ونصب الكواكب أي زينها بزينة أعني الكواكب ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٥٤٦/٢ .

(١) لم ترد هذه في القراءات السبع ، وإنما هي قراءة شاذة ، قرأ بها زيد بن علي كما في روح المعاني للألوسي ٦٨/٢٣ والقراءات لا تصح إلا بما يثبت عن رسول الله ﷺ بالسند الصحيح .

(٢) على هذا الوجه الذي ذكره المصنف تكون الآية مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره وحفظناها حفظاً ، ويصح وجه آخر هو أن تكون مفعولاً لأجله « وحفظاً » أي لحفظها من الشياطين زينها بالكواكب .

(٣) سميت الملائكة بالملأ الأعلى ، لأنهم يسكنون في العالم العلوي ، في السموات التي هي جهة العلو .

(٤) أبو حاتم هو الإمام « سهل بن محمد السجستاني » النحوي اللغوي المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ وانظر معجم المؤلفين ٢٨٥/٤ .



الفعل<sup>(١)</sup> ، كما قال الشاعر :

أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِي أَحْضِرُ الْوَعَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي<sup>(٢)</sup>

٦ — ثم قال جل وعز ﴿ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا .. ﴾

[ آية ٩ ] .

قال مجاهد : ﴿ وَيُقَذَّفُونَ ﴾ أي يُرْمَوْنَ ﴿ دُحُورًا ﴾ أي

مطرودين<sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : ﴿ دُحُورًا ﴾ أي رمياً في النار .

قال أبو جعفر : يُقال : دَحَرَه إذا طرده وبَاعَدَه ، دُحُورًا ،

ودَحَرًا .

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٣٥٣/٧ : وقول من قال إن الأصل : لأن لا يسمَّعوا فحُذفت « اللام » و « أن » فارتفع الفعل قول متعسف ، يُصان كلام الله عنه ، واختار أنه كلام مبتدأ منقطع ، حكاية لما عليه حال المسترقة للسمع ، وأنهم لا يقدرُونَ أن يستمعوا أو يسمعوا ، وهم مقذوفون بالشبه ، ميعدون عن ذلك ، إلا من أمهل حتى خطف الخطفة ، فعندها تعاجله الملائكة ، باتباع الشهاب الثاقب . اهـ .

(٢) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٣٢ وهو من شواهد سيبويه ٩٩/٣ بلفظ « ألا أيها الزاجري » بدل اللائمي والمعنى : يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أُقتل ، ما أنت مُخْلِدِي إن قبلت نصيحتك ، والشاهد فيه رفع « أَحْضِرُ » لحذف الناصب وأصله أن أحضر ، فلما سقط « أن » ارتفع الفعل ، وانظر مجالس ثعلب ٣١٧/١ وأمالي بن الشجري ٨٣/١ .

(٣) قول مجاهد ذكره الطبري ٣٩/٢٣ وكذلك ذكر قول قتادة ولفظه : وقال قتادة « دُحُورًا » قذفًا بالشبه كما ذكره ابن الجوزي ٤٧/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٥ ومعنى الآية : أي يرمون بالكواكب طرداً وإبعاداً وإهانة . اهـ .

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ <sup>(١)</sup> أَنَّهُ قَرَأَ ﴿ دُحُورًا ﴾ بفتح الدَّالِ ، والمصادرُ على « فَعُولٍ » قليلةٌ .

وقال بعض النحويين : ليس بمصدرٍ ، ولكنَّه بمعنى بما يَدْحَرُهُم <sup>(٢)</sup> ، ولو كان على ما قال لكان « يَدْحُورٍ » <sup>(٣)</sup> أي بمباعد .

٧ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [ آية ٩ ] .

قال مجاهد وقتادة : أي دائم <sup>(٤)</sup> .

(١) هو « عبد الرحمن السلمي » أحد القراء المشهورين ، وقد عدَّ ابن جني في المحتسب ٢١٩/٢ هذه القراءة من القراءات الشاذة .

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣٨٣/٢ ولفظه : من ضمَّها « دُحُورًا » جعلها مصدراً ، ومن فتحها جعلها اسماً كأنه قال : يُقْدِفُونَ بداحِرٍ ، وبما يدحُرُ ، ولست أشتبهها ، لأنها على هذا الوجه تحتاج إلى الباء كما تقول : يُقْدِفُونَ بالحجارة ، ولا تقول : يُقْدِفُونَ الحجارة ، وهو جائز ، كما قال الشاعر :

نغالي اللحمَ للأضيافِ نِيئاً      ونُـرخصُهُ إذا نُضِجَ الثُّـلُـورُ  
أي نغالي باللحم . اهـ .

(٣) قال القرطبي ٥/١٥ : وقرأ السُّلَمي ، ويعقوب الحضرمي ﴿ دُحُورًا ﴾ بفتح الدال ، ويكون مصدراً أي يُقْدِفُونَ بما يدحَرُهُم ، أي يَدْحُورٍ ، ثم حذف الباء ، والكوفيون يستعملون هذا كثيراً ، وأنشدوا :

تَمْرُونُ الدِّيَارِ وَلَمْ تُعْوجِجُوا      كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامُ  
أي تمرُّون بالديار ، فحذف الباء منه ، فصار منصوباً بنزل الخافض .

(٤) الأثر أخرجه القرطبي ٦٦/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٧/٧ وذكر أنه قول ابن عباس وعكرمة أيضاً .

٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبِعْهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾  
[ آية ١٠ ] .

يُقَال : خِطَفَ <sup>(١)</sup> الشيء إذا أخذه بسرعة ﴿ فَاتَّبِعْهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ .

قال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو مجلز : ﴿ ثَاقِبٌ ﴾ أي مضيء <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذا مشهور في اللغة ، كما قال :  
« وَرَزَّذَكَ أَنْقَبُ أَرْزَادَهَا » <sup>(٣)</sup>

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا .. ﴾ ؟  
[ آية ١١ ] .

(١) خِطَفَ بكسر الخاء يَخِطِفُ من باب تَعِب : استلبه بسرعة ، كذا في المصباح ، قال الجوهري : وفيه لغة أخرى بالفتح « خِطَفَ ، يَخِطِفُ » وهي قليلة رديئة ، لا تكاد تُعرف . اهـ . الصحاح مادة خطف .

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٤١/٢٣ والقرطبي ٦٧/١٥ وفي روح المعاني ٧١/٢٣ وهو مروي عن الضحاك أيضاً قال الألوسي : ﴿ ثَاقِبٌ ﴾ مضيء ، كما قال الحسن وقتادة ، كأنه ثقب الجؤ بضوئه ، وروي عن يزيد الرقاشي أنه قال : يثقبُ الشيطان ، فذكر ذلك لأبي مجلز فقال : ليس ذاك ، ولكن ثقبه ضوءه ، وروى عن السدي أن الثاقب المحرق . اهـ . أقول : ويمكن الجمع بين القولين أن الله يبعث على الشيطان شهاباً مضيئاً نافذاً بضوئه ، فيحرقه .

(٣) هذا شطر بيت للأعشى ميمون بن قيس ، وقامه كما في ديوانه ص ٦١ :  
وَجِدْتُ إِذَا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ      وَرَزَّذَكَ أَنْقَبُ أَرْزَادَهَا

قال مجاهد والضحاك : يعني السموات والأرض ،  
والبَحَارُ<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : يجب أن يكون داخلاً في هذا ، الملائكة ،  
وغيرها مع السموات ، والأرض ، والبحار ، لأن « مَنْ » لا يقع لما  
لا يعقل مفرداً<sup>(٢)</sup> .

١٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [ آية ١١ ] .

قال مجاهد : أي لازم<sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : أي لازق<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤١/٢٣ عن مجاهد بلفظ « السموات ، والأرض ، والجبال » وذكره  
السيوطي في الدر المنثور ٢٧٢/٥/٥ وقيل : من الأمم السابقة التي كانت قبلهم ، فقد كانوا  
أشد من أهل مكة وأعتى ، والأول أرجح لقوله تعالى ﴿ لَخَلَقَ السموات والأرض أكبر من خلق  
الناس ﴾ .

(٢) هذا القول هو الصحيح وهو الأرجح الذي اختاره الطبري وابن كثير وجهور المفسرين ، فقد قال  
الطبري ٤١/٢٣ المعنى : استفت يا محمد هؤلاء المشركين ، وسلهم أهم أشد خلقاً ؟ أي  
أخلقهم أشد ؟ أم خلق من عددنا من الملائكة ، والشیاطین ، والسموات ، والأرض ؟ وقال ابن  
كثير ٥/٧ المعنى : سل هؤلاء المنكرين للبعث ، أيما أشد خلقاً ؟ هم أم السموات والأرض وما  
بينهما من الملائكة ، والشیاطین ، والمخلوقات العجيبة ؟ . اهـ . وقد نبه المصنف إلى وجه  
الترجيح ، بأن الآية وردت بصيغة « مَنْ » في قوله ﴿ أم من خلقنا ﴾ وهي موضوعة للعقلاء ،  
فلو لم تدخل الملائكة والجن ، وعجائب الخلق ، لما صح إطلاق « مَنْ » عليها .

(٣ — ٤) انظر في القرطبي قول مجاهد وفتادة ٦٩/١٥ وذكرهما ابن كثير ٥/٧ والطبري ٤٣/٢٣  
ومعنى قول فتادة « لَازِبٌ » : لازق أي أنه يلتصق باليد ، وروي عن ابن عباس أنه : اللزج ،  
وانظر الطبري ٤٣/٢٣ .

والفراء يذهب إلى أن الباء ، بدل من الميم ، وحكي أنه يُقال  
« لَا تَبْ »<sup>(١)</sup> بمعناه ، وقال النابغة :

فَلَا تَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ

وَلَا تَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ<sup>(٢)</sup>

١١ — وقوله جل وعز : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [ آية ١٢ ] .

قال قتادة : بل عجبت من الكتاب ، والوحي ، ويسخرون مما  
جئت به<sup>(٣)</sup> .

وقيل المعنى : بل عجبت من إنكارهم البعث<sup>(٤)</sup> .

وأنكر شريح أن تُقرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ بضم التاء ، وقال : إنَّ  
الله لا يعجب ، إنما يعجب من لا يعلم<sup>(٥)</sup> .

---

(١) قال الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٤/٢ : اللازب : اللاصق ، وقيس تقول : طين لا تب ،  
وأنشدني بعضهم « وَعَثِيَّ مع الإشراق في الجوف لا تب » والعرب تقول : ليس هذا بضربة  
لازب ، ولازم ، يُبدلون الباء ميماً لتقارب المخرج . اهـ .  
(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٤٢/٢٣ وهو في اللسان مادة لزب ، واستشهد به  
الطبري والقرطبي في تفسيريهما .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٤٤/٢٣ والدر المنثور ٢٧٢/٥ وتفسير ابن كثير ٦/٧ .

(٤) توضيح معنى الآية : بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث والنشور ، مع رؤيتهم آثار قدرة الله  
الباهرة ، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد  
فنائها ، وهم من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول ويهزءون .

(٥) الأثر ذكره القرطبي في تفسيره ٧٠/١٥ ولفظه : وقال شريح القاضي : إن الله لا يعجب من  
شيء ، إنما يعجب من لا يعلم ، قال الأعمش : فذكرته لإبراهيم فقال : إن شراحاً كان يعجبه =

قال أبو جعفر : وهذا الذي قاله لا يلزم ، وبضمّ التاء قرأ  
« عليّ بن أبي طالب »<sup>(١)</sup> و « ابن مسعود » و « ابن عباس » .

ومعنى التعجب في اللغة : أن يُنكر الشيء ويُقِلّ ، فيَتعَجَّبُ  
منه<sup>(٢)</sup> ، فالله جلّ وعزّ العالم بالأشياء ، وبما يكون ، ولكن لا يقع  
التعجب إلّا بعد الكون .

فهو منه جلّ وعلا ، خلافة من الآدميين ، لأنه قد علمه قبل  
وبعد ، وهو يُشبهه علم الشهادة ، كما قال سبحانه ﴿ لَنَعْلَمَ أَيُّ  
الْحَزِينِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : قل بل عجب<sup>(٤)</sup> .

---

= رأيه ، إن عبد الله كان أعلم من شريح ، وكان يقرؤها عبد الله ﴿ بل عَجِبْتُ ﴾ . اهـ . وذكره  
الفراء في معاني القرآن ٣٨٤/٢ قال الزجاج : وإنكار هذه القراءة غلط ، لأن العجب من الله  
خلاف العجب من الآدميين ، وهذا كقوله تعالى ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ وقوله ﴿ سَخِرَ اللَّهُ  
منهم ﴾ . اهـ . انظر زاد المسير ٥٠/٧ .

(١) في هذه الآية قراءتان سبعيتان ، وردتا عن رسول الله ﷺ ، فقد قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو  
عمرو ، وعاصم وابن عامر ﴿ بل عَجِبْتُ ﴾ بفتح التاء ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ بل عَجِبْتُ ﴾  
بضم التاء ، وانظر النشر ٣٥٦/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٤٧ .

(٢) قال في اللسان : العُجْبُ والعَجَبُ : إنكار ما يرد عليك ، لقلة اعتياده ، قال ابن الأعرابي :  
العجبُ النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد ، كقوله تعالى ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا  
كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد ﴾ ؟ الخطاب للنبي ﷺ أي هذا موضع عجب ، حيث أنكروا  
البعث ، وقد تبين لهم من خلق السموات والأرض ما دهم على البعث بعد الموت . اهـ .

(٣) الآية في سورة الكهف رقم ١٢ وتامها ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾  
أي لنظهر للناس علمنا .

(٤) هذا قول « علي بن سليمان » واستحسنه النحاس في كتابه إعراب القرآن ٧٤١/٢ وقال : لأن =

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [ آية ١٤ ] .

قال قتادة : أي يسخرون<sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : أي يسخرون ويستهنئون<sup>(٢)</sup> .

وقيل : ﴿ يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ يستدعون السُّخْرِيَّ<sup>(٣)</sup> من غيرهم ،

== النبي ﷺ مخاطب بالقرآن . وقال في التسهيل ٣/٣٦٨ : وقرئ « عجبْتُ » بضم التاء ، وأشكل ذلك على بعضهم ، وقال : إن التعجب مستحيل على الله ، فتأولوه على أنه على حال يتعجب منها الناس ، وقيل : تقديره قل يا محمد عجبْتُ .. ثم قال : وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ ( عجب ربك من شاب ليس له صَبَوةٌ ) وإنما جعلوه مستحيلاً على الله ، لأنهم قالوا : إن التعجب استعظام خفي سببه ، والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب ، بل هو مجرد الاستعظام ، فعلى هذا لا يستحيل على الله . اهـ .

(١ — ٢) قول مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٤٤/٢٣ ولفظه عن قتادة ﴿ يستسخرون ﴾ يسخرون منها ويستهنئون ، فعلى هذا يكون « سَخِرَ » و « استسخر » بمعنى واحد ، قال أبو عبيدة : يستسخرون ، ويسخرون ، سواء ، قال ابن قتيبة : يُقال : سَخِرَ ، واستسخر ، كما يقال : قرَّ ، واستقرَّ ، ويجوز أن يكون المعنى : يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من رسول الله ﷺ . اهـ . نقلًا عن زاد المسير ٥١/٧ . وذهب بعضهم إلى أن معنى ﴿ يستسخرون ﴾ يبالغون في السخرية والاستهزاء ، وهو ما اختاره الزمخشري في الكشاف ، ونقله الألوسي ، وأبو حيان في البحر ، ولعله انتزعه من قولهم : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، والله أعلم .

(٣) قوله « يستدعون السُّخْرِيَّ » أي يطلب بعضهم من بعض أن يسخر منها ، لأن السين والتاء للطلب ، والحاصل أنهم لا تفيد معهم البراهين القطعية ، ولا المقدمات لوعظية ، ولا المعجزات الساطعة الدالة على صدق القرآن ، وقد روي في سبب نزول الآية أن رجلاً من المشركين يدعى « رُكَّانة » لقيه الرسول عليه السلام في أحد جبال مكة ، يرعى غنماً له ، وكان من أقوى الناس وأشجعهم ، لا يقدر أحد على مصارعته ، فقال له الرسول : يا رُكَّانة أرايت إن صرعتك — أي غلبتك بالمصارعة — أتؤمن بي ؟ قال : نعم ، فصرعه ﷺ ، فقال رُكَّانة : أعد ، فصرعه ثانية ، ==

وهو قول مجاهد وقتادة .

ونظيره من كلام العرب : « قَرَّ ، واستَقَرَّ » و « عَجِبَ ،  
واستَعَجِبَ » بمعنى واحد .

وقرأ أهل الكوفة ﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> أي نافرة .

وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [ آية ١٨ ] .

المعنى : قل نعم تُبعثون ﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ قال قتادة : أي  
صاغرون <sup>(٢)</sup> .

١٣ — ثم أخبر أن ذلك يكون رَجْرَةً واحدة فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ  
رَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي قد حيوا ينظرون <sup>(٣)</sup> .

---

== ثم ثالثة ، ثم عرض عليه بعض المعجزات من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ ، ودعى شجرة  
فأقبلت تمشي نحوه عليه السلام ، فلم يؤمن بل عدَّ ذلك سحراً ، وجاء إلى أهل مكة فأخبرهم  
بالخبر ، وقال لهم : ساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فإنه يغلبهم بسحره ، فنزلت فيه وفي  
أضرابه ، وانظر البحر ٣٥٥/٧ وروح المعاني ٧٧/٢٣ .

(١) الآية من سورة المدثر رقم ٥٠ وبالفتح « مُسْتَنْفَرَةٌ » قرأ نافع وابن عامر ، وقرأ الباقر بالكسر  
« مُسْتَنْفَرَةٌ » وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٦٠ .

(٢) استبعد المشركون البعث فجاءهم الجواب ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم ،  
وأنتم أدلاء صاغرون كلكم .

(٣) الرَجْرَة : الصيحة من قولهم : زجر الراعي الغنم إذا صاح عليها ، والمراد بها النفخة الثانية في  
الصور وهي نفخة الإحياء كما قال سبحانه ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وانظر  
الصالح للجوهري .



١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [ آية ٢٠ ] .

قال قتادة : أي يومَ يدينُ اللهُ جلَّ وعزَّ العبادَ بأعمالهم<sup>(١)</sup> .

١٥ — ثم قال جل وعزَّ ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾

[ آية ٢١ ] .

أي يُقال لهم : نعم هذا يومُ الفصلِ ، أي يوم الفصلِ بين  
المحسن والمسيء<sup>(٢)</sup>

وقال أبو عبيدة : ﴿ يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ يومُ القضاء<sup>(٣)</sup> .

١٦ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا

يَعْبُدُونَ . مَنْ ذُوْنَ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾

[ آية ٢٣ ] .

---

(١) يوم الدين معناه : يوم الحساب والجزاء ، لأن الله تعالى يحاسب العباد على أعمالهم ، مأخوذ من

دان يدين : إذا جزاه ، وفي الحديث « كما تدينُ ثندان » وقد أخرج الأثر عن قتادة والسيوطي في  
الدر المنثور ٢٧٢/٥ والطبري ٤٦/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٢/٧ .

(٢) أشار المصنف إلى أن هذا ليس من قول الكفار ، وإنما هو من قول الملائكة ، أو المؤمنين لهم ،

فالكفار يقولون : يا ويلنا هذا يوم الدين ، فتقول لهم الملائكة : نعم هذا يوم الجزاء ، والفصل  
بين العباد ، وقد نبّه على ذلك صاحب الجلالين وابن الجوزي فقال : ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم

الدين ﴾ أي قال الكفار هذا يوم الحساب والجزاء ، فتقول لهم الملائكة ﴿ هذا يوم الفصل ﴾  
أي يوم القضاء الذي يُفصل فيه بين المحسن والمسيء . اهـ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٦٨/٢ .

أي يُقال هذا<sup>(١)</sup> .

قال عبد الله بن عباس ، والتَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ عُمَرَ :  
﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أي وأشباههم<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : زَوَّجْتُ الناقةَ بالنَّاقَةِ أي قرنتهما ،  
ومنه قيل للرجل : زوجٌ ، وللمرأة زوجٌ .

ويُقال : هديتهُ الطريق أي دللته عليه<sup>(٣)</sup> .

١٧ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمْ الْيَوْمَ  
مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ [ آية ٢٦ ] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ ؟ أي لا  
يدفعُ بعضكم عن بعض ﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ قال : أي  
مستسلمون في العذاب<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذا من قول الله عز وجل للملائكة — كما نبّه عليه المفسرون — أي يقول الله يوم القيامة  
للملائكة : اجمعوا الظالمين وأشباههم من العصاة المجرمين ، فدلّوهم إلى طريق جهنم .

(٢) ليس المراد بالأزواج هنا الزوجات ، بل المراد الأشباه والأمثال ، وعبارة الطبري ٤٦/٢٣ : عن ابن  
عباس : نظراءهم ومن أشبههم من الظلمة . اهـ . وقال القرطبي : الزاني مع الزاني ، وشارب  
الخمر مع شارب الخمر ، والسارق مع السارق . اهـ .

(٣) الهداية هنا في الآية خرجت مخرج السخرية والتهكم ، أي سوقوهم إلى النار ، وأرشدوهم إلى  
طريق الجحيم ، فهي بمعنى الدلالة كقوله سبحانه ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا  
الْعَمَى .. ﴾ .

(٤) هذا الأثر عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥  
 وذكره القرطبي ٧٤/١٥ ومعنى المستسلم : المنقاد الذليل الذي لا حيلة له ، والآية وردت بطريق  
التهكم والتوبيخ للكفرة المجرمين ، ورداً على أبي جهل حين قال يوم بدر ﴿ نحن جميع منتصر ﴾ .

١٨ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ [ آية ٢٨ ] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هذا قول الكفار للشياطين<sup>(١)</sup> .

وَرَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : هذا قول الإنس للجن ، قالوا لهم ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ أي من طريق الجنة ، تُبْطِلُونَنَا عنها وتصدُّوننا<sup>(٢)</sup> .

وقيل : هذا قول التابعين للمتبعين<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذا يشبه قوله تعالى ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

- 
- (١) الأثر ذكره ابن كثير ٨/٧ وفي الدر المنثور ٢٧٣/٥ وفي زاد المسير ٥٤/٧ ولم يعزه لمجاهد .  
(٢) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥ والطبري ٤٩/٢٣ ولفظه : وقال قتادة : قالت الإنس للجن : إنكم كنتم تأتوننا من قبل الخير فتنهونا عنه ، وتبطلوننا عنه .  
(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر ٣٥٧/٧ ونسبه إلى مجاهد ، وابن زيد ، وهو الأظهر والأرجح ، أنه من قول الضعفاء ، للرؤساء الكبراء ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنكم كنتم مؤمنين ﴾ وقد اختار هذا القول الحافظ ابن كثير ، والقرطبي ، وصاحب تفسير الجلالين .  
(٤) أشار المصنف إلى قوله تعالى حكاية عن إبليس « ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » سورة الأعراف آية رقم ١٧ أي آتينهم من كل جهة من الجهات الأربع ، لأصددهم عن دينك ، وأزئهم لهم الباطل ، وأصرفهم عن الحق .

﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قال : أشبه عليهم أمر دينهم <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وحقيقة معنى ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ﴾ — واللَّهُ أعلم — إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي هي أقوى الجهات <sup>(٢)</sup> ، وهي جهة الدين فتشككوننا فيه .

وقد قيل هذا في قوله جل وعز ﴿ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> وهو معروف في كلام العرب ، واللَّهُ أعلم بما أراد ،

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسير سورة الأعراف ١٣٦/٨ ولفظه : قال ابن عباس ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ﴾ يقول أشككهم في آخرتهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ أرغهم في دنياهم ﴿ وعن أيمانهم ﴾ أشبه عليهم أمر دينهم .. إلخ.

(٢) اليمين في كلام العرب تطلق على الجارحة ، وتستعار للجهة والناحية ، فيقال : جاءه عن يمينه ، أي من الجهة التي يجبها ويرغب فيها ، وتستعار كذلك للقوة والقدرة ، قال الطبري ٤٩/٢٣ ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي من قبل الدين والحق ، فتخدعوننا بأقوى الوجوه ، وهذا قول قتادة ، ثم قال : واليمين في كلام العرب : القوة والقدرة . اهـ.

وقال ابن جزي في التسهيل ٣٧٠/٣ : واليمين هنا يحتمل ثلاثة معان : الأول : أن يراد بها طريق الخير والصواب ، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين ، كما أن العبارة عن الشر بالشمال ، والمعنى : قالوا لهم : إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير ، فتصدوننا عنه .

والثاني : أن يراد به القوة ، والمعنى : إنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم ، فتأمروننا بالكفر ، وتمنعونا عن الإيمان .

والثالث : أن يراد به اليمين التي يُحلف بها والمعنى : إنكم كنتم تحلفون لنا أنكم على الحق ، فتصدقكم وتتبعكم . اهـ.

(٣) سورة الزمر آية رقم ٦٧ وقد قال الطبري عن هذه الآية ٢٨/٢٤ : وقال بعض أهل العربية في قوله تعالى ﴿ والسماء مطويات بيمينه ﴾ أي في قدرته نحو قوله تعالى ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ =

قال الشاعر :

« تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ »<sup>(١)</sup>

فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ضَالِّينَ ، فَقَالُوا : ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا  
مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ .

قال السُّدِّيُّ : أي من حجة<sup>(٢)</sup> .

١٩ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ ﴾ أي ضالِّينَ ﴿ فَحَقَّ  
عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ أي كلنا في العذاب ﴿ فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا  
كُنَّا غَاوِينَ ﴾ [ آية ٣٢ ] .

أي بالوسوسة والاستدعاء .

٢٠ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [ آية ٣٥ ] .

أي عن توحيد الله جَلَّ وعزَّ .

---

= أي وما كانت لكم عليه قدرة التملك ، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد ، قال : وقوله  
﴿ قبضته ﴾ نحو قولك : هذا في يدك ، وفي قبضتك .. إلخ. ثم قال : والأخبار التي ذكرناها  
عن رسول الله وعن أصحابه تشهد على بطول — أي بطلان — هذا القول . اهـ .

(١) هذا شطر بيت للشماخ يمدحه عَرَابَةُ الأوسي وقامه :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

والبيت من شواهد الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٥/٢ على أن اليمين تطلق على القدرة

والقوة ، وذكره الطبري وعزى التفسير إلى الضحاك وابن عباس كما عزاه الحافظ ابن كثير .

(٢) ذكره الطبري عن السدي ٥٠/٢٣ قال : ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ قال : الحجة .

اهـ . والأظهر أن المراد بالسلطان هنا القهر ، أي كان لنا عليكم من قوة نقهركم بها على اتباعنا .

٢١ — وقوله جل وعز : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ [ آية ٤٥ ] .

قال قتادة : أي خمر جارية<sup>(١)</sup> ﴿ يَبْضَأُ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ ﴾ قال الحسن : خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن<sup>(٢)</sup> .

٢٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [ آية ٤٧ ] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ قال : لا فيها وجع بطن ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ : لا تذهب عقولهم<sup>(٣)</sup> .

وروى معمر عن قتادة ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ قال : لا تُصدع رؤسهم ، ولا تذهب عقولهم<sup>(٤)</sup> .

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ قال : يقول : ليس فيها صداع ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ قال : لا تذهب عقولهم<sup>(٥)</sup> .

---

(١) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٥٢/٢٣ فقال ﴿ وكأس من معين ﴾ قال قتادة : كأس من خمر جارية ، والمعين هي : الجارية ، وقال الضحاك : كل كأس في القرآن فهو خمر . اهـ . قال الراغب في المفردات : الكأس : الإناء بما فيه من الشراب ، ويسمى الشراب كأساً فيقال : شربت كأساً ، وكأس طيبة يعني بها الشراب قال تعالى ﴿ وكأس من معين ﴾ . اهـ . المفردات ص ٤٤٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٥٦/٧ والألوسي في روح المعاني ٨٧/٢٣ والقرطبي ٧٨/١٥ .

(٣) — ٥) هذه الآثار كلها وردت عن السلف في قوله تعالى ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ وجماعها أن المعنى : لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ أي لا يسكرون بشرها كما =

قال سعيد بن جبير : ﴿ لَا يُتْرَفُونَ ﴾ لا تنزف عقولهم ،  
قال : والعَوْلُ : الأذى المكروه<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذا أجمعها وأولأها ، يُقال : غالتُهُ عَوْلُ أي  
ذهبت به ذاهبة<sup>(٢)</sup> ، وقد غَالَهُ الشَّرَابُ واغتاله ، أي ذهب بعقله أو  
آذاه<sup>(٣)</sup> ، ومنه « اغتالَ فلانٌ فلاناً » ومنه « قَتَلَهُ قَتْلَ غِيْلَةٍ » انقلبت  
الواوُ ياءً لانكسار ما قبلها . وأصل « تُرِفَ » نُقِصَ ، والمعنى : لا  
يلحقهم نُقْصَانٌ بسكرٍ ولا غيره ، فَتَنَفَى اللهُ جُلَّ وَعَزَّ عنهم السُّكْرُ ،  
لما فيه من الباطل والسَّفَه .

---

== تفعل خمر الدنيا ، قال الحافظ ابن كثير ١٠/٧ : نَزَّ اللهُ خمر الآخرة عن الآفاق التي في خمر  
الدنيا ، من صُدَاعِ الرِّس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل ، فخمِر الجنة طعمها طَيِّبٌ كريها ،  
وطيِّبُ الطعم دليل على طيبِ الرِّيح ، قال الضحاك عن ابن عباس : في الخمر أربع خصال :  
السُّكْرُ ، والصُّدَاعُ ، والقيءُ ، والبول ، فذكر الله خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال . اهـ .  
واختار الطبري به . ما أورد الآثار ، أن معنى الغول في كلام العرب هو ما غال الإنسان فذهب  
به ، فهو يعمُّ جميع هذه الأشياء ، من صداع الرأس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل ، والأذى  
والمكروه في الجسم والعقل ، والإثم الذي يلحق شاربها ، فكل ذلك قد نفاه الله عن خمر الجنة ..  
إلخ . وهو الأظهر والله أعلم .

(١) ذكره الطبري ٥٤/٢٣ وفي زاد المسير ٥٧/٧ وابن كثير ١٣/٧ ثم قال : والصحيح قول مجاهد  
أن الغول وجع البطن . اهـ .

(٢) هذا الذي قال المصنف هو ما ذهب إليه ابن جرير الطبري ، واختار العموم في معنى الغول ،  
واستدل بقول الشاعر :

وَمَا زَالَتْ الْكَأْسُ تُغْفَالُنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ

(٣) قال في المصباح : غَالَهُ عَوْلًا من باب قال : أهلكه ، وكلُّ ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول .

وجملته النقصان ، ويُقرأ ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وفي معناه

قولان :

أ — أعرفهما أنه يقال : أنزف الرجل إذا نفذ شرابه والمعنى أنزف شرابه<sup>(٢)</sup> .

ب — والقول الآخر أنه حكي أنه يقال : أنزف الرجل إذا سكر<sup>(٣)</sup> ، وأنشد أبو عبيدة للأبيرد :

لَعِمِرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ  
لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبَجْرَا<sup>(٤)</sup> .

فأبما نَزَفَ الرجل : إذا ذهب عقله من السكر ، فمعروف مسموع من العرب<sup>(٥)</sup> .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿ يُنْزِفُونَ ﴾ بكسر الزاي من أنزف بمعنى سكر ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ يُنْزِفُونَ ﴾ بنصب الزاي وكلاهما من القراءات السبع .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٣٨٥/٢ : فمن فتح فالمعنى : لا تذهب عقولهم بشرها ، من نَزَفَ الرجل فهو منزوف ، ومن كسر ففيه وجهان : أحدهما أنه يقال : أنزف الرجل : إذا فنيته خمره ، وأنزف : إذا ذهب عقله . اهـ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٧٤٨/٢ : القراءة الأولى ﴿ يُنْزِفُونَ ﴾ أيّن وأصح في المعنى ، لأن معناها عند جلة أهل التفسير : لا تذهب عقولهم ، فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر . اهـ .

(٤) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٩/٢ وهو للأبيرد الرياحي ، ذكره في الصحاح واللسان مادة « نَزَفَ » وفي الأغاني ٩/١٢ وذكره الطبري في تفسيره ٥٥/٢٣ عن الأبيرد ، وهو في القرطبي ٧٩/١٥ منسوبي إلى الخطيئة .

(٥) قال في اللسان : نَزَفَ الرجل فهو منزوف ونزيف أي سكر فذهب عقله . اهـ . مادة نَزَفَ .



٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [ آية ٤٨ ] .

قال قتادة : قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ<sup>(١)</sup> .

وَرَوَى أَبُو يَحْيَى عَنْ مَجَاهِدٍ قَالَ : [ قَصَرْنَ : أَطْرَفَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ، فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ ]<sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مَجَاهِدٍ قَالَ : لَا يَعْزُرْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : والقول الأول هو المعروف ، وأصله من قصرته أي حبسته .

وقوله تعالى ﴿ عِينٌ ﴾ قال مجاهد : أي حِسانُ العيون .

وقال السدي : ﴿ عِينٌ ﴾ أي عِظَامُ الْأَعْيُنِ .

وحكى أهل اللغة أنه يُقال : رَجُلٌ أَعْيُنٌ ، وامرأة عَيْنَاءُ أي واسع

---

(١) — (٢) الأثران عن مجاهد وقاتادة ذكرهما الطبري ٥٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٥ وابن

كثير ١١/٧ ولفظه : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ : أي عفيفات ، لا ينظرن إلى غير أزواجهن . وما بين الحاصرتين أثبتناه من هامش المخطوطة .

(٣) هذا القول عن مجاهد قول ضعيف ، لأن غيره المرأة على زوجها مما يُمدح ويُستحسن ، لأنها من

فرط حبها له تغار عليه ، ولهذا رده المصنف ، وذكر أن القول الأول هو المعروف والمشهور ، لأن معنى القصر في اللغة : الحبس ، أي قد حبسن نظرهن ، فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ، وقد روي عن ابن زيد أنه قال : إن المرأة لتقول لزوجها : « وعزّة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك ، الحمد لله الذي جعلني زوجاً لك ، وجعلك زوجاً لي » وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٥٨/٧ .

٢٤ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾ [آية ٤٩] .

قال قتادة : أي لم تمرَّ به الأيدي ، يُشبهن بياضه (٢) .

يعني قتادة : الذي داخل القشر .

قال أبو جعفر : يُقال : كُنْتُ الشَّيْءَ : أي صُنْتُه (٣) ،

والعربُ تُشَبِّه المرأةَ ببيضة النعامِ (٤) ، كما قال الشاعر :

كَبِكرِ الْمُقَاناةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ

غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحْلَلٍ (٥)

(١) قال في اللسان مادة « عين » : يُقال إنه أعينُ : إذا كان ضخماً العين واسعها ، والأُنثى عينا ، والجمع منها عَيْنٌ ، وامرأة عينا : واسعة العين . اهـ . وقال الطبري ٥٦/٢٣ : ويعني بالعين : التَّجَلُّ العيون عظامها ، وهي جمع عينا ، والعينا : المرأة الواسعة العين عظيبتها ، وهي أحسن ما تكون من العيون . وقال في البحر ٣٦٠/٧ : والعين جمع عينا ، وهي الواسعة العين في جمال . اهـ . هذا القول يجمع قول مجاهد والسُّدي وقد قال الزجاج : ﴿عَيْنٌ﴾ كبار العيون حسانها ، وواحدتهن عينا . اهـ .

(٢) هذا الأثر ذكره القرطبي ٥٧/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٨/٧ ومعنى : لم تمرَّ به الأيدي أي لم تمسه الأيدي .

(٣) في المصباح : كننْتُ الشيءَ أَكُنُّهُ من باب قَتَلَ : سترته في كِنِّهِ وهو السُّترة ، وأَكُنْتُه : أخفيته .

(٤) قال الطبري : وأولى الأقوال عندي قول من قال : شَبَّهْن في بياضهن ، وأنهن لم يمسهنَّ قبل أزواجهن إنسنَّ ولا جان ، ببياض البيض الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلد الملبَّسُ المَخَّ ، قبل أن تَمْسَهُنَّ يَدٌ أو شيءٌ غيرها ، وذلك لا شك هو المكنون ، فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسُّها ، والأيدي تباشرها ، والعشُّ يلقاها ، والعرب تقول لكل مَصُونٍ : مكنون ، لَوْلُوا كان ، أو بياضاً ، أو متاعاً . اهـ .

(٥) البيت من معلقة امرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٦ يتغزل بفتاة ، والبكرُ : الشيء الذي لم =

٢٥ — ثم قال عز وجل : ﴿ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [ آية ٥٠ ] .

يعني أهل الجنة .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [ آية ٥١ ] .

قال عطاء الخراساني : هذان رجلان أخوان ، تصدق أحدهما بماله فغيره أخوه ، وقال له ما قصَّ الله جلَّ وعزَّ (١) .

== يُسبق مثله ، والمُقَاتَاة : الخلط بين شيئين ، شبهها في صفاء اللون ، بذرة فريدة ، تضمنتها صدفة بيضاء ، شابت بياضها صفرة ، والعرب تشبَّه المرأة الحسناء في بياضها ، وحسن لونها ببيضة النعامة ، وهو أحسن ألوان النساء ، لأن بياضها يكون مُشْتَرِباً بصُفْرة ، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٩١/٦ والبحر المحيط ٣٦٠/٧ وفي ديوان امرئ القيس « غير المحلل » بالألف واللام .

(١) ذكره الطبري ٥٩/٢٣ وابن كثير ١٥/٧ والفخر الرازي ١٣٩/٢٦ في قصة طويلة خلاصتها : أنه كان رجلان شريكين ، وكان لهما ثمانية آلاف دينار ، فاقسماها ، فعمد أحدهما فاشتري بألف دينار أرضاً ، وابتنى فيها بألف داراً ، ثم تزوج بالألف الثالثة ، واشتري بالباقي خدماً ومتاعاً ، ودعا شريكه ليطلعه على ما نال من عز وشرف ، وما هو فيه من بهجة وسرور ، ومُلك وجاه ، فلما رجع العبد الصالح ، أخذ ما عنده من مال فتصدق به لوجه الله ، وقال : اللهم إن فلاناً اشترى بماله داراً ، وزوجة ، وخدماً ، ومتاعاً ، ليسعد بها في الدنيا ، وأنا أشتري منك داراً في الجنة وخدماً وحوراً فأجعلها ذخراً لي عندك في الآخرة ، ثم عمد إلى ماله فأنفقه على الفقراء والمساكين ، فلقى شريكه الكافر فقال : ما فعلت بمالك ؟ قال : قدَّمته لآخرتي ، واشتريت به داراً ، وبستاناً ، وخدماً ، وزوجة في الجنة ، فقال له الكافر مؤنباً وموئخاً ﴿ أَتُنْكِرُ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ . أَتَذَا مَتْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَتُنَا لِمَدِينُونَ ﴾ ؟ أي هل سُبِّعْتُ ونُحَاسِبُ ونُجَازَى على أعمالنا بعد أن نصبح تراباً ورفاتاً ؟ فإذا كان يوم القيامة ، اطَّلَعَ المؤمن على الكافر ، فرآه في

وقد رُوي عن ابن عباس : هو الرجل المشرك له صاحبٌ  
مؤمن ، قال له هذا<sup>(١)</sup>

قال مجاهد : ﴿ قَرِينٌ ﴾ أي شيطان<sup>(٢)</sup> .

٢٦ - ثم قال جل وعز : ﴿ يَقُولُ أَأُنْكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [ آية ٥٢ ] .

المعنى : يقول أأنك لمن المصدقين بأننا مدينون ؟ ثم كُسِرَتْ  
« إِنَّ » ليجيء اللام<sup>(٣)</sup> .

قال مجاهد : ﴿ مَدِينُونَ ﴾ أي مُحاسبون<sup>(٤)</sup> .

قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿ أي قال الذي في الجنة : هل أنتم  
مُشرفون ؟ ﴾ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ ﴿ أي فأشرف فرأى قرينه ﴾ فِي سَوَاءٍ

---

= وسط الجحيم ، فقال له ما حكاها القرآن الكريم من تمام الخير ، وانظر الطبري ، وابن كثير ،  
والدر المنثور ، ففيها تفصيل للقصة كامل .

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٥٩/٣ عن ابن عباس وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/٥ عن  
السدي بمعناه .

(٢) هذا الأثر عن قتادة ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٩/٧  
وابن كثير ١٢/٧ ورُوي عن ابن عباس : هو الرجل المشرك يكون له صديق مؤمن في الدنيا ، ثم  
قال ابن كثير : ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس  
في النفس للإنسان ، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذن .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمَدِينُونَ ﴾ والأصل فيها : أأنك لمن المصدقين بأننا مدينون ؟ بفتح  
همزة إن .

(٤) هذا قول قتادة والسدي أيضاً كما في الطبري ٦٠/٢٣ وابن كثير ١٣/٧ وقال ابن عباس  
﴿ لمدينون ﴾ أي يجزيون بأعمالنا ، يُقال : دنته بما صنع أي جازيته قال في المصباح : دنته  
أدبته : جازيته . اهـ .

الْبَحِيم ﴿ أَي فِي وَسْطِهَا <sup>(١)</sup> .

قال الذي في الجنة ﴿ تَاللَّهِ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِين ﴾ أَي تهلكني .

وفي قراءة عبدالله « لَتُعْوِينَ » <sup>(٢)</sup> .

٢٧ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [ آية ٥٧ ] .

قال قتادة : أَي لَمَنِ الْمُحْضَرِينَ فِي النَّارِ <sup>(٣)</sup> .

٢٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ؟ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [ آية ٦٠ ] .

قال قتادة : هذا آخر كلامه <sup>(٤)</sup> ، ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ لِمِثْلٍ

---

(١) قال القرطبي ٨٣/١٥ : أَي فِي وَسْطِ النَّارِ . وقال الألوسي ٩٢/٢٦ : سُمِّيَ الْوَسْطُ سَوَاءً لَاسْتَوَاءِ الْمَسَافَةِ مِنْهُ إِلَى الْجَوَانِبِ .

(٢) هذه القراءة ليست من السبع بل من الشواذ ، والمراد بعبد الله « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه .

(٣) أَي لَمَنِ الْمُحْضَرِينَ مَعَكَ فِي النَّارِ ، وهذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٦٢/٢٣ وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٣٨٥/٢ .

(٤) أَي آخر كلام المؤمن ، يقوله لرفقائه في الجنة ، تحدثاً بنعمة الله عليه ، والأثر أخرجه الطبري ٦٢/٢٣ والقرطبي ٨٤/١٥ واختار في التسهيل ٣٦/٣ أن هذه الآية من كلام الله تعالى ، لأن الذي بعدها من كلامه سبحانه ، فيكون الكلام متصلاً ، وينتهي كلام المؤمن عند قوله ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ؟ يَقُولُهُ تَوْبِيخاً لِلْكَافِر ، لِإِنْكَارِهِ الْبَعْث ، ثُمَّ يَأْتِي =

هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿١﴾ .

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً .. ؟ ﴾ [ آية ٦٢ ] .

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً ، وَنُزْلاً : أي رزقاً ، وَالنُّزْلُ أيضاً : الرِّيعُ  
والفضل (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً  
لِّلظَّالِمِينَ ﴾ [ آية ٦٢ ] .

قال مجاهد : قال أبو جهل : ما نعرف الزُّقُومَ إِلَّا التَّمَرُ  
بِالزُّبْدِ ، فَتَرْقَمُ (٢) .

وقال قتادة : فُتِنُوا بهذا ، فقالوا : كيف يكون في النَّارِ شجرة ،  
وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَر ؟ فقال الله عز وجل ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي

---

= كلام الله مبتدأ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿ وهو وجه وجهه ، وقد ذكره  
الألوسي في تفسيره .

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٠/٢ : النُّزْلُ والنُّزْلُ واحد وهو الفضل ، يقال : والنُّزْلُ أي  
الضيافة ، وقال الليث : النُّزْلُ ما يُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ إذا نزل . اهـ. التهذيب مادة نزل .

أقول : ومعنى الآية : أنعم الجنة خير ضيافة وعطاء ، أم شجرة الزقوم التي هي في جهنم ؟  
أيهما أفضل نُزْلُ الأبرار أم نزل الفجار ؟

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٦٣/٢٣ وابن كثير ١٦/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/٥ ولفظه كما  
في الطبري : قال أبو جهل لما نزلت ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴾ تعرفونها في كلام العرب ؟ أنا آتيكم  
بها ، ثم دعا جارية فقال لها : اثيني بتمر وزيد ، فقال : دونكم ترقموا ، فهذا الذي يخونكم به  
محمد !! يقول ذلك تهكماً وسخرية .

أَصْلُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾ أَي غِذَاؤُهَا مِنَ النَّارِ ، وَمِنْهَا خُلِقَتْ (١) .

٣٠ — ثُمَّ قَالَ جَل وَعِزْ : ﴿ طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [ آية ٦٥ ] .

﴿ طَلَعُهَا ﴾ أَي ثَمَرُهَا كَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَطْلَعُ (٢) مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ :  
﴿ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٣) .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ (٤) : يُقَالُ : لَمْ تُرِ الشَّيَاطِينُ ، فَكَيْفَ وَقَعَ  
التشبيه بها ؟

وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : كَأَنَّ زَيْدًا فُلَانٌ ، وَفُلَانٌ لَا يُعْرَفُ (٥) ؟

---

(١) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ ١٦/٧ وَلَفْظُهُ : قَالَ قَتَادَةُ : ذُكِرَتْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ، فَافْتَنَّ بِهَا أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، وَقَالَ : صَاحِبُكُمْ يُنْبِئُكُمْ أَنَّ فِي النَّارِ شَجَرَةً ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ . اهـ .

أَقُولُ : إِنَّمَا صَارَتْ فِتْنَةٌ لِلظَّالِمِينَ ، بِسَبَبِ أَنَّ الْكَفَّارَ لَمَّا سَمِعُوا هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ : كَيْفَ يُعْقَلُ أَنَّ تَنْبِتَ الشَّجَرَةَ فِي جَهَنَّمَ ، مَعَ أَنَّ النَّارَ تَحْرِقُ الشَّجَرَ ؟ فَانْزَلَتْ الْآيَةُ تَوْضِيحًا أَنَّ خَالِقَ النَّارِ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ أَصْلًا .

(٢) طَلَعُهَا : الْمُرَادُ بِالطَّلْعِ الثَّمَرُ ، سَمِيَ طَلَعًا لِطُلُوعِهِ ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ : الطَّلَعُ مَا يَطْلُعُ مِنَ النَّخْلَةِ ثُمَّ يَصِيرُ ثَمَرًا . اهـ .

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ١٧/٧ : وَإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِرُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ ، لِأَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي النَفُوسِ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ . اهـ .

(٤) أَبُو الْعَبَّاسِ : هُوَ الْإِمَامُ الْمُبَرِّدُ ، النَّحْوِيُّ ، اللَّغَوِيُّ ، الشَّهِيرُ ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٥٨ هـ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ ٥٥/١ .

(٥) يَحْكِي الْمُبَرِّدُ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمَلَاهِدَةِ فِي الطَّعْنِ بِهَذَا التَّشْبِيهِ ﴿ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ بِأَنَّهُ تَشْبِيهُ بِمَا يُجْهَلُ وَلَا يُعْرَفُ ، لِيَرَدَّ عَلَيْهِ ، وَحَاصِلُ الْقَوْلِ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ أَنَّهُ لَا يَشْتَرِطُ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا مَرْتَبًا ، بَلْ يَكْفِي كَوْنُهُ مَرْكُوزًا فِي الذِّهْنِ وَالْخَيَالِ ، فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي النَفُوسِ =

فالجواب : أن المقصود هو ما وقع عليه التَّعارُفُ من المعاني ،  
 فإذا قيل : فلانٌ شيطانٌ ، فقد عُلِمَ أن المعنى : فلانٌ قبيحٌ خبيثٌ ،  
 ومنه قولهم : تَشَيْطَنَ : إذا تَحَبَّثَ ، كما قال الشاعر :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي

وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَثْيَابِ أَغْوَالٍ<sup>(١)</sup>

ولم تُر الغولُ قطُّ ، ولا أنيابُها ، ولكنَّ العرب إذا قَبَّحت المَوْثَّ  
 شَبَّهته بالغول ، وإذا قَبَّحت المذكَّرَ شَبَّهته بالشيطان<sup>(٢)</sup> ، فهذا جوابٌ  
 صحيحٌ بَيِّنٌ .

وقد قيل هو نَبْتُ باليمن قبيحُ المنظر ، شَبَّهتْ بهُ ، يقال له :  
 الأَسْتَنُ<sup>(٣)</sup> ، والشَّيْطَانُ ، وليس ذلك بمعروفٍ عند العرب .

== قبحُ الشياطين ، وإن لم تشاهد ، والعرب تشبَّه قبيحَ الصورة بالشياطين ، فيقولون : وجهُهُ كوجه  
 الشيطان ، ورأسُهُ كرأس الغول ، كما تشبَّه جميل الصورة بالملك فيقولون : هذا وجه ملك ،  
 وعليه قوله تعالى ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ لأنه ارتسم في خيالهم صورة الملك  
 بأحسن صورة ، وصورة الشيطان بأقبح صورة ، وهذا ما يسمى « بالتشبيه التخيلي » .

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٣٣ و « المشرفي » السيف الصارم ، وأراد بالمسنونة  
 السهام المحدثَّة ، وشَبَّهها بأثياب الأغوال تشبيحاً لها ، ومبالغة في وصفها بما يُقزع ، وقد  
 استشهد به الألوسي في روح المعاني ٩٥/٢٣ وصاحب مجمع البيان ٦٢/٢٣ وابن منظور في  
 اللسان ، مادة غول .

(٢) قال الزجاج ٣٠٧/٤ : الشاعر لم ير الغول ولا أنيابها ، ولكنَّ التمثيل بما يُستقبح أبلغ في باب  
 المذكَّر أن يُمَثَّل بالشياطين ، وفي باب المَوْث أن يُشَبَّه بالغول . اهـ . وانظر أيضاً زاد المسير لابن  
 الجوزي ٦٣/٧ .

(٣) ذكره الرخمشري في تفسيره ٣٠٢/٣ فقال : وقيل إنه شجر « الأستين » وهو شجر خشن منتن  
 مر ، منكر الصورة يسمى ثمرُهُ « رعوس الشياطين » وقال أبو حيان في البحر ٣٦٣/٧ : وشَبَّهه ==



قال أبو جعفر : وقيل الشياطينُ : ضروبٌ من الحياتِ  
قباحٌ<sup>(١)</sup> .

٣١ — وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾  
[ آية ٦٧ ] .

قال قتادة : أي مزاجاً<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : شُبْتُ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ أي خَلَطُتُهُ  
بِهِ<sup>(٣)</sup> .

ف قيل : يُراد به ههنا شربُ الحميم .

٣٢ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّهُمْ أَكْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ  
يَهْرَعُونَ ﴾ [ آية ٧٠ ] .

---

= طلعتها بثمر شجرة معروفة ، يُقال لثمرها رءوس الشياطين ، وهي بناحية اليمن يقال لها الأستن ،  
ذكرها النابغة بقوله : « تَجِيدُ مِنْ أَسْتَنِ سُودَ أَسَافِلُهُ » فعلى هذا القول يكون تشبيهاً بما هو  
معروف عند العرب .

أقول : وهذا خلاف الظاهر المتبادر .

(١) ذكره الطبري ٦٤/٢٣ والقرطبي ٨٧/١٥ والألوسي ٩٦/٢٣ وهو منسوب إلى الزجاج والفراء .

(٢) ذكره الطبري ٦٥/٢٣ ولفظه قال قتادة : ﴿ شَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾ مزاجاً من حميم ، قال القرطبي  
٨٧/١٥ : الشَّوْبُ : الخَلْطُ ، يقال : شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء ، يشوبهما  
شوباً ، والحميم : الماء الحار ليكون أشنع ، قال الله تعالى ﴿ وَسُقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ  
أَمْعَاهُم ﴾ .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٠/٢ : تقول العرب كل شيء خلطته بغيره فهو مشوب ، وقال  
ابن قتيبة المعنى : إن لهم خلطاً من الماء الحار يشربونه عليها . اهـ . وانظر زاد المسير ٦٤/٧ .

معنى ﴿الْفَوَا﴾ : وجدوا<sup>(١)</sup> .

قال مجاهد : ﴿يُهْرَعُونَ﴾ كهَيْئَةِ الْهَرُولَةِ ، وقال قتادة : يُسْرِعُونَ<sup>(٢)</sup> .

وقيل : كأنهم يُزْعَجُونَ من الإسراع<sup>(٣)</sup> .

٣٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾  
[ آية ٧٥ ] .

قيل : بِمَسْأَلَتِهِ هَلَاكَ قَوْمُهُ<sup>(٤)</sup> ، فقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

- 
- (١) ومنه قوله تعالى ﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ أي وجدا سيدها .  
(٢) قول قتادة ومجاهد ذكرهما الطبري ٦٦/٢٣ والقرطبي ٨٨/١٥ قال الفراء : الإهرع : الإسراع برعدة ، وقال أبو عبيدة ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يُسْتَحْتُونَ من خلفهم ، ونحوه قال المبرد : المُعْرَع : المستحث ، يقال : جاء فلان يُهرع إلى النار إذا استحثه المبرد إليها . وانظر القرطبي ٨٨/١٥ .  
(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٣٠٧/٤ وحكاه القرطبي في تفسيره ، يقال : هرع وأهرع : إذا استحث وأزعج . اهـ .  
(٤) هذا ما رجحه الطبري ٦٧/٢٣ واختار غيره من المفسرين أن النداء هنا بمعنى الاستغاثة ، وقد تضمن نداءه ثلاثة أمور :  
١ — الدعاء على قومه بالهلاك .  
٢ — سؤاله النجاة من الغرق .  
٣ — طلبه النصرة على المجرمين .  
كما أخبر تعالى عنه في سورة القمر ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ وقد أجاب الله دعاءه في هذه الأمور كلها ، أبلغ استجابة ، ولهذا قال : ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ أي فلنعم المجيبون له نحن ، وجاء اللفظ بصيغة الجمع للعظمة والكبرياء ، وهذا القول أرجح ، وهو اختيار الألوسي ، وصاحب البحر .

الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١﴾ .

وقيل : المعنى دعا بأن تُنَجِّيهُ من الغَرَق ﴿٢﴾ وَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾ أي من الغرق .

٣٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [ آية ٧٦ ] .  
رَوَى سعيد عن قتادة : النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوْحٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿٣﴾ .

٣٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [ آية ٧٨ ] .  
قال مجاهد وقتادة : أي ثناءً ﴿٤﴾ .

وقال محمد بن يزيد ﴿٥﴾ : المعنى : وتركنا عليه في الآخرين ،

---

(١) سورة نوح آية رقم ٢٦ .

(٢) إنما سُمي الطوفان « كَرْبًا » لأنه كان شديدًا هائلًا ، طغى على كل شيء ، حتى علا قمم الجبال ، والكرْبُ في اللغة : البلاء ، والشدة ، والحزن ، والغَمُّ الذي يأخذ بالنفس ، كما في لسان العرب .

(٣) هذا قول الجمهور ، ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، وقتادة كما في البحر ٣٦٤/٧ وقال في التسهيل لعلوم التنزيل ٣٧٥/٣ : أهل الأرض كلهم من ذرية نوح ، لأنه لما غرق الناس في الطوفان ، ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة « سام ، حام ، يافث » . اهـ .

أقول : ولهذا يسمي علماء التاريخ نوحاً أباً البشر الثاني .

(٤) قال في الدر المنثور ٢٧٨/٥ وعن قتادة : أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرة ، وعن ابن عباس : تركنا عليه الثناء الحسن إلى آخر الدهر .

(٥) هو الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ وعلى قوله يكون الكلام وارداً على الحكاية أي تركنا عليه هذا الكلام بعينه ﴿٥﴾ سلام على نوح في العالمين ﴿٥﴾ .

يقال : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ أي تركنا عليه هذه الكلمة  
باقية<sup>(١)</sup> .

٣٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ [ آية ٨٣ ] .

قال مجاهد : أي على منهاجه وسُنَّته<sup>(٢)</sup> .

وقال قتادة : على دينه<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : المعنى : وإنَّ من شيعة نوح .

قال الفراء : المعنى : وإن من شيعة محمد صلى الله عليه

وسلم<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذا قول المبرد ، والفراء ، والزجاج ، واختاره الألوسي في روح المعاني ، وجمهور المفسرين على ما ذهب إليه مجاهد وقاتدة وابن عباس أن المعنى : أبقينا عليه ثناء جميلاً في الناس إلى يوم القيامة ، فلا يُذكر إلا بالإجلال والتعظيم ، وانظر الطبري ٦٨/٢٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦٩/٢٣ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقاتدة ، والسدي ، وكذلك ذكره القرطبي ، وصاحب البحر ، والألوسي ، قال الطبري المعنى : وإن من أشياع نوح ، على منهاجه وملته ، لإبراهيم خليل الرحمن . اهـ . وقال في اللسان : الشيعة : أتباع الرجل وأنصاره ، وكلُّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ أي من شيعة نوح ومن أهل ملته . اهـ . اللسان .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٦٩/٢٣ والقرطبي ٩١/١٥ وهو مروي عن ابن عباس والسدي وهو قريب من الأول .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢ فقد جعل الهاء في « شيعة » عائدة إلى محمد عليه السلام ، وقال : وإن كان إبراهيم سابقاً له ، فإنه مثل قوله تعالى ﴿ وآية لهم أننا حملنا ذريتهم ﴾ أي ذرية من هم منه ، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم . اهـ . والجمهور على أن الضمير في « شيعة » عائدة إلى نوح عليه السلام ، لأنه هو المذكور سابقاً ، وقُلِّما يقال للمتقدم هو شيعة للمتأخر ، وانظر تفسير الألوسي ١٠٠/٢٣ .

والأول أشبه ، لأن ذكر نوح قد تقدّم .

٣٧ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ [ آية ٨٤ ] .

قال قتادة : أي سليم من الشُّرك<sup>(١)</sup> .

وقال عروة بن الزبير : لم يَلْعَنُ شيئاً قطُّ<sup>(٢)</sup> ، فقال الله جلّ

وعزّ ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ .

٣٨ — وقوله جل وعزّ : ﴿ أَتَفْكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [ آية ٨٦ ] .

قال قتادة : أي أكذباً<sup>(٣)</sup> ؟

٣٩ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ آية ٨٧ ] .

روى سعيد عن قتادة قال : أي فما ظنكم برب العالمين ، وقد

---

(١-٢) انظر الأثرين في الطبري ٧٠/٢٣ وابن الجوزي ٦٧/٧ وابن كثير ٢٠/٧ والقرطبي ٩١/١٥ والأولى التعميم أي سالم من جميع الآفات والنقائص ، سالم من الشرك ، والشكّ ، وسائر العيوب ، من الغلّ ، والحسد ، والكبر ، والمكر ، والخبث ونحوها ، قلب نقّيّ طاهر ، لم تدنّسه مغريات الحياة .. إلخ. وما ذكر عن قتادة وعروة فإنما هو تخصيص بدون مخصص ، فيكون ما ذكرناه من العموم أولى وأظهر ، وهو اختيار الألوسي ، وصاحب البحر المحيط .

(٣) الإفك في اللغة : الكذب والباطل قال في المصباح : أَفَكَ يَأْفِكُ من باب ضرب ، إفكاً : بالكسر : كَذَبَ ، فهو أَفَاكٌ وَأَفُوكٌ . اهـ. ومعنى الآية : أتعبدون آلهة من دون الله من أجل الإفك والكذب والزور ؟ وقُدِّمَ المفعول لأجله على المفعول به ، للتوبيخ والتشنيع ، والأصل : أتريدون آله من دون الله إفكاً ؟ قال المبرد : والإفك أسوء الكذب ، وهو الذي لا يثبت ويضطرب .

عبدتم غيره ، إذا لقيتموه <sup>(١)</sup> ؟

٤٠ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ فَتَنْظُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ [ آية ٨٨ ] .

في معناه ثلاثة أقوال :

قال الحسن : أي تفكر فيما يعمل إذا كلفوه الخروج <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول : فنظر فيما نجم له من الرأي ، أي فيما طلع له ، يقال : نجم القرن والنبت إذا طلعا .

أي فكر فعلم أنه لا بد لكل حي من أن يسقم ، فقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٣ والقرطبي ٩٢/١٥ وابن كثير ٢٠/٧ ولفظه : قال قتادة : ما ظنكم به أنه فاعل بكم ، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ . اهـ .

(٢) الأثر عن الحسن البصري أخرجه ابن كثير ٢٠/٧ ولفظه : قال : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم ، فأرادوه على الخروج معهم ، فاضطجع على ظهره ﴿ فقال إني سقيم ﴾ وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل إلى آلتهم فكسرها ، وقال قتادة : العرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم ، أي إنه نظر في السماء ، متفكراً فيما يلهيهم به . اهـ .

أقول : لما وُسخ قومه على عبادة الأوثان ، أراد أن يريهم أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع ، ولا تستطيع أن تدفع الأذى عن نفسها ، فأراد أن يخلو بها حتى يحطمها ، فاحتال للبقاء وعدم الخروج معهم إلى العيد ، فنظر في السماء — على عادة قومه حيث كانوا منجمين — وأوهمهم أن النجوم التي يعتقدون بها ، تشير إلى أنه سيمرض غداً ، فقال إني سقيم أي سأمرض إن خرجت معكم ، وهذا منه عليه السلام ليس بكذب ، وإنما هو من المعارض الجائزة لمقصد شرعي كما روي « إن في المعارض لمدحوة عن الكذب » أو أراد أنه سقيم القلب من عبادتهم للأوثان والأصنام ، وانظر ابن كثير ففيه كلام نفيس .

قال الخليل : يُقال للرجل إذا فكرَّ في الشيء كيف يدبُّره :  
نظر في النجوم .

وكذلك قال أبو العباس<sup>(١)</sup> في معنى هذه الآية .

والقول الثاني : أن يكون المعنى : فنظر فيما نَجَم من  
الأشياء ، فعلم أنَّ لها خالقاً ومدبِّراً ، وأنها تتغيَّر ، وعلم أنَّ ذلك  
يلحقه فقال : إني سقيم<sup>(٢)</sup> .

والقول الثالث : ما رواه سعيد عن قتادة أن سعيد بن المسيَّب  
قال : نظر إلى نجم ، فقال : إني سقيم ، فكأيد عن دينه<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول ، فعَمِلَ ما يعلمون من

---

(١) هو الإمام المبرد ، وقد حكى هذا القول عن الخليل والمبرد الإمام القرطبي في تفسيره ٩٢/١٥ وهو قول مرجوح ، والراجح ما ذكرناه .

(٢) هذا القول ذكره الألويسي في تفسيره ١٠١/٢٣ وبسطه بعض البسط فقال ﴿ فنظر نظرة في النجوم ﴾ أي فتأمل نوعاً من التأمل في أحوالها ، على طراز تأمل الكاملين في خلق السموات والأرض ، إذ هو اللائق به عليه السلام ، لكنه أَوْهمهم أنه تفكر في أحوالها ، وفي الأوضاع التي تدل بزعمهم على الحوادث ، ليرتَّب عليه ما يتوصل به إلى غرضه النبيل ، وهذا من معاريض الأفعال ، نظير ما وقع في قصة يوسف عليه السلام ، من تفتيش أوعية إخوته قبل وعاء شقيقه ، نفياً للتهمة . اهـ . بإيجاز .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٧١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٩/٥ وابن كثير ٢١/٧ بلفظ « كابد » ومعناه تحمَّل المشقة والشدة دفاعاً عن دينه ، وأما عبارة « كابد » كما في الطبري ، فصحيحة أيضاً ، أي صنع ما يكيد به الأعداء من أجل نصرة دينه .

النظر في النجوم ، واستدلّاهم بها<sup>(١)</sup> .

قال سعيد بن جبير والضحاك : ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أي مطعون ، وكانوا يهربون من الطّاعون<sup>(٢)</sup> قال الله جلّ وعزّ ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ .

٤١ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَارْأَوْا إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [ آية ٩١ ] .

أي مال وعدل<sup>(٣)</sup> ، ومنه الرواغ ، ثم قال ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ؟

(١) أقول : هذا القول الذي ذكره المصنف عن ابن المسيب هو أرجح الأقوال وأقواها ، وهو الذي رجحه جمهور المفسرين ، الألوسي ، وأبو خيان ، والقرطبي ، وابن كثير ، وهو ظاهر الآية الكريمة أنها نجوم السماء ، فقد أتاهم عليه السلام من حيث يعتقدون ، وأوهمهم بأنه استدلّ بأمانة في علم النجوم ، أنه سيسقم ويشارف على المرض ، ولذلك تركوه وخرجوا إلى عيدهم ، فصنع ما صنع بالأصنام ، لينبهم إلى ضلالهم . قال في التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٣٧٧ : في تأويل قوله تعالى ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾ ثلاثة أقوال : الأول : أنها كانت تأخذها الحمى في وقت معلوم ، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم منها . والثاني : أن قومه كانوا منجمين ، فأوهمهم أنه استدلّ بالنظر في علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف من الخروج معهم . والثالث : أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكّر فيما ينجم من حاله معهم ، وليست بنجوم السماء ، وهذا بعيد . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير عن الضحاك ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال : طعين وكانوا يفرّون من المطعون ، وانظر الدر المنثور ٥/٢٧٩ وابن كثير ٧/٢١ .

(٣) قال في المصباح : راغ الطريق : مال ، وراغ فلان إلى كذا : مال إليه سراً . اهـ . وقال القرطبي ٩٤/١٥ : راغ ، يروغ ، رَوْغاً ، وروغاناً : إذا مال . قال الشاعر :



تعجباً .

أي فقرَّب إليها الطَّعام ، فقال : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ؟ فلمَّا لم يرها تأكل ، قال : أَلَا تَنْطَقُونَ ؟ .

وقال أبو مالك : جاء إلى آهتهم ، وكانوا قد جعلوا بين أيديها طعاماً ، فلمَّا لم تُكَلِّمْهُ<sup>(١)</sup> قال ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطَقُونَ ﴾ فأخذ فأساً فضرب به حافَّتَيْهَا ، ثم علَّقه في عُتْقِ أَكْبَرِهَا .

٤٢ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [ آية ٩٣ ] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون معنى ﴿ بِالْيَمِينِ ﴾ : بالقوَّة ، كما تقدَّم<sup>(٢)</sup> .

وجوز أن يريد اليد<sup>(٣)</sup> .

---

== يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرْوُغُ عَنْكَ كَمَا يَرْوُغُ الثَّعْلَبُ اِهـ .

- (١) عرض الأكل على الأصنام ، واستفهامها عن النطق ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطَقُونَ ﴾ ؟ إنما هو وارد على سبيل السخرية والهزاء ، لكونها جمادات لا تأكل ، ولا تتكلم ، فهي منحطة عن عابديها إذ هم يأكلون وينطقون ، وإنما وضعوا عندها الطعام لتصيبه بركة أصنامهم على زعمهم .
- (٢) في قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ﴾ أي عن طريق القوة والغلبة ، على أحد وجوه التفسير ، قال ابن جرير ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ قال ابن عباس : جعل يضرب آهتهم باليمين ، وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى القوة والقدرة ، أي فراغ عليهم ضرباً بالقوة والقدرة . اهـ . الطبري ٧٣/٢٣ .
- (٣) هذا قول الضحاك والربيع بن أنس أنه أخذ يكسرها باليد اليمنى ، لأنها أقوى والضرب بها أشد .

وقيل : يمينه حين قال ﴿ وَٱللَّهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ۖ ﴾<sup>(١)</sup> .

٤٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴾ [ آية ٩٤ ] .

قال قتادة : أي يمشون<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : زَفَّ النَّعَامُ يَرْفُ : إذا أَسْرَعَ ، وذلك في أول عَدُوهِ .

ويُقرأ ﴿ يَرْفُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> بضم الياء ، وأكثر أهل اللغة لا يعرفه .

وقد يجوز أن يكون « أَزَفَّ » صَادَفَ الرَّفِيفَ ، فيكون هذا منه<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذا القول حكاه ابن الجوزي عن الماوردي ، وذكره الطبري ولم ينسبه لقائله ، وإنما قال : تأول بعضهم اليمين بالخلف ، والمعنى : جعل يضربهن باليمين التي حلف بها . اهـ . وانظر الطبري ٧٣/٢٣ .

(٢) الأثر عن قتادة مروي عن السدي أيضاً كما في الطبري ٢٧/٢٣ والقرطبي ٩٥/١٥ وهو خلاف المشهور عند أهل اللغة ، فإنهم يقولون : زَفَّ الرجل إذا أَسْرَعَ في مشيه ، مع تقارب الخطى ، قال في المصباح : زَفَّ الرجل يَرْفُ من باب ضَرَبَ : أَسْرَعَ ، والاسم الرَّفِيفُ ، وقال في اللسان : الرَّفِيفُ : سرعة المشي مع تقارب خطو ، وقيل : هو أول عَدُو النَّعَامِ ، وقال اللحياني : الرَّفِيفُ : الإسراع ومقاربة الخطو ، زَفَّ ، يَرْفُ ، زَفِيفاً ، وقال الزجاج : يَرْفُونَ يُسْرِعُونَ ، وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عَدُوها . اهـ . اللسان مادة زفف .

(٣) هذه قراءة حمزة كما في النشر في القراءات العشر ٣٥٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٤٨ من أَزَفَّ يَرْفُ أي دخل في الرفيف ، وهو الإسراع أي يادروا مسرعين نحوه ، وقرأ الباقون بفتح الياء « يَرْفُونَ » قال الفراء : وقراءة الضم كأنها من أَرْفَفْتُ ، ولم نسمعها إلا زففت ، ولها في اللغة وجه .

(٤) قال الأصمعي : أَرْفَفْتُ الإبل أي حملتها على أن تَرْفَ ، فالمعنى على قراءة الضم أي يحملونها =

وحكى الكسائي أنه قرىء ﴿يَزِفُونَ﴾<sup>(١)</sup> بتخفيف الفاء ،  
وأكثر أهل اللغة لا يعرفه أيضاً .

وحكى بعضهم أنه قال : وَزَفَ ، يَزِفُ : إذا أسرع .

٤٤ — ثم قال جل وعز : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [ آية ٩٦ ] .

قال أبو عبيد<sup>(٢)</sup> : أي وما تعملون منه الأصنام وتحتونه ، وهو  
الخشب والحجارة وغيرها<sup>(٣)</sup> .

قال قتادة : وما تعملون بأيديكم .

ويجوز أن يكون « ما » نفيًا ، أي وما تعملونه ، ولكن الله  
خالقه .

ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي وعملكم<sup>(٤)</sup> .

---

== على التزيف . اهـ . وقال الفراء : لعل هذه القراءة من قول العرب : قد أطردت الرجل أي صيرته  
طريداً ، وطردته إذا أنت قلت له : اذهب عنا ، قال : وأنشدني المفضل :  
« فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَا » أي صار إلى حال الذل والقهر . اهـ .

(١) هذه القراءة ﴿يَزِفُونَ﴾ بالتخفيف من الشواذ ، وهي قراءة « عبد الله بن يزيد » كما في المحتسب  
٢٢١/٢ كأنها من وَزَفَ يَزِفُ قال الكسائي : لا أعرفها ، وكذلك قال الفراء : لا أعرفها  
أيضاً ، إلا أن تكون لم تقع إلينا . وانظر معاني القرآن للفراء ٣٨٩/٢ .

(٢) أبو عبيد : هو القاسم بن سلام الخزاعي اللغوي ، المحدث ، الفقيه ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ له  
غريب القرآن ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١٥/٨ .

(٣) على هذا القول تكون « ما » اسم موصول ، بمعنى « الذي » أي خلقكم وخلق الخشب  
والحجارة التي تعملون منها الأصنام .

(٤) هذا القول على أن « ما » مصدرية والمعنى : والله خلقكم وخلق عملكم ، وهذا من مذهب أهل ==

ويجوز أن يكون استفهاماً فيه معنى التوبيخ<sup>(١)</sup> .

٤٥ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾

[ آية ٩٨ ] .

﴿ الْأَسْفَلِينَ ﴾ الْأَذْلَى حُجَّةٌ .

قال قتادة : ما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم<sup>(٢)</sup> .

٤٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينَ ﴾

[ آية ٩٩ ] .

هاجر إلى الأرض المقدسة<sup>(٣)</sup> .

---

== السنة ، أن الأفعال خلق الله عز وجل ، واكتساب للعباد ، وفيه إبطال مذهب القدرية ، والجبرية ، كما في القرطبي ، وقد ذكر ابن جرير الوجهين فقال في تفسيره جامع البيان ٧٥/٢٣ : في قوله تعالى ﴿ وما تعملون ﴾ وجهان :

الأول : أن تكون « ما » بمعنى المصدر ، فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم .  
والآخر : أن تكون بمعنى « الذي » فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس . اهـ .

(١) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٧/٧ كما ذكر قول من قل إن « ما » نافية ، ولكنه رحمه الله ردّها ويبيّن أن هذه الأقوال خارجة عن طريق البلاغة ، والمعنى على القول بأنها للاستفهام الإنكاري : أي وأي شيء تعملون في عبادتكم لأصنام تنحتونها بأيديكم ١٩  
(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٧٥/٢٣ والمراد أنه عليه السلام لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بالإحراق بالنار ، لئلا يظهر أمام الناس عجزهم ، فلم يناظرهم بعد تلك الحادثة حتى أهلكهم الله .

(٣) هي أرض الشام على رأي الأكثرين ، قال القرطبي ٩٧/١٥ قال مقاتل : هو أول من هاجر من الخلق إلى أرض الشام ، مع لوط وسارة ، وقيل : إلى أرض مصر ، وهو بعيد . اهـ .

٤٧ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى .. ؟ ﴾ [ آية ١٠٢ ] .

قال مجاهد : ﴿ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أي العمل ، أي شب<sup>(١)</sup> .

وقال غيره : بلغ ثلاث عشرة سنة<sup>(٢)</sup> .

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ ﴾ [ آية ١٠٢ ] .

أي إني أرى في المنام أني سأذبحك<sup>(٣)</sup> .

أي أمرت بهذا في المنام ، وجعل علامة ، إذا رأيت ذلك أن أذبحك .

---

(١) قال القرطبي ٩٩/١٥ : أي لما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله . اهـ . وقول المصنف : أي شب هو قول مجاهد ، وقال ابن عباس : أي بلغ العمل وأدرك عمل إبراهيم ، والقولان متقاربان ، لأن المعنى : أنه لما ترعرع وشب ، وبلغ السن الذي يمكنه مساعدة أبيه في عمله .

(٢) هذا قول ابن السائب ، كما في تفسير ابن الجوزي ٧٢/٧ وهو ما رجحه الفراء حيث قال : كان إسماعيل يومئذ ابن ثلاث عشرة . اهـ .

(٣) أي بأمر من الله تعالى ، ويدل عليه قوله ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ ورؤيا الأنبياء وحى كالليقظة ، وإنما ذكر له الرؤيا اختباراً لصبره ، وليوطن نفسه على ملاقاته هذا البلاء ، إذ المفاجأة بالأمر أصعب على النفس ، قال الحافظ ابن كثير ٢٤/٧ : وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره ، وجلده ، وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه . اهـ . وقال في التسهيل ٣٧٩/٣ : إن قيل : لم شاوره في أمر هو عليه حتم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ، ويوطن نفسه على الصبر ، فأجابه بأحسن الجواب ؟

وَيُقْرَأُ ﴿ مَاذَا تُرِي ﴾ <sup>(١)</sup> ؟ من الصَّبْرِ .

قال أبو إسحق <sup>(٢)</sup> : لم يقل هذا أحدٌ غيره .

وإنما قال العلماء المعنى : ماذا تُشيرُ ؟

وقد رُوي في الذبيح أحاديث عن جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> .

وقال بعضُ أهل العلم : الدليلُ على أنه إسماعيل ، أن إسماعيل كان بمكة ، وكان الذَّبْحُ بمنى <sup>(٤)</sup> .

---

(١) قوله وقرئ ﴿ مَاذَا تُرِي ﴾ بضم التاء وكسر الراء ، من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، كما في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٨ ومعناها : ماذا تريني من صبرك ؟ وقرأ الباقر بن فتح التاء والراء ، أي ما رأيك في الأمر ؟

(٢) يريد به الإمام الزجاج . وهو يردُّ على الفراء في قوله : ماذا تريني من صبرك أو جزعك ؟ على قراءة الضم فقد جعل هذا القول من قول الفراء فقط ولم يقل به أحدٌ غيره . وأما غير الفراء فقد قالوا المعنى : ماذا تُشيرُ ؟ وانظر معاني القرآن للفراء ٣٩٠/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٧٦٢/٢ .

(٣) أي إن السلف اختلفوا في الذبيح هل هو « إسحاق » أم « إسماعيل » ولكل واحد دليل على ما ذهب إليه ، فذهب ابن مسعود وقتادة وعكرمة والسدي إلى أنه « إسحاق » وأورد ابن جرير في تفسيره عنهم بعض الأحاديث والآثار ، وذهب ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، ومحمد القرظي ، والحسن ، ومجاهد إلى أنه « إسماعيل » واستدلوا بظاهر هذه الآيات ، ويقولون عليه السلام ( أنا ابن الذبيحين ) ويقول الأعرابي للرسول : ( يا ابن الذبيحين ) فتبيّن عليه السلام ، ويعني بالذبيحين : إسماعيل عليه السلام ، ووالد النبي « عبد الله » حين نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أولاده ، فخرجت القرعة على عبد الله ، فمَنعَهُ أحواله وقالوا له : افدِ ابنك بمائة من الإبل ، والجمهور على أن الذبيح إسماعيل ، كما سندكر الأدلة عليه واضحة إن شاء الله .

(٤) هذا أحد الوجوه التي ترجح أن الذبيح كان « إسماعيل » عليه السلام ، ولا يقوى على ردِّه ما نقل =

وهذا لا يلزم ، رُوي عن ابن عباس أنه قال : كان الذَّبْحُ  
بالشَّام .

وقال عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ : كان بالشَّام ، وإن كان مجاهد قد قال :  
كان بمِثْنَى .

وقال بعضهم : في القرآن ما يدلُّ على أنه إسماعيلُ صَلَّى اللهُ  
عليه وسلم ، قال الله جل وعز ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ  
إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴾ <sup>(١)</sup> فدلَّ بهذا على أن إسحاق سيعيش ، حتى يُولد  
له <sup>(٢)</sup> ، فكيف يُؤمَرُ بذبحه ؟

---

عن ابن عباس أن الذبح كان بالشَّام ، فإن الصحيح أنه كان بمكة ، وعرض إبليس  
لإبراهيم بصورة شيخ ناصح ، ليصدَّه عن تنفيذ أمر الله ، فحصبه بحصيات عند الجمرات ،  
وصار ذلك تشريعاً لرمي الجمار ، ولا شك أن الجمرات إنما هي بمِثْنَى وليست بالشَّام .  
(١) سورة هود آية رقم ٧١ .

(٢) تكاد تكون الآية من الأدلة الصريحة القاطعة على أن الذبيح « إسماعيل » لا « إسحاق » أن الله  
تعالى بعد أن ذكر تلك الحادثة العجيبة « حادثة الذبح » وما جرى من امتثال إبراهيم عليه  
السلام وولده إسماعيل لأمر الله ، واستسلامهما لحكمه في قوله سبحانه ﴿ فلما أسلما وتلَّه  
للجين . ونادىناه أن يا إبراهيم . قد صدَّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ وذكر أمر الابتلاء  
والفداء بقوله ﴿ إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ﴾ بعد سرد جميع أحداث القصة  
على أكمل وجه ، قال بعدها ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى  
إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ فالبشارة بإسحاق إنما جاءت بعد « حادثة  
الذبح » تكريماً للخليل إبراهيم ، على صبره على تنفيذ أمر الله ، ولولا أن الله تعالى منع السكَّين  
من أن تفري الأوداج ، لتَمَّ الأمر وذبح الوليد ، ولكنَّ الله علم صدقه فقدها بكيش عظيم ، وأكرمه  
بولد آخر هو الذي بشره به بقوله ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ .  
وأمر آخر وهو أن الله تعالى ذكر في سورة هود البشارة لسارة بغلام يكون من نسله يعقوب =

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً لا يثبت حُجَّةً ، لأنه يجوز أن يؤمر بذبحه ، وقد علم أنه يولد له ، لأنه يجوز أن يُحييه الله جلَّ وعزَّ بعد ذلك .

٤٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [ آية ١٠٣ ] .

== ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ فكيف يؤمر بذبح إسحاق وهو في ريعان الصبا ، قبل إنجاز الوعد في ولادة يعقوب ؟ ولنفسح المجال للحافظ ابن كثير فقد أجاد في تحقيق هذا الموضوع وأفاد ، فقال تغمده الله بالرحمة والرضوان : وقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام ، فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم عليه السلام ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل ولد لإبراهيم ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم ابنه وحيداً وبكره ، فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً — إسحاق — ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا « إسحاق » لأنه أبوهم ، و « إسماعيل » أبو العرب فحسدوهم ، وحرفوا وحيدك — بمعنى ليس عندك غيره — وهذا تحريف وتأويل باطل ، فإنه لا يقال « وحيد » إلا لمن ليس له غيره ..

ثم قال : وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح إسحاق ، وحكي ذلك عن طائفة من السلف ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك ثُلُفِي إلا عن أخبار أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلماً من غير حُجَّة ، وهذا كتاب الله ، شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ وقال تعالى ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ أي يولد لهما في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون من ذريته عَقَبٌ ونسبٌ ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً ؟ ورؤي عن ابن عباس أنه قال : المقدُّى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود ، وهذا مروى عن مجاهد ، والشعبي ، والحسن البصري ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وسعيد بن جبير ، كلهم قالوا إن الذبيح إسماعيل . اهـ . تفسير ابن كثير ٢٣/٧ بشيء من الإيجاز .



قال مجاهد : أي سَلَمًا لأمرِ الله جَلَّ وعزُّ (١) .

قال أبو جعفر : وفي حرف عبدالله بن مسعود ﴿ فَلَمَّا سَلَمًا ﴾ (٢) .

يُقَالُ : سَلَّمَ ، إذا أعطى بيده ورضي .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ لِلْجَبِينِ ﴾ أي صَرَّعه ، وهما جبينان ، بينهما الجبهة (٣) .

وجواب « لَمَّا » عند البصريين محذوف ، كأنه قال : سَعِدَ .

والواو عند الكوفيين زائدة ، كأنه قال : نَادَيْنَاهُ (٤) .

٤٩ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [ آية ١٠٧ ] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٩/٢٣ عن مجاهد والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٠/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والمعنى : استسلمنا لأمر الله ، وانقادا لحكمه وأطاعا .

(٢) ذكرها في المحتسب ٢٢٢/٢ وهي من القراءات الشاذة ، قال ابن جنبي : ومعنى ﴿ أَسْلَمَا ﴾ فَوْضًا وَأَطَاعًا ، وأما « سَلَمًا » فمن التسليم ، أي سلما أنفسهما لما أمرا به ، ولم يُخَالَفَا . اهـ .

(٣) في المصباح : الجبين : ناحية الجبهة ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما ، فتكون الجبهة بين جبينين . اهـ . وقال ابن قتيبة « وتِلْكَ لِلْجَبِينِ » أي صرعه على جبينه ، فصار أحد جبينيه على الأرض ، وهما جبينان ، والجبهة بينهما ، والناس لا يكادون يفرّقون بين الجبين والجبهة . اهـ . وانظر زاد المسير ٧٦/٧ .

(٤) جواب « لَمَّا » محذوف عند البصريين تقديره : فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها « تِلْكَ لِلْجَبِينِ » والواو زائدة ، وقال بعضهم : جوابها نادينا والواو زائدة ، وهذا قول الفراء ، ولكن الإمام النحاس في كتابه « إعراب القرآن » ٧٦٣/٢ يقول : والواو من حروف المعاني فلا يجوز أن تزداد ، ويرجح أن الجواب محذوف .

الذَّبْحُ : المذْبُوحُ ، والذَّبْحُ المصدرُ <sup>(١)</sup> .

رَوَى وَرْقَاءُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : كَبِيرٌ ، مُتَقَبِّلٌ <sup>(٢)</sup> .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : ﴿ عَظِيمٌ ﴾ فِي اللُّغَةِ : يَكُونُ لِلْكَبِيرِ <sup>(٣)</sup> ،  
والشَّريفِ .

وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّهُ هَهُنَا لِلشَّريفِ ، أَيِ الْمُتَقَبِّلِ .

٥٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . وَجَعَلْنَاهُمَا  
وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [ آيَةُ ١١٥ ] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : مِنْ فِرْعَوْنَ <sup>(٤)</sup> .

٥١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْعَالِيْنَ ﴾  
[ آيَةُ ١١٦ ] .

وَلَمْ يَقُلْ : وَنَصَرْنَاهُمَا ، لِأَنَّ الْإِثْنَيْنِ فِي الْأَصْلِ جَمْعٌ .

---

(١) قَالَ الْفَرَاءُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٣٩٠/٢ : الذَّبْحُ : الْكَبِشُ ، وَكُلُّ مَا أُعِدَّتْهُ لِلذَّبْحِ فَهُوَ ذَبْحٌ . اهـ .

(٢) ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ ٨٦/٢٣ : أَنَّ الْمُرَادَ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ الْكَبِشَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ ، وَأَنَّهُ رَعَى فِي  
الْجَنَةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، كَمَا رَوَى أَنَّهُ الْفِدَاءُ الْمُتَقَبِّلُ ، الَّذِي عَظُمَ قَدْرُهُ لِأَنَّهُ مُتَقَبِّلٌ .

(٣) فِي الْمَخْطُوطَةِ لِلْكَثِيرِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَاهُ لِلْكَبِيرِ ، كَمَا فِي الْقُرْطُبِيِّ ١٠٧/١٥ لِأَنَّ  
الْمُرَادَ بِهِ ضَخَامَةُ الْجَنَّةِ .

(٤) الْمُرَادُ إِجْحَاقَهُمْ مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَطُغْيَانِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ،  
وَهَذَا الَّذِي نُقِلَ عَنْ قَتَادَةَ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ ٩٠/٢٣ وَالسِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٨٥/٥ وَابْنُ  
الْجَوْزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ ٧٩/٧ .

ويجوز أن يكون ، كما يُخبر عن الواحد بفعل الجماعة<sup>(١)</sup> .

وقيل : المعنى : ونصرنا موسى ، وهارون عليهما السلام ، وقومهما ، على فرعون وقومه ، وهذا هو الصواب ، لأن قبله ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ .

٥٢ — ثم قال جل وعز ﴿ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ [ آية ١١٧ ] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : التَّوْرَةُ<sup>(٢)</sup> .

قال : ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : الإسلام<sup>(٣)</sup> .

٥٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [ آية ١٢٣ ] .

---

(١) قال القرطبي ١١٤/١٥ : قال الفراء : ﴿ ونصرتاهم ﴾ الضمير لموسى وهارون وحدهما ، وهذا على أن الاثنين جمع ، دليله قوله ﴿ وأتيناهما ﴾ و ﴿ هديناهما ﴾ وقيل : الضمير لموسى وهارون وقومهما ، وهذا هو الصواب لأن قبله ﴿ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ﴾ . أهـ. وهذا هو الذي رجحه الإمام النحاس .

(٢) ذكره الطبري عن قتادة ٩١/٢٣ وفي الدر المنثور ٢٨٥/٥ وإنما وصف تعالى التوراة بأنها الكتاب المستبين لأن فيها الهدى والنور والضياء كما قال سبحانه ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ والصراط المستقيم هو دين الإسلام ، لأنه دين جميع الأنبياء والمرسلين لقوله سبحانه ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا .. ﴾ الآية . ولأن الدين عند الله واحد وإن اختلفت الشرائع والمذاهب كما قال تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » وكما أخبر جل ثناؤه ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. ﴾ الآية .

(٣) هذا من تنمة الأثر الذي ورد عن قتادة ، كما في الطبري ٩١/٢٣ والدر المنثور ٢٨٥/٥ .

قيل : إلیاسُ : هو إدريس<sup>(١)</sup> .

وقيل : هو من ولد هارون ، صَلَّى الله عليهما وسلم ، والله  
جَلَّ وعَزَّ أعلم .

٥٤ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ اُتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾  
[ آية ١٢٥ ] .

قال مجاهد : ﴿ اُتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أي<sup>(٢)</sup> رِياً .

وقال الضحاك : هو صنمٌ لهم يُسمَّى بَعْلًا<sup>(٣)</sup> .

قال ابن زيد : كانوا يعبلك<sup>(٤)</sup> .

وسئل ابن عباس عن هذا فسكَّ ، فسمع رجلاً ينشدُ  
ضالَّةً ، فقال له آخر : أنا بعلُّها أي رُبُّها ، فقال ابن عباس للسائل :

---

(١) نُسب هذا القول إلى قتادة ، وابن مسعود ، أن « إلیاس » هو إدريس عليه السلام كما ذكره  
الطبري ٩١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧٩/٧ والصحيح  
الذي عليه أكثر المفسرين أن « إلیاس » من نسل نبي الله هارون عليه السلام ، وأنه غير  
إدريس ، قال أبو حيان في البحر ٣٧٢/٧ : « وذكر عن ابن مسعود تفسير « إلیاس » بأنه  
إدريس ، ولعله لا يصحُّ عنه ، لأن « إدريس » كان قبل نوح ، كما هو معلوم في التاريخ المنقول ..  
وفي سورة الأنعام ذكر تعالى إلیاس وأنه من ذرية إبراهيم ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ إلى قوله  
« وزكريا ويحيى وعيسى وإلیاس كلّ من الصالحين » فذكر في جملة هذه الذرية « إلیاس » وقال  
الطبري ٩١/٢٣ : هو إلیاس بن ياسين بن فنحاص بن هارون » انتهى وهو الصحيح .

(٢ — ٤) هذه الآثار عن التابعين ذكرها الطبري ٩٢/٢٣ وأبو حيان في البحر ٣٧٣/٧ وابن كثير  
٣٢/٧ قال وقد روي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ بَعْلًا ﴾ يعني : رِياً ، وقال الضحاك : هو صنم  
كانوا يعبدونه ، وقال ابن زيد : هو اسم صنم ، كان يعبداه أهل مدينة يُقال لها : « بعلبك »  
غربي دمشق . اهـ .

هذا مثل قوله تعالى ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ أي ربًّا<sup>(١)</sup> .

وحكى ابن إسحاق أن ﴿ بَعْلًا ﴾ امرأة كانوا يعبدونها<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : هذا بعل الدَّار : أي ربُّها<sup>(٣)</sup> .

فالمنى : أَتَدْعُونَ رَبًّا اختَلَقْتُمُوهُ ، وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْحَالِقِينَ ؟

وأصل هذا أنه يُقال لكل ما عَلا وَارْتَفَعَ : بَعْلٌ ، ومنه قيل :

بَعْلُ الْمَرْأَةِ ، ومنه قيل لِمَا شَرِبَ بِمَاءِ السَّمَاءِ : بَعْلٌ<sup>(٤)</sup> .

٥٥ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [ آية ١٢٧ ] .

قال قتادة : أي في العذاب<sup>(٥)</sup> .

---

(١) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٨٠/٧ ولفظها : قال الضحاك : كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف ، فبينما هو جالس إذ مرَّ أعرابي قد ضَلَّتْ ناقتهُ ، وهو يقول : من وجد ناقةً أنا بعلمها ؟ فتبعه الصبيان يصيحون يا زوج الناقة ، يا زوج الناقة ، فدعاه ابن عباس فقال : ويحك ما عנית بقولك : أنا بعلمها ؟ قال : أنا ربُّها ، فقال ابن عباس : صدق الله ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ : أي ربًّا . اهـ .

(٢) ذكره ابن كثير ٣٢/٧ والقرطبي ١١٧/١٥ وغيرهما .

(٣) ذُكر أن ابن عباس سمع رجلاً من أهل اليمن ، يسومُ ناقةً بمنى فقال : مَنْ بَعْلُ هذه ؟ أي من ربُّها ؟ ذكره القرطبي ١١٧/١٥ .

(٤) في لسان العرب : البعل : كل شجر أو زرع لا يُسقى ، والبعل من النَّخل ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء ، وقيل : هو ما اكتفى بماء السماء . اهـ . وانظر اللسان ، والمصباح المنير مادة ( بعل ) .

(٥) لفظ الإحضار إذا أُطلق ، فإنه إنما يستعمل في الشر ، ولهذا فسَّره قتادة بقوله في العذاب ، وعلى ذلك جرى المفسرون ، قال الطبري : لمحضرون في عذاب الله ، وقال ابن كثير : لمحضرون للعذاب يوم الحساب . اهـ .

وقوله جلّ وعز : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴾ [ آية ١٣٠ ] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ ﴾ ففي قراءته قولان :

أحدهما : أن يكون ﴿ إِيَّاسِينَ ﴾ و « إِيَّاس » واحداً ، كما يُقال : سِيَّاءٌ ، وسِيَّينٌ <sup>(١)</sup> .

والثاني : ويجوز أن يكون جَمَعَهُ مع أهل دينه ، كما يُقال : مَهَالِبَةٌ <sup>(٢)</sup> .

٥٦ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَإِنَّ يُوُسَ لِمَنَّ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ [ آية ١٤٠ ] .

أي هَرَبَ <sup>(٣)</sup> .

قال طاووس : لمّا ركب السفينة ركذت ، فقالوا : إن فيها

---

(١) الجمهور على أن ﴿ الياسين ﴾ اسمٌ لنبي الله « إِيَّاس » عليه السلام ، فيقال له : إِيَّاس ، ويُقال له « إِيَّاسِينَ » قال ابن جنّي : العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً ، فياسين ، وإِيَّاس ، وإِيَّاسِينَ ، شيء واحد . اهـ . وانظر القرطبي ١١٨/١٥ وهذا اختيار الإمام الطبري في جامع البيان ٩٥/٢٣ .

(٢) هذا على القول الآخر بأن « إل » بمعنى « آل » أي سلام على ياسين وعموم آله وأتباعه ، وهذا قول أبي عبيدة ، فكأنه جُمِعَ جَمَعَ المذكر السالم ، لأنه أراد هو وأهل بيته ، كما يُجمع ما يُنسب إلى الشيء بلفظ الشيء ، فتقول : رأيت المهالبة تريد بن المهلب ، والمسامعة تريد بني مسمع .

(٣) هذا قول الزجاج قال في المصباح : أَبَقَ العَبْدُ من باب ضرب : إذا هرب من سيّده . اهـ .

رجلاً مشتموماً ، فقارعوه فوقعت القرعة عليه ثلاث مراتٍ ، فرموا به ،  
فالتقمه الحوت<sup>(١)</sup> .

٥٧ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ [ آية ١٤١ ] .  
قال مجاهد : ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي من  
المسْهُومِينَ<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : أصلُ أدحضته : أزلقته .

وقال ابن عُيَيْنَةَ : أي من المقمورين<sup>(٣)</sup> .

٥٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [ آية ١٤٢ ] .  
قال قتادة : أي مسيء<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في تفسيره ٨٩/٧ وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢٨٧/٥ ومعنى « ركدت » أي وقفت عن السير في وسط البحر ، وفي الدر أنهم لما اقترعوا ليلقوا أحدهم خرجت القرعة على يونس ، فقالوا : ما كنا لنفعل بك هذا — تكرماً له — ثم اقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاثاً ، فرمى بنفسه فالتقمه الحوت ، فأوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ، ولا تكسّر له عظماً ، فإني لم أجعله لك طعاماً ، بل جعلت بطنك له وعاءً ، فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة .

(٢) أي المغلوبين قال الفراء : يُقال : أدحض الله حجَّتكَ ، ودحضت حجته ، وأصله من الزَّلَق . اهـ . قال في البحر ٣٧٥/٧ : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي من المغلوبين ، وحقيقته من المزلقين عن مقام الظفر في الاقتراع .

(٣) قال في المصباح : قامرته قماراً فقمرته : غلبته في القمار . اهـ . ورُوي عن ابن عباس : من المقروعين أي المغلوبين بالقرعة وهو أظهر .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/٢٣ عن قتادة قال : المسيء في صنعه ، وعن مجاهد وابن زيد « ملیم » مذنب .

قال أبو جعفر : يُقال : أَلَامَ الرجلُ : إذا جاء بما يُلامُّ عليه<sup>(١)</sup> .

٥٩ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُعْتَذُونَ ﴾ [ آية ١٤٤ ] .

رَوَى أَبُو رَزِينٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ قال : من المصلِّين<sup>(٢)</sup> .

ثم قال ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُعْتَذُونَ ﴾ [ آية ١٤٤ ] .

قال مجاهد : أي في بطن الحوت<sup>(٣)</sup> .

٦٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَتَبَدَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [ آية ١٤٥ ] .

قال يعقوب بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : قال الفراء : ﴿ الْعَرَاءُ ﴾ :

---

(١) هذا قول أهل اللغة ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٤/٢ : تقول العرب : أَلَامَ فلان في أمره ، وذلك إذا أتى أمراً يُلام عليه ، قال ليبد : « سَفْهًا عَذَلْتُ وَلُئِمْتُ غَيْرَ مَلُومٍ » . اهـ . وقال الزخشي : « مُلِمٌ » داخل في الملامة ، يُقال : رَبُّ لَائِمٍ مُلِمٌ أي يلوم غيره وهو أحقُّ منه باللوم .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٠١/٢٣ وفي زاد المسير ٨٧/٧ وهو قول سعيد بن جبير والسدي ، وقال مجاهد ﴿ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ من العابدين .

(٣) أي عقوبة له ، وقال قتادة : لصار بطن الحوت قبراً له ، إلى يوم القيامة . اهـ . الطبري ١٠١/٢٣ .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم « أبو عوانة » الاسفراييني ، محدث حافظ من أعلام فقهاء الشافعية توفي سنة ٣١٦ هـ له كتاب : المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٦٨/١ وتذكرة الحفاظ ٧٧٩/٣ ووفيات الأعيان ٤٠٧/٢ .



المكان الخالي<sup>(١)</sup> ، ومنه قول الله جلَّ وعزَّ ﴿ قَبْذَنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ .

قال وقال أبو عُبيدة : العراء : وجه الأرض ، وأنشد لرجل من خزاعة :

رَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَحَافُ عِتَارَهَا

وَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي<sup>(٢)</sup>

٦١ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأُنَبِّئُكَ عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ [ آية ١٤٦ ] .

رَوَى عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : هِيَ الْقَرْعُ<sup>(٣)</sup> .

وقال مجاهد : هي كلُّ شجرة على وجه الأرض لا ساق لها<sup>(٤)</sup> .

(١) ذكره عنه القرطبي ١٢٩/١٥ ولم أره في معاني القرآن للفرء ، وإنما ذكره أهل اللغة ، قال أبو عُبيدة : العراء : الواسع من الأرض ، ووجه الأرض ، وقال في التسهيل ٣٨٢/٣ : العراء : الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظل ، وقيل : يعني الساحل — أي ساحل البحر — .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٧٥/٢ والقرطبي ١٢٩/١٥ ولسان العرب لابن منظور مادة عَرَى ، ولم ينسبه في اللسان ، وقد استشهد به الطبري أيضاً ١٠١/٢٣ ولم يذكر قائله .

(٣) هذا الأثر عن ابن مسعود ذكره الطبري ١٠٢/٢٣ وهو مروي عن ابن عباس ، وعليه جمهور المفسرين ، قال ابن جزي في التسهيل ٣٨٣/٣ : واليقطين : القرع ، وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ، ولين اللّمس ، وكبر الورق ، وأن الذباب لا يقربه ، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب ، وقيل : اليقطين كلُّ شجرة لا ساق لها كاليقول ، والقرع ، والبطيخ ، والأول أشهر .

(٤) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٢/٢٣ وذكر قولاً آخر عنه أنه القرع وهو قول الضحاك والسُّدي ، وهو الأشهر عند المفسرين ، وما ذكره الإمام النحاس ، هو قول الزجاج ، وأبي عُبيدة ، وغيرهم من علماء اللغة .

قال أبو جعفر : هذا الذي قاله مجاهد ، هو الذي تعرفه العرب ، يقع للقرع ، والحنظل ، والبطيخ ، والكل ما لم يكن على ساق ، وكان اشتقاقه من قَطَنَ بالمكان : أي أقام به ، وأنشد سيويه :  
« قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي »<sup>(١)</sup>

٦٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [ آية ١٤٧ ] .

قال أبو جعفر : في معنى « أَوْ » أربعة أقوال :

١ — قال أبو غنيدة والفراء : هي بمعنى : بَلْ<sup>(٢)</sup> .

وهذا خطأ عند أكثر النحويين الحذاق ، ولو كان كما قالوا لكان : وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف ، واستغنى عن « أَوْ »<sup>(٣)</sup> .

(١) هذا من شواهد سيويه ٢٦/١ في باب ما لا يجوز حذفه إلا في الشعر ، واستشهد بما أنشده العجاج :

وَرَبَّ هَذَا الْبَلِّ \_\_\_\_\_ دِ الْمَحْرَمِ قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي  
وهو من بحر الرجز الذي يسمى « حمار الشعراء » والمراد بالحَمِي الحَمَام ، وانظر ديوان العجاج ص ٢٩٥ واللسان مادة حم .

(٢) عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٧٥/٢ : ( أَوْ يَزِيدُونَ ) « أَوْ » ههنا ليس بشك ، وهي هنا بمعنى « بل يزدون » وقال الفراء في معاني القرآن ٣٩٣/٢ : « أَوْ » ههنا في معنى « بل » مع صحته في العربية .

(٣) « أَوْ » في أصلها تفيد التشكك والتردد كما تقول : الخطيب الذي سمعنا كلامه بالأمس مصري =

٢ — وقال القُتَيْبِيُّ<sup>(١)</sup> : « أو » بمعنى الواو .

وهذا أيضاً خطأ ، لأنَّ فيه بَطْلانَ المَعَانِي<sup>(٢)</sup> .

٣ — وقيل : « أو » للإِبَاحَةِ<sup>(٣)</sup> .

٤ — وقال محمد بنُ يزيد<sup>(٤)</sup> : « أو » على بابها ، والمعنى :

= أو شامي ، ولمَّا كان هذا لا يصح على الخالق جل وعلا ، لأنَّه لا تخفى عليه خافية ، فقد تأوَّها  
المفسرون على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها بمعنى « بل » أي بل يزيدون ، وهذا مروى عن ابن عباس ، كما حكاه الطبري ،  
وإليه ذهب الفراء ، وأبو عبيدة .

الثاني : أنها بمعنى « الواو » والمعنى : وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، وهذا قول ابن قتيبة .  
الثالث : أنها على أصلها للتردد والشك بالنسبة لرؤية الناظر ، على معنى أن من رآهم شكَّ  
في عددهم فقال هم مائة ألف أو يزيدون ، وهذا قول المبرِّد ، كما حكاه القرطبي عنه قال : المعنى  
وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر ، فالشك إنما هو من البشر ، لا من  
الخالق العليم ، وانظر تحقيق البحث في التفسير الكبير للرازي ١٦٦/٢٦ .

(١) القُتَيْبِيُّ : هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب كتاب ( مشكل القرآن )  
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وانظر الأعلام ٢٨٠/٤ واستدل بقراءة جعفر بن محمد ( وأرسلناه إلى مائة  
ألف ويزيدون ) بالواو ، وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ٢٢٦/٢ من القراءات الشاذة .

(٢) إنما قال المصنف « وفيه بطلان المعاني » لأنَّ « الواو » لمطلق الجمع ، و « أو » للشك أو التخيير  
كما تقول : « استفتِ الحسن أو الحسين » فلو جعلنا الواو مكان « أو » لضاعت تلك المعاني  
التي دلت عليها الألفاظ .

(٣) مثل قولهم : اشتر هذا أو هذا ، ومعنى الآية على هذا القول : قولوا إنهم مائة ألف ، أو قولوا إنهم  
أكثر من ذلك .

(٤) هو الإمام المبرِّد كما تقدم ٥٥/١ وهذا القول هو الذي رجحه المصنف ، وضعَّف القول الأول  
والثاني ، وفي كلامه نظر ، لأنَّ خبر الأمة « عبد الله بن عباس » هو الذي فسَّرها بمعنى « بل  
يزيدون » وكفى به جلالة وقدرًا ، والفراء ، وأبو عبيدة من كبار علماء العربية قالوا : إنها  
صحيحة من حيث اللغة ، والله أعلم .

أرسلناه إلى جماعةٍ لو رأيتهم لقلتم : مائة ألف ، أو أكثر .  
 وزوي عن ابن عباس : قال أُرسِلَ إلى مائة ألفٍ وثلاثين ألفاً<sup>(١)</sup> .

قال أبو مالك : أقام في بطن الحوت أربعين يوماً<sup>(٢)</sup> .

قال ابن طاووس : أنبت الله عليه شجرةً من يقطين وهي « الدُّبَاءُ » فكانت تُظِلُّهُ من الشمس ، ويأكل منها ، فلما سقطت بكى عليها ، فأوحى الله جلَّ وعزَّ إليه : أتحنُّ على شجرةٍ ، ولا تحزنُ على مائة ألفٍ أو يزيدون ؟ تابوا فلم أُهلكهم<sup>(٣)</sup> .

قال سعيد بن جبير : أرسل الله جلَّ وعزَّ على الشجرة الأَرْضَةَ ، فقطعت أصولها ، فحزنَ عليها ، وذكر الحديث

قال مجاهد : كانت الرسالة قبل أن يلتقمه الحوت<sup>(٤)</sup> .

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٣٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩١/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٩٠/٧ .

(٢) ذكر الحفاظ ابن كثير أقوالاً للسلف ، في مقدار مكث يونس في بطن الحوت ، فقليل : ثلاثة أيام ، وقيل سبعة ، وقيل أربعين ، وقيل : التقمه ضحىً ، وبَّده قبل غروب الشمس ، ثم قال : والله أعلم بمقدار ذلك . اهـ .

(٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في تفسيره ٨٨/٧ عن ابن مسعود قال : كان نبي الله يستظل بها ويصيب منها ، فيست فبكى عليها ، فأوحى الله إليه : أتبكي على شجرة إن يبست ، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم ؟ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٠/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٨/١٥ كما ذكر رواية سعيد بن جبير مفصلة .

(٤) هذا هو الصحيح من أقوال المفسرين أن رسالة يونس عليه السلام كانت قبل أن يلتعه الحوت ، لأنه عندما دعى قومه إلى الله لم يؤمنوا ، فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغضباً لأنهم كذبوه ، =

قال أبو جعفر : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة ، قال :  
حدثنا العباس بن محمد ، قال : حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل ،  
قال : حدثنا أبو هلال ، قال : حدثنا شهر بن حوشب عن ابن  
عباس ، قال : إنما كانت رسالة يونس عليه السلام بعد ما تبذره الحوت ، وتلا  
هذه الآية ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .. ﴾ حتى بلغ إلى قوله  
﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ قال : كانت الرسالة بعد  
ذلك <sup>(١)</sup> .

٦٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَمْنُوا فَمَنْعَتْهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [ آية ١٤٨ ] .  
روى معمر عن قتادة قال : إلى الموت <sup>(٢)</sup> .

= فقاده الغضب إلى شاطئ البحر ، وحدث له ما حدث ، ثم رده الله إلى قومه بعدما آمنوا ..  
وانظر تحقيق البحث في البحر المحيط ٣٧٦/٧ وفي روح المعاني ١٤٧/٢٣ .

- (١) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٠٥/٢٣ وابن كثير ٣٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩١/٥  
وهو قول مرجوح ، والراجح الذي عليه أكثر المفسرين ما ذهب إليه مجاهد ، والحسن ، وقاتدة  
أن الله بعثه إلى أهل « نينوى » قبل أن يلتقمه الحوت ، ثم غاب عنهم ، ثم رجع إليهم بعدما  
آمنوا ، والدليل على أنه بلغهم الرسالة قبل ذلك قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا  
إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ الآية . فقد نسب  
القوم إليه ، وأخبر أنهم نفعهم الإيمان بعد غيبة نبيهم عنهم ، فكشف الله عنهم العذاب ، ولو لم  
تبلغهم الدعوة ما استحقوا العقاب ، قال الألوسي ١٤٧/٢٣ : والإرسال على ما أخرج غير  
واحد عن مجاهد ، والحسن ، وقاتدة ، هو الإرسال الأول الذي كان قبل أن يلتقمه  
الحوت ، فالعطف في قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ ﴾ على سبيل البيان لدلالته على ابتداء الحال وانتهائه ،  
واعترض بينهما بقصته اعتناء بها لغرابتها .  
(٢) يعني إلى انتهاء آجالهم بالموت ، فلم يهلكوا بالعذاب لأنهم آمنوا ، وهذا الأثر ذكره الطبري  
١٠٥/٢٣ والألوسي ١٤٨/٢٣ .

٦٤ — وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ ﴾

[ آية ١٤٩ ] .

أي فاسألهم سؤال توبيخ<sup>(١)</sup> .

وَرُوي عن جماعة من القراء أنهم قرءوا ﴿ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ بوصل الألف ، وأنكر أبو حاتم<sup>(٢)</sup> هذه القراءة<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وهي جائزة ، على أن يكون مردوداً على القول ، وعلى أنه قد يكون التوبيخ بغير ألف استفهام<sup>(٤)</sup> .

٦٥ — وقوله جل وعز ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ . فَاتَّبِعُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) إنما كان السؤال هنا للتوبيخ ، لأنه تعالى ذكره بعده تقرير المشركون بقوله ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ؟ .

(٢) أبو حاتم هو الإمام الحوي اللغوي سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ روى عن أبي عبيدة والأصمعي ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد ، وانظر معجم المؤلفين ٢٨٥/٤ .

(٣) هذه القراءة التي أنكرها أبو حاتم من القراءات السبع ، وهي قراءة أبي جعفر ، ورواية عن نافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٤٩ والعشر لابن الجزري ٣٦٠/٢ قال أبو حيان في البحر المحيطة ٣٧٧/٧ : قرأ الجمهور ( أصطفى ) ؟ بهمة الاستفهام على طريقة الإنكار والاستبعاد ، وقرأ نافع بوصل الألف ﴿ وإنيهم لكاذبون . اصطفى البنات ﴾ وهو من كلام الكفار ، حكى الله شنيع قولهم ، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا : وَلَدَ اللهُ ، حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله ، والله تعالى اختارهم على البنين . اهـ .

أقول : لا يعتد بإنكار أبي حاتم طالما هي من القراءات السبع .

(٦) هذا هو قول القراء كما في كتابه معاني القرآن ٣٩٤/٢ حيث قال ﴿ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ ؟ استفهام وفيه توبيخ لهم ، وقد نُطرح ألف الاستفهام من التوبيخ ، ومثله قوله تعالى ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ ﴾ يستفهم بها ولا يستفهم ، ومعناها جميعاً واحد . اهـ .

صَادِقِينَ ﴿ آية ١٥٧ ] .

قال السُّدِّي : ﴿ سُلْطَانٌ ﴾ أي حُجَّة ﴿ فَاتُّوا بِكِتَابِكُمْ ﴾  
قال : بِحُجَّتِكُمْ أَنْ كِتَاباً جَاءَكُمْ بهذا<sup>(١)</sup> .

٦٦ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَباً .. ﴾  
[ آية ١٥٨ ] .

قال الفراء : ﴿ الْجَنَّةُ ﴾ ههنا : الملائكة ، أي قالوا : الملائكةُ  
بناتُ الله<sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَحْيٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قالوا : يعني كَفَّار  
قريش — الملائكة . بناتُ الله ، فقال أبو بكر : فَمَنْ أُمّهَاتُهُنَّ ؟  
قالوا : مُخَدَّرَاتُ الْجِنِّ<sup>(٣)</sup> .

وَرَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قالوا صَاهِرَ اللهَ جَلَّ وعزَّ الجنَّ ،

---

(١) السلطان في اللغة : الحجة والبرهان ، وهو قول السدي ، وقَتَادَةُ ، وعلماء السلف كما رواه الطبري وغيره ، ومعنى الآية : هل لكم حجة واضحة ، وبرهان يبين ، على صحة ما تقولون ، بأن الملائكة بنات الله ؟ إن كان لكم حجة ، فأتوا بهذا الكتاب ، الذي يشهد بصحة دعواكم فيما تزعمون ، والغرض تعجيزهم ، لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به .

(٢) لم يجزم الفراء في تفسير ﴿ الْجَنَّةُ ﴾ بالملائكة ، وإنما أورده بلفظ الحكاية : يُقال الجنَّة ههنا الملائكة أي جعلوا بينه وبين خلقه نسباً ، كما في معاني القرآن ٣٩٤/٢ وهذا التفسير خلاف الظاهر المشهور كما سنبينه إن شاء الله .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٠٨/٢٣ والقرطبي ١٣٤/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٢/٥ ومعنى « مُخَدَّرَاتُ الْجِنِّ » جمع مخدرة وهي التي لزمت الخدر أي دخلت في الستر والخباء ، لتستر عن الأنظار ، وانظر اللسان .

فَوَلَدَتِ الْمَلَائِكَةُ (١) .

وَرَوَى جَوَيْرٌ عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ۖ ۞ ﴾ قَالَ : قَالُوا : إِبْلِيسُ أَخُو الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ (٢) .

٦٧ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ ﴾ [ آية ١٥٨ ] .

أَيَّ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ ، أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا ، لِمُحْضَرُونَ الْعَذَابِ ، كَذَا قَالَ السُّدِّيُّ ، وَهُوَ صَحِيحٌ ، وَكَذَا كُلُّ مَا فِي السُّورَةِ مِنْ مُحْضَرِينَ (٣) .

(١) هَذَا قَوْلُ الْيَهُودِ لِعَنَمِ اللَّهِ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ قَتَادَةَ ، وَالْكِلْبِيِّ ، وَمِقَاتِلَ ، قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ لِعَنَمِ اللَّهِ : إِنْ اللَّهُ صَاهِرُ الْجَنِّ ، فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ بَنِيهِمْ . اهـ .

(٢) هَذِهِ أَيْضًا رَوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا حَكَاهَا الطَّبْرِيُّ ١٠٨/٢٣ وَابْنُ كَثِيرٍ ٣٧/٧ حَيْثُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ۖ ۞ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : زَعَمَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ وَإِبْلِيسُ أَخَوَانٌ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا . اهـ .

أَقُولُ : وَهَذَا الْقَوْلُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْجَنَّةِ الشَّيَاطِينِ لَا الْمَلَائِكَةَ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ لَفْظَةِ « الْجَنَّةِ » وَهُوَ الْمَعْرُوفُ مِنَ اللُّغَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ۖ ۞ ﴾ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۖ ۞ ﴾ أَيَّ فِي الْعَذَابِ ، وَهَذَا وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمُ الْجِنُّ ، وَهُوَ مَا رَجَحَهُ أَبُو حَيَّانٍ وَالْأَلُوسِيُّ .

(١) لَفْظُ « الْمُحْضَرُ » إِذَا أُطْلِقَ فَإِنَّهُ يُوحِي بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ مُجْرِمٌ ، سَيِّقٌ لِلْعِقَابِ ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۖ ۞ ﴾ أَيَّ مِنَ الْمُحْضَرِينَ لِلْعَذَابِ ، وَهُوَ مَا رَجَحَهُ الطَّبْرِيُّ ، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ : تَكَرَّرَ الْإِحْضَارُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَلَمْ يَرِدْ بِهِ إِلَّا الْعَذَابُ .



وقال مجاهد : ﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الْحِسَابُ <sup>(١)</sup> ، يعني الجن .

٦٨ — وقوله جل وعز : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِينَ ﴾

[ آية ١٦٢ ] .

أي ما أنتم به مضلين .

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ .

قال ابن عباس : أي لا تُضِلُّونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي قَضَائِي أَنَّهُ

يُضِلُّ <sup>(٢)</sup> .

قال الحسن وإبراهيم ، ومحمد بن كعب ، والضحاك : هذا

معنى قوله ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِينَ ﴾ أي لن تَفْتِنُوا إِلَّا مَنْ قَضَيْتُ

عليه بذلك <sup>(٣)</sup> .

---

(١) هذا القول مبني على تفسير الجن بالملائكة كما قاله مجاهد لاستتارهم عن الأنظار ، ولهذا فسره هنا بالحساب .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس ١٠٩/٢٣ وهذا هو المشهور الراجح عند المفسرين ، أن المراد ﴿ بفاتين ﴾ أي مضلين ، والمعنى : لا تُضِلُّونَ من عبادي ، ولا تقدرُونَ على إغواء أحد ، إِلَّا بقضاء الله ، وقال النحاس في إعراب القرآن ٧٧٥/٢ : أهل التفسير مجمعون — فيما علمته — على أن المعنى : ما أنتم بمضلين أحداً ، إِلَّا مَنْ قَدَّرَ اللهُ جُلَّ وعز عليه أن يضلَّ ، ففي هذه الآية ردُّ على القدرية — يعني المنكرين للقدر — من كتاب الله جل وعز ، وفيها من المعاني أن الشياطين لا يَصِلُونَ إلى إضلال أحد ، إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللهُ جل وعز عليه أنه لا يهتدي ، ولو علم الله أنه يهتدي لحال بينه وبينهم . اهـ .

(٣) انظر هذه الأقوال عن السلف في الطبري ١٠٩/٢٣ والقرطبي ١٣٦/١٥ والدر المنثور ٢٩٣/٥ .

٦٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [ آية ١٦٤ ] .

قال الشعبي : جاء جبرئيل أو ملك إلى النبي ﷺ فقال :  
تقوم أدنى من ثلثي الليل ، ونصفه ، وثلثه ؟ إن الملائكة لتصلي  
وتسبح ، ما في السماء ملك فارغ<sup>(١)</sup> .

٧٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾  
[ آية ١٦٦ ] .

قال مجاهد وقتادة : هذا من قول الملائكة<sup>(٢)</sup> .

٧١ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ . لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ  
الْأُولِينَ ﴾ [ آية ١٦٨ ] .

رؤي عن الضحاك<sup>(٣)</sup> قال : هذا قول مشركي مكة ، فلما  
جاءهم ذكر الأولين ، وعلم الآخرين ، كفروا به فسوف يعلمون<sup>(٤)</sup> .

---

(١) لم أر هذا الأثر بلفظه إلا في القرطبي ١٣٨/١٥ وقد ورد ما يؤيده في الأحاديث الصحيحة من  
أن الملائكة مستغرقون في عبادة الله ، يصفون صفوفهم في الصلاة ، ويسبحون الله ، منها ما رواه  
مسلم ( ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ يتمنون الصفوف الأول ، ويتراصون في  
الصف ) ومن حديث ( أطأت السماء وحق لها أن تظط ، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه  
ملك قائم أو راعع أو ساجد ) ثم تلا ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ .. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ رواه  
الترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند ١٧٣/٥ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ١١٢/٢٣ وابن كثير ٣٩/٧ والدر المنثور ٢٩٤/٥ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الطبري ، والقرطبي ، ومعاني القرآن للزجاج .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري ١١٣/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٤/٥ .

قال أبو إسحق : كان كفار قريش يقولون : لو جاءنا ذكرٌ كما جاء غيرنا من الأولين ، لأخلصنا العبادة لله عز وجل ، فلما جاءهم كفروا به ، فسوف يعلمون مَعْبَةً كفرهم ، وما ينزل بهم من العذاب ، والانتقام منهم ، في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup> .

٧٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [ آية ١٧١ ] .

أي سبق منا القول لرسلنا ، إنهم لهم المنصورون ، أي مضى بهذا منا القضاء والحكم .

قال الفراء : أي سبقت لهم السعادة ، وهي في قراءة عبدالله ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقيل : أراد بالكلمة قوله عز وجل ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾<sup>(٣)</sup> .

٧٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [ آية ١٧٧ ] .

أي نزل بهم العذاب ، ومعنى ﴿ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ أي بدارهم ،

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٦/٤ .

(٢) انظر معاني الفراء ٣٩٥/٢ وهذه القراءة ليست من السبع ، بل هي شاذة ، قال الفراء .  
و « على » تصلح في موضع اللام .

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢١ .

والسَّاحَةُ في اللغة : فناء الدار الواسع .

﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ أي فبئس صباح الذين أنذروا بالعذاب ، وفيه إضمارٌ ، أي فسَاء الصَّبَاحُ صُبَّاحَهُمْ . وفي الحديث ( الله أكبرُ ، خربتُ خيرُ ، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ ، فسَاء صباح المنذرين ) (١) .

٧٤ — وقوله جل وعز ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ آية ١٨٠ — ١٨٢ ] .

نزه سبحانه نفسه عما أضاف إليه المشركون من الصاحبة والولد ﴿ رَبُّ الْعِزَّةِ ﴾ على البدل ، ويجوز النصبُ على المدح ، والرفعُ بمعنى هو ربُّ العزة .

وسئل رسول الله ﷺ عن معنى « سبحان الله ، فقال : هو تنزيه الله عن كلِّ سوءٍ » .

\* \* \*

« تمت سورة الصافات »

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة خيبر ١٦٧/٥ ومسلم في الجهاد برقم ١٣٦٥ وأحمد في المسند ٢٨/٤ .

# تفسير سورة ص

مَكِّيَّة وَأَيَّاتُهَا ٨٨ آيَةٌ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ صَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ<sup>(١)</sup>

١ — من ذلك قوله جَلَّ وعزَّ ﴿صَ﴾ .

بإسكان الدال ، لأنها من حروف التهجِّي ، وتقرأ صاد .  
والأجود عند سيويه فيها الإسكان ، ولا تُعَرَّبُ ، لأن حكمها  
الوقوف عليها ، فهي مثل حروف الهجاء ﴿آم﴾ و﴿المر﴾ .  
و ﴿صَ﴾ إذا جعلته اسماً للسورة لم يُنصَرَف .  
قال مجاهد : هو فاتحة السورة .

[ وقال قتادة : هو اسم من أسماء الرحمن<sup>(٢)</sup> .

وقال محمد بن كعب : هو مفتاح أسماء الله تعالى « صمد »  
و « صادق الوعد »<sup>(٣)</sup> ] .

- 
- (١) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٤٢/١٥ : مكية في قول الجميع ، وهي ست وثمانون آية .  
(٢) يوجد سقط في المخطوطة وهي ما بين الحاصرتين ، وقد أثبتناه عن الإمام النحاس ، من كتابه  
إعراب القرآن ، والله أعلم .  
(٣) انظر هذه الآثار عن السلف في الطبري ١١٧/٢٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٩٧/٧ والدر المنثور  
للسيوطي ٢٩٦/٥ والراجح من الأقوال ، أن هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على إعجاز القرآن ،  
وأنه كلام الرحمن جل وعلا ، أنزله على نبيٍّ أميٍّ ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وأنه مركَّب  
ومنظومٌ من أمثال هذه الحروف ، ومع ذلك فقد عجز بلغاؤهم ، وفصحاؤهم ، وعباقرتهم عن

وَرُوي أَن الضحاك قال : ﴿ صَادٌ ﴾ : صدَقَ اللهُ .

وقراءةُ الحسن : ﴿ صَادٌ ﴾ بكسر الدال<sup>(١)</sup> ، معناها : صَادِ القرآن بعملِكَ .

يُقَالُ : صَادَيْتُهُ أَي قَابَلْتُهُ ، وهذا مشهورٌ عند أهل اللغة .

ويجوز أن يكون كُسِرَ لالتقاء الساكِنَيْنِ .

والفتح من ثلاثِ جهات :

أ — قيل منها أن يكون قَسَمًا : اللهُ لأفعلنَّ .

ب — ومنها أن يكون بمعنى : اتلَّ صَادَ والقرآن .

ج — ومنها أن يكون فُتِحَ لالتقاء الساكِنَيْنِ<sup>(٢)</sup> .

---

= مضاهاته ، والإتيان بمثل آياته المعجزات ، قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ ﴾ من سورة البقرة : « وإنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركَّب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقد قرره الزمخشري في تفسيره « الكشف » ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الإمام ابن تيمية ، ثم قال : ولهذا فكل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن مثل ﴿ أَلَمْ ﴾ ذلك الكتاب ﴿ حَمَّ ﴾ والكتاب المبين ﴿ المص . كتاب أنزل إليك . اهـ .

(١) ذكر ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٠ قراءة الكسر « صَادِ » والفتح « صَادِ » ويُنَّسَ أنها من الشواذ .

(٢) قال في المحتسب ٢/٢٣٠ : المأثور عن الحسن أنه إنما كان يكسر الدال من « صَادِ » لأنه عنده أمر من المصاداة أي عارض عملك بالقرآن ، وقد يجوز أن من فتح الدال جعل « صَادِ » عَلَمًا للرسالة ، فلم يصرفه ، فالفتحة على هذا فتحة إعراب ، وفتح الدال قرأ الثقفى ، قال ومعناه : صَادَ محمد قلوب الخلق ، واستأهلها حتى آمنوا به وأحبوه . اهـ .



والقراءة بكسر الدال والتنوين ، لحنٌ عند أكثر النحويين<sup>(١)</sup> ، وإن كان ابنُ أبي إسحاق من كبراء لنحويين ، إلا أنَّ بعض النحويين قد أجازها ، على أن تُحْفَضَ على القَسَم ، أجاز ذلك سيبويه .

٢ — وقوله جَلَّ وعزَّ ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ آية ١ ] .

رَوَى سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد ، ومُسَعَّر عن أبي حُصَيْن ، في قول الله جَلَّ وعزَّ ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ أي ذي الشَّرَف<sup>(٢)</sup> .

وهذا مثلُ قوله جَلَّ وعزَّ ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقيل : معنى ﴿ ذِي الذِّكْرِ ﴾ فيه ذِكْرُ الأُمَم ، وغيرهم<sup>(٤)</sup> .

(١) قال القرطبي ١٤٣/١٥ : قرأ ابن أبي إسحاق « صاد » بكسر الدال والتنوين ، على أن يكون مخفوضاً ، على حذف حرف القسم ، وهذا بعيد ، وإن كان سيبويه قد أجاز مثله .

(٢) هذا قول ابن عباس كما في تفسير الطبري ١١٨/٢٣ وتفسير ابن الجوزي ٩٨/٧ وقال القرطبي ١٤٤/١٥ : وهو قول الضحاك أيضاً ثم قال : ومعنى ذي الشرف أنَّ من آمن به ، كان شرفاً له في الدارين ، كما قال سبحانه ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي شرفكم ، وأيضاً القرآن شريف في نفسه لإعجازه ، واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٤٤ .

(٤) هذا القول غريب وقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٣/٧ فقال : وقيل : ذي الذكر للأُمَم ، والقصص والغيوب والشرائع . اهـ . والأقرب منه أن الذكر بمعنى الموعظة والتذكير ، أي فيه تذكيركم وهدايتكم ، وهو قول قتادة ، قال ابن كثير : ولا منافاة بين قول ابن عباس وقتادة ، فإنه كتاب شريف ، مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، ذكر لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . اهـ .

فأما جواب القسم فقليل : إنه في قوله ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾<sup>(١)</sup> وهذا بعيد جداً ، لأنه قد اعترضت أقاصيص وأخبار .

وقيل : الجواب في قوله تعالى ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ .

والمعنى : لَكُمْ أَهْلَكْنَا ، وحذفت اللام كما قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وهو مذهب الفراء<sup>(٢)</sup> .

وقيل : الجواب ﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقيل : الجواب محذوف ، أي ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار .

ودل على هذا قوله تعالى ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

(١) هذه الآية في آخر السورة ، بعد ثلاث وستين آية ، فكيف تكون جواباً ؟ ولهذا استبعده المصنف ، كما استبعده الفراء في معاني القرآن ٣٩٧/٢ فقال : وذلك كلام قد تأخر تأخراً كثيراً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا نجد ذلك مستقيماً في العربية ، وقال ابن الأنباري : هذا قبيح ، لأن الكلام قد طال كثيراً فيما بين القسم وجوابه .

(٢) عبارة الفراء ٣٩٧/٢ ﴿ وَالْقُرْآنُ ﴾ يمين اعترضه كلام ، فصار جوابها جواباً للمعترض ولها ، فكأنه أراد ﴿ وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ لَكُمْ أَهْلَكْنَا ﴾ فلما اعترض قوله ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ صارت « كم » جواباً للعزة ولليمين ، ومثله ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾ اعترضه ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ فصارت ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ . اهد .

(٣) حكاها الأخفش عن بعضهم ، كما ذكره القرطبي عنه في تفسيره ١٤٤/١٥ وهو قول مرجوح ، وقال ابن الأنباري : وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما ، وكثرت الآيات والقصص ، وانظر معاني الأخفش ٦٧٠/٢ .

وَشِقَاقٍ ﴿ وهو مذهب قتادة <sup>(١)</sup> .

وهو أولى الأقوال ، لأنَّ « بَلَّ » قد حَلَّت محلَّ الجواب ،  
فاستغنى بها عنه .

٣ — ثمَّ خَبَّرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بعنادهم وانحرافهم عن الحقِّ فقال : ﴿ بَلَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> [ آية ٢ ] .  
أي خلاف .

٤ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ  
حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ آية ٣ ] .

و ﴿ كَمْ ﴾ للتكثير في كلام العرب <sup>(٣)</sup> .

٥ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ فَنَادُوا ﴾ أي بالتوبة والاستغاثة ﴿ وَلَاتْ حِينَ  
مَنَاصٍ ﴾ [ آية ٣ ] .

رَوَى أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ التِّمِيمِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ وَلَاتْ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩٩/٧ والقرطبي ١٤٤/١٥ وهو الذي رجحه الطبري في تفسيره  
١١٩/٢٣ فقال : والصواب عندي ما قاله قتادة ، لأنَّ « بَلَّ » دلت على التكذيب فمعنى  
الكلام : ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم في عزة وشقاق .

(٢) قال ابن الجوزي ٩٩/٧ : العِزَّةُ : الحميَّة والتكبر عن الحق ، والشقاق : الخلاف والعداوة لرسول  
الله ﷺ ، وقال القرطبي « شقاق » خلاف ومباينة وهو من الشق كأن هذا في شق وذاك في  
شق . اهـ .

(٣) « كَمْ » في لسان العرب تفيد التكثير ، قال الطبري ١٢٠/٢٣ : والمعنى : كثيراً أهلكنا من  
قبل هؤلاء المشركين من قريش ، الذين كذبوا رسولنا محمداً ﷺ .

حِينَ مَنَاصٍ ﴿١﴾ : قال : ليس حين تَزْوٍ ، ولا فرار<sup>(١)</sup> .

وقال عكرمة : ليس حين انقلاب<sup>(٢)</sup> .

وقال قتادة : نادوا حين لا حينَ نداء<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، أي ليس حين نداءٍ

مُنْجِي .

والمعنى : ليس حين فَوَتْ ، وأصله من نَاصَ يَنْوُصُ : إذا

تَأَخَّرَ<sup>(٤)</sup> ، وَبَاصَ يَبْوُصُ : تقدَّم كما قال الشاعر :

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِذْ تَأْتِكَ تَنْوُصُ

فَتَقْصِرُ عَنْهَا ثَارَةً وَتَبْوُصُ<sup>(٥)</sup>

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٢١/٢٣ والقرطبي ١٤٥/١٥ عن ابن عباس ، ومعنى قوله « تَزْوٍ » أي

جَزِي وركض ، كقوله تعالى ﴿ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ .

(٢) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور عن عكرمة ٣٩٦/٥ ومعناه قريب من قول ابن عباس .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٢١/٢٣ وابن كثير ٤٤/٧ والألوسي ١٦٣/٢٣ ولفظه وقال الحسن

وقتادة : رفعوا أصواتهم بالتوبة حين عاينوا العذاب لينجوا منه ، وليس الحينُ حينَ فوات ونجاة .

اهـ .

(٤) في اللسان : نَاصَ يَنْوُصُ مَنَاصاً : نجا وفي التنزيل ﴿ وَلَآتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أي وقت طلب

ومُغَاث ، وقيل معناه أي استغاثوا وليس ساعة ملجأ ولا مهرب ، والنَّوُصُ : الفرار ، والمناصُ :

المهرب . اهـ .

(٥) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ١٧٧ وهو من شواهد الفراء ٣٩٧/٢ وقد ذكره بلفظ

« خطوة » بدل « تارة » وانظر الطبري ١٢٠/٢٣ ومختار الشعر الجاهلي ١٢٧/١ وزاد المسير

١٠١/٧ واللسان ، والصحيح . قال ابن جزي في التسهيل ١٧٩/٣ معنى الآية : ليس الحين

الذي دَعَوْا فيه حين مفرٍّ ونجاة ، و « لات » بمعنى ليس ، وأصلها « لا » النافية زيدت عليها

علامة التأنيث ، كما زيدت في « رُبَّت » و « تُمَّت » . اهـ .

٦ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ آية ٥ ] .

عُجَابٌ ، وَعَجِيبٌ ، بمعنى واحد<sup>(١)</sup> ، كما تقول : طَوِيلٌ ، وطَوَالٌ ، وكذلك ﴿ عُجَابٌ ﴾ قرأ به أبو عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> .

٧ — ثم قال جَلَّ وعَزَّ ﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ .. ﴾ [ آية ٦ ] .

رَوَى سَفِيَانٌ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ قال : هو « عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ »<sup>(٣)</sup> ﴿ أَنْ

(١) قال اللغويون : الْعُجَابُ ، وَالْعَجِيبُ ، وَالْعُجَابُ ، بمعنى واحد ، كما تقول : كبير ، وَكُبَارٌ ، وَكُبَّارٌ ، كما نقل عن أبي عبيدة والفراء ، وغيرهما ، واستشهدوا بقوله ﴿ ومكروا مكراً كُبَّاراً ﴾ أي كبيراً ، وُفِرَّقَ الخليل بين عجيب ، وَعُجَابٍ ، فقال : العجيب : العجب ، وَالْعُجَابُ : الذي قد تجاوز حد العجب . وانظر القرطبي ١٥٠/١٥ .

(٢) يراد به « أبو عبد الرحمن السلمي » أحد القراء المشهورين ، وهذه القراءة ﴿ لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٣٠/٢ وهي لغة أزد شנוوءة كما في القرطبي .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد ، ذكره الطبري في تفسيره ١٢٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٦/٥ ومعنى المَلَأُ في اللغة : أشرف القوم ، الذين يملأون العين هيبةً وإجلالاً ، و « عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ » هو قائل هذه المقالة ، للتفر من مشيخة قريش .

وسبب نزول هذه الآيات ما ذكره الطبري ١٢٧/٢٣ والحافظ ابن كثير ٤٦/٧ من رواية السدي أن ناساً من قريش اجتمعوا فيهم « أبو جهل » و « العاص بن وائل » و « الأسود بن عباد » في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فلنكلمه في محمد ، فلينصفنا منه ، فليكشف عن شتم آلهتنا ، ونُدَّعه وإلهه الذي يعبد ، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ — يعنون أبا طالب — فيكون منا إليه شيء ، فتعزينا العرب فيقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه .

امشوا ﴿ أَنْ ﴾ تفسير .

ويجوز أن يكون معناه : بأن امشوا ، واصبروا على آهتكم ،  
فخبر الله جل وعز ، بإقامتهم على الكفر .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا  
اخْتِلَاقٌ ﴾ [ آية ٧ ] .

روى ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد : وعلي بن أبي طلحة عن  
ابن عباس ، قال : ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ في النصرانية<sup>(١)</sup> .

قال : فبعثوا رجلاً منهم يقال له « المطلب » فاستأذن لهم على « أبي طالب » فقال : هؤلاء  
مشيخة قومهم وسراوتهم — أي رؤسائهم وكبرائهم — يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ، فلما  
دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا ، فأئصِفنا من ابن أخيك ، فمره فليكن  
عن شتم آهتنا ، وتدعه وإلهه ، قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ  
قال : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسراوتهم ، وقد سألك النصف — أي العذل  
والإنصاف — أن تكف عن شتم آهتهم ، ويدعوك وإلهك ، قال : يا عم ، أولاً أدعوهم إلى ما  
هو خير لهم منها ؟ قال : وإلام تدعوهم يا ابن أخي ؟ قال : أدعوهم إلى كلمة واحدة ، تدين  
لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم !! فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك لنعطينكها  
وعشرة أمثالها ؟ قال : تقولون : « لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا : سلما غير هذه ، قال : لو  
جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ، فقاموا من عنده غضاباً  
وقالوا : والله لنشتمتك وإلهك الذي أمرك بهذا ، فذلك قوله تعالى ﴿ وانطلق الملائمة منهم .. ﴾  
الآية .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ١٢٦/٢٣ وابن كثير ٤٧/٧ وهو مروي عن السدي ، ومحمد بن كعب  
القرظي ، ومقاتل ، ومراد المشركين أن يقولوا : لو كان القرآن حقاً لأخبرتنا به النصاري ، وقال  
مجاهد وقتادة وابن زيد يعنون بالملة الآخرة دين قريش .

وقال محمد بن كعب : يعنون ملة عيسى صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ قال :  
ملة قريش<sup>(٢)</sup> .

وقال قتادة : ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ أي ملتنا التي نحن  
عليها<sup>(٣)</sup> .

٩ — وقوله جلّ وعز : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ  
الْوَهَّابِ ﴾ [ آية ٩ ] .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكّلة ، لذكره هذا بعدما تقدّم ،  
وفيها قولان :

أحدهما : أنها متّصلة بقوله ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ  
مِنْهُمْ ﴾ أي إنّ الله جلّ وعزّ له خزائن السمّوات والأرض وملكهما ،  
فيرسل من يشاء .

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٦/٢٣ والدر المنثور ٢٩٧/٥ وزاد المسير ١٠٣/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١٢٧/٢٣ وابن كثير ٤٧/٧ والقرطبي ١٥٢/١٥ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٧/٢٣ وهو كقول مجاهد من حيث المعنى يقولون : ما سمعنا به في ديننا هذا ولا في زماننا قط ، وأرجح الأقوال قول ابن عباس أنهم يعنون ﴿ بِالْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ دين النصرانية ، لأنه آخر الأديان السماوية قبل الإسلام ، فهم يحتجون بالملل والشرائع السابقة ، والمعنى على هذا القول واضح ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بمثل هذا القول في ملة النصرانية التي هي آخر الملل ، فإنهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، فكيف يزعم محمد أن الله واحد ؟ ولو كان كما قال لأخبرتنا به النصارى . اهـ . وانظر صفوة التفاسير ٥١/٣ .

والقول الآخر : أنه لما ذكر عنادهم ، وكفرهم ، وصبرهم على آلهتهم ، كان المعنى : أم عندهم خزائن رحمة ربك ، فيحظروها على مَنْ يُريدون ؟ أم لهم مُلكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وما بينهما ؟ فقرَّروهم بهذا<sup>(١)</sup> .

١٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ [ آية ١٠ ] .

أي إن كانوا صادقين فليرتقوا في أبواب السَّمَوَات<sup>(٢)</sup> .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ الْأَسْبَابُ ﴾ : أبواب السَّمَوَات<sup>(٣)</sup> ، وقال زهير :

(١) توضيحاً للمعنى ننقل كلام محمد بن جزي الغرناطي في تفسيره « التسهيل لعلوم التنزيل » ففيه توضيح وبيان ، فقد قال رحمه الله ٣/٣٩٢ : هذه الآية ردُّ على المشركين ، فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة ، والمعنى : إنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله ، حتى يُعطوا النبوة من شاعوا ، ويمنعوا من شاعوا ، بل يُعطى الله لمن يشاء ، ثم وصف نفسه بالعزیز الوهاب ، لأن العزیز — أي القاهر الذي لا يُعالب — يفعل ما يشاء ، والوهاب ينعم على من يشاء ، فلا حجة لهم فيما أنكروا ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض ﴾ وهذا أيضاً ردُّ عليهم والمعنى : أن لهم المُلْك ، فيتصرفون فيه كيف شاعوا ؟ بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء . اهـ .

(٢) هذا تهكم بهم واستهزاء أي إن كان لهم شيء من ملك السموات والأرض ، فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء ، وليدبروا شؤون الكون ؟ وكفى به سخرية وتهكماً !!

(٣) قول مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٢٣/١٢٩ والقرطبي ١٥/١٥٣ وأصل السبب عند العرب : كل ما تسبب به إلى الوصول للمطلوب ، من حبل ، أو وسيلة ، أو رحم ، أو قرابة ، أو طريق ، أو محجة ، وغير ذلك ، أفاده الطبري .



« وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ »<sup>(١)</sup>

وقيل : ﴿ الْأَسْبَابُ ﴾ : الْجِبَالُ<sup>(٢)</sup> ، أي فليترقوا في السماء ،  
حتى يأتوا بآية .

وَحَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ لِلدَّيْنِ الْفَاضِلِ : ارْتَقَى أَسْبَابَ  
السَّمَاوَاتِ<sup>(٣)</sup> ، كَمَا يُقَالُ : قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ، عَلَى التَّمْثِيلِ .

١١ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾  
[ آية ١١ ] .

أي هم جندٌ لهؤلاء الآلهة ﴿ مَهْزُومٌ ﴾ أي مَقْمُوعٌ ذليل ، أي  
قد انقطعت حجتهم ، لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا : هذا لنا<sup>(٤)</sup> .

وَيُقَالُ : تَهَزَّمَتِ الْقَرْيَةُ : إِذَا انْكَسَرَتْ ، وَهَزَمْتُ الْجَيْشَ :

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٣٠ وقامه :

وَمِنْ هَابِ أَسْبَابِ الْمَنَآيَا يَتَلَنَّهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ  
يقول : من اتقى الموت لقيه ولو صعد إلى السماء .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ أي بحبل ، والمراد بهذا الأمر التوبيخ والتعجيز .

(٣) أي نال أسمى الغايات والمراتب الرفيعة ومنه قول الشاعر : « بلغنا السماء مجذنا وعلاؤنا » وهذا  
القول هو ما حكاه أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١٧٧/٢ .

(٤) هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتأنيس ، يقول تعالى لنبيه : هؤلاء الفجرة ما هم إلا جندٌ من  
الكفار ، تحزّبوا على رسل الله ، وهم عما قليل سيُهْزَمُونَ ويولون الأدبار ، فلا تبال ولا تكثر  
بشأنهم ، فإني أهزم جمعهم ، وأسلب عزمهم ، قال قتادة : وعد الله أنه سيُهْزَمُهم وهم بمكة ،  
فجاء تأويلها يوم بدر .

كسرتُهُ ، ثم قال ﴿ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ قال مجاهد : أي من الأمم الخالية (١) .

قال أبو جعفر : والمعنى أنهم حزبٌ من الأحزاب ، الذين تحزَّبوا على أنبيائهم .

١٢ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ، وَعَادٌ ، وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ [ آية ١٢ ] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ قَالَ : كَانَتْ لَهُ أَوْتَادٌ ، وَأَرْسَانٌ ، وَمَلَاعِبٌ ، يُلْعَبُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ (٢) .

قال أبو جعفر : وقيل كان يجعل الإنسان بين أربعة أوتادٍ ، ثم يقتله (٣) .

- 
- (١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وعزاه إلى عبد بن حميد .
- (٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٦/٧ وهذا القول خلاف الظاهر ، فإن الله تعالى ذكر في الآية بطش فرعون ، وطغيانه ، وجبروته ، ولم يذكر ما كان يتلَّهُى به ويتسلَّى من أنواع الملاعب المحببة إلى نفسه .
- (٣) هذا القول حكاه ابن جرير عن السدي والربيع بن أنس ١٣١/٢٣ وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن البصري ، كما في تفسير ابن الجوزي ١٠٥/٧ ولفظه : كان يُعَذَّبُ الناس بأربعة أوتاد ، يشدهم فيها ، ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشدده . اهـ .
- أقول : وهذا القول هو المناسب لظاهر الآية ، فإن الله تعالى وصفه في آيات كثيرة بالعلو ، والجبروت ، والاعتداء على حرمان الناس ، كما قال سبحانه عنه ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

وقال الضحاك : ﴿ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ ذو البناء المحكم<sup>(٣)</sup> ، كما

قال :

« فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ »<sup>(٢)</sup>

١٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَتَمُودُ ، وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ،  
أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ ﴾ [ آية ١٣ ] .

قال قتادة : كان أصحاب الأيكة أصحاب شجرٍ ، أكثره من  
الدَّوم<sup>(٣)</sup> .

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ  
فَوَاقٍ ﴾ [ آية ١٥ ] .

قال مجاهد : ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي من رجوع<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣١/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٥/٧ والقرطبي في  
الجامع ١٥٤/١٥ واختاره ابن قتيبة قال : والعرب تقول : هم في عزٍّ ثابت الأوتاد ، يريدون أنه  
دائم شديد . اهـ .

(٢) البيت للأسود بن يَعْفَر وقمائه :  
وَلَقَدْ غَنَوْنَا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ      فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ  
والبيت في غريب القرآن ٣٧٧ وفي البحر ٣٦٧/٧ وفي المفضليات ٢١٧ ومعنى « غَنَوْنَا »  
أقاموا وسكنوا .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير ١٣١/٢٣ قال في المعجم الوسيط ٣٠٥/١ : وشجر الدَّوم شجر عظام ،  
من الفصيلة النخلية ، وله ثمار في غلظ التفاحة . اهـ .

(٤) انظر الطبري ١٣٣/٢٣ والقرطبي ١٥٦/١٥ وهذا القول محكي عن ابن عباس أيضاً كما في  
القرطبي .

وقال قتادة : أي ما لها من مشنوية<sup>(١)</sup> .

وأبو عبيدة يذهب إلى أن معنى ﴿ مِنْ فَوَاقٍ ﴾ بفتح الفاء :  
من راحة ، و ﴿ مِنْ فَوَاقٍ ﴾ بضم الفاء : من انتظار<sup>(٢)</sup> .

وقال غيره : هما لغتان بمعنى<sup>(٣)</sup> .

وقال السدي : ما لهم بعدها إفاقة ، ولا رجوع إلى الدنيا<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : أصل هذا من قولهم « فَوَاقِ النَّاقَةِ » وهو ما  
بين الخلبتين .

المعنى : أنها لا تلبثهم حتى يموتوا ، ولا يحتاج فيها إلى رجوع ،  
وأفاق من مرضه ، رجع إلى الصحة والراحة ، وإلى هذا ذهب أبو

---

(١) الأثر أخرجه القرطبي ١٥٦/١٥ وفي روح المعاني ١٧٢/٢٣ ومعنى « مشنوية » أي أنها صحيحة واحدة ، لا تثني ولا تكرر .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٩/٢ فقد قال : من فتنها « فَوَاقٍ » قال معناها ما لها من راحة ، ومن ضمها « فَوَاقٍ » جعلها من فَوَاقِ النَّاقَةِ ، وهو ما بين الخلبتين ، يريد ما لها من انتظار . اهـ .

(٣) هذا مذهب الجوهري وبعض علماء اللغة قالوا : الضمُّ والفتحُ بمعنى واحد ، كما يُقال : قَصَاصُ الشعر ، وقَصَاصُ الشعر ، قال الجوهري : الفَوَاقُ والفَوَاقُ : ما بين الخلبتين من الوقت ، لأنها تُحلب ثم تترك سبوعة ، يرضعها الفصيل لتُدَّر ، ثم تحلب . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ١٣٣/٢٣ وتلخص من هذا ، أن للمفسرين ثلاثة أقوال : الأول : ﴿ ما لها من فَوَاقٍ ﴾ أي أنها صحيحة واحدة لا ثانية لها ، وهو قول قتادة . الثاني : ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فَوَاقِ النَّاقَةِ ، وهو ما بين حَلْبَتِي اللَّبَنِ ، وهذا على قراءة الضم .

الثالث : ما لها من رجوع ولا عودة إلى الدنيا ، وهو قول مجاهد ، وابن عباس .

عبيدة في قوله : ما لها من راحة<sup>(١)</sup> .

١٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾

[ آية ١٦ ] .

قال سعيد بن جبير : ﴿ قِطَّنَا ﴾ أي نصيينا من الجنة<sup>(٢)</sup> .

وقال الحسن : أي عقوبتنا<sup>(٣)</sup> .

وقال مجاهد : أي عذابنا<sup>(٤)</sup> .

وقال قتادة : أي نصيينا من العذاب<sup>(٥)</sup> .

وقال عطاء الخراساني : أي قضاءنا أي حسابنا<sup>(٦)</sup> .

---

(١) انظر معاني القرآن للفرّاء ٤٠٠/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٩/٢ وحاشية الجمل على الجلالين ٥٦٤/٣ ففيه بحث موسّع .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٣٥/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ ونسبه إلى ابن عباس ، وذكره ابن الجوزي ١٠٩/٧ قال الحافظ ابن كثير ٤٩/٧ : وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . اهـ .

(٣ — ٥) هذه الآثار الواردة عن الحسن ، ومجاهد ، وقاتة ، ذكرها الطبري في جامع البيان ١٣٤/٢٣ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥٧/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني ١٧٣/٢٣ : أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية ، ربّنا عَجِّلْ لنا قِطَّنَا ، ونصيينا من العذاب ، الذي تُوعِدنا به ، ولا تُؤَخِّرْه إلى يوم الحساب .

(٦) قول عطاء ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٠٩/٧ ثم قال : وقال الزجاج : القِطُّ النصيبُ ، وأصله : الصحيفة يُكتب للإنسان فيها شيء يصل إليه ، واشتقاقه : من قَطَطْتُ أي قطعت ، فالنصيب هو القطعة من الشيء ، ثم في هذا للمفسرين قولان :

أحدهما : أنهم سألوه نصيبهم من الجنة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : سألوه نصيبهم من العذاب ، قاله قتادة . وعلى جميع الأقوال إنما سألوهم ذلك استهزاءً

لنكذيبهم بالقيامة . اهـ .

قال أبو جعفر : أصل هذا من قولهم : قَطَطْتُ الشيء أي  
قَطَعْتُهُ ،

فالمعنى : عَجَّلْ لنا نصيبنا أي ما قُطِعَ لنا .

ويجوز أن يكون المعنى : عَجَّلْ لنا ما يكفيننا ، من قولهم :  
قَطَنِي من هذا أي يكفيني .

ويروى أنهم قالوا هذا لما أنزل الله جل وعز ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ  
كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ .. ﴾ استهزاءً ، وهذا كما قال :  
« ... يُعْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفُقُ » <sup>(١)</sup> .

يعني الكتب بالجوائز .

ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ إصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾

[ آية ١٧ ] .

١٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

[ آية ١٧ ] .

أقول : القول الثاني هو الأرجح وهو قول جمهور المفسرين ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ  
بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ فقد صرح بأنهم سألوا تعجيل حظهم من العذاب ، ولم يسألوا نصيبهم من  
الجنة ، وأيضاً قول السفهاء ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من  
السماء أو اتنا بعذاب أليم ﴾ يدل دلالة واضحة على أنهم سألوا العذاب والله أعلم .

(١) هذه قطعة من بيت شعر للأعشى ميمون بن قيس ، وهو في ديوانه ص ٣٣ وتامه :

وَلَا الْمَلِكُ النَّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيْتُهُ      بِنِعْمَتِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفُقُ

أراد القطوط كتب الجوائز ، ويأفق أي يصلح ، والبيت من شواهد أبي عبيدة ١٧٩/٢ وانظر  
الطبري ١٣٤/٢٣ .

قال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة : أي ذا القوة في طاعة الله جل وعز<sup>(١)</sup>.

قال أبو جعفر: الأَيْدُ ، والآدُ ، في اللغة : القوة<sup>(٢)</sup> ، وأَيْدُهُ : قُوَّاهُ ، فَنَآدَ ، كما قال :

« لَمْ يَكُ يَنَادُ فَأَمْسَى اِنَادَا » (۳)

ثم قال تعالى ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ قال مجاهد : أي راجع عن الذنوب (٤) .

وقال قتادة : أي مطيع<sup>(٥)</sup> .

قال أبو جعفر: يُقال: آَبَ، يُوْؤِبُ، فهو آَيْبٌ: إذا

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ١٣٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وغيرهما .

(٢) قال الراغب في غريب القرآن مادة « أيد » : الأَيْدُ : القوة الشديدة ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي يُكثِّرُ تأييده ، ويُقال : إِيَّاهُ ، أَيُّدُهُ ، أَيُّدًا ، نحو بعثه أبيعته نبيعًا ، وأَيَّدْتُهُ على التكثير قال عز وجل ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ من الأَيْدِ أي القوة الشديدة . اهـ . وقال القرطبي ١٥٨/١٥ : ﴿ ذَا الْأَيْدِ ﴾ أي ذا القوة في العبادة ، كان يصوم يومًا ، ويفطر يومًا ، وذلك أشد الصوم وأفضله ، وكان يصلي نصف الليل ، وكان لا يفرُّ إذا لاق العدو ، وكان قويًا في الدعاء إلى الله تعالى ، ويُقال : الأَيْدُ والأَدُّ كما تقول : العَيْبُ والعَابُ ، ومنه رجلٌ أَيْدٌ أي قويٌّ . اهـ . وفي البخاري كتاب التفسير ١٥٥/٦ قال ابن عباس : الأَيْدُ : القوة في العبادة .

(٣) هذا شطرٌ من الرجز للعجاج ، وقام البيت كما في لسان العرب ٧٥/٣ :  
 مِنْ أَنْ تَبِيدَ بَادِي آدَا      لَمْ يَكْ يَنْبَادَ فَأُمْسَى أَنْبَادَا  
 يقال : انبأ العود ينبأ : إذا انتنى واعوج ، وانظر جامع الأحكام للمقرئ ١٥٨/١٥ .

(٤ - ٥) ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٢٩٨/٥ والطبري ١٣٧/٢٣ .

رَجَعَ ، وَأَوَّابٌ : على التَّكْثِيرِ<sup>(١)</sup> .

١٧ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ  
وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ آية ١٨ ] .

إِشْرَاقُ الشَّمْسِ : ضَوْؤُهَا وَصَفَاؤُهَا<sup>(٢)</sup> .

١٨ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [ آية ١٩ ] .  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : كُلٌّ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ أَوَّابٌ ، يَعْنِي دَاوُدَ ،  
وَالْجِبَالَ ، وَالطَّيْرَ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي ﴿ كُلٌّ ﴾ لِلْجِبَالِ ، وَالطَّيْرِ ، أَيْ  
تُرْجَّعُ مَعَ دَاوُدَ التَّسْبِيحِ<sup>(٣)</sup> .

١٩ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ  
الْخِطَابِ ﴾ [ آية ٢٠ ] .

---

(١) قال الطبري : والمعنى : إن داود كان رجاعاً عما يكرهه الله إلى ما يرضيه والأواب : هو من قولهم آب  
الرجل إلى هله : إذا رجع . اهـ .

(٢) قال الراغب في غريب القرآن : شَرَقَتِ الشَّمْسُ : طَلَعَتْ ، وَأَشْرَقَتْ أَضَاءَتْ ، وَمَعْنَى  
﴿ الْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ أَيْ وَقْتُ الْعَشِيِّ — وَهُوَ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى الصَّبَاحِ — وَالْإِشْرَاقُ :  
أَيْ وَقْتُ الْإِشْرَاقِ وَهُوَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ . اهـ .

(٣) هذا القول هو الأطهر والأرجح ، وهو قول الجمهور أن الضمير يعود إلى داود ، والمعنى : كُلٌّ مِنْ  
الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ رَجَّاعٌ إِلَى طَاعَتِهِ وَأَمْرُهُ ، مَسْبُوحٌ لِأَجْلِ تَسْبِيحِهِ ، وَأَمَّا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ فَهُوَ قَوْلُ السَّيِّدِ ،  
قَالَ الْخَافِضُ ابْنُ كَثِيرٍ : كَانَتْ الطَّيْرُ تَسْبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ ، وَتُرْجَّعُ بِتَرْجِيْعِهِ ، إِذَا مَرَّ بِهِ الطَّيْرُ وَهِيَ  
سَابِّحٌ فِي الْهَوَاءِ ، فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَتَرَنَّمُ بِقِرَاءَةِ الزُّبُورِ لَا تَسْتَطِيعُ الْذَهَابُ بِلِ تَقِفَ فِي الْهَوَاءِ وَتُسَبِّحَ  
مَعَهُ ، وَتُجِيبُهُ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ ، تُرْجَّعُ مَعَهُ ، وَتُسَبِّحُ تَبْعاً لَهُ . اهـ . ابن كثير ٤٩/٧ .



قال مجاهد : لم يكن في الأرض سلطانٌ أعزُّ من سلطانيه<sup>(١)</sup> .

قال السدي : كان يحرسه في كل ليلة أربعة آلاف<sup>(٢)</sup> .

وقيل : ﴿ شَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ بأنَّ الوحي كان يأتيه ، وهذا عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> .

وقد رَوَى عكرمة عن ابن عباس : أن رجلين اختصما إلى « داود » فقال المستعدي : إن هذا اغتصبني بقرأ ، فجحدته الآخر ، فأوحى الله إلى « داود » أن يقتل الذي استعدي عليه ، فأرسل داود إلى الرجل إن الله قد أوحى إليَّ أن أقتلك ، فقال الرجل : أتقتلني بغير بينة ؟ فقال : لا يُردُّ أمرُ الله فيك ، فلما عرف الرجل أنه قاتله قال : والله ما أُحَدِّثُ بهذا الذنب ، ولكنني كنتُ اغتلتُ والدَ هذا فقتلته ، فأمو به « داود » فقتل ، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك له ،

---

(١) الأثر ذكره الحافظ ابن كثير عن مجاهد ٥٠/٧ والقرطبي ١٦٢/١٥ وعزاه إلى ابن عباس ، ومعنى ﴿ شَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ أي قوينا ملكه وثبتناه ، بالهبة والنصرة ، وكثرة الجنود ، والتمكين له في الأرض ، حتى كان ملكه وطيداً .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣٨/٢٣ وابن كثير ٥٠/٧ عن السدي ، وضعف هذا القول القاضي ابن العربي ، ورجح أن شدَّ ملكه ، إنما كان بالتأييد من الله له ، والنصر ، وقال : لا ينفع الجيش الكثير ، التفافه على غير منصور وغير معان . اهـ . وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦١/١٥ .

(٣) هذا الأثر عن ابن عباس يؤيده ما ذهب إليه الأكثرون من تثبيت دعائم ملكه بالنبوة والرسالة ، والعون والتأييد ، لا بكثرة الرجال فحسب ، بل للهبة التي جعلها الله له في قلوب الناس ، وهو خلاصة ما ذكرناه عن ابن العربي رحمه الله .

وهو قول الله عز وجل ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾<sup>(١)</sup> .

٢٠ — ثم قال جل وعز ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ [آية ٢٠] .

قال أبو العالية : أي المعرفة بكتاب الله جل وعز<sup>(٢)</sup> .

وقال السدي : النبوة<sup>(٣)</sup> .

وقال مجاهد : هو عدله<sup>(٤)</sup> .

٢١ — ثم قال جل وعز : ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [آية ٢٠] .

قال الحسن : أي الفهم في القضاء<sup>(٥)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٩/٥ وابن كثير ٥٠/٧ وذكر السيوطي أنه من رواية ابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ١٦٢/١٥ وابن كثير ٥١/٧ وعزاه إلى قتادة .

(٣ — ٤) الأثران ذكرهما الطبري ١٣٩/٢٣ وابن كثير ٥١/٧ وابن الجوزي ١١/٧ والراجح أن المراد بالحكمة ما يشمل هذه الأمور ، من النبوة ، والفهم ، وسداد الرأي ، والإصابة في القضاء ، وآراء السلف في هذه المسألة متقاربة ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ١١١/٧ : في قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ فيها أربعة أقوال :

أحدها : أنها الفهم ، كما قال ابن عباس والحسن ، وابن زيد .

والثاني : أنها الصواب ، قاله مجاهد .

والثالث : النبوة ، قاله السدي .

والرابع : أنها السنة ، قاله قتادة . اهـ .

(٥) هذا أحد أقوال أربعة في معنى قوله تعالى ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ وهو مروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، كما في تفسير ابن كثير ٥١/٧ والطبري ١٣٩/٢٣ حيث ذكر عن مجاهد أن ﴿فَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ : إصابة القضاء وفهمه .

وقال أبو عبد الرحمن وقتادة : أي وفصل القضاء<sup>(١)</sup> .

وقال شريح والشعبي وكعب : الشهود والأيمان<sup>(٢)</sup> .

وكذلك روى الحكم عن مجاهد .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ما قال أنفذ .

وقال الشعبي : ﴿ فصل الخطاب ﴾ : أما بعد<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : الخطاب في اللغة ، والمخاطبة ، واحد .

فالمعنى على حقيقة اللغة : أنه يفصل أي يقطع المخاطبة ،  
بالحكم الذي آتاه الله إياه ، ويقطع أيضاً فصلها في الشهود والأيمان .

وقيل ﴿ وفصل الخطاب ﴾ : البيان الفاصل بين الحق  
والباطل<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذا هو القول الثاني ، وقد ذكره القرطبي ، والطبري ، وابن كثير ، وهو قريب من الأول .

(٢) هذا هو القول الثالث ، والمراد به تكليف المدعي بالبيّنة وهي شاهدان ، أو يمين المدعي عليه ،  
قال ابن الجوزي في تفسيره ١١٢/٧ وهو قول حسن ، لأن الخصومة إنما تُفصل بهذا ، وقال ابن  
كثير ٥١/٧ : وهو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل ، وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم  
القيامة .

(٣) هذا هو القول الرابع في تفسير الآية ، ذكره الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ،  
فقد قيل : إن أول من تكلم بهذه العبارة « أما بعد » هو داود عليه السلام ، واختار ابن جرير  
الطبري العموم فقال في جامع البيان ١٤١/٢٣ : والصواب أن يعمّ الخبر فيقال : أوتي داود  
فصل الخطاب في القضاء ، والمخاطبة ، والخطب . اهـ .

(٤) هذا قول الزمخشري في تفسيره ٣٢١/٣ وذكره في التسهيل ٢٩٥/٣ والمعنى على هذا القول :  
﴿ وفصل الخطاب ﴾ أي البيّن من الكلام الذي يفهمه من يُخاطب به ، ويفصل به بين الحق =

٢٢ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾

[ آية ٢١ ] .

تَسَوَّرُوا أي عَلَوْا ، والمحرابُ كُلُّ مكان مرتفع .

وقيل : محرابٌ للذي يُصَلِّي إليه على التمثيل ، أي هو أرفع موضع في المسجد<sup>(١)</sup> .

و« خَصْمٌ » يقعُ للواحد ، والاثنين ، والجميع بلفظ واحدٍ على معنى « ذو خصم »<sup>(٢)</sup> .

ولا اختلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به ههنا مَلَكَان<sup>(٣)</sup> .

---

== والباطل ، وقد اختار هذا القول ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ . اهـ .

(١) قال الراغب في غريب القرآن ص ١١٢ : ومحراب المسجد سُمِّي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل : الأصل فيه أن محراب البيت : صدرُ المجلس ، ثم اتَّخذ المساجد فسُمِّي صدره به تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكأن هذا أصح قال تعالى ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَمَتَائِلٍ .. ﴾ . اهـ .

(٢) قال الزجاج ٣٢٥/٤ : إنما قال ﴿ الْخَصْمِ ﴾ بلفظ الواحد ، وقال ﴿ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ بلفظ الجماعة ، لأن قولك « خَصْمٌ » يصلح للواحد ، والاثنين ، والجماعة ، والذكر ، والأنثى ، تقول : هذا خصمٌ ، وهما خصمٌ ، وهم خصم ، إنما يصلح لجميع ذلك لأنه مصدر . اهـ . وانظر زاد المسير ١١٧/٧ .

(٣) قال ابن جُرَيز في التسهيل ٣٩٥/٣ : واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة ، ورُوي أنهما جبريل ، وميكائيل ، بعثهما الله ليضرب بهما المثل في نازلة — أي حادثة — وقع هو في مثلها ، وقال ابن الجوزي ١١٨/٧ : كانا ملكَيْن ، وهما جبريل وميكائيل أتياه لينباهاه على التوبة ، وإنما قال ﴿ تَسَوَّرُوا ﴾ وهما اثنان ، لأن معنى الجمع ضمُّ شيء إلى شيء ، والاثنان فما فوقهما جماعة . اهـ .

٢٣ - وقوله جل وعزّ : ﴿ اِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ .. ﴾ [ آية ٢٢ ] .

قيل : دخلا عليه ليلاً في غير وقت الخصومة ، فلذلك قال : ﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ .

وقيل : فزع منهما ، لدخولهما من غير الباب ، الذي كان منه المدخل<sup>(١)</sup> .

٢٤ - وقوله جل وعزّ : ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ .. ﴾ [ آية ٢٢ ] .

على جهة المسألة<sup>(٢)</sup> كما تقول : رجلٌ يقول لامرأته كذا ما يجب عليه ؟

٢٥ - ثم قال جل وعزّ : ﴿ فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [ آية ٢٢ ] .

﴿ فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي بالعدل ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ أي ولا تجرّ ،

---

(١) قال في التسهيل : وإنما فزع داود منهم ، لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ، ودخلوا من غير الباب ، وقيل : إن ذلك كان ليلاً . اهـ .

(٢) مراد المصنف رحمه الله أن قوله تعالى ﴿ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي جئنا نسألك عن هذه المسألة المتنازع فيها ، نحن خصمان اختلفنا في هذه القضية .. إلخ .

يُقال : أَشْطُ يُشِطُّ إِذَا جَارَ ، وَشَطُّ يُشِطُّ إِذَا بَعُدَ<sup>(١)</sup> .

وقد قرئ ﴿ وَلَا تَشْطُطْ ﴾<sup>(٢)</sup> أي لا تبعد في الحكم ، كما

قال الشاعر :

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ

عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُهَا ابْنَةَ مَحْرَمٍ<sup>(٣)</sup>

واهدننا إلى سواءِ الصراطِ ﴿ أي إلى قصدِ السبيل .

وقال تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ بغير « إلى »

والعربُ تحذف حرفَ الخفضِ مما يتعدَّى إلى مفعولين كما قال الشاعر :

ومنا الذي اختيرَ الرجالَ سَمَاحَةً

وبراً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازِغُ<sup>(٤)</sup>

وقيل : معنى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ ﴾ أعلمنا الصراطَ ، ومعنى

---

(١) قال في المصباح : شَطَّتِ الدار : بَعُدَتْ ، وَشَطُّ فِي حَكْمِهِ شَطَطٌ : جَارَ وَظَلَمَ ، وَأَشْطُ فِي الْحُكْمِ بِالْأَلْفِ لُغَةٌ فِيهِ . اهـ .

(٢) هذه قراءة أبي رجاء وقتادة ﴿ وَلَا تَشْطُطْ ﴾ وهي من القراءات الشاذة ، كما ذكر ذلك ابن جني في المختص ٢٣١/٢ .

(٣) البيت من معلقة عنتره ، وانظر الديوان والمعلقات السبع للزوزني ص ١٢٦ والمختص لابن جني ٢٣١/٢ وقد ورد فيه بلفظ « عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَحْرَمٍ » وفي المخطوطة « مَحْرَمٍ » بالخاء المهملة ، وصوابه ما أثبتناه .

(٤) البيت للفرزدق كما في ديوانه ٥١٦ وفي خزانة الأدب ١٢٤/٩ وفي المقتضب للمبرد ٣٣٠/٤ والشاهد فيه نصب : « الرجال » حيث نُصِبَ بنزع الخافض ، والأصل : اختير من الرجال ، وهذا كما قال الشاعر « تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تُعْوجُوا » أي تَمُرُّونَ بالديار ، فنصب بنزع الخافض .

﴿ اهدنا إلى الصِّرَاطِ ﴾ أرشدنا إلى الصراط<sup>(١)</sup> .

٢٦ — ثم قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ .. ﴾ [ آية ٢٣ ] .

قال وهبٌ : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي ﴾ أي على ديني<sup>(٢)</sup> ﴿ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ والعربُ تَكْنِي عن المرأة : بالنَّعْجَةِ ، والشَّاةِ ، كما قال الشاعر :

فَرَمِيتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِيهِ  
فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا<sup>(٣)</sup>

وفي قراءة ابن مسعود : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي كَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَتْنَى ﴾<sup>(٤)</sup> .

---

(١) قال في المصباح مادة هدى : هديته الطريق ، أهديه ، هدايته ، هذه لغة الحجاز ، ولغة غيرهم يتعدى بالحرف ، فيقال : هديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ، واهدى البيان ، واهتدى إلى الطريق ، وهده الله إلى الإيمان هدى . اهـ . مصباح .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن وهب بن منبه ١٤٣/٢٣ وقصد بقوله ﴿ أَخِي ﴾ أخوة الدين لا النسب ، أو أخوة الصداقة والألفة .

(٣) البيت للأعشى كما في ديوانه ص ١٥٠ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨١/٢ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٧٣/١٥ والألوسي في روح البيان ١٨٠/٢٣ والشاهد فيه أنه كنى عن زوجة الرجل بالشاة ، يريد أنه نظر إليها في غفلة من زوجها ، فأسرها بجماله ، ووقع حبها له في سويداء قلبها .

(٤) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات السبع ، وذكر الأثنى جاء على سبيل التأكيد ، كما يُقال : هو رجلٌ ذكر ، ومعلوم أن الرجل لا يكون إلا ذكراً ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٥ .

و « كان » ههنا مثل قوله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(١)</sup>

فأما قوله « أنثى » فقليل : هو على جهة التوكيد .

وقيل : لَمَّا كان يُقال : هذه مائة نعجة ، وإن كان فيها من الذكور شيء يسير ، جاز أن يُقال : أنثى ، ليعلم أنه لا ذكر فيها<sup>(٢)</sup> .

٢٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾

[ آية ٢٣ ] .

قد جاءت أخبار وقصص في أمر « داود » ﷺ و « أوربا » وأكثرها لا يصح ، ولا يتصل إسناده ، ولا ينبغي أن يُجتزأ على مثلها ، إلا بعد المعرفة بصحتها<sup>(٣)</sup> .

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٤٠٣/٢ : رُبَّمَا أَدَخَلَتِ الْعَرَبُ « كان » عَلَى الْخَبَرِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا

يَنْقَطِعُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَكَانَ رَيْكٌ قَدِيرًا ﴾ فَهَذَا دَائِمٌ ، وَمِثْلُهُ « وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » . اهـ .

(٢) هذا لدفع التوهم في التجوز ، فَإِنْ قَوْلُنَا مِائَةٌ شَاةٌ ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَوْجَدَ بَيْنَهَا ذَكَورٌ ، فَدَفَعْنَا لَهُذَا

قَالَ : أَنْثَى ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ ﷺ : « أَلْحَقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَلْأُولَى رَجُلٌ ذَكَرٌ » .

(٣) خَبِطَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ خَبِطَ عَشْوَاءٌ ، فِي إِيرَادِ أَخْبَارٍ وَأَثَارٍ ، مِنَ الْقِصَصِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ ، مَا كَانَ

يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يوردوها فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ ، وَإِلَيْهَا يُشِيرُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ « وَلَا يَنْبَغِي أَنْ

يُجْتَزَأَ عَلَى مِثْلِهَا » وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ وَالْأَخْبَارُ ، مُسْتَقَاتَةٌ مِنْ قِصَصِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مِنْ غَيْرِ تَمْحِصٍ

وَلَا تَحْقِيقٍ ، وَهِيَ مِمَّا تَتَعَارَضُ مَعَ « عَصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ » الَّتِي اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا ، مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ

الْبَاطِلَةِ مَا حَكَاهُ بَعْضُهُمْ : « أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي مَعْبَدِهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ

حَمَامَةٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهَا ، فَطَارَتْ إِلَى كُوَّةِ الْمَحْرَابِ ، فَذَهَبَ لِيَأْخُذَهَا فَطَارَتْ ، فَاطَّلَعَ مِنْ

الْكُوَّةِ ، فَرَأَى امْرَأَةً تَغْتَسِلُ ، فَعَجِبَ مِنْ حَسَنِهَا ، فَحَانَتْ مِنْهَا التَّفَاتَةُ فَرَأَتْ ظِلَّهُ ، فَتَقَضَّتْ

شَعْرَهَا فَغَطَّتْ بِدَنِّهَا ، فَزَادَهُ ذَلِكَ إِعْجَابًا بِهَا ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ : هَذِهِ امْرَأَةٌ « أَوْرَبَا » وَزَوْجُهَا

غَائِبٌ فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَئِيسِ الْجَيْشِ ، أَنْ يَحْمِلَهُ الرَّايَةَ وَيَجْعَلَهُ فِي الْمَقْدَمَةِ ، حَتَّى ==



== يُقتل ، فلما قُتل زوجها ، وانقضت عدتها ، تزوجها داود ، فهي أم ابنه سليمان ، وكان عند داود تسعة وتسعون امرأة غيرها ، فعتب الله عليه فأرسل إليه الملكيين بصورة خصمين .. « إلى آخر القصة .

وهذه القصة من الأساطير والأوهام ، التي ينبغي أن تُنزه عنها ساحة الرسل الكرام ، فداود عليه السلام من عظماء أنبياء بني إسرائيل ، فكيف ينسب إليه مثل هذا الفعل المشين ، الذي يتورع عنه العامة من الخلق ، فضلاً عن نبي معصوم كريم !!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٥١/٧ : « قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يُردَّ علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضاً » . اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ١١٥/٧ بعد أن ذكر القصة من رواية وهب بن منبه والسدي : « وذكر جماعة من المفسرين أن داود لما نظر إلى المرأة سأل عنها ، وبعث زوجها إلى الغزو مرة بعد مرة ، إلى أن قُتل فتزوجها .. قال : وهذا لا يصح من طريق النقل ، ولا يجوز من حيث المعنى ، لأن الأنبياء منزّهون عنه » .

وقال القاضي عياض في الشفاء : وأما قصة داود عليه السلام ، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا ، ونقله بعض المفسرين ، ولم ينص الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح ، وإلى نفسي هذه الأخبار ذهب « أحمد بن نصر » و « أبو تمام » وغيرهما من المحققين ، وقال الداودي : ليس في قصة « داود » و « أوريا » خبرٌ يثبت ، ولا يُظنُّ بنبي محبة قتل مسلم » .

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل ٣٠٨/٢ : « وما قيل إنه أرسل « أوريا » إلى الجهاد مراراً ، وأمر أن يُقدّم حتى قتل ، فتزوجها داود ، هراء وافتراء ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : من حدّث بحديث داود — على ما يرويه القصّاص — جلده مائة وستين جلدة » يريد أنه يضاعف له العقوبة لانتهاك حرمة النبي داود ، ثماني جلدة للقدف ، وثمانين للافتراء والبهتان .

وقال الإمام الخازن في تفسيره لباب التأويل ٤٩/٦ : « اعلم أن من خصّه الله بنبوته ، وأكرمه برسالته ، وشرّفه على كثير من خلقه ، واثمته على وحيه ، وجعله واسطةً بينه وبين خلقه ، لا يليق أن يُنسب إليه ما لو نُسب إلى آحاد الناس ، لاستكف أن يُحدّث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء ، والصفوة الأمّناك ذلك ؟! » .

وأصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : « ما زاد داود عليه السلام على أن قال ﴿ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ أي انزل لي عنها » .

وروى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « ما زاد داود على أن قال ﴿ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ أي تحوّل لي عنها ، وضّمّها

---

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٣٩٣/٧ : « ونعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ، ضرورة أننا لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك ، بطلت الشرائع ، ولم تنق بشيء مما يذكر أن الله أوحى به إليهم ، فما حكى تعالى في كتابه ، يُمرّ على ما أراده الله تعالى ، وما حكى القصص مما فيه غض لمنصب النبوة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر :

ونؤثر حكم العقل في كلّ شبهة إذا أثر الأخبار جُلّاس قصاص »  
أقول : والصحيح في موضوع هذه القصة ما ذكره المحققون ، من أهل الرأي والنظر ، أن داود عليه السلام كان يختص بعض وقته لتصريف شئون الملوك ، وللفضل في الخصومات بين الناس ، ويخص بعض الوقت والأيام ، للخلوة والعبادة ، وترتيل الزبور تمجيداً للرحمن ، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة ، لم يأذن لأحد بالدخول عليه حتى يخرج هو إلى الناس ، وبينما هو في محرابه يتعبد ربه ، في يوم خلوته ، إذ فوجئ بشخصين يتسوران المحراب ، الذي يتعبد فيه ، ففرغ منهما وأضمر في نفسه أن يبطش بهما ، فبادرا يطمئناناً أنهما خصمان اختلفا في أمر بينهما مهم ، وبدأ أحدهما فعرض خصومته — كما قصّها القرآن الكريم في آياته البينات — والقضية كما عرضها أحد الخصمين ، تحمل في طياتها ظلاماً صارخاً مثيراً ، لا يحتمل الجدل ، ومن ثمّ اندفع داود عليه السلام يقضي على إثر سماعه هذه المظلمة ، ولم يوجه للخصم الآخر سؤالاً ، ولم يستفسر منه عن حقيقة الأمر وجليته ، بل أصدر حكمه بقوله ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ فعاتبه الله على ذلك ، ونبهه إلى ضرورة تثبت القاضي في حكمه ، وألا يحكم إلا بعد سماعه للخصم الآخر ، والله أعلم .

إِلَيَّ»<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : فهذا أجل ما رُوي في هذا .

والمعنى عليه : أن داود عليه السلام سأل « أُورِيَّا » أن يُطلق له امرأته ، كما يسأل الرجل الرجل أن يبيعه جاريته ، فنبههُ الله جلَّ وعزَّ على ذلك وعاقبهُ ، لَمَّا كان نبياً ، وكان له تسع وتسعون ، أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا ، وبالتزُّيد منها<sup>(٢)</sup> ، فأما غيرُ هذا فلا ينبغي الاجترأُ عليه .

ومعنى ﴿ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ إنزل لي عنها ، واجعلني كافلاً لها .

قال الضحَّاك : ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ أي قهرني<sup>(٣)</sup> .

وفي قراءة عبدالله ﴿ وَعَاَزَنِي ﴾<sup>(٤)</sup> .

---

(١) ذكر هذه الرواية الطبري في جامع البيان ١٤٤/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١١٦/٧ وليس فيها تلك الفرية .

(٢) على هذا القول إنما عوتب على أمر جائز ، كان ينبغي أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ، ومثانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب به غيرهم ، كما قيل « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

(٣) قول الضحَّاك هذا ذكره الطبري ١٤٤/٢٣ وهو مروى عن قتادة أيضاً والمراد أنه قهره وغلبه في الكلام ، قال في لسان العرب : عَزَّهُ يُعَزُّهُ عَزًّا : قهره وغلبه ، وفي التنزيل « وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ » أي غلبني في الاحتجاج .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، وهي قراءة ابن مسعود ، وهي من باب المفاعلة بمعنى غالبني ، وانظر زاد المسير ١٢٠/٧ والقرطبي ١٧٥/١٥ وكذلك قراءة ﴿ وَعَزَّنِي ﴾ بالتخفيف من القراءات الشاذة . كما في المحتسب ٢٣٢/٢ .

قال أبو جعفر : يُقال : عازّه اي غالبه ، وعزه اي عليه .

قال الحسن : أي قَهَرُهُ في المحاورَة .

قال أبو جعفر : ومنه قولهم « من عَزَّ بَزَّ »<sup>(١)</sup> .

ومنه قول زهير :

« فَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ »<sup>(٢)</sup>

٢٨ — ثم قال جل وعزّ : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْجَتِكَ إِلَى

نِعَاجِهِ .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

المعنى : بسؤاله نعجتك كما قال تعالى ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ

دَعَاءِ الْخَيْرِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومعنى ﴿ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ أي مضمومة إلى نعاجه .

﴿ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ ﴾ .

---

(١) هذا من أمثال العرب ، ومعنى ﴿ من عَزَّ بَزَّ ﴾ أي من غلب سلب ، والاسم العزة ، وهي من القوة والغلبة كما قال الشاعر :

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرُّكَ فَبَاسَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

(٢) هذا شطر بيت لزهير بن أبي سلمى ، وتماهه كما في ديوانه ص ١٣٠ :

قَلِيلًا عَلَفْنَاهُ فَأَكْمَلَ صُنْعُهُ قَتَمَ وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ

(٣) سورة فصلت آية رقم ٤٩ والشاهد فيها حذف الضمير في قوله ﴿ من دعاء الخير ﴾ أي من

دعائه الخير ، كما حذف من الآية هنا ﴿ بسؤال نعجتك ﴾ أي بسؤاله نعجتك .

أي الشركاء ، والخليط : الشريك<sup>(١)</sup> .

٢٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَانَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ آية ٢٤ ] .

أي أيقن<sup>(٢)</sup> .

وقرأ قتادة ﴿ أَنَّمَا فَتَانَهُ ﴾ بتخفيف النون ، يعني المَلَكَيْنِ<sup>(٣)</sup> ،  
وقال : معناه : صَمَدًا له .

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ قال أبو الأحوص والحسن :  
خرَّ ساجداً<sup>(٤)</sup> .

وقال مجاهد : سجد أربعين يوماً ، من قبل أن يسأل ربه

---

(١) قال في اللسان مادة « خلط » : الخلطاء : الشركاء ، الذين لا يتميز ملك كل واحد منهما ، من ملك صاحبه إلا بالقسمة ، والخليط : المخالط ، وهو الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه . اهـ .

(٢) الظنُّ في اللغة : يأتي بمعنى الشك وبمعنى اليقين ، تقول : أظنُّ الأمر كذا إذا كنت شاكاً قال في المصباح : الظن خلاف اليقين قاله الأزهري وغيره ، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ . اهـ .

(٣) قراءة التخفيف من القراءات الشاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٢ قال : ومعنى « فَتَانَهُ » أي اختبراه ، فخبَّراه بما ركب من اتِّمَّاسِه امرأة صاحبه ، وهما المَلَكَانِ الخصمان . اهـ .

(٤) قد يُعبَّر عن السجود بالركوع فقوله تعالى ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ أي خرَّ ساجداً ، قال الشاعر :  
فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ رَاكِعًا      وَتَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ  
قال ابن العربي : لا خلاف بين العلماء ، أن المراد بالركوع ههنا السجود ، فإن السجود هو الميل ، والركوع هو الانحناء ، وأحدهما يدخل في الآخر . اهـ .

شيئاً<sup>(١)</sup> .

قال سفيان : يُروى أنه أقام أربعين يوماً ، لا يرفع رأسه ، إلاّ لصلاة ، أو حاجة ، لا بدّ منها<sup>(٢)</sup> .

قال قتادة : ﴿ وَأَنَابَ ﴾ أي تاب<sup>(٣)</sup> .

٣٠ — وقوله جلّ وعز : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ آية ٢٥ ] .

قال الضحاك : ﴿ لَزُلْفَى ﴾ أي منزلة رفيعة<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : الزُلْفَى في اللغة : القربة ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ومنه قوله :  
مَرَّ اللَّيَالِي زُلْفَاً فَزُلْفَاً

سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا<sup>(٦)</sup>

(١) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٠٣/٥ والألوسي في روح المعاني ١٨٤/٢٣ .

(٢) الأثر ذكره الألوسي في روح المعاني ١٨٤/٢٣ والقرطبي في جامع الأحكام ١٨٥/١٥ وابن الجوزي في تفسيره ١٢٣/٧ .

(٣) عبارة الطبري « وأناب » أي رجع إلى ربه ، وتاب من خطيئته . اهـ . ومعنى الإنابة في اللغة الرجوع .

(٤) الزُلْفَى في اللغة : القرب والتقدم قال في المصباح : الزُّلْفَةُ والزُّلْفَى : القربة ، وأزلفه قُربَهُ ، ومنه مزدلفة لاقتربها إلى عرفات . اهـ .

(٥) سورة الشعراء آية رقم ٦٤ ومعنى الآية : قُربنا هناك فرعون وأتباعه ، حتى دخلوا البحر .

(٦) البيت للعجاج بن ربيعة كما في ديوانه ٤٩٦ ويريد بقوله « زُلْفَاً فَزُلْفَاً » يعني منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة ومعنى « احقَّقَوْفَا » أي اعوجَّ ، وذكره ابن منظور في اللسان ، مادة زلف .

أي ساعة تقرب من أخرى .

ثم قال ﴿ وَحُسْن مَّآبٍ ﴾ قال الضحّاك : أي وحُسن مرجع<sup>(١)</sup> .

٣١ — ثم قال جلّ وعز ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [ آية ٢٦ ] .

يُقال : إنه من هذا جاز أن يُقال خلفاء<sup>(٢)</sup> .

٣٢ — وقوله جلّ وعز ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ آية ٢٦ ] .

﴿ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ أي تركوا العمل له ، وكانوا ناسين له ، هذا مذهب السدي<sup>(٣)</sup> .

وقال عكرمة : هذا من التقديم والتأخير ، أي لهم يوم الحساب

---

(١) المآب في اللغة : المرجع ، والمنقلب ، والمصير ، قال في اللسان مادة « أَوْب » : الأَوْبُ : الرجوع ، آب إلى الشيء : رجع ، وآب الغائب يَـوْبُ إذا رجع ، وفي التنزيل ﴿ وَحُسْن مَّآبٍ ﴾ أي حسن المرجع الذي يصير إليه في الآخرة ، وكلُّ شيء رجع إلى مكانه فقد آب . اهـ. اللسان .

(٢) يعني المصنف بأن إطلاق لفظ « الخلفاء » على من يتولى شؤون المسلمين ، لعله جاء من هذه الآية ﴿ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ فيجوز إطلاق لفظة « خليفة » على السلطان ، ومنه سمي الخلفاء الراشدون .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٢٤/٧ وابن كثير في تفسيره ٥٤/٧ .

عذاب شديد ﴿بِمَا نَسُوا﴾ أي بما تركوا أمر الله عز وجل ، والقضاء بالعدل<sup>(١)</sup> .

٣٣ — ثم قال جل وعز : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ..﴾ [ آية ٢٧ ] .

أي لما قالوا : إنه لا حساب ، ولا جنة ، ولا نار ، قيل لهم هذا<sup>(٢)</sup> .

ثم قال جل وعز : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ آية ٢٧ ] .

فأخبر أنه يُعَذِّبهم على ذلك .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري عن عكرمة ١٥٢/٢٣ والألوسي في روح المعاني ١٨٧/٢٣ وذكر الحافظ ابن كثير ٥٤/٧ عند هذه الآية هذه القصة : أن الوليد بن عبد الملك سأل إبراهيم أبا زرعة ، فقال له : يحاسب الخليفة ؟ فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن ، وفقهت ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قل في أمان ، قلت : يا أمير المؤمنين : أنت أكرم على الله أم داود ؟ إن الله عز وجل ، جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعدده في كتابه فقال : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ..﴾ الآية .

وقصد بقوله « قرأت الكتاب الأول » أي قرأت التوراة ، قال البخاري في التاريخ الكبير ٢٨٧/١ : إبراهيم أبو زرعة وكان من مسلمة أهل الكتاب ، يُعَدُّ في الشاميين . اهـ .

(٢) غرض المصنف أن قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وردت بأسلوب التقرير والتحكم بالكفار ، لإنكارهم البعث ، والحشر ، والحساب ، فهم من حيث أنكروا المعاد ، ظأنون أن خلق السموات والأرض ، إنما هو عبث ، وليس فيه حكمة ، فلذلك قرعهم سبحانه ووبخهم ، وبين سخافة عقولهم ، وتوعددهم بالعذاب الأليم .



٣٤ — وقوله جل وعز : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ آية ٢٩ ] .

على إضمار هذا<sup>(١)</sup> .

ثم قال تعالى ﴿ لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ ﴾ أي ليفكروا في عواقب ما يكون منه<sup>(٢)</sup> ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أي العقول<sup>(٣)</sup> .

٣٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

[ آية ٣٠ ] .

فيه سبعة أقوال :

أ — قال ابن المسيب : ﴿ الْأَوَّابُ ﴾ : الذي يُذنبُ ثم يتوب ، ثم يُذنبُ ثم يتوب<sup>(٤)</sup> .

ب — وقال سعيد بن جبير : ﴿ الْأَوَّابُ ﴾ : المسبِّح<sup>(٥)</sup> .

ج — وقال قتادة : المطيع<sup>(٦)</sup> .

---

(١) قال في البحر ٣٩٥/٧ : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ارتفع على إضمار مبتدأ ، أي هذا كتاب مبارك أنزلناه .

(٢) أي ليتدبروا آياته البينات ، وما فيها من الإشارات والأنوار ، وما يُستقى منها من الحكم والأحكام ..

(٣) قال القرطبي ١٩٢/١٥ : ﴿ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أي أصحاب العقول ، واحدها لب ، وقد يُجمع على ألْب ، كما جُمع بُؤْسٌ على أبؤس . اهـ . قال في المصباح : اللُّبُّ العقل ، والجمع ألْبَابٌ ، مثل قُفْلٍ ، وأقفال ، ولُبٌّ كل شيء خالصه ، ومثله لُبَّابه . اهـ .

(٤-٦) هذه الآثار كلها وردت عن السلف ، كما في تفسير الطبري ١٥٣/٢٣ وابن الجوزي ١٢٧/٧ والقرطبي ١٥٩/١٥ قال ابن الجوزي : وفي « الْأَوَّابِ » أقوالٌ ، أليقها بهذا المكان : =

د — وقال عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ : الذي يذكر ذنبه في الخلاء ،  
فيستغفرُ منه<sup>(١)</sup> .

هـ — وقيل : الرَّاحِمُ<sup>(٢)</sup> .

و — وقيل : النَّائِبُ<sup>(٣)</sup> .

ز — وقال أهل اللغة : الرَّجَاعُ الذي يرجعُ إلى التَّوْبَةِ<sup>(٤)</sup> .

٣٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَّاتُ الْجِيَادُ ﴾  
[ آية ٣١ ] .

قال مجاهد : ﴿ الصَّافَّاتُ ﴾ من الخيل : التي ترفع إحدى  
يديها ، وتقف على ثلاث<sup>(٥)</sup> .

وقال الفراء : الصَّافِرُ : القائم<sup>(٦)</sup> .

---

= أنه رجَّاع بالتوبة إلى الله تعالى ، مما يقع منه من السَّهْوِ والغفلة . اهـ . وقال ابن كثير ٥٥/٧ :  
الأَوَابُ : هو كثير الطاعة ، والعبادة ، والإنابة إلى الله عز وجل .

(١ — ٤) هذه الآثار لا تعارض بينها ، وقد ذكرت جميعها في كتب التفسير ، وتكاد تكون راجعة إلى  
المعنى الجامع ، الذي قاله أهل اللغة ، كما في اللسان مادة « أَوَبَ » قال : أَوَابَ : كَثِيرُ  
الرجوع إلى الله عز وجل من ذنبه ، والأَوْبَةُ : الرجوعُ كالتوبة ، والأَوَابُ : النَّائِبُ ، قال أبو  
بكر : في الأَوَابِ سبعةُ أقوال : الرَّاحِمُ ، والنَّائِبُ ، والمُسَبِّحُ ، والمطيع .. إلخ .

(٥) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ٥٦/٧ ولفظه قال مجاهد :  
« الصَّافَّاتُ » هي التي تقف على ثلاث ، وطَرَفُ حافرِ الرَّابِعَةِ ، والجِيَادُ : السَّرَّاعُ ، وكذا قال  
غير واحد من السلف . اهـ .

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ وهذا القول الذي ذهب إليه الفراء ورجحه النحاس ، هو قول  
ابن قتيبة ، كما حكاه في زاد المسير ١٢٧/٧ قال ابن قتيبة : الصَّافِرُ في كلام العرب : الواقف =

وهذا المعروف في كلام العرب .

قال مجاهد : الجيادُ : السَّراعُ<sup>(١)</sup> .

٣٧ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ

رَبِّي .. ﴾ [ آية ٣٢ ] .

قال الفراء : الخيرُ في كلام العرب ، والخيلُ واحدٌ<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : في الحديث الشريف ( الخيلُ في نواصيها الخيرُ

إلى يوم القيامة )<sup>(٣)</sup> .

فكانها سميت خيراً لهذا .

وفي الحديث ( لَمَّا وفد زيد الخيل على النبي ﷺ فقال له :

أنت زيدُ الخير )<sup>(٤)</sup> .

---

= من الخيل وغيرها ، قال الفراء : على هذا رأيتُ العربَ ، وأشعارهم تدلُّ على أنه القيامُ خاصة .  
اهـ .

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره : فأما الجيادُ فهي السَّراعُ في الجري . اهـ . زاد المسير ١٢٨/٧ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ .

(٣) الحديث أخرجه الدارمي في الجهاد ، وأحمد في المسند ٣٩/٣ ولقظه « الخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » ورد في البخاري بصيغة « الخيرُ معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة » وفي الأسلوب النبوي الشريف نفحة من نفحات الجمال ، بين لفظ « الخيل » و « الخير » وهذا ما يسمى عند علماء البيان الجناس غير التام .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٦٢/٢ في ترجمة « زيد الخيل » : زيد الخيل بن مهلهل ، وفد

في سنة تسع وسمَّاه النبي ﷺ « زيد الخير » ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال :

« كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكبٌ حتى أناخ ، فقال يا رسول الله : إني أتيتُك من مسيرة تسع =

وهو « زيد بن مُهَلَّهْل » الشاعر .

قال الفراء : المعنى : إني آثرتُ حبَّ الخير <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى : إني أحببتُ  
حبَّ الخير حبًّا ، فألّهاني عن ذكرِ ربِّي <sup>(٢)</sup> .

قال قتادة : عن صلاة العصر <sup>(٣)</sup> .

٣٨ — ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ آية ٣٢ ] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى حتى توارث الشمس <sup>(٤)</sup> ، وأنه قد عُرف  
معنى الضمير ، كما قال :

---

أسألك عن خصلتين فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا زيد الخيل ، قال : بل أنت زيد الخير ..  
الحديث ، وكان شاعراً ، خطيباً ، شجاعاً ، كريماً ، يكنى أبا مكنف . اهـ .

(١) ضمَّن « أحببتُ » معنى « آثرتُ » ولهذا عُذِّي بـ « عن » والمعنى : إني آثرتُ حبَّ الخيل على  
ذكرِ ربِّي ، أو حتى شغلني عن ذكرِ ربِّي ، وهكذا فسره الزجاج ٣٣٠/٤ وانظر معاني القرآن  
للغراء ٤٠٥/٢ .

(٢) ذكره القرطبي ١٩٤/١٥ وقال : هذا على تقدير مصدر ، أُضيف إلى المفعول : أي أحببت  
الخير حبًّا فألّهاني .. إلخ .

(٣) هذا قول جمهور المفسرين ، سلفاً وخلفاً ، قالوا : الصلاة التي فاتته هي صلاة العصر ، وانظر  
ابن كثير ٥٦/٧ وزاد المعير لابن الجوزي ١٢٩/٧ .

(٤) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، وذكر العشي يقتضيها ،  
والمعنى : حتى غابت الشمس ، قال القرطبي ١٩٥/١٥ : يعني الشمس ، وهي كناية عن غير  
مذكور ، كقوله تعالى ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي على ظهر الأرض ، وتقول العرب :  
هاجت باردة أي هاجت الريح باردة . اهـ .

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي  
أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي<sup>(١)</sup>

أي منها ، يعني من الفلاة ، ولم يَجْرِ لها ذكر .

قال أبو إسحق : لما قال : ﴿ بِالْعَشِيِّ ﴾ كان المعنى بعد زوال  
الشمس ، فجاء بالضمير على هذا<sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى أَبُو إِسْحَقَ عَنْ الْحَارِثِ ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
قال : « الصَّلَاةُ الَّتِي فَرَطَ فِيهَا سَلِيمَانُ صَلَاةُ الْعَصْرِ »<sup>(٣)</sup> .

وقيل : حتى توارث بالحجاب ، يعني الخيل .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ : كَانَتِ الْخَيْلُ الَّتِي  
شَغَلَ بِهَا سَلِيمَانُ ، عَشْرِينَ أَلْفَ فَرَسٍ ، فَقَطَّعَهَا<sup>(٤)</sup> .

(١) البيت لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة « لَحَوْلَةَ أَطْلَأَ بَبْرَةَ تَهْمَدُ » كما في ديوانه ص ٤٢ .

(٢) هذا القول هو الأظهر والأشهر ، أن الضمير في قوله ﴿ حَتَّى تَوَارَثَ بِالْحِجَابِ ﴾ يعود إلى  
الشمس ، لأنه يُفْهَمُ من السياق ، كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ ولم يتقدم للنار  
ذكر ، وهذا الذي ذكره المصنف ، قول الزجاج في معانيه ٣٣١/٤ وقد وضَّحه القرطبي فقال :  
وقال الزجاج : إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء ، أو دليل الذكر ، وقد جرى ههنا الدليل  
وهو ذكر « العشي » وهو ما بعد الزوال . اهـ .

(٣) هذا الأثر عن علي رضي الله عنه ، ذكره الطبري ١٥٥/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/٥  
وقال ابن كثير ٥٦/٧ : « ذكر غير واحد من السلف والمفسرين ، أنه اشتغل بعرضها ، حتى  
فأثته وقت صلاة العصر » . اهـ . وهذا القول أنكروه بعض المفسرين وقالوا : تفويت الصلاة ذنبٌ  
لا يفعله سليمان ، وإنما شغلته عن ذكر مخصوص ، كان قد اعتاده وبدل عليه قوله تعالى « عن  
ذكر ربِّي » وانظر التسهيل ٤٠١/٢ والفخر الرازي ٢٠٥/٢٦ وصفوة التفاسير ٥٩/٣ .

(٤) هذا قول لبعض المفسرين أن الضمير في قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَوَارَثَ بِالْحِجَابِ ﴾ يعود إلى الخيل =

٣٩ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾

[ آية ٣٣ ] .

قال الحسن : في قوله تعالى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ فَقَطَّعَ أَسْوَقَهَا وَأَعْنَاقَهَا <sup>(١)</sup> ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ جَلَّ وعَزَّ مَكَانَهَا خَيْرًا مِنْهَا <sup>(٢)</sup> .

وقيل : معنى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا ﴾ : أَقْبَلَ بِمَسْحِهَا يَدَهُ ، من غير قِتْلٍ ، كما رَوَى ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : يَقُولُ : جَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ ، وَعَرَاقِيهَا ، حُبًّا لَهَا <sup>(٣)</sup> .

= لا إلى الشمس ، واختاره أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٦/٧ حيث قال : والظاهر أن الضمير في « تَوَارَتْ » عائد على الصافنات — يعني الخيل — أي دخلت اصطبلاتها فهي الحجاب ، أو توارت في السباق حتى حجبت عن النظر . اهـ .

(١) قيل : كانت عشرين فرساً ذكره الطبري ، وقيل : كانت عشرين ألفاً ، قال ابن كثير وهذا أشبه ، والأثر الذي ذكره المصنف ، رواه أبو حاتم عن إبراهيم التيمي .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٦/٢٣ وابن الجوزي ١٣١/٧ وابن كثير ٥٧/٧ ولفظ الطبري : وقال الحسن البصري : « قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي ، آخر ما عليك ، فكسف عراقيها بضرب أعناقها » وهذا قول قتادة أيضاً ، وقال السدي : ضرب سوقها وأعناقها . اهـ .

(٣) هذا القول عن ابن عباس ذكره الطبري ١٥٦/٢٣ وهو رواية أخرى عنه ، واختاره ابن جرير ورجحه ، وقال ما نصه : « وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله ﷺ لم يكن — إن شاء — ليعذب حيواناً بالعرقبة — أي قطع الركبة والساق — ويهلك مالاً من ماله بغير سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته ، بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بذلك . اهـ .

قال الحافظ ابن كثير ٥٧/٧ بعد أن ذكر رواية ابن جرير : « وهذا الذي رجح ابن جرير فيه نظر ، لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضباً لله عز وجل ، بسبب =

ومن قال : قَتَلَهَا ، فذلك على أنه ذكاة ، أو أنه أبيض ذلك ، كما روي عن عبدالله بن عمر ، أنه أعجبه غلامٌ فأعتقه <sup>(١)</sup> .

٤٠ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ آية ٣٤ ] .

قد رُوِيَ في ذلك أخبارٌ :

أ — منها أن شيطانا غَلَبَ على ملكه أَيَّاماً <sup>(٢)</sup> .

== أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ، ولهذا لما خرج عنها لله تعالى ، عَوَّضَهُ الله ما هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمره رُخاء حيث أصاب ، غدوُّها شهر ورواحها شهر ، فهذا أسرع وخير من الخيل . اهـ .

وقال ابن الجوزي في تفسيره ١٣٢/٧ : والمفسرون على القول الأول ، وقد اعترضوا على القول الثاني وقالوا : أي مناسبة بين شغلها إياه عن الصلاة ، وبين مسح أعرافها حباً لها ؟ قال : ولا أعلم قوله « حباً لها » ثبت عن ابن عباس ، وحملوا قول مجاهد « مسحاً بيده » أي تولَّى ضرب أعناقها بنفسه . اهـ .

أقول : وقد انتصر الإمام الفخر الرازي لما ذهب إليه الطبري من أن المراد المسح باليد ، وأنه مسح سوقها وأعناقها إكراماً منه لها ، لأنها آلة الجهاد ، واستبعد رواية الجمهور القائلين بالذبح ، والعقر من ستة وجوه ، فانظر إليها في تفسيره الكبير ٢٠٥/٢٦ ولكن يمكن أن يقال : إنما عقرها لياكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقرباً إلى الله ، ولعل كسف العراقيب ليتأتى ذبحها بسهولة ، وأما ما قيل : إنه أتلَّفها حيث شغلته عن عبادة الله ، فهو قول باطل لا ينبغي أن يُتلفَت إليه ، وحاشا نبي الله أن يُتلف مالا محترماً ، مجرد أنه شُغل به عن عبادة الله ، وله طريق إلى الانتفاع به بما يُرضي الله ، والله أعلم .

(١) هذا من سيرة السلف الصالح ، أنهم إذا استحسنوا شيئاً وأحبوه ، تصدقوا به ، عملاً بقوله تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ الآية .

(٢) هذا القول من الأخبار الإسرائيلية التي لا ينبغي التعويل عليها ، لمخالفتها العقل والنقل ، فإن الله عز وجل لم يجعل للشيطان سلطاناً على عبادة المؤمنين ، حيث قال ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ==

ب — ومنها أن الشَّيَاطِينَ قَتَلْتُ ابْنَهُ ، خوفاً من أن يملكهم بعده ، وَأَلْقَيْتُهُ عَلَى كَرْسِيِّهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ <sup>(١)</sup> .

والكلامُ يوجب أنه أزيل ملكه ، فجلس آخرُ على كَرْسِيِّهِ <sup>(٢)</sup> .

٤١ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ آية ٣٥ ] .

أي أعطني فضيلةً ومنزلةً كما قال إبراهيم ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ

---

== سلطان إلا من أتبعك من الغاوين ﴿ فكيف يجعل له سلطاناً على الأنبياء والمرسلين ؟ وما أشار إليه المصنف هو رواية واهية ، ذكرها بعض المفسرين في كتبهم ، وتلخص في أن نبي الله سليمان عليه السلام كان له زوجة تسمى « جرادة » وكانت أحبَّ نساءه إليه ، وكان له خاتم فيه اسم الله ، هو خاتم ملكه ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه توقيراً لاسم الله تعالى ، ولم يأتمن أحداً من الناس غيرها ، وأعطاهها يوماً خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي الخاتم ، فأعطته إياه ، فجاء حتى جلس على كرسي سليمان ، يأمر وينهى ، والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان بعد ذلك ، فسألها أن تعطيه الخاتم ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، فخرج من القصر تائهاً ، ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً ، فأنكر الناس أحكامه ، وألقى الشيطان الخاتم في البحر ، فابتلعه سمكة ، فبينما هو يوماً على شطِّ نهر ، وجد سمكة فأخذها ، فشقَّ بطنها فوجد خاتمه ، فليس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه .. إلى آخر ما هنالك من روايات واهية لا يوثق بها لأنها من أباطيل أهل الكتاب ، قال الحافظ ابن كثير — بعد أن أورد بعض تلك الآثار — : ولهذا كان في هذا السياق منكرات ، وكلها متلقة من قصص أهل الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير عن الشعبي ١٣٥/٧ وهي كسابقتها ضعيفة غير صحيحة .

(٢) ليس لدينا نص صريح قاطع ، يدل على زوال ملك سليمان ، كما قال المصنف .



## تُخَيِّمُ الْمَوْتَى ﴿١﴾ ؟

٤٢ — وقوله جل وعز : ﴿ فَسَعَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ آية ٣٦ ] .

قال قتادة : الرُّخَاءُ : اللَّيْنَةُ (٢) .

قال الحسن : الرُّخَاءُ : ليست بعاصفة ، ولا هَيِّنَةٌ ، بين ذلك (٣) .

ورَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ : قال : مطيعةٌ حيثُ أراد (٤) .

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ : أَصَابَ الصَّوَابَ ، فَأَخْطَأَ الْجَوَابَ .

أي أراد الصَّوَابَ ، وحقيقته في اللغة أنه بمعنى قَصَدَ ، من قولهم : أَصَبْتُ ، أي قَصَدْتُ فلم تُخْطِئْ (٥) .

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠ .

(٢) مأخوذ من الرخاوة وهي اللين ، وانظر الأثر في تفسير الطبري ١٦٠/٢٣ وابن الجوزي ١٤٠/٧ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٦٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٤/٥ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ١٦١/٢٣ وأبو حيان في البحر ٣٩٨/٧ وابن الجوزي ١٤٠/٧ قال في التسهيل ٦٥/٣ : فإن قيل : كيف قال هنا ﴿ رُخَاءً ﴾ أي لينة ، وقال في الأنبياء ﴿ عاصفة ﴾ وهي الشديدة ؟ فالجواب : أنها كانت في نفسها لينة طيبة ، وكانت تسرع في جريها كالعاصف ، فجمعت الوصفين .

(٥) هذا قول الزجاج أيضاً ٣٣٣/٤ أن ﴿ أَصَابَ ﴾ بمعنى أراد ، قال في البحر ٣٩٨/٧ : أصاب أي « أراد » لغة حمير ، وأنشد الثعلبي :

أَصَابَ الْكَلَامَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَأَخْطَأَ الْجَوَابَ لَدَى الْمِسْفُصِلِ

٤٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴾ [ آية ٣٧ ] .

أي مَنْ يَبْنِي له المحارِب والتماثيل ، ومن يغوص في البحر ،  
فيخرجُ الحِلْيَةَ<sup>(١)</sup> .

وقوله جل وعز : ﴿ وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾

[ آية ٣٨ ] .

قال قتادة : أي في الأغلال<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : صَفَدْتُ الرجلَ إذا شَدَدْتَهُ ،  
وأَصْفَدْتُهُ : أعطَيْتُهُ<sup>(٣)</sup> .

٤٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[ آية ٣٩ ] .

---

(١) قال المفسرون : إن سليمان هو أول من استخرج الدرَّ ، كانت الشياطين يغوصون أعماق البحار ، فيستخرجون له ، قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره هذه الآية ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴾ أي منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محارِب ، وتماثيل ، وجفان ، كالجواب ، وقُدُور راسيات ، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة ، التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار ، يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر ، والأشياء النفيسة التي لا توجد إلَّا فيها .

(٢) الأثر ذكره القرطبي عن قتادة ٢٠٦/١٥ والسيوطي في الدر المشور ٣١٤/٥ عنه قال : مرَدَةُ الشياطين في الأغلال ، وهذا قول أهل اللغة أيضاً قالوا : الأصْفَاد : السلاسل والأغلال ، واحداً صَفْدٌ ، قال الشاعر :

فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَابِ      وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

(٣) قال في اللسان مادة « صَفَدَ » : صَفَدْتُ الرجلَ فهو مصفود أي شددته وقيدته بالحديد ، وأَصْفَدْتُهُ إصْفَاداً ، أي أعطيته مَالاً ، أو وهبت له شيئاً . اهـ .

قال الحسن والضحاك : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ : المُلْكُ ، فَأَعْطِ  
وَأَمْنَعُ<sup>(١)</sup> .

وقال قتادة : هؤلاء الشياطينُ ، فاحبس من شئت ، وسرِّح  
من شئت<sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عباس : كان له ثلاثمائة امرأة ، وتسعمائة سُرِّيَّة ،  
هذا عطاؤنا<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وأولها الأول ، لأن الأول مشتمل على كل ما  
أُعطي ، وهو عقيب تلك الأشياء .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٦٢/٢٣ والقرطبي ٢٠٦/١٥ قال : والإشارة بهذا إلى الملك ، أي هذا  
المُلْكُ عطاؤنا ، فَأَعْطِ من شئت ، وأمنع من شئت ، لا حساب عليك ، قاله الحسن  
والضحاك . اهـ .

أقول : وهو أصحُّ الأقوال في معنى الآية ، قال أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ : ﴿ هذا  
عطاؤنا ﴾ إشارة لما أعطاه الله تعالى من المُلْكِ الضخم ، وتسخير الريح ، والإنس ، والجن ،  
والطير ، وأمره بأن يمين على من يشاء ، ويمسك عمن يشاء ، أعلمه تعالى قدر النعمة ، ثم أباح له  
التصرف فيها بمشيئته ، وهو تعالى يعلم أنه لا يتصرف إلا بطاعة الله . اهـ . وهو اختيار ابن  
كثير .

(٢) هذا الأثر عن قتادة أخرجه أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ والطبري في جامع البيان ١٦٢/٢٣  
وابن الجوزي ١٤١/٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/٢٣ عن ابن عباس ، والقرطبي ٢٠٦/١٥ وهو قول ضعيف ، يكاد  
لا يصحُّ عن ابن عباس ، وقد ذكر الغرناطي في التسهيل ٤٠٤/٣ أن القول الأول أحسن ، وهو  
قول ابن عباس ، وقال في البحر ٣٩٩/٧ : روي عن ابن عباس أن قوله تعالى ﴿ هذا  
عطاؤنا ﴾ : إشارة إلى ما وهب من النساء ، وأقدره عليهن من جماعهن ، ولعله لا يصح عن ابن  
عباس ، لأنه لم يجر هنا ذكر النساء ، ولا ما أُوتي من القدرة على ذلك . اهـ .

وَرَوَى سَفِيَّانُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
﴿ فَأَمْنُنْ ﴾ أَيِ أَعْطِ ، ﴿ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ : أَيِ أَمْسِكْ  
فَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ <sup>(١)</sup> .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ : أَيِ  
بِغَيْرِ حَرْجٍ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : لَيْسَ أَحَدٌ يَنْعَمُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ ، إِلَّا وَهُوَ يُحَاسِبُ  
عَلَيْهَا ، إِلَّا سَلِيمَانُ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ أَيِ بِغَيْرِ نَقْتِيرٍ <sup>(٢)</sup> .  
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى : لَا يُحَاسِبُ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> .

٤٥ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾  
[ آيَةُ ٤٠ ] .

قَالَ قَتَادَةُ : أَيِ حَسَنُ مُصِيرٍ <sup>(٤)</sup> .

٤٦ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ ، أَنِّي مَسْنِيَّ  
الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ آيَةُ ٤١ ] .

(١) هذا القول عن ابن عباس يرجع ما ذهبنا إليه أن المراد بالعطاء الملك لا النساء ، وقد ذكره في

الدر المنثور ٣١٥/٥ وعزاه إلى مجاهد والحسن البصري .

(٢) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣١٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤١/٧ .

(٣) هذا قول عكرمة كما في الدر المنثور ٣١٥/٥ : قال : ما أعطيت أو أمسكت ، فليس عليك فيه  
حساب . اهـ .

(٤) هذا تفسير للمآب ، والمآب في اللغة العربية معناه : المرجع والمصير ، وأما « الزُلْفَى » فمعناها  
القرية والكرامة ، ومعنى الآية : إن له عندنا لمكانة رفيعة في الدنيا ، وحسن مرجع في الآخرة .

وَيُرَوَّى عَنْ الْحَسَنِ ، وَالْجُحْدَرِيِّ ، وَأَبِي جَعْفَرٍ  
 ﴿نَصَبٌ﴾<sup>(١)</sup> بفتح النون والصَّاد ، وهما عند أكثر أهل اللغة بمعنى  
 واحد ، كما يُقال : حُزِنَ ، وَحَزِنَ ، إِلَّا أَنَّ الْقَتِيَّ حَكَى أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ  
 قَالَ : النَّصَبُ : الشَّرُّ ، وَالنَّصَبُ : الإِغْيَاءُ<sup>(٢)</sup> .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يُقَالُ : أَنْصَبَهُ ، يُنْصَبُهُ : إِذَا عَذَّبَهُ  
 وَأَذَاهُ ، وَمِنْهُ :

« كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٌ »<sup>(٣)</sup>

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَى ﴿أَنْتَى مَسْنِيَّ  
 الشَّيْطَانِ نَصَبٍ وَعَذَابٍ﴾ مَا رَوَاهُ يَوْسُفُ بْنُ مَهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
 قَالَ :

« لَمَّا أَصَابَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَلَاءُ ، أَخَذَ إِبْلِيسُ تَابُوتًا ، وَقَعَدَ عَلَى

(١) فِي هَذِهِ آيَةُ ثَلَاثِ قِرَاءَاتٍ :

الْأُولَى : « نَصَبٌ » بضم النون وإسكان الصَّاد ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ ، حَفْصٌ ، وَعَاصِمٌ ،  
 وَأَبُو بَكْرٍ .

الثَّانِيَّةُ : « نَصَبٌ » بفتح النون والصَّاد ، وَهِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ ، وَالْجُحْدَرِيِّ .

الثَّالِثَةُ : « نَصَبٌ » بضم النون والصَّاد ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَانْظُرِ النَّشْرَ فِي الْقِرَاءَاتِ

الْعَشْرَ ٣٦٢/٢ .

(٢) انْظُرْ مَجَازَ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ١٨٤/٢ فَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ اللُّغَةِ .

(٣) هَذَا شَطْرُ بَيْتٍ لِلنَّابِغَةِ وَتَمَامُهُ كَمَا فِي دِيْوَانِهِ ص ٤٠ وَهُوَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ :

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيٍّ بَطِيٍّ الْكَوَكِبِ

وَانْظُرْ مَجَازَ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ١٨٤/٢ وَاللِّسَانَ مَادَّةَ نَصَبٍ ، وَالطَّبْرِيَّ ١٦٥/٢٣ .

الطريق يداوي النَّاسَ ، فجاءته امرأة أيوب ، فقالت : أئداوي رجلاً ،  
به عِلَّةٌ كَذَا ، وَكَذَا ؟ فقال : نعم بشرطٍ واحد ، على أنِّي إذا شَفَيْتُهُ  
قال لي : أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، لا أريدُ منه أجراً غيرَ هذا .

فجاءت امرأةُ أَيُّوبَ إلى أَيُّوبَ فَأَخْبَرَتْهُ ، فقال لها : ذاك  
الشَّيْطَانُ ، وَاللَّهِ لَعْنُ بَرَأْتُ لِأُضْرِبَنَّكَ مِائَةً ، فلما بَرَأَ ، أَخَذَ شِمْرَاحاً<sup>(١)</sup>  
فيه مائة ، فَضَرَبَهَا بِهِ ضَرْبَةً<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : فمعنى التَّضَبُّبِ على هذا ، هو ما ألقاه إليه ،  
أي يكون شيئاً وسوس به .

---

(١) الشَّمْرَاحُ : هو عنقود النخيل وهو بمنزلة العنقود في العنب قال في اللسان : الشَّمْرَاحُ  
والشَّمْرُوخُ : العُثْكَالُ — أي العنقود — الذي عليه البُسْرُ ، وأصله في العِذْقِ وجمعه شَمَارِخُ .

(٢) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في زاد المسير ١٤٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٦/٥ والقرطبي  
في جامع الأحكام ٢١٢/١٥ وهي من الإسرائيليات الباطلة .

أقول : وقد رويت آثار كثيرة هي من الأخبار الإسرائيلية ، ضربنا صفحاً عنها ، لأنها لا  
تناسب مناصب الأنبياء ، الذين نزهمهم الله ، وعصمهم عن كل ما يشين ، منها أنه أصيب  
بالجذام ، وأنه مرض حتى تساقط لحمه .. إلخ . قال ابن العربي القاضي فيما نقله عنه القرطبي :  
ولن يصحَّ عن أيوب في أمره ، إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين : الأولى قوله تعالى  
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ والثانية في « ص » ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ  
وَعَذَابٍ ﴾ وأما النبي ﷺ فلم يصحَّ عنه أنه ذكره بحرف واحد ، إلا قوله « بينا أيوب يغتسل إذ  
خرَّ عليه رجلٌ من جراد من ذهب .. » الحديث . وإذا لم يصح عنه فيه قرآن وسنة إلا ما  
ذكرناه ، فمن الذي يوصل سامع إلى أيوب خبره ؟ أم على أي لسان سمعه ؟ والإسرائيليات  
مرفوضة عند العلماء ، فأعرض عن سطورها بصرك ، واضمَّمْ عن سماعها أذنيك ، فإنها لا  
تعطي فكرك إلا خيالاً ، ولا تزيد قوَّادك إلا خيالاً » . اهـ . نقلًا عن القرطبي ٢١٠/١٥ .

فَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّ « النَّصْبَ » مَا أَصَابَهُ فِي بَدَنِهِ ،  
و« الْعَذَابُ » مَا أَصَابَهُ فِي مَالِهِ ، فَبَعِيدٌ<sup>(١)</sup> .

قال مجاهد عن ابن عباس : ضَرَبَهَا بِالْأَسْلِ<sup>(٢)</sup> .

قال قتادة : أَخَذَ عُودًا ، فِيهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ عُودًا ، وَهُوَ تَمَامُ  
المِائَةِ ، فَضَرَبَهَا بِهِ<sup>(٣)</sup> .

قال مجاهد : هَذَا لَهُ خَاصٌّ<sup>(٤)</sup> .

وقال عطاء : هَذَا لِجَمِيعِ النَّاسِ<sup>(٥)</sup> .

قال أبو جعفر : الْبَيِّنُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ خَاصٌّ<sup>(٦)</sup> ، لِأَنَّهُ قَالَ

---

(١) قال في تهذيب اللغة : الأسل : نبات له أغصان كثيرة دقيقة ، لا ورق له . اهـ .

(٢) هذا القول مروى عن السدي ، نقله عنه صاحب البحر ٤٠٠/٧ والراجح أن المراد بالنصب التعب والمشقة ، وبالعذاب المرض الذي كان يقاسي فيه أنواع الوصب .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٦٩/٢٣ ولفظه قال : « كانت امرأته قد عرضت له بأمر ، وأرادها إبليس على شيء ، فحلف نبي الله لئن شفاه الله ، ليجلدنّها مائة جلدة ، فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيباً ، والأصل تكملة المائة ، فضرَبها ضربة واحدة ، فبرّت يمينه ، وخفّف الله عن امرأته ، والله رحيم » .

(٤ — ٥) الأثران ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٣١٧/٥ قال ابن الجوزي ١٤٤/٧ : وهل ذلك خاصٌّ له ، أو هو عام ؟ فيه قولان : أحدهما أنه عام ، وبه قال ابن عباس وعطاء ، والثاني أنه خاص لأَيُّوب قاله مجاهد ، وقد اختلف العلماء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط ، فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة ، فقال مالك : لا يبرُّ ، وبه قال أصحابنا — يعني الحنابلة — وقال أبو حنيفة والشافعي : إذا أصابه بالضربة الواحدة كل واحد منها فقد برَّ ، واحتجوا بعموم قصة أيوب عليه الصلاة والسلام . اهـ . نقلًا عن زاد المسير .

(٦) ما ذهب إليه المصنف هو الأرجح ، أن ذلك خصوصية لأَيُّوب عليه السلام ، قال المفسرون : =

﴿ وَلَا تُحْنَتْ ﴾ فَاسْقَطَ عَنْهُ الْحِثَّ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ  
﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ وَمَنْ جُلِدَ بِشِمَارِخٍ فِيهِ مَاءٌ ، فَإِنَّمَا  
جُلِدَ جَلْدَةً وَاحِدَةً .

٤٧ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ ،  
أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ آية ٤٥ ] .

رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ أُولِي الْأَيْدِي ﴾  
قَالَ : الْقُوَّةُ ، وَالْعِبَادَةُ ﴿ وَالْأَبْصَارِ ﴾ قَالَ : الْفَقْهُ فِي دِينِ اللَّهِ جَلَّ  
وَعَزَّ (١) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَاحِدُ « الْأَيْدِي » يَدٌ ، وَالْيَدُ تَقَعُ لِلْقُوَّةِ .  
وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : ﴿ أُولِي الْأَيْدِ ﴾ بِلَا يَاءٍ (٢) .

---

= جازاها الله بحسن صبرها على زوجها ، أن أفتاه بضربها بحزمة قضبان ، فجمع لها مائة عود ،  
فضربها بها ضربة واحدة ، فسَهَّلَ الأمرَ عليها لتقواها ، وما يدل على الخصوصية أنه لو جمع في  
الحَدِّ — في الزنى أو القذف — للمضروب بين الجلدات ، فجلده دفعة واحدة لا يجزئ ، والله  
أعلم .

(١) الأثر ذكره الطبري ١٧٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٨/٥ قال الطبري : وذكر الأيدي  
مَثَلٌ ، وذلك لأن باليد البطش ، وبالبطش تعرف قوة القوي ، وعنى بالبصر بصر القلب ، وبه  
تنال معرفة الأشياء . اهـ .

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٣٣/٢ قال القراء في معاني القرآن  
٤٠٦/٢ : وفي قراءة عبد الله ﴿ أُولِي الْأَيْدِ ﴾ وفيها وجهان : أحدهما أنه أراد الأيدي فحذف  
الياء وهو صواب مثل الجوار ، والمناد ، والثاني أن يكون من القوة والتأييد . اهـ .



وهذا بين من قولهم : أَيَّدَهُ إِذَا قَوَّاهُ <sup>(١)</sup> .

٤٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾

[ آية ٤٦ ] .

قال قتادة : أي يُذَكَّرُونَ بِالْآخِرَةِ ، وبطاعةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ بينٌ ، أي إنهم يُزَهِّدُونَ في الدنيا ،  
وَيُرَغِّبُونَ في الآخرة ، وكذا الأنبياءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ .

وقال الضحاك : أي بخوفِ الآخرة <sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول : أنهم يُذَكَّرُونَ  
الْآخِرَةَ ، وَيُرَغَّبُونَ فِيهَا ، وَيَزَهَّدُونَ في الدنيا .

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ وقوله لحمد ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال الطبري ١٧١/٢٣ : وقراءة عبد الله « أُولَى الْأَيْدِ » يحتمل أن يكون ذلك من التأييد ، وأن يكون بمعنى « الأيدي » ولكنه أسقط منه الياء ، كما في قوله تعالى ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ ﴾ بحذف الياء . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٧١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٤٧/٥ قال ابن جرير والمعنى : أنهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ، وهكذا قال قتادة : كانوا يدعون إلى الآخرة ، وإلى الله . اهـ .

(٣) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر ٤٠٢/٧ وعزاه إلى مجاهد ، حيث قال ما نصُّه « خلص لهم ذكرهم الدار الآخرة ، وخوفهم لها ، والعمل بحسب ذلك » . اهـ .

أقول : وأولى الأقوال ما روي عن عطاء ، ومجاهد ، والسدي : أن المعنى أخلصناهم بذكر الآخرة ، فليس لهم ذكر غيرها ، وليس لهم همٌ إلا العمل لها ، زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة ، وفيما عند الله ، وهذا ما رجحه المصنف ، وهو أظهر الأقوال ، وانظر تفسير ابن كثير ٦٧/٧ والبحر المحيط ٤٠٢/٧ .

وهذا القول ظاهرٌ معنى الكلمة .

وقد يكون من صفتهم أيضاً الترغيبُ في الآخرة .

وهذان التأويلان على قراءةٍ من قرأ بالتنوين<sup>(١)</sup> .

ومن أضاف قال معناه : أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة .

هذا قول ابن زيد<sup>(٢)</sup> .

والمعنى على هذا القول : أنهم يُذكِّرون بالآخرة ، ويُرغَّبون فيها ،  
ويُزَهَّدون في الدنيا .

وفي القراءة بالإضافة قولٌ آخر ، وهو قول مجاهد ، يكون  
المعنى : إِنَّا أخلصناهم بأن ذكرنا الجنة لهم<sup>(٣)</sup> .

٤٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لِمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾  
[ آية ٤٧ ] .

---

(١) أشار المصنف إلى أن هناك قراءتان : القراءة الأولى ﴿بخالصةٍ ذكرى الدار﴾ بالتنوين وهي قراءة الجمهور ، والقراءة الثانية بالإضافة ﴿بخالصةٍ ذكرى الدار﴾ وبها قرأ نافع وحده ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ٥٥٤/٢ .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٧١/٢٣ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٠٢/٧ وابن كثير ٦٧/٧ ولفظه : وقال ابن زيد « جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة » . اهـ . وقال الطبري : « بخالصة ذكرى الدار » أي بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به ، وأعطيناهم إياه ، قاله ابن زيد : قال : والدار هي الجنة ، وقرأ ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً » . اهـ .

(٣) أي ذكرنا لهم الجنة فجذبوا واجتهدوا في طلبها والعمل لها ، فكانوا بحق عباداً لله ، وقد ذكر هذا المعنى الطبري .

أي هم مصطفون من الذنوب ، والأدناس<sup>(١)</sup> .

٥. — وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَادْكُرْ إسمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ آية ٤٨ ] .

قال الأشعري : قيل « ذو الكفل » لأنه كفل بعمل رجل صالح ، كان يصلي في كل يوم مائة صلاة ، فأنشئ الله جلَّ وعزَّ عليه بحسن كفالاته ، ولم يكن نبياً<sup>(٢)</sup> .

وقيل : كفل لبعض الملوك بالجنة ، وكتب له كتاباً بذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) قال ابن الجوزي عند تفسيره هذه الآية ١٤٧/٧ ﴿ وإنيهم عندنا من المصطفين الأخيار ﴾ أي من الذين اتخذهم الله صفوة ، فصفاهم من الأدناس ﴿ الأخيار ﴾ الذين اختارهم له . اهـ . وهو أوضح مما قاله المصنف .

(٢) الأثر أخرجه ابن كثير ٣٥٩/٥ والطبري ٧٥/١٧ قال الحافظ ابن كثير : وأما « ذو الكفل » فالظاهر من السياق أنه ما قرُن مع الأنبياء ، إلا وهو نبي ، وقال آخرون : إنما كان رجلاً صالحاً ، وكان ملكاً عادلاً ، وحكماً مقسطاً ، وتوقف ابن جرير في ذلك . اهـ .

أقول : الصحيح أنه من الأنبياء ، من أنبياء بني إسرائيل ، فإن ذكره في جملة الأنبياء ، الذين أثنى الله عليهم ذلك الثناء العاطر ، واختارهم من بين سائر الخلق ، وذكر أنهم من الصفوة الأخيار ، دليل على نبوته ، وهذا مذهب الجمهور ، والله أعلم .

(٣) هذا الأثر ذكره القرطبي في تفسيره عن كعب ٣٢٨/١١ ولفظه : « كان في بني إسرائيل ملك كافر ، فمرَّ ببلاده رجل صالح ، فقال : والله لا أخرج من هذه البلاد حتى أعرض على هذا الملك الإسلام ، فعرض عليه ، فقال : ما جزائي ؟ قال : الجنة — ووصفها له — قال : من يتكفل لي بذلك ؟ أنا ، فأسلم الملك وتخلَّى عن المملكة ، وأقبل على طاعة ربه حتى مات ، فدفن في قبره ، فأصبحوا فوجدوا يده خارجة من القبر ، وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بنور أبيض : إن الله قد غفر لي ، وأدخلني الجنة ، ووفى عن كفالة فلان ، فسمي ذا الكفل . اهـ .

والكِفْلُ في اللغة : النَّصِيبُ ، والحِظُّ .

٥١ - وقوله جل وعز ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ آية ٤٩ ] .

﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ أي شرفٌ ، وذكر حسنٌ في الدنيا<sup>(١)</sup> .  
ثم قال ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ أي لهم مع الذكر  
الحسن في الدنيا ، حسنٌ مرجع في الآخرة .

٥٢ - ثم بين ذلك فقال ﴿ جَنَاتٍ عَذْنٍ مُفْتَحَةٍ لَهُمْ الأبواب ﴾ [ آية ٥٠ ] .  
أي أبوابها<sup>(٢)</sup> :

٥٣ - وقوله جل وعز : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَاتٍ ﴾ [ آية ٥٢ ] .

رَوَى سعيد عن قتادة قال : قَصَرْنَ طرفهنَّ على أزواجهنَّ ،  
فلا يُردن غيرهم<sup>(٣)</sup> .  
قال أبو جعفر : وأنشد أهل اللغة :

---

(١) قوله تعالى ﴿ هذا ذكر ﴾ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة ، من ذكر أخبار الأنبياء ، وكأن  
قوله ﴿ هذا ذكر ﴾ ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده في كلام آخر فقال ﴿ وإن  
للمتقين .. ﴾ كما يُتم المؤلف باباً ، ثم يقول : فهذا باب ، ثم يشرع في آخر .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٤٠٨/٢ : إنما رُفعت الأبواب لأن المعنى : مُفْتَحَةٌ لهم أبوابها ،  
والعرب تجعل الألف واللام خَلْفاً من الإضافة ، فيقولون : مررت على رجل حسن العين ، قبيح  
الأنف ، والمعنى : حسنة عينه ، قبيح أنفه . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٥٧/٧ والطبري في جامع البيان ١٧٤/٢٣ والقرطبي في =

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَوَدَبَ مُحَوَّلٌ  
مِنَ الذَّرَفُوقِ الْإِثْبُ مِنْهَا لَأَثَرًا<sup>(١)</sup>

الْإِثْبُ : الْجِلْدُ<sup>(٢)</sup> .

ثم قال تعالى ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ .

قال قتادة على سِنٍّ واحدة<sup>(٣)</sup> .

قال مجاهد : أي أمثال<sup>(٤)</sup> .

وَحَكَى السُّدِّيُّ : متواخيات ، لايتعادين ، ولا يتغايرون<sup>(٥)</sup> .

٥٤ — وقوله جَلَّ وعز ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ آية ٥٤ ] .

أي انقطاع .

= الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١٥ والمعنى أنهم متعجبات إلى أزواجهن ، قد قصرن نظرهن عليهم ، ولا تطمح أعينهن إلى غيرهم ، تغفلاً وحسن صحبة .

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٦٨ ، وانظر تهذيب الأزهري ٣٥٩/٨ ، ولسان العرب مادة قصر ، واستشهد به القرطبي ٢٢٠/١٥ والمُحَوَّلُ : الذي أتى عليه الحول ، وهو كناية عن الصغير ، يقول : لو مرت ذرة صغيرة على ثوبها لأثرت في جلدها لنعومتها ورقة بشرتها .

(٢) أصل الإثب في اللغة : ثوب رقيق له جيب ، وليس له كَمَان ، ويسميه العرب : البُقيرة ، كذا في اللسان ، والقاموس .

(٣ — ٤) ذكرهما الطبري ١٧٥/٢٣ وأبو حيان في البحر ٤٠٥/٧ قال : ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ أمثال على سِنٍّ واحدة ، قال الزجاج ٣٣٨/٤ : والأتراب : اللواتي أسنانهن واحدة ، وهنَّ في غاية الشباب والحسن . اهـ .

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٧٥/٢٣ عن السدي ولفظه : ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ مستويات ، متواخيات ، لا يتباغضن ، ولا يتعادين ، ولا يتغايرون ، ولا يتحاسدن . اهـ . ومراده أنهم على أكرم الخصال ، ليس فيهن بغضاء ، ولا عداوة ، ولا حسد .

قال السدي : كَلَّمَا أَخَذَ مِنْهُ شَيْءٌ ، عَادَ مِثْلُهُ <sup>(١)</sup> .

٥٥ — وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ آية ٥٧ ] .

يجوز أن يكون المعنى : هذا حميمٌ وغَسَّاقٌ ، فَلْيَذُقُوهُ .

ويجوز أن يكون المعنى : هذا فَلْيَذُقُوهُ ، منه حميمٌ ، ومنه غَسَّاقٌ <sup>(٢)</sup> ، كما قال الشاعر :

لَهَا مَتَاعٌ وَأَعْوَانٌ غَدُونٌ لَهَا

قَتْبٌ ، وَغَرَبٌ إِذَا مَا أُفْرِغَ انْسَحَقًا <sup>(٣)</sup>

قال قتادة : كنا نُحَدِّثُ أَنَّ الْغَسَّاقَ : ما يَسِيلُ من بين الجِلْدِ ، واللحم <sup>(٤)</sup> .

قال الفراء : — وهو مذهب الضحاك — قيل : الغَسَّاقُ شَيْءٌ

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٧٥/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤٨/٧ قال القرطبي ٢٢٠/١٥ والآية دليل على أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع كما قال تعالى ﴿ عطاء غير مجدود ﴾ وقال : ﴿ أَكَلْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا ﴾ .

(٢) وضَّحه الفراء في معاني القرآن ٤١٠/٢ فقال : في الآية تقديم وتأخير ، تقديره : هذا حميمٌ وغَسَّاقٌ فَلْيَذُقُوهُ ، وإن شئت جعلت الحميم مستأنفاً ، وجعلت الكلام قبله مكتفياً ، كأنك قلت : هذا فَلْيَذُقُوهُ ، ثم قلت منه حميمٌ ، ومنه غَسَّاقٌ .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في ديوانه ص ٣٩ يصف الناقة التي يُسْتَقَى عليها الماء ، والغَرَبُ : الدَّلُو العظيمة ، والقَتْبُ بالكسر : أداة السقي ، وقد استشهد به القرطبي في تفسيره ٢٢١/١٥ .

(٤) انظر الطبري ١٧٧/٢٣ وابن الجوزي ١٥٠/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٨/٥ .

باردٌ ، يُحرق . كما يُحرقُ الحميمُ<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : قول قتادة أولى ، لأنه يُقال : غَسَقَتْ عينُهُ :  
إذا سالت .

وقال ابن زيد : الحميمُ : دموعُ أعينهم ، يُجمَعُ في حياضِ  
النَّارِ ، يُسَقَوْنَهُ<sup>(٢)</sup> .

والغَسَّاقُ : الصَّدِيدُ الذي يخرجُ من جلودهم .

والاختيار على ذلك ﴿ غَسَّاقٌ ﴾ حتى يكون مثل سيال<sup>(٣)</sup> .

٥٦ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ آية ٥٨ ] .

---

(١) هكذا ذكره الفراء في معاني القرآن ٤١٠/٢ بلفظه ثم قال : ويُقال إنه ما يغسيق ، ويسيل من  
صديدهم وجلودهم . اهـ .

أقول : قول قتادة أقرب وأظهر ، وهو أشبه باللغة ، قال في لسان العرب : غَسَقَ الجُرْحُ  
غَسْقًا : أي سال منه ماء أصفر ، قال الشاعر :

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْحَيَاةَ وَطَبِيعَهَا      إِلَيَّ جَرَى دَمْعٌ مِنَ اللَّيْلِ غَامِيقُ

فمعنى الغاسق : السائل ، وهو كما قال محمد بن كعب : عصارة أهل النار ، وما يسيل من  
جلودهم ، من الصَّدِيدِ والدم ، وهو ما رجحه الطبري ١٧٧/٢٣ .

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٧٦/٢٣ والقرطبي ٢٢٢/١٥ عن ابن زيد ، وهو خلاف ما اشتهر  
عند المفسرين أن الحميم هو : الماء الحار الذي تناهى حرُّه ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وَسُقُوا مَاءً  
حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ وقوله ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آن ﴾ أي قد بلغ أقصى غاية الحرارة .

(٣) نَبَّهَ المصنف على أن قراءة ﴿ غَسَّاقٌ ﴾ بالتشديد هي القراءة المختارة ، وهي قراءة الجمهور ،  
لتكون بمعنى سيال لغةً ووزناً ، وقراءة التخفيف ﴿ غَسَّاقٌ ﴾ قراءة نافع ، وابن كثير ، وكلاهما  
من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٥ .

وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ ، وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ ﴿ وَأُخْرُ مِنْ شَكْلِهِ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وَأَنْكَرَ أَبُو عَمْرٍو ﴿ آخِرُ ﴾ لِقَوْلِهِ ﴿ أَزْوَاجُ ﴾ أَيُّ لَا يُخْبِرُ  
عَنْ وَاحِدٍ بِجَمَاعَةٍ .

وَأَنْكَرَ عَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ ﴿ وَأُخْرُ ﴾ قَالَ : وَلَوْ كَانَتْ  
﴿ وَأُخْرُ ﴾ لَكَانَ مِنْ شَكْلِهَا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : كَيْلَا الرَّدِّينَ لَا يَلِزُ ، لِأَنَّهُ إِذَا قُرَأَ ﴿ وَأُخْرُ مِنْ  
شَكْلِهِ ﴾ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَأُخْرُ مِنْ شَكْلِ مَا ذَكَرْنَا .

وَأُخْرُ مِنْ شَكْلِ الْحَمِيمِ .

وَأُخْرُ مِنْ شَكْلِ الْعَسَاقِ .

وَأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَأُخْرُ مِنْ شَكْلِ الْجَمِيعِ .

وَمَنْ قَرَأَ ﴿ وَأُخْرُ مِنْ شَكْلِهِ ﴾ فَقَرَأَهُ حَسَنَةً<sup>(٢)</sup> ، لِأَنَّ الْمَعْنَى  
لِلْفِعْلِ ، وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى لِلْفِعْلِ ، نُحِبُّ عَنْ الْوَاحِدِ بَاطْنِينَ ، وَجَمَاعَةً ،  
كَمَا تَقُولُ :

---

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحْدَهُ ﴿ وَأُخْرُ ﴾ بِالْجَمْعِ ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ الْقُرَاءِ ﴿ وَأُخْرُ ﴾ بِالْإِفْرَادِ وَالْمَدِّ ، وَانْظُرْ

النَّشْرَ فِي الْقُرَاءَاتِ الْعَشْرَ ٣٦١/٢ وَالسَّبْعَةَ لَابْنِ مُجَاهِدٍ ص ٥٥٥ .

(٢) الْقُرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ كَمَا أَسْلَفْنَا ، وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ ﴿ وَأُخْرُ ﴾ تَفِيدُ أَنْ لَهُمْ عَذَاباً مِنْ حَمِيمٍ وَعَسَاقٍ ،  
وَعَذَاباً آخَرَ سِوَى الْحَمِيمِ وَالْعَسَاقِ ﴿ مِنْ شَكْلِهِ ﴾ أَيُّ مِنْ نَحْوِهِ وَمِثْلِهِ ، مِنْ الزَّمْهِرِيرِ ،  
وَالسَّمُومِ ، وَأَكَلَ الرُّقُومِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .



عذابُ فلانٍ ضربان ، وعذابهُ ضَرْوبٌ شَتَّى<sup>(١)</sup> .

ويجوز أن يكون ﴿أَزْوَاجٌ﴾ حميم ، وغَسَاقٍ ، وآخر<sup>(٢)</sup> .

قال قتادة ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ : مِنْ نَحْوِهِ<sup>(٣)</sup> .

قال يعقوبُ : الشَّكْلُ : المِثْلُ ، والشَّكْلُ : الدَّلُّ<sup>(٤)</sup> .

قال عبد الله بن مسعود : ﴿وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ :  
الزَّمْهَرِيرُ<sup>(٥)</sup> .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري ، قال : حدثنا الحسن بن

محمد الزعفراني ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّةَ ، عن أبي رجاء ، عن  
الحسن في قوله ﴿أَزْوَاجٌ﴾ قال : ألوانٌ من العذاب<sup>(٦)</sup> .

---

(١) هذا ما ذهب إليه الفراء في معاني القرآن ٤١١/٢ حيث قال : إذا كان الاسم فعلاً ، جاز أن يُنعت بالاثنتين ، والجمع ، كقولك في الكلام : عذابُ فلانٍ ضروبٌ شتى ، وضربان مختلفان ، وهذا بينٌ ، ومن قرأ ﴿وَأَخْرُ﴾ كأنه ظنَّ أن الأزواج ، لا تكون من نعت الواحد . اهـ .

(٢) يعني يكون لفظ الجمع « أزواج » مطابقاً للموصوف الذي هو جمع ، وهو الحميم ، والغساق ، وللعذاب الآخر ، فتكو قد تطابقت الصفة مع الموصوف ، كما يشترط علماء النحو ، وعلى ذلك خرج المصنف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٧٩/٢٣ وهو قول ابن عباس وابن زيد قال : والشَّكْلُ : الشبيه .

(٤) قال في المصباح : الشَّكْلُ : المِثْلُ ، يقال : هذا شكل هذا ، والجمع شَكُولٌ ، وأشكال ، والشَّكْلُ : الذي يشاكل غيره في طبعه ووصفه ويشابهه ، وامرأة ذات شِكْلٍ أي دُلٌّ . اهـ . أي دلال ، وهو حُسن الحديث ، وحسن الملاعبة ، والممازحة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود ١٧٨/٢٣ والقرطبي كذلك ٢٢٣/١٥ .

(٦) انظر الطبري ١٧٩/٢٣ والقرطبي ٢٢٣/١٥ قال ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أي أصناف وألوان من العذاب ، قال في التسهيل ٤٠٨/٢ : والأزواج معناه الأصناف أي أصناف من العذاب .

٥٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ [ آية ٥٩ ] .

﴿ هَذَا فَوْجٌ ﴾ أي جماعة وفرقة ﴿ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾ أي شيء بعد شيء ﴿ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ .

[ ﴿ لَا مَرْجَأَ ﴾ بمعنى : لا أصبت رَحْباً أي سعة ، بمعنى لا اتسعت منازلهم في النار ] <sup>(١)</sup> .

الفراء يذهب إلى أن الكلام معترض ، وأن المعنى : قالوا لا مرجأ بهم <sup>(٢)</sup> .

٥٨ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ﴾ [ آية ٦١ ] .

قال عبدالله بن مسعود : يعني الحيات والأفاعي <sup>(٣)</sup> .

(١) ما بين المعترضين تفسير للآية ، وقد سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من إعراب القرآن للنحاس ، ومن تفسير القرطبي .

(٢) يريد المصنف أن في الآية جملة اعتراضية وهي قوله « لا مرجأ بهم » والأصل أن الكلام متصل في الآية وهو ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ فاعترضت جملة ﴿ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ ﴾ من قول أهل النار ، وهو كقوله تعالى ﴿ كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا ﴾ وانظر معاني الفراء ٤١١/٢ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن مسعود ٣١٨/٥ والقرطبي ٢٢٤/١٥ وفي البحر المحيط ٤٠٧/٧ ولفظه : الضعف : حيات وعقارب ، والظاهر من الآية العموم ، أي طلب زيادة العذاب ومضاعفته لهم ، فقد دعا الأتباع أن يضاعف الله العذاب للرؤساء ، لأنهم كانوا سبب ضلالتهم ، فهو كما في الآية ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ ﴾ والضعف في اللغة : زيادة المثل .

٥٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنْ الْأَشْرَارِ . ائْتَحِذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [ آية ٦٢ ، ٦٣ ] .

ويقرأ ﴿ ائْتَحِذْنَاَهُمْ ﴾ ؟ على الاستفهام .

### وفي القراءة الأولى قولان :

أحدهما : وهو قول الفراء : أنها على التوبيخ والتعجب ، قال :  
والعرب تأتي بالاستفهام في التوبيخ والتعجب ، ولا تأتي به (٢) .

والقول الآخر : وهو قول أبي حاتم (٣) أن المعنى : وقالوا مالنا لا نرى رجالاً ائْتَحِذْنَاَهُمْ سِخْرِيًّا ؟ يجعله نعتاً للرجال (٤) .

---

(١) في الآية قراءتان سبعيتان : الأولى قراءة حمزة والكسائي ﴿ ائْتَحِذْنَاَهُمْ ﴾ بألف موصولة على الخبر . والثانية قراءة الجمهور « ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر » ﴿ ائْتَحِذْنَاَهُمْ ﴾ بقطع الألف على الاستفهام .

وعلى القراءة الثانية يقول المشركون وهم في جهنم : ما لنا لا نرى في النار هؤلاء الذين كنا نعددهم من الأشرار ؟ يعنون بهم المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ . قال ابن عباس : يقول أبو جهل وأمثاله : أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أولئك في الفردوس ! وأعجبا لأبي جهل مسكين أسلم ابنه عكرمة ، وابنته حويرية ، وأسلم أخوه ، وأمه ، وكفر هو ! وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٥٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤١١/٢ ولفظه : وهو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ، فهو يجوز بالاستفهام وطرحه . اهـ .

(٣) هو سهل بن محمد السجستاني ، النحوي ، اللغوي ، الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ أخذ عنه المبرد وابن دريد ، وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٤) المعنى على رأي السجستاني والإمام النحاس : ما لنا لا نرى رجالاً أشراراً ، جعلناهم سخريه واستهزاء في الدنيا ، فيكون في محل نصب صفة لـ ﴿ رجالاً ﴾ قال ابن الأنباري : وهذا خطأ لأن النعت لا يكون ماضياً ، ولا مستقبلاً . اهـ .

ومعنى « سَخْرِي » و « سِخْرِي » عند أكثر أهل اللغة واحد ،  
إلا أبا عمرو<sup>(١)</sup> ، فإنه زعم أن « سِخْرِيًّا » يسخرون منهم ،  
و « سَخْرِيًّا » يُسَخَّرُونهم ويستذلُّونهم<sup>(٢)</sup> .

٦٠ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَمْ رَأَيْتُ عَنْهُمْ الْإِبْصَارُ ﴾ [ آية ٦٣ ] .

رَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَانَرَى رِجَالًا ﴾ قال :  
قال أبو جهل والوليدُ بْنُ المغيرة ﴿ مَا لَنَا لَانَرَى رِجَالًا ﴾ ؟ قال :  
قالوا : أين سلمان ؟ أين حَبَّابٌ ؟ أين بلالٌ ؟ أين عَمَّارٌ<sup>(٣)</sup> ؟ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ ﴿ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ﴾  
فَأَخْطَأْنَا ، أَمْرَهُمْ فِي النَّارِ فَرَاغَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُمْ<sup>(٤)</sup> ؟ .

(١) أبو عمرو هو : « أبو عمرو بن العلاء المازني » النحوي ، من كبار علماء اللغة ، والقراءات المتوفى سنة ١٥٤ هـ وانظر تقريب التهذيب ٤٥٤/٢ .

(٢) قال في التهذيب : « سَخْرِيًّا » من السُّخْرَةِ و « سِخْرِيًّا » من الهزء ، وهو قول ابن سلام . اهـ .  
أقول : وإليه ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٨٧/٢ وقد جاء التفريق في القرآن الكريم بين الضم والكسر ، فقال سبحانه في سورة المؤمنون ﴿ فَاتَّخَذْتَهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾ بالكسر بمعنى السخرية والاستهزاء ، وفي سورة الزخرف ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُكُم بَعْضًا سِخْرِيًّا ﴾ بالضم بمعنى التسخير والخدمة ، وبعضهم يرى أن الضم والكسر بمعنى واحد ، لا فرق بينهما ، كما ذكره الإمام النحاس هنا .

(٣) انظر الطبري ١٨١/٢٣ وابن كثير ٧٠/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٩/٥ كلهم عن مجاهد .

(٤) الأثر ذكره القرطبي عن مجاهد ٢٢٤/١٥ ولفظه : وقال مجاهد : اتخذناهم سخرى في الدنيا ، أم زأغت عنهم أبصارنا فلم تعلم مكانهم ؟ . اهـ . فعلى هذا القول تكون « أو » للتسوية والمعادلة ، وهذا ما اختاره أبو جعفر النحاس .

قال أبو جعفر : وهذا قول حسن ، لأنَّ « أم » للتسوية ،  
فصار المعنى على قوله : آخطأنا ، أم لم نُخطِئْ .

وقيل : هي بمعنى « بَل » <sup>(١)</sup> .

والقراءة بوصل الألف ، بينة حسنة .

٦١ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾  
[ آية ٦٨ ] .

قال مجاهد : يعني القرآن <sup>(٢)</sup> .

٦٢ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَالِ الْأَعْلَى إِذْ  
يَخْتَصِمُونَ ﴾ [ آية ٦٩ ] .

قال الحسن : يعني الملائكة <sup>(٣)</sup> ، اختصموا — كما أخبر تعالى  
عنهم بقوله — ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ

---

(١) ذكر هذا الوجه من التأويل المفسرون ، فقال القرطبي ٢٢٥/١٥ : إذا قرئت بالاستفهام كانت  
« أم » للتسوية ، وإذا قرئت بغير الاستفهام فهي بمعنى « بل » ويصبح المعنى : بل زاغت عنهم  
الأبصار ، وقال الطبري ١٨٢/٢٣ : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله  
﴿ أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ إلى معنى : بل زاغت عنهم . اهـ .

(٢) قول مجاهد ذكره الطبري ١٨٣/٢٣ والقرطبي ٢٢٦/١٥ ولفظه : وقال ابن عباس ومجاهد  
وقتادة : يعني : القرآن الذي أنبئكم به ، خبر جليل ، عظيم المنفعة ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾  
واختار بعضهم العموم من الحساب والثواب ، والعقاب ، والإيمان بالوحدانية والرسالة ، وأن هذه  
الأمر من الأخبار العظيمة ، التي لا يعرض عن مثلها إلا غافل شديد الغفلة .

(٣) هذا هو الصحيح الراجح من أقوال المفسرين أن المراد بالمال الأعلى : الملائكة الأبرار الأطهار .

طِين ﴿ .

أي حين خلق آدم عليه السلام بيده<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وفي الحديث ( يختصمون في الكفارات : وهي إسباغ الوضوء في المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة )<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : المَلَأُ في اللغة : الأشراف والأفاضل ، كأنهم مليئون بما يُسند إليهم<sup>(٣)</sup> .

وقد قيل : يجوز أن يكون يعني بالمَلَأ الأعلى ههنا : الملائكة ، إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿ يعني قريشاً ، لأن منهم من قال : الملائكة بناتُ

---

(١) المقصود من الآية الاحتجاج على كفار قريش بأن ما جاء به الرسول ﷺ دليل واضح على نبوته ، فإن علم أخبار السماء ؛ لا يعرفه أحد من البشر ، إلا أن يكون رسولاً يُوحى إليه من عند الله ، فعلمه صلوات الله عليه بأحوال أهل النار ، وابتداء خلق آدم ، وغير ذلك من أخبار العالم العلوي ، لم يكن إلا بوحى من عند الله عز وجل له ، وهذا أكبر برهان على صدق رسالته ، وصحة القرآن ، فلولوا الوحي الإلهي لم يكن لمعرفة ذلك سبيل ، والإشارة إلى اختصاص الملائكة في قصة آدم هي قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .. ﴾ الآية .

(٢) أشار المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم ٣٢٣٣ وأحمد في المسند ٢٤٣/٥ ( أتاني ربي في أحسن صورة — أي في المنام — فوضع يده بين كتفي ، حتى وجدتُ بردها بين ثديي ، ثم قال يا محمد : هل تدري فيم يختصم المَلَأ الأعلى ؟ قلت : نعم يختصمون في الكفارات .. ) الحديث .

(٣) المَلَأُ في اللغة : هم أشراف القوم ووجهائهم الذين يُرجع إلى قولهم ، سُمُوا مَلَأً لأنهم يملأون العين رواء ، والنفوس جلالة وبهاء ، وانظر روح المعاني للألوسي ٢٢١/٢٣ ولسان العرب لابن منظور .

الله جلَّ وعز ، فأعلم الله جلَّ وعزَّ النبي ﷺ ذلك ، وأعلمه أنهم عبادة ، وأنهم ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقيل : يجوز أن يُراد بالملأ الأعلى ههنا : أشرف قريش ، إذ يختصمون فيما بينهم ، فيوحي الله عز وجل إلى النبي ﷺ بذلك ، والله أعلم بما أراد<sup>(٢)</sup> .

وأولى ما قيل فيه ، ما قاله ابن عباس والسدي وقادة : أن الملأ الأعلى ههنا الملائكة ، اختصموا في أمر آدم عليه السلام حين خلق ، فقالوا : لا تجعل في الأرض خليفة ؟<sup>(٣)</sup>

٦٣ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾  
[ آية ٧٠ ] .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٩ وما ذكره المصنف وجه من وجوه التفسير ، ولكنه ضعيف ، ذكره أبو حيان في البحر المحیط ٤٠٩/٧ وابن جزى في التسهيل ٤١٠/٣ فقال : والضمير في ﴿ يختصمون ﴾ للملأ الأعلى ، وقيل : للكفار أي يختصمون في الملأ الأعلى — يعني الملائكة — فيقول بعضهم : هم بنات الله ، ويقول آخرون : هم آلهة تُعبد ، وهذا بعيد . اهـ .

(٢) هذا القول أضعف من سابقه ، وقد ذكره القرطبي ٢٢٧/١٥ أن المراد اختصام قريش فيما بينهم سراً ، فأطلع الله نبيه محمد ﷺ على ذلك .. إلخ .

أقول : الصحيح رأي الجمهور ، وهو قول قتادة ، وابن عباس ، والسدي ، واختاره الحافظ ابن كثير حيث قال ٧١/٧ : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ إذ يختصمون ﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعني في شأن آدم ، وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجته ربه في تفضيله عليه . اهـ .

(٣) هكذا وردت في المخطوطة ، والنص القرآني ﴿ قالوا أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ؟ البقرة آية رقم ٣٠ .

يجوز أن يكون المعنى : إلا إنذار .

وأن يكون المعنى : إلا بأنما أنا نذير مبين<sup>(١)</sup> .

٦٤ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ آية ٧٤ ] .

قال الضحاك قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة ، وكان خازن الجنّ ، وكان أميناً على السّماء الدنيا والأرض ومن فيهما ، فأعجبه نفسه ، ورأى أن له فضلاً على الملائكة ، ولم يعلم بذلك أحدٌ إلا الله جلّ وعزّ ، فلما أمر الله جلّ وعزّ الملائكة بالسجود لآدم ، امتنع وظهر تكبره<sup>(٢)</sup> .

(١) هذا توجيه الفراء في معاني القرآن ٤١١/٢ حيث قال : إن شئت جعلت « أنما » في موضع رفع ، كأنك قلت : ما يُوحى إليّ إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى : ما يُوحى إليّ إلا لأنّي نذير ونبي . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ والسيوطي في الدر المنثور ٥٠/١ وفي هذا الأثر نظير ، فإن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما هو من الجن ، وإليه ذهب المحققون من المفسرين ، وقد ذكرنا في كتابنا « صفوة التفاسير » ٥٢/١ خمسة أدلة على أنه لم يكن من الملائكة ، نعملها في الآتي :

١ — الملائكة منزّهون عن المعصية ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ وإبليس قد عصى أمر الله تعالى عمداً وجهاراً ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ .

٢ — الملائكة خلقت من نور ، وإبليس خلق من نار ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فالطبيعة في الخلق مختلفة .

٣ — الملائكة لا تزواج بينهم ، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، فليس لهم نسل وذرية بخلاف الشياطين ﴿ أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ .



٦٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ آية ٧٨ ] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ : إلى اليوم الذي يُدان فيه الناسُ بأعمالهم<sup>(١)</sup> .

قال أهل التفسير : ﴿ رَجِيمٌ ﴾ أي ملعونٌ ، والمعنى : مرجومٌ باللعنة .

٦٦ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [ آية ٨١ ] .

ومعناه إلى يوم الوقت المعلوم ، الذي لا يعلمه إلا الله جلَّ وعزَّ .

---

٤ — النص الصريح القاطع أن إبليس من الجن وذلك في سورة الكهف ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ .

٥ — قول الحسن البصري وهو من كبار المفسرين من التابعين : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس .

وهذه الأدلة تنجلي غياهب الشك ، والتردد في أمر إبليس اللعين ، وتطمئن النفوس إلى أنه كان من الجن المتمردين ، وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير حيث قال ٧٢/٧ : سجد الملائكة إلا إبليس ، ولم يكن منهم جنساً ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته ، فاستنكف عن السجود لآدم ، وخصم ربه فيه . اهـ .

(١) الدين في اللغة : الجزاء والحساب ، والمراد بيوم الدين في الآية يوم القيامة ، لأنه اليوم الذي يُجازى فيه كل إنسان على ما قدَّم ، وفي الحديث ( كما تدين تُدان ) .

٦٧ — وقوله جل وعز ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ آية ٨٥ ] .

ويقرأ بنصب الأول<sup>(١)</sup> .

وحكى الفراء أنه يجوز الخفض في الأول<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : رفعه على ثلاثة معاني :

أ — روي عن ابن عباس : فأنا الحق<sup>(٣)</sup> .

ب — ورَوَى أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ :  
فالحق مني ، وأقول الحق<sup>(٤)</sup> .

ج — والقول الثالث : على مذهب سيبويه والفراء بمعنى :  
فالحق لأملأن جهنم ، بمعنى فالحق أن أملأ جهنم .

وكذا يقول سيبويه في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

---

(١ — ٢) قراءة النصب ﴿ فالحق والحق أقول ﴾ هي قراءة الجمهور ، وقرأ عاصم وحمة ﴿ فالحق والحق أقول ﴾ بالضم في الأول ، والفتح في الثانية ، وكلاهما من القراءات السبع ، كما ذكره ابن مجاهد في السبعة ص ٥٥٧ ، وابن الجزري في النشر ٣٦٢/٢ وأما قراءة الجر في الأول ﴿ فالحق ﴾ فليست من القراءات السبع ، وانظر معاني الفراء ٤١٢/٢ .

(٣ — ٤) الأثران ذكرهما الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ١٨٧/٢٣ ، قال : وفي قراءة الرفع وجهان :

أحدهما : رفعه بضمير تقديره : أنا الحق ، وأقول الحق .

والثاني : أنه مرفوع بتأويل الفعل ﴿ لَأَمْلَأَنَّ ﴾ وتقديره : الحق أن أملأ جهنم منك . اهـ .

رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّتْ ﴿١﴾ .

والنصبُ بمعنى : فالحقُّ قلتُ ، وأقولُ الحقَّ .

وقد قال أبو حاتم<sup>(٢)</sup> : المعنى : فالحقُّ لأملأَنَّ ، أي فحقاً لأملأَنَّ .

وقال قولاً آخر وهو أن المعنى : فأقولُ الحقَّ ، والحقُّ لأملأَنَّ .

والأولى في النصب القولُ الأولُ ، وهو مذهبُ أبي عبيدة<sup>(٣)</sup> .

والخفضُ بمعنى القسم ، حَذَفَ الواوَ ، ويكونُ الحقُّ لله جَلَّ

وعز .

وقد أجاز سيويه : الله لأفعلنَ ، إلا أن هذا أحسنُ من ذاك ،

إلا أن الفاء ههنا تكون بدلاً من الواو<sup>(٤)</sup> ، كما تكون بدلاً من الواو في

قوله :

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ

فَالْهَيْتُهَا عَنِ ذِي تَمَائِمٍ مُحْوِلٍ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة يوسف آية رقم ٣٥ ووجه الشاهد في الآية أن فاعل ﴿بَدَأَ﴾ جملة ﴿لَيْسَجُنَّتْ﴾ أي بدا لهم سجنه حتى حين .

(٢) أبو حاتم : هو الإمام اللغوي « سهل السجستاني » المتوفى سنة ٢٥٥ وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٧/٢ .

(٤) أراد المصنف أن الفاء في قوله ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ تكون للقسم كالواو ، واستشهد ببيت الشعر .

(٥) البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة « قَفَا بُبْلِكَ » وانظر ديوانه ص ١٤ وشواهد المغني ٤٠٢/١ .

٦٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ آية ٨٦ ] .

قال ابن زيد : أي لا أتحرَّصُ ، وأتكلَّفُ ما لم يأمرني الله جلَّ وعزَّ به <sup>(١)</sup> .

٦٩ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ آية ٨٨ ] .

أي ولتعلمَنَّ أنَّ القرآنَ ، وما أُوعِدتُم فيه ، حقٌّ .

ورَوَى معمر عن قتادة ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ قال : بعد الموت <sup>(٢)</sup> .

وقال السُّدِّي : يوم بدر .

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ١٨٨/٢٣ ومعنى التكلف : التصنع بما ليس عند الإنسان قال في غرائب القرآن ١٠٨/٢٣ : ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي الذين ينتحلون ما ليس عندهم ، ولا دليل لهم على وجوده ، بل العقل الصريح يشهد بصحة ما أقول ، فإني أدعوكم إلى الإقرار بالله أولاً ، ثم إلى تنزيهه عما لا يليق به ثانياً ، ثم إلى وصفه بنعوت الجمال والجلال ، ومن جملة ذلك التوحيد ونفي الأنداد والأضداد ، ثم الشفقة على خلق الله ، ثم أدعو إلى الإقرار بالبعث والقيامة ، فهذه هي الأصول التي تشهد بحسبها العقول . اهـ .

(٢) هذا أسلوب من أساليب الوعيد والتهديد ، أي لتعلمَنَّ صدق القرآن ، وصحة ما جئكم به ، بعد الموت ، أو في القيامة ، حيث ينكشف الغطاء وتظهر الحقائق ، وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول : « يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخير اليقين » والآثار التي وردت عن قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، ذكرها الطبري وغيره . والله أعلم .

وقال ابن زيد : يوم القيامة .

والحينُ مُبْهِمٌ<sup>(١)</sup> ، فهو مطلقٌ يقع لكلِّ وقتٍ علموه فيه .

\* \* \*

« تمت بعونه تعالى سورة ص »

---

(١) قال أهل اللغة : الحينُ : المدة من الزمن ، طالت أو قصرت ، فقد تقع على الساعة ، واليوم ، والعام ، والسنين الطويلة ، قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ وقال : ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ وقال : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ .



# تفسير سورة الزمر

مكية وآياتها ٧٥ آية





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سُورَةُ الزَّمَرِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ <sup>(١)</sup>

قال وهب بن منبه : « من أحب أن يعرف قضاء الله جلَّ وعزَّ في خلقه ، فليقرأ سورة العُرف » <sup>(٢)</sup> .

قال مجاهد عن ابن عباس : هي مكية إلا ثلاث آيات منها ، فإنهم نزلن بالمدينة ، في « وحشي » قاتل حمزة ، صلوات الله على حمزة <sup>(٣)</sup> . أسلم ودخل المدينة ، فكان النبي ﷺ لا يطبق أن ينظر إليه <sup>(٤)</sup> ، فتوهم أن الله جلَّ وعزَّ لم يقبل إيمانه ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ

---

(١) تسمى سورة العرف لقوله تعالى ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم عُرفٌ من فوقها عُرفٌ مبنية ﴾ وتسمى سورة الزمر لقوله سبحانه ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زُمرًا ﴾ جمع زمرة وهي الطائفة ، وانظر حاشية الجمل ٥٨٨/٣ .

(٢) هذا الأثر ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١٥ وفي الفتوحات الإلهية على الجلالين ٥٨٨/٣ ومراده أن هذه السورة الكريمة ، قد تناولت صورة بديعة عن الخلق والتكوين ، والإحكام والتدبير ، فيما خلق الله وقدر ، وكل شيء بقدر معلوم ، ونظام فائق ، ولذلك كان ﷺ فيما يرويه الترمذي عن عائشة أنه كان لا ينام حتى يقرأ الزمر ، وبني إسرائيل .

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني ٢٣٢/٢٣ والسيوطي في الدر المشور ٣٢٢/٥ وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس أنه قال : أنزلت سورة الزمر بمكة ، ولم يستثن ، فهي إذاً مكية كلها باتفاق إلا ثلاث آيات على رأي من أخذ بقول مجاهد .

(٤) الثابت في السيرة النبوية أن وحشياً لما أسلم ، أمره عليه السلام أن يغيب عنه وجهه ، لئلا يتذكر ﷺ مقتل عمه حمزة ، وهذا لا يستدعي الشك في إيمان وحشي ، فإن الإسلام يجبُّ ما قبله .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ .. ﴾ إلى آخر الثلاث الآيات .

١ — من ذلك قوله جلَّ وعز : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [ آية ١ ] .

يجوز أن يكون المعنى : تنزيل الكتاب من عند الله (١) .

وأن يكون المعنى : هذا تنزيل الكتاب (٢) .

٢ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ .. ﴾ [ آية ٢ ] .

أي بما حقَّ في الكتب من إنزاله عليك (٣) .

ويجوز أن يكون المعنى : ألزمتك إِيَّاهُ ، بحقه عليك ، وعلى خلقه .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤ فقد قال فيه ﴿ تنزيل ﴾ مرفوعة من جهتين : على الابتداء ، والخبر ﴿ من الله ﴾ أي نزل من عند الله ، ويجوز أن يكون : هذا تنزيل للكتاب . اهـ . وكذلك قال الفراء ٤١٤/٢ .

(٢) على هذا التقدير يكون ﴿ تنزيل ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف ، كقوله تعالى ﴿ سورة أنزلناها ﴾ أي هذه سورة ، وقد ذكر الوجهين ابن جرير ١٩٠/٢٣ والألوسي ٢٣٣/٢٣ ورجَّح الوجه الأول .

(٣) هذا الوجه من التفسير غير واضح ، والراجح أن المراد : أنزلناه ملتبساً بالحق ، والصدق ، والصواب ، على معنى أن كلَّ ما أودعناه فيه ، من التوحيد ، والنبوة ، والحشر ، والمعاد ، وأنواع التكليف ، فهو حق مصدق . قال ابن عطية : متضمناً الحق فيه ، وفي أحكامه ، وأخباره ، وكل ما جاء به ، من تشريع وتكليف .

وقيل المعنى : يأمر بالعدل ، والحق<sup>(١)</sup> .

٣ — ثم قال تعالى ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [ آية ٢ ] .

أي لا تعبد معه غيره .

وحكى الفراء ﴿ لَهُ الدِّينُ ﴾ برفع الدِّين<sup>(٢)</sup> .

وهو خطأ من ثلاثة جهات :

إحداها : أن بعده ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ فهو يغني عن

هذا .

وأيضاً : فلم يُقرأ به<sup>(٣)</sup> .

وأيضاً : فإنه يجعل ﴿ مُخْلِصاً ﴾ التمام ، والتمام عند رأس

الآية أولى .

٤ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ .. ﴾ [ آية ٣ ] .

أي يُعبد وحده ، لأنَّ من الناس من له دين ، ولا يُخلصه لله

---

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ١٩٠/٢٣ حيث قال : أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل .

ومن ذلك الحق والعدل : أن تعبد الله مخلصاً له الدين ، لأن الدين له لا للأوثان . اهـ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٤/٢ فقد جعله وجهاً من وجوه اللغة صواباً ، ومعلوم أن القرآن

العظيم لا تجوز القراءة به حسب اللغة ، إنما يُقرأ بالوجوه التي وردت عن المعصوم ﷺ حسب القراءات المتواترة ، فتنبه لهذا رعاك الله .

(٣) هذه قراءة ابن أبي عبة ، وهي من القراءات الشاذة ﴿ له الدين ﴾ بالرفع ، وانظر تخريجها في

معاني الفراء ٤١٤/٢ وروح البيان للألوسي ٢٣٤/٢٣ .

جَلَّ وَعَزَّ (١) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قَالَ :  
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (٢) .

٥ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ مَا  
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ..﴾ [ آية ٣ ] .

قَالَ قَتَادَةُ : أَيِّ مَنْزِلَةِ (٣) .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ : أَيُّ إِلَّا لِيُشْفِعُوا لَنَا (٤) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٍ  
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

---

(١) قَالَ الْخَافِضُ ابْنُ كَثِيرٍ ٧٤/٧ : أَيُّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ ، إِلَّا مَا أَخْلَصَ فِيهِ الْعَامِلُ ، اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . اهـ .

(٢) الْأَثَرُ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ ١٩٠/٢٣ وَابْنُ كَثِيرٍ ٧٤/٧ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : هِيَ شَهَادَةُ « أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّهَادَةَ أَصْلٌ فِي الْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ لَا يَرَادُ بِالْآيَةِ هُنَا هَذَا الَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ ، وَإِنَّمَا يَرَادُ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، كَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمَفْسُرِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ ، إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً لَوَجْهِهِ اللَّهُ ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ﴿الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أَيُّ الْخَالِصِ مِنَ الشَّرِكِ ، وَمِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ وَكَدَرٍ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الطَّبْرِيُّ : اللَّهُ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ ، خَالِصَةً لَا شَرِكَ لِأَحَدٍ مَعَهَا فِيهَا ، وَانْظُرِ الْقُرْطُبِيُّ ، وَالْأَلُّوسِيُّ .

(٣ — ٤) ذَكَرَ الْأَثَرَيْنِ الطَّبْرِيُّ ١٩١/٢٣ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢٣٣/١٥ وَابْنُ كَثِيرٍ ٧٥/٧ وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ كَثِيرٍ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَقَالَ : وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسَّيْدِي وَابْنُ زَيْدٍ : ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أَيُّ لِيُشْفِعُوا لَنَا وَيُقَرِّبُونَا عِنْدَهُ مَنْزِلَةً . اهـ .

اللَّهُ زُلْفَى ﴿١﴾ .

وفي حرف أبي : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُكُمْ إِلَّا لِيقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٢) .

قال أبو جعفر : والحكاية في هذا بيّنة .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَا صُطْفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .. ﴾ [ آية ٤ ] .

واتصال هذا بالأول ، يدل على أن هؤلاء ممن اتَّخذ من دون الله أولياء (٣) .

و﴿ اصْطَفَى ﴾ : اختار .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ .. ﴾ [ آية ٥ ] .

---

(١ — ٢) قراءة ابن مسعود ، ومجاهد بزيادة ﴿ قالوا ﴾ وقراءة أبي بن كعب « ما نعبدكم » بصيغة المخاطب لا الغائب من القراءات الشاذة ، ليستنا من القراءات المعتبرة عند القراء ، وهي محمولة على المعنى ، فكأنها تفسير وتوضيح لمعنى الآيات الكريمة ، ولا يُقرأ إلا بالثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

(٣) ومما يدل على إشراكهم ، زعمهم أن الملائكة بنات الله ، وقولهم في تلييتهم : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » وظاهراً أن عبادة الأصنام شرك وضلالة ، والآية وردت على سبيل « الفرض والتقدير » ولهذا قال الحافظ ابن كثير ٧٥/٧ ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً .. ﴾ هذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما القصد تجهيلهم فيما ادَّعوه وزعموه ، كما قال تعالى ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ﴾ وكل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل . اهـ .

قال قتادة : أي يلقي هذا على هذا ، وهذا على هذا<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : أصل التكوير في اللغة : اللَّفُّ ، والجمع<sup>(٢)</sup> ،  
ومنه كَوَّرَ الْعِمَامَةَ ، ومنه ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ .

٧ - وقوله جل وعز : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا  
زُوجَهَا .. ﴾ [ آية ٦ ] .

﴿ ثُمَّ ﴾ ههنا تدلُّ على أن الإخبار الثاني ، بعد الأول<sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زُوجَهَا ﴾ حواء ، خلقها من  
ضِلْعٍ من أضلاعه<sup>(٤)</sup> .

وقيل : يكون خلقه الزَّوْج ، مردوداً على واحد ، أي على نفس

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٩٣/٢٣ بلفظ : يُعَشِّي هذا هذا ، ويُعَشِّي هذا هذا ، وكذا في الدر المنثور  
٣٢٢/٥ .

(٢) قال في المصباح : كَوَّرْتُ الشيء : إذا لففته على جهة الاستدارة ، وكَارَ العمامة : أدارها على  
رأسه ، وكلُّ دورٍ كور . اهـ . والآية بطريق الاستعارة أي يلفُّ الليل على النهار ، فيستره  
بظلامه ، فينقص النهار ويزيد الليل ، ويلفُّ النهار على الليل ، فيطول النهار وينقص الليل ، فكأنما  
يلفه عليه لفَّ اللباس على اللباس ، أو كتكوير العمامة كَوَّراً بعد كَوَّر .

(٣) أراد المصنف أن يرُدَّ على شبهة وهي : أن حواء مخلوقة قبل بنسي آدم ، فكيف قال تعالى  
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زُوجَهَا ﴾ و « ثُمَّ » تفيد الترتيب مع التراخي ؟  
فأجاب أن « ثُمَّ » هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمن ، وجواب آخر أن العطف إنما هو على  
« واحدة » لا على « خَلَقَكُمْ » أي من نفس واحدة ثم خلق منها حواء .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٩٤/٢٣ ويؤيده الحديث الصحيح ( استوصوا بالنساء خيراً ،  
فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج .. ) وهو اختيار علماء السلف ، وقيل : المراد من قوله « ثُمَّ  
جعل منها » أي من جنسها ، فحواء مخلوقة من جنس آدم لا من نفسه . والأول أصح .

وحدها ، ثم جَعَلَ منها زوجها .

٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. ﴾  
[ آية ٦ ] .

أي أصناف .

قال مجاهد : من الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الضأن  
اثنين ، ومن المعز اثنين<sup>(١)</sup> .

قال قتادة : هي مثل التي في الأنعام<sup>(٢)</sup> .

٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ  
خَلْقٍ ﴾ [ آية ٦ ] .

قال مجاهد والضحاك : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، حتى  
يتم الخلق<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٩٤/٢٣ ولفظه : « من الإبل ، والبقر ، والضأن ، والمعز » وذكره  
القرطبي ٢٣٥/١٥ عن قتادة ثم قال : أخبر تعالى عن الأزواج بالنزول ، لأنها تكوّن بالنبات ،  
والنبات بالماء المنزل ، وهذا يسمى « التدرج » ومثله قوله تعالى ﴿ قد أنزلنا عليكم لباساً ﴾  
وقيل : ﴿ أنزل ﴾ بمعنى جعل ، وخلق ، أو المعنى : خلق لكم بالأمر النازل من عنده  
سبحانه . اهـ .

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين .. ﴾  
وقوله : ﴿ ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين .. ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٩٥/٢٣ وابن الجوزي ١٦٣/٧ وقول مجاهد والضحاك أن المراد بقوله  
﴿ خلقاً من بعد خلق ﴾ وهو تكوّن الإنسان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم العظم واللحم ، ثم  
نبات الشعر ، هو الصحيح وهو قول الجمهور ، وقال ابن زيد : خلقاً في بطن الأم ، من بعد  
خلقه في ظهر آدم .

ثم قال تعالى ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ [ آية ٦ ] .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : في ظلمة الرحم ، وفي ظلمة المشيمة ، وفي ظلمة البطن<sup>(١)</sup> .

وقيل : في الصلب ، ثم في الرحم ، ثم في البطن ، وهذا مذهب أبي عبيدة ، والأوّل أصح<sup>(٢)</sup> .

١٠ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ .. ﴾ [ آية ٧ ] .

أي يرضى الشكر لكم ، ودلّ ﴿ تَشْكُرُوا ﴾ على الشكر<sup>(٣)</sup> .

١١ — وقوله جلّ وعزّ : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ .. ﴾ [ آية ٨ ] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : مُخْلِصًا<sup>(٤)</sup> .

---

(١ - ٢) الظلمات الثلاث : وهي « البطن ، والرحم ، والمشيمة » وهذا هو الصحيح الراجح ، كما قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وأما قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨٨/٢ : ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ : في أصلاب الرجال ، ثم في الرحم ، ثم في البطن ، فإنه قول مرجوح كما نبّه عليه المصنف ، لأن الله تعالى قال ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ فالظلمات الثلاث في بطون الأمهات ، لا في أصلاب الرجال .

(٣) وضّح الإمام ابن جرير هذا المعنى في تفسيره ١٩٨/٢٣ فقال : كُتِيَ عن الشكر ولم يُذكر ، وإنما ذكر الفعل الدّال عليه ، وذلك نظير قوله تعالى ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً ﴾ بمعنى : فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً . اهـ .

(٤) المراد مخلصاً في دعائه وتضرعه ، أي لا يدعو لكشف الضرّ إلا الله ، والمراد بالإنسان هنا =



قال أبو جعفر : يُقال : أَنَابَ : إِذَا رَجَعَ ، وَتَابَ .

١٢ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ۖ ﴾ [ آية ٨ ] .

أي أعطاه وأباحه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يُشيدُ :  
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَحْوَلُوا الْمَالُ — يُحْوَلُوا  
وإن يُسَالُوا يُعْطُوا ، وإن يَسْرُوا يُعْلُوا<sup>(١)</sup>

ثم قال : ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [ آية ٨ ] .

أي نسي الذي كان يدعو الله جلَّ وعزَّ به ، من قبل<sup>(٢)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : نسي الله<sup>(٣)</sup> الذي كان يدعو به ، كما

---

= الكافر ، بدليل قوله بعده ﴿ وجعل الله أنداداً ﴾ والغرض من الآية أمران : العتاب ، وإقامة  
الحجة على الإنسان ، فالعتاب على الكفر ، وترك عبادة الله ، وإقامة الحجة على الإنسان ،  
بدعائه الله في الشدائد ، ونسيانه بعد الفرج .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في ديوانه ص ١١٢ واستشهد به الطبري ١٩٩/٢٣ والقرطبي  
٢٣٧/١٥ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨٨/٢ وغرض الشاعر أنهم كرماء ، إذ  
طلب منهم العطاء ، بذلوا بسخاء ، وإذا قامروا بالميسر ، يأخذون سمان الإبل فيقامرون عليها ،  
وروي « يُسْتَحْبَلُوا » وهي بمعناه .

(٢) أي نسي الضر الذي كان يدعو ربه لكشفه ، وتمرد وطنعى ، وعلى هذا تكون « ما » بمعنى  
الذي .

(٣) هذا القول ذكره المفسرون : القرطبي ، والطبري ، وأبو حيان ، وابن الجوزي ، فتكون ﴿ ما ﴾  
بمعنى « مَنْ » قال ابن الجوزي ١٦٥/٧ فيه ثلاثة أقوال :  
أحدها : نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه .

قال تعالى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ .

وفي قوله تعالى ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ معنى التهديد<sup>(١)</sup> .

١٣ — وقوله جل وعز ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ..﴾

[ آية ٨ ] .

قال السدي : الأنداد من الرجال ، يطيعهم في المعاصي<sup>(٢)</sup> .

وقيل : عبَد الأوثان .

وهذا أولى بالصواب ، لأن ذلك في سياق عتاب الله عز وجل

إياهم ، على عبادتها<sup>(٣)</sup> .

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا

وَقَائِمًا ..﴾ [ آية ٩ ] .

---

الثاني : نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله تعالى .

الثالث : نسي الله الذي كان يتضرع إليه .

قال الزجاج ٣٤٦/٤ وقد تدل ﴿ما﴾ على الله عز وجل كقوله تعالى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ . اهـ .

(١) هذا الأمر ﴿تمتع﴾ خرج عن ظاهره ، فأصبح للتهديد ، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية ، قليلاً من الزمن فمضيك إلى نار جهنم .

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٠/٢٣ والألوسي في روح المعاني ٢٤٥/٢٣ ونسبه إلى قتادة .

(٣) ما رجحه المصنف هو ما اختاره الطبري فقد قال ٢٠٠/٢٣ : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عَنَى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان ، فجعل له الأوثان أنداداً ، لأن ذلك في سياق العتاب لهم على عبادتها .

أي مُصَلٍّ ، والقنوت : الطاعة<sup>(١)</sup> .

قال الحسن وقادة : ﴿ آتَاءَ اللَّيْلِ ﴾ ساعاته ، أوله ،  
وأوسطه ، وآخره<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : قال الأخفش : قراءة من قرأ ﴿ أَمَّنْ ﴾ هُوَ<sup>(٣)</sup> ؟ بالتخفيف ، ضعيفة في العربية ، لأن أَلَفَ الاستفهام لا  
يَعْتَمَدُ على ما قبلها .

قال أبو جعفر : الذي قاله الأخفش حَسَنٌ ، يدلُّ عليه أن  
الذي في سورة التمل لم يُقْرَأْ إِلَّا مُثَقَّلًا ، ومعنى كلامه : أن الكلام  
معتمدٌ على ما قبله ، ليس له خبرٌ ، وإنما دَلَّ عليه ما قبله ، لأنه قال  
جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

---

(١) قال في اللسان : القنوت : الخشوع والقيام بالطاعة ، وقيل : القيام ، ومنه حديث جابر « سئل  
النبي ﷺ : أي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت » يريد طول القيام ، ويردُّ بمعانٍ متعددة ،  
كالطاعة ، والخشوع ، والصلاة ، والدعاء ، والقيام ، فيصرف لما يحتمله اللفظ .

(٢) هي من القراءات السبع ، قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وحمزة ، وقرأ الباكون بالتشديد ﴿ أَمَّنْ ﴾ هو  
قانت ﴿ وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٢/٢ وابن الجوزي في زاد المسير  
١٦٧/٧ وروح المعاني للألوسي ٢٤٦/٢٣ .

(٣) تكررت « أَمَّنْ » بالتشديد في سورة التمل في قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وقوله  
﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ وقوله ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ ؟ .. إلخ . وكلها  
بالتشديد ، وأصلها « أم من » فأدغمت الميم بالميم للتأثيل ، فصارت ميمًا مشددة ﴿ أَمَّنْ ﴾ ولم  
يرد عن القراء في سورة التمل أن أحدًا قرأ بالتخفيف ، بل الجميع اتفقوا على قراءتها بالتشديد ،  
وهذا ما نبّه عليه المصنف .

فَحَذَفَ الْخَبَرَ لِأَنَّ الْمَعْنَى : أَمَّنْ هُوَ مَطِيعٌ كَهَذَا<sup>(١)</sup> ؟ .  
 أَوْ أَمَّنْ هُوَ مَطِيعٌ ، أَفْضَلُ أَمْ هَذَا ؟ .  
 وَهَذَا مَوْضِعٌ ﴿ أَمْ ﴾ الَّتِي بِمَعْنَى « بَلْ » كَمَا قَالَ :  
 أَفْتِلِكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ  
 حَذَلْتُ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِ قَوْمَهَا<sup>(٢)</sup>  
 وَقَوْلُهُ :

أَذْلَكَ أَمْ جَابٌ يُطَارِدُ أَتْنًا  
 حَمَلَنَ فَأَذْنَى حَمْلِهِنَّ دُرُوصُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمِنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ ، فَالْخَبَرُ أَيْضًا عِنْدَهُ مَحذُوفٌ ، وَهُوَ شَيْءٌ  
 غَامِضٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، لَا يَأْنِسُ بِهِ إِلَّا مِنْ دَرَبَ بِهَا ، كَمَا قَالَ :  
 فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ  
 سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا<sup>(٤)</sup>

(١) قد يُحذف الجواب إذا دلَّ الكلام عليه ، والمعنى : أَمَّنْ هُوَ مَطِيعٌ ، عابِدٌ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ ،

يَتَعَبَّدُ رَبَّهُ فِي صَلَاتِهِ ، سَاجِدًا وَقَائِمًا ، خَيْرٌ أَمْ ذَلِكَ الْكَافِرُ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ أُنْدَادًا ؟

(٢) البيت للبيد بن ربيعة ، فِي دِيْوَانِهِ ص ٣٠٧ مِنْ قَصِيدَتِهِ : عَفَّتِ الدَّيَارُ .. إلخ . يَقُولُ : أَفْتِلِكَ  
 الْأَتَانُ تَشْبِيهُ نَاقَتِي أَمْ وَحْشِيَّةٌ ؟

(٣) البيت لَامِرِي الْقَيْسِ وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٠٨ بِلَفْظٍ : أَذْلَكَ أَمْ جَوْنٌ .. إلخ . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ ابْنُ  
 مَنْظُورٍ فِي السَّلْسَانِ ، وَالْأَزْهَرِيُّ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ مَادَّةَ ( دَرَصَ ) وَالشَّاهِدُ فِيهِ أَنَّ « أَمْ » جَاءَتْ  
 بِمَعْنَى « بَلْ » يَقُولُ : أَذْلَكَ الذَّكَرُ مِنَ النِّعَامِ يَشْبِيهِ نَاقَتِي ، أَمْ هَذَا الْحِمَارُ مِنْ حِمْرِ الْوَحْشِ ؟ .

(٤) البيت لَامِرِي الْقَيْسِ وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٢٤٢ بِلَفْظٍ : أَجِدُّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا .. إلخ . وَهُوَ مِنْ  
 شَوَاهِدِ النُّحَوِيِّينَ كَمَا فِي خَزَانَةِ الْبَغْدَادِيِّ ٨٤/١٠ وَابْنُ يَعِيشَ ٧/٩ وَالشَّاهِدُ : أَنَّ الْجَوَابَ فِيهِ  
 مَحذُوفٌ ، قَالَ الْفَرَّاءُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٤١٧/٢ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ بِالْبَيْتِ الْمَذْكُورِ إِنَّ مَعْنَاهُ : لَوْ أَنَا  
 رَسُولٌ غَيْرُكَ لَدَفَعْتَهُ ، فَعُلِمَ الْمَعْنَى وَلَمْ يَظْهَرْ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ « مَدْفَعًا » . اهـ . وَالصَّوَابُ أَنَّ الْجَوَابَ  
 مَذْكُورَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

أي لدفعناه ، فعلى هذا يقع الحذف .

وقيل : هو نداء أي يا من هو قائم آناء الليل<sup>(١)</sup> .

١٥ - وقوله جل وعز ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [آية ٩] .

قرأ سعيد بن جبیر ﴿يَحْذَرُ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾<sup>(٢)</sup> والمعنى واحد .

١٦ - وقوله جل وعز : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آية ٩] .

أي كما لا يستوي العالم والجاهل ، كذا لا يستوي المطيع والعاصي .

وقيل : ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ ما لهم في الطاعة ، وما عليهم في المعصية<sup>(٣)</sup> .

---

= إذا لَرَدَّدْنَاهُ وَلَوْ طَالَ مُكُتُّهُ لَدِينَا وَلَكِنَّا بِحُبِّكَ وَلَعَا  
قال البغدادى في خزانة الأدب ٨٤/١٠ وعذرهم في تقدير الجواب ، أن البيت الثاني ساقط من أكثر الروايات . اهـ .

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٤١٦/٢ : فسرها الذين قرءوا بها فقالوا : يا مَنْ هو قانت ، وهو وجه حسن ، والعرب تدعو بألف كما تدعو بياء ، فيقول : يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل . اهـ . وقال الطبري : وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام : قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل ، إنك من أهل الجنة . اهـ . ٢٠١/٢٣ .

(٢) هذه قراءة شاذة وهي محمولة على التفسير وانظر زاد المسير ١٦٧/٧ .

(٣) هذا هو الظاهر من الآية الكريمة عدم التساوي بين العالم والجاهل ، والمطيع والعاصي ، والمراد بالعلم هنا ما أدى إلى معرفة الله ، والنجاة من عذابه ، لا مطلق العلم ، والمعنى الثاني ذكره =

ثم قال ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي العقول .

ولُبُّ كُلِّ شَيْءٍ خَالِصُهُ <sup>(١)</sup> .

١٧ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ

اللَّهِ وَاسِعَةٌ .. ﴾ [ آية ١٠ ] .

قيل : الحسنَةُ : الجنة <sup>(٢)</sup> .

وقيل المعنى : لهم حسنة في الدنيا ، أي ثناء حسن ، وطمأنينة

بِمَا لَهُمْ <sup>(٣)</sup> .

وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ [ آية ١٠ ] .

قال مجاهد : أي فَهَاجِرُوا ، واعتزلوا الأوثان <sup>(٤)</sup> .

---

= الطبري ٢٠٣/٢٣ فقال : هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم وما عليهم في

معصيته ، والذين لا يعلمون ذلك ، فهم يخطون في عشواء ؟

(١) في المصباح : لُبُّ النخلة : قلبُها ، ولُبُّ الجوز : ما في جوفه ، ولُبُّ كل شيء خالِصه ،  
واللُبُّ : العقل .

(٢) هذا رأي أكثر المفسرين أن المراد بالحسنة الجنة ، قال القشيري : المراد بالحسنة : الثواب في  
الجنة ، وقيل : هي الصَّحَّة ، والعافية في الدنيا ، والظفر والغنيمة ، والأول أصح ، لأن الكافر قد  
نال نِعَمَ الدنيا . اهـ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٠٣/٢٣ ولم يعزه لأحد من السلف ، وروى عن السدي أن الحسنة :  
الصَّحَّة ، والعافية .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٣/٢٣ عن مجاهد ، وكذا السيوطي في الدر المنثور ٣٢٣/٥ ، والآية  
حضُّ على الهجرة ، وأمر بالصبر على المكارة ، نُصْرَةٌ لدين الله !

١٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [ آية ١٥ ] .

على الوعيد ، وهذا قبل الأمر بالقتال<sup>(١)</sup> .

١٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

أي خسروا أنفسهم بالتخليد في النار ، وأهليهم بأنهم لم يدخلوا الجنة ، فيكون لهم أهلون .

وروى معمر عن قتادة قال : ليس أحدٌ إلا وقد أعدَّ الله له أهلاً في الجنة ، إن أطاعه<sup>(٢)</sup> .

٢٠ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [ آية ١٦ ] .

أي ذلك الذي وُصف من العذاب .

٢١ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا .. ﴾ [ آية ١٧ ] .

---

(١) يريد المصنف رحمه الله أن الآية على الوعيد والتهديد ، قبل نزول آيات القتال ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب .. ﴾ الآية ، فهي كقوله تعالى ﴿ افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ لا يراد بها الإباحة ، إنما هي على الوعيد والتهديد .

(٢) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وعزاه إلى ابن عباس أيضاً ، وذكره ابن الجوزي ١٩٩/٧ بنحوه حيث قال : خسروا الحور العين اللواتي أُعددن لهم في الجنة لو أطاعوا الله . اهـ .

رَوَى ابْنُ أَبِي نَحْيَجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الطَّاعُوتُ :  
الشَّاطِئِينَ<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وقد بينّا هذا في سورة البقرة<sup>(٢)</sup> .

٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
أَحْسَنَهُ .. ﴾ [ آية ١٨ ] .

في معنى هذا قولان :

القول الأول : قال الضحاك : ﴿ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾

القرآن ، و ﴿ أَحْسَنَهُ ﴾ ما أمر الله جلّ وعزّ به الأنبياء ، من طاعته  
فيتبعونه<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأثر ذكره في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وفي زاد المسير ١٧٠/٧ والقرطبي ٢٤٣/١٥ قال الأخفش في  
معاني القرآن ٦٧١/٢ : الطاعوت في معنى الجماعة ، قال تعالى ﴿ والذين كفروا أولياؤهم  
الطاغوت ﴾ وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً . اهـ .

أقول : ومعنى الطاعوت في اللغة : البالغ غاية الطغيان والجبروت ، كالرحموت والعظموت ،  
والمراد به الشيطان ، ووُصِفَ به للمبالغة قال في التهذيب : وتأوها زائدة ، ويدكّر ويؤنث ،  
والاسم الطغيان .

(٢) في قوله تعالى ﴿ الله وليّ الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم  
الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات .. ﴾ البقرة آية رقم ٢٥٧ .

(٣) هذا الأثر عن الضحاك ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وابن الجوزي ١٧٠/٧ ونسبه إلى  
الجمهور ، والأظهر أن المراد بالقول العموم ، أي يستمعون الحديث والكلام ، فيأخذون أحسن  
ما فيه ، قال ابن عباس : هو الرجل يسمع الحسن والقبيح ، فيتحدّث بالحسن ، ويتكفّ عن  
القبيح ، فلا يتحدث به ، وهذا ما رجّحه الطبري ، وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن جزي في  
التسهيل ، والقصد من الآية الثناء على هؤلاء بنفوذ بصائرهم ، ونظرهم السديد ، وأنهم يفرقون  
بين الحق والباطل ، وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك ، فإذا سمعوا قولاً تبصّروه  
وعملوا بما فيه ، وأحسن الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي رسوله الكريم ﷺ .



والقول الآخر : أنهم يستمعون القرآن وغيره ، فيتبعون القرآن .

قال أبو جعفر : القول الأول حسن ، والمعنى : أنهم إذا سمعوا بالعقوبة والعفو ، عَفَوْا ، ورأوا أَنَّ العَفْوَ أَفْضَلُ ، وإن كانت العقوبة لهم .

٢٣ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تَنْقُذُ مِنْ فِي النَّارِ ﴾ ؟ [ آية ١٩ ] .

يُقَالُ : كيف جيء باستفهامين ، وقد أجمع أهل العربية ، أنه لا يجوز استفهامين في اسمٍ وخبره ؟  
ففي هذا جوابان :

أحدهما : أن العرب إذا طال الكلام ، كرّرت تأكيداً ، وكذلك قال سيبويه في قول الله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ ، وَكُنْتُمْ ثَرَاءً وَعِظَامًا ، أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ (١) ؟

المعنى على هذا : أفمن حق عليه كلمة العذاب ، أفأنت تنقذه ؟

والكلام شرطٌ وجوابه ، وجيء بالاستفهام ، ليدل على التوقيف والتقرير (٢) .

---

(١) سورة « المؤمنون » آية رقم ٣٥ والشاهد في الآية تكرير لفظ « أنكم » .  
(٢) قال الحوفي : وجيء بألف الاستفهام ﴿ أَفَأَنْتَ تَنْقُذُ ﴾ ؟ لما طال الكلام تأكيداً ، ولولا طوله لم يجز الإتيان بها ، لأنه لا يصلح بالعربية ، أن يؤتى بألف الاستفهام في الاسم ، وألف أخرى في الجزاء ، ومعنى الكلام : أفأنت تنقذه ؟ . اهـ . نقلاً عن البحر المحيط ٤٢١/٧ .

قال الفراء : المعنى : أفأنت تُنقذ من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب<sup>(١)</sup> ؟

قال أبو جعفر : وهذا والأول واحد .

والجواب الآخر : أن في الكلام حذفاً .

والمعنى : أفمن حَقَّ عليه كلمة العذابِ يَتَخَلَّصُ ، أو ينجو<sup>(٢)</sup> ؟ .

ثم حذف الجواب ، وكان ما بعده مستأنفاً .

والمعنى : أفمن سبق في علم الله جلَّ وعزَّ ، أنه يدخل النار ، ينجو أو يتخلص ؟

٢٤ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [ آية ٢١ ] .

يُروى أن كل ماءٍ في الأرض ، فأصله من السماء<sup>(٣)</sup> .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٨/٢ فقد وضع المسألة وأتى بشواهد كثيرة .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٥٠/٤ قال ابن الجوزي ١٧١/٧ : ويجوز أن يكون في الكلام محذوف ، تقديره : أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب ، فيتخلص منه أو ينجو ، أفأنت تنقذه ؟ . اهـ . وقد رجح ابن جزي في التسهيل ٤٢٠/٣ القول الأول فقال : والقول الثاني أن يكون التقدير : أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب ، تتأسَّف عليه ، فحذف الخبر ، ثم استأنف قوله ﴿ أفأنت تنقذ من في النار ﴾ ؟ والأول أرجح لعدم الإضمار .

(٣) هذا قول الشعبي حكاه عنه الطبري ٢٠٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وروي مثله عن ابن عباس حيث قال : ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيرُه ، فمن سرَّه أن يعود الملح عذباً فليصعَّده . اهـ . ابن كثير ٨٣/٧ .

وقد يجوز أن يكون إنزاله إياه ، خلقه له ، وتكوينه بأمره (١) .

وقوله تعالى ﴿ فَسَلَكْهُ ﴾ أي فأدخله فجعله ﴿ يَتَابِع ﴾ جمع  
يَنْبُوع « يَفْعُول » من تَبَعَ ، يَنْبُع .

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾ أي أخضر ، وأسود ،  
وأصفر ، وأبيض (٢) .

﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَاهُ مُّصْفَرّاً ﴾ أي يَجِفُّ .

قال الأصمعي : يُقال لِلنَّبْتِ إِذَا تَمَّ جَفَافُهُ ، قَدْ هَاجَ ، يَهِيْجُ ،  
هَيْجاً (٣) .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً ﴾ أي رُفَاتاً (٤) .

٢٥ — ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ آية ٢١ ] .

(١) ذكر بعض المفسرين أن كل ماء نزل من السماء ، فأصله من الأرض ، واستدل على ذلك بقول  
الله تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ فالمطر ينزل من  
السحاب ، والسحاب يتكون من مياه الأرض بواسطة الأبخرة المتصاعدة ، فيكون على هذا القول  
إنزاله بمعنى خلقه وتكوينه كما تَبَّه المصنف عليه ، وانظر الدر المنثور ٣٢٤/٥ .

(٢) وفسر الإمام ابن جرير الطبري قوله ﴿ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾ قال : يعني أنواعاً مختلفة من بين حنطة ،  
وشعير ، وسمسم ، وأرز ، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة . اهـ . والأولى أن يُقال : مختلفة الألوان  
والأصناف لتشمل الكل .

(٣) قال الجوهري : هَاجَ النَّبْتُ هَيْجاً إِذَا بَيَسَ ، وَفِي اللِّسَانِ وَتَاجَ الْعُرُوسِ : هَاجَتِ الْأَرْضُ هَيْجاً  
وَهَيْجَاناً : بَيَسَ بِقَلْهَآ . اهـ .

(٤) في القرطبي ٢٤٦/١٥ ﴿ حُطَاماً ﴾ أي فُتَاتاً مَكْسِراً ، مِنْ تَحَطَّمَ الْعُودُ إِذَا تَفْتَتَ مِنَ الْبَيْسِ .  
اهـ .

أي يفكِّرون ، فيذكرون أنَّ هذا دالٌّ على توحيد الله جلَّ وعزَّ ،  
وقدرته<sup>(١)</sup> .

٢٦ — وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ  
مِّنْ رَبِّهِ ۚ ۞ ﴾ [ آية ٢٢ ] .

في الكلام حذف .

والمعنى : أفمن شرحَّ الله صدره فاهتدى ، كمن طَبَعَ على  
قلبه ، فلم يهتدِ ؟!

وفي الحديث قال أصحابُ رسول الله ﷺ : ( أو ينشرُ  
القلبُ ؟ قال : نعم ، إذا أدخل الله فيه النورَ ، انشرحَّ وانفسَحَ ،  
قالوا : فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم !!

• التجافي عن دار الغرور .

• والإِنابةُ إلى دار الخلود .

---

(١) هذه الآية دليل على القدرة والوحدانية ، كما نبَّه المصنف ، وفيها تمثيل رائع للحياة الدنيا ، ومن  
على ظهرها من الخلائق ، مهما طال عمر الإنسان ، فلا بد له من النهاية ، حتى يصير مصفرَّ  
اللون ، متحطِّم الأركان ، متكسراً كالزَّرْع بعد نُضْرته ، ثم يأتيه الموت في نهاية المطاف ، وكذلك  
حال الدنيا بما فيها من بَهْرَج ومتاع ، يتغير النبات الأخضر فيصفرُّ ، ثم يزوي ، ويسس ، فيكون  
حطاماً ، كذلك الدنيا بعد بهجتها ، قال ابن كثير ٨٣/٧ : هكذا الدنيا تكون خَضِرَةً ،  
نَضِرَةً ، حسناء ، ثم تعود عجوزاً شوهاء ، وكذلك الشاب يعود شيخاً هَرِمًا ، كبيراً ضعيفاً ،  
وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل  
الحياة الدنيا ، بما يُنزل الله من السماء من ماء ، ويُنبِت به زروعاً وثماراً ، ثم يعود بعد ذلك  
حطاماً . اهـ .

• والإعدادُ للموتِ قبلَ [ لقاءِ ] الموتِ (١) .

٢٧ — ثم قال جلَّ وعز ﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ آية ٢٢ ] .

قيل : معنى ﴿ مِنْ ﴾ و « عَنْ » ههنا واحدٌ (٢) .

قال أبو جعفر : وليس هذا بشيءٍ ، فمعنى ﴿ مِنْ ﴾ إذا ثلثت عليهم آياته قَسُوا ، كما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ (٣) .

وإذا قال « عَنْ » فمعناه : قست قلوبهم ، وجفت عن قبول ذكر الله (٤) .

---

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٥/٥ ورواه الطبري ٢٧/٨ من طريقين عن عبد الله بن مسعود ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » : رواه الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود ، وفيه « أبو فروة » فيه كلام ، ورواه ابن كثير في تفسيره ، مرسلاً ، متصلاً ٣٢٧/٣ ثم قال : وهذه طرق متصلة ومرسلة يشد بعضها بعضاً .

(٢) هذا مذهب الفراء في معاني القرآن ٤١٨/٢ قال : ﴿ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ و « عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ » كل صواب ، تقول : اتخمت من طعام أكلته ، وعن طعام أكلته ، سواء في المعنى . اهـ . وكذلك قال الطبري ٢٠٩/٢٣ ﴿ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ بمعنى : عن ذكر الله ، فوضعت ﴿ مِنْ ﴾ مكان « عن » . اهـ . والأولى ما ذكره صاحب البحر ٤٢٠/٧ أن الكلام على حذف مضاف ﴿ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي من أجل ذكره أي إذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم ، وإليه ذهب المصنف .

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٥ .

(٤) وضع المعنى المراد من الآية الإمام الفخر الرازي بأبدع الكلام فقال رحمه الله : فإن قيل إن ذكر الله سبب لحصول النور ، والهداية ، وزيادة الاطمئنان كما قال سبحانه ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

٢٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ..﴾  
[ آية ٢٣ ] .

رَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ :  
حَدَّثْنَا !! فنزلت ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ (١) .

قال قتادة : ﴿مُتَشَابِهًا﴾ أي لا يختلف (٢) .

قال أبو جعفر : والمعنى : أنه يُشَبِّهُ بعضه ببعضاً في الحكمة  
والحق ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ  
اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ .

٢٩ — ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿مَثَانِي ..﴾ [ آية ٢٣ ] .

---

= القلوب ﴿ فكيف جعله في هذه الآية سبباً لحصول قسوة القلب ؟ والجواب أن نقول : إن  
النفس إذا كانت خبيثة الجوهر ، كدرة العنصر ، بعيدة عن الروحانيات ، شديدة الميل إلى  
الطبايع البهيمية ، والأخلاق الذميمة ، فإن سماعها للذكر لله يزيد لها قسوة وكدورة ، كنور  
الشمس يسود وجه الإنسان ويبيض ثوبه ، وحرارة الشمس تليق الشمع ، وتجمد الملح ، فلا يبعد  
أن يكون ذكر الله يوجب النور والهداية في النفوس الطاهرة الروحانية ، ويوجب القسوة والظلمة في  
النفوس الخبيثة الشيطانية ، وما ذاك إلا لاختلاف جواهر النفوس » . اهـ . التفسير الكبير  
٢٦٦/٢٦ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٢١١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٥/٥ والقرطبي في  
جامع الأحكام ٢٤٨/١٥ .

(٢) أحسن ما قيل في معنى ﴿مُتَشَابِهًا﴾ قول ابن عباس رضي الله عنه : أنه يشبه بعضه بعضاً ،  
ويصدق بعضه بعضاً ، ولا يختلف شيء منه ، أي ليس فيه تناقض ولا اختلاف ، تتشابه آياته  
في الفصاحة والبيان ، والتناسق والأحكام ، كما ذكره المصنف .

قال قتادة : ﴿ مَثَانِي ﴾ : ثَنَاهُ اللَّهُ عز وجل<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : والمعنى : ما تُثَنَّى فيه القصصُ ، والشواهُ ،  
والعقاب<sup>(٢)</sup> .

وقيل : المثنائي : كلُّ سورةٍ ، فيها أقلُّ من مائة آية ، أي تُثَنَّى  
في الصلاة<sup>(٣)</sup> .

٣. — ثم قال جل وعز ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ  
تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴾ [ آية ٢٣ ] .

أي تقشعرُّ من الآيات التي يُذكر فيها العذاب ، ثم تلينُ إلى  
الآيات التي تُذكر فيها الرَّحمة .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٣/٢١٠ ولفظه : ثنى الله فيه الفرائض ، والقضاء ، والحدود ،  
وانظر الدر المنثور ٣٢٥/٥ .

(٢) قال القرطبي ٢٤٩/١٥ : ﴿ مَثَانِي ﴾ تُثَنَّى فيه القصص ، والمواعظ ، والأحكام ، وثني للتلاوة  
فلا يمل ، وفي التسهيل ٤٢١/٣ : ﴿ مَثَانِي ﴾ جمع مثنى أي تُثَنَّى فيه القصص تكرر ، ويحتمل  
أن يكون مشتقاً من الثناء ، لأنه يُثَنَّى فيه على الله . اهـ . وفي الجواهر الحسان للثعالبي ٥٤/٤ :  
﴿ متشابهاً مثنائي ﴾ معنى ﴿ متشابهاً ﴾ أي مستوياً لا تناقض فيه ولا تدافع ، بل يشبه بعضه  
بعضاً في رصف اللفظ ، وثيقة البراهين ، وشرف المعاني ، إذ هي اليقين في العقائد في الله ،  
وصفاته ، وأفعاله ، وشرعه ﴿ ومثنائي ﴾ معناه موضع تشبيه للقصص ، والأقضية ، والمواعظ ،  
تُثَنَّى فيه ولا تُملُّ مع ذلك ، ولا يُعرض لها ما يعرض للحديث المعاد . اهـ .

(٣) هذا قول بعض القراء ، فقد قسموا سور القرآن إلى ثلاثة أقسام : طوال ، ومثاني ، ومفصل ،  
فهناك السبع الطوال ما زادت على مائة آية وهي ( البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ،  
الأنعام ، الأعراف ، التوبة ) وهناك السور القصار كبسورة النصر وسورة الكوثر ، وهي في  
الأجزاء الأخيرة ، وهناك المثنائي ، وهي دون الطوال .

٣١ - وقوله جل وعزَّ : ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾ ؟ [ آية ٢٤ ] .

في الكلام حذف .

والمعنى : أفمن يتَّقِي بوجهه سوء العذاب ، كمن يدخل الجنة<sup>(١)</sup> ؟

قال مجاهد : يَحْزُرُ على وجهه في العذاب يوم القيامة<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : ويُرَوَّى أنه يُلْقَى في النَّارِ مغلولاً ، فلا يقدرُ أن يَتَّقِي النَّارَ إِلَّا بِوَجْهِهِ<sup>(٣)</sup> .

٣٢ - وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُرْآنًا غَرِيْبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ، لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [ آية ٢٨ ] .

قال مجاهد : أي غير ذي لَبْسٍ<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : المعنى : أنه مستقيمٌ ، لا يُخَالِفُ بعضه

(١) هكذا قال الزجاج في معانيه ٣٥٢/٤ وذكره ابن الجوزي ١٧٨/٧ وقال الأخفش في معانيه ٦٧١/٢ : وهذا لم يظهر له خبر في اللفظ ، ولكنه في المعنى : أفمن يتَّقِي بوجهه أفضل ، أم من لا يتَّقِي ؟ . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٢١١/٢٣ والقرطبي ٢٥١/١٥ والدر المنثور ٣٢٦/٥ .

(٣) هذا المعنى ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٨/٧ وهو مروي عن ابن عباس كما في الدر المنثور ٣٢٦/٥ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢١٢/٢٣ والبحر المحيط ٤٢٤/٧ والدر المنثور ٣٢٦/٥ ومعنى : الْعِوَجُ : الإعوجاج أي أنه كتاب مستقيم ، بريء من التناقض والاختلاف ، وإنما قال ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ ولم يقل غير معوج ، لأنه أبلغ في النفي ، كأنه قال : ليس فيه شيء من الْعِوَج أصلاً .



بعضاً ، لأن الشَّيْءَ المَعْرُوجَ مُخْتَلَفٌ .

وقد رُوي عن ابن عباس : ﴿ غَيْرَ ذِي عَوْجٍ ﴾ : غير مخلوق<sup>(١)</sup> .

٣٣ — وقوله جَلَّ وعزَّ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ .. ﴾ [ آية ٢٩ ] .

قال قتادة : هو الكافر ، والشركاء : هم الشياطين .

قال : ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا ﴾ هو المؤمن ، يعمل لله وحده<sup>(٢)</sup> .

قال مجاهد والضحاك : هذا مثل للحقِّ والباطل ، والشركاء : هم الأوثان<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس ١٧٩/٧ وذكره في البحر ٤٢٤/٧ ونسبه إلى السدي ، وكذا في القرطبي ٢٥٢/١٥ ثم قال : أحسن ما قيل فيه قول الضحاك ﴿ غير ذي عَوْجٍ ﴾ أي غير مختلف .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢١٤/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ قال المفسرون : هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر يعبد آلهة شتى ، والمؤمن يعبد إلهاً واحداً ، وقد ضرب الله مثلاً للكافر بعبد مملوك ، اشترك فيه عدة أشخاص ، سيئو الأخلاق ، مختلفو الطبائع ، متخاصمون ، متنازعون ، فهو لا يقدر أن يرضي واحداً منهم ، كلٌّ منهم يريد أن يقضي حاجته على وجه التمام والكمال فلا يزال هذا العبد في عناء وتعب ، ولوم كل واحد من هؤلاء المالكين ، وعبد مملوك لسيد واحد ، فهو يخدمه بإخلاص ويتفانى في خدمته ، فهل يستوي هذا وهذا في حسن الحال ، وراحة البال ؟ وهو مثل في غاية الحسن في تقييد الشرك ، وتحسين التوحيد .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ والطبري ٢١٤/٢٣ وقال مجاهد : هو مثل آلهة الباطل ، وإله الحق .

قال الفراء : ﴿ متشاكسون ﴾ : مختلفون<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ رَجُلًا سَالِمًا ﴾ أخرجـه على الفعل ، ومن قرأ ﴿ سَلَمًا ﴾ جعله مصدرًا فمعناه : ذا سَلَمٍ<sup>(٢)</sup> .

٣٤ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [ آية ٣١ ] .

أي يُخاصم المظلوم الظالم ، والمؤمن الكافر .

قال ابن عمر : ما كنا ندري فيم نختصم ، حتَّى وقعت الفتنة فقلنا : هو ذا<sup>(٣)</sup> .

وفي الحديث : أَنَّ الزبير قال يارسول الله : ( أنختصم يوم القيامة ، بعدما كان بيننا ؟ قال : نعم ، حتَّى يُؤدَّى إلى كلِّ ذي حقِّ حقه ، قال : إِنَّ الأمرَ إِذَاً لشديدٍ )<sup>(٤)</sup> .

---

(١) انظر معاني الفراء ٤١٩/٢ قال الفراء : وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فجعل الذي فيه شركاء هو الذي يعبد الآلهة المختلفة .

(٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ رَجُلًا سَالِمًا ﴾ بالألف ، وقرأ الباقون ﴿ سَلَمًا ﴾ وهما قراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة ص ٥٦٢ .

(٣) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١/٧ : ولفظه : ( نزلت هذه الآية وما ندري ما تفسيرها ؟ وما نرى أنها نزلت إلّا فينا ، وفي أهل الكتاب ، حتَّى قُتل عثمان ، ووقعت الفتنة بين علي ومعاوية ، فعرفت أنها نزلت فينا ) . اهـ . وذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٤/١٥ : فلنا : كيف نختصم ، وبنينا واحد ، وديننا واحد ؟ حتَّى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ، فعرفت أنها فينا نزلت . والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢/٢٤ وابن كثير ٨٧/٧ والقرطبي ٢٥٤/١٥ وفي الدر المنثور ٣٢٧/٥ .

٣٥ — وقوله جَلَّ وعَزَّ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [ آية ٣٣ ] .

حدثنا بكر بن سهل قال : حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ﴾ يقول : جاء به « لا إله إلا الله » <sup>(١)</sup> ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ يعني برسول الله ﷺ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ يقول : اتقوا الشرك <sup>(٢)</sup> .

وروى ابن عيينة ، عن منصور قال : قلت لمجاهد : يا أبا الحجاج <sup>(٣)</sup> ، ما معنى قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ؟ [ آية ٣٣ ] .

قال : الذي جاء بالقرآن ، وصدَّقَ به <sup>(٤)</sup> .

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٩٠/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٢/٧ والطبري ٤/٢٤ ورجَّح الطبري العموم ، فقال : والصواب من القول أن الله تعالى عنى بالصدق ، كلُّ من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسوله ، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ ، وأن يراد بالصدق أيضاً القرآن ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدق به المؤمنون من جميع خلق الله . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٥/٢٤ وابن كثير ٩٠/٧ الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

(٣) هذه كنية الإمام مجاهد بن جبر ، وهو أبو الحجاج الخزومي المكي المقرئ ، من كبار المفسرين من التابعين توفي سنة ١٠٠ هـ قال العجلي : تابعي ثقة ، وقال الذهبي : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وانظر التهذيب ٤٤/١٠ .

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري ٤/٢٤ ولفظه : عن مجاهد قال : هم أهل القرآن ، يجتمعون به يوم القيامة يقولون : هذا الذي أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه . اهـ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

قال أبو جعفر : وهذا يشبه القول الأول ، وهو قول أكثر أهل اللغة .

ويدل على صحته ، أن عبد الله بن مسعود قرأ ﴿ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

ف ﴿ الَّذِي ﴾ ههنا ، و ﴿ الَّذِينَ ﴾ واحد .

وقال الحسن : هو المؤمن ، جاء بالصدق يوم القيامة ، وصدق به في الدنيا<sup>(٢)</sup> .

وبعض أهل اللغة يقول : حذف من ﴿ الَّذِينَ ﴾ النون ، لطول الاسم<sup>(٣)</sup> .

وبعضهم يقول : ﴿ الَّذِي ﴾ بمعنى : الَّذِينَ<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذه قراءة على التفسير ، وليست من القراءات السبع ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٦/١٥ وقال : هي على التفسير ، وذكرها الطبري ٤/٢٤ وابن كثير ٩٠/٧ فهي قراءة شاذة .

(٢) هذا القول قريب من قول مجاهد ، وقد اختاره الطبري ، وابن كثير ، ويدل على العموم قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٩٠/٧ : وهذا القول يشمل كل المؤمنين ، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به ، والرسول أولى الناس بالدخول في هذه الآية ، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين . اهـ .

(٣) قال أبو حيان في البحر ٤٢٨/٧ : هذا القول ليس بصحيح ، إذ لو أريد به الذين وحذفت منه النون ، لكان الضمير مجموعاً أي يأتي بلفظ « جاءوا » بالجمع .

(٤) هذا قول البصريين حكاه عنهم ابن جرير وغيره ، قال ويدل عليه قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ بصيغة الجمع ، وانظر الطبري ٤/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٢/٧ .

وبعضهم يقول : ﴿ الَّذِي ﴾ واحدٌ يؤدِّي عن معنى الجماعة .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ أصحُّها ، يكون ﴿ الَّذِي ﴾ مثلُ « مَنْ » لأنه لا يُقصد قصْدُه ، وحقيقته أن المعنى : والقبيل الذي جاء بالصدق ، وصدق به<sup>(١)</sup> .

وقد قيل في الآية غيرُ هذا

قال قتادة وأبو العالية : الذي جاء بالصدق النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> .

وقيل : النبي ﷺ ، وعليُّ عليه السلام<sup>(٣)</sup> .

حدثنا عليُّ بن سعيد ، قال : حدثنا الحسين بن نَصْرٍ ، حدثني أبي ، قال : حدثنا عمر بن سعيد ، عن ليثٍ ، عن مجاهد ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ محمد ﷺ ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ عليُّ بن أبي

---

(١) ما ذكره المصنف ورجَّحه ، هو اختيار الأخفش ، فقد جاء في معانيه ٦٧٢/٢ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ ثم قال ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ فجعل ﴿ الَّذِي ﴾ في معنى جماعة ، بمنزلة « مَنْ » . اهـ . وهو أيضاً اختيار ابن عطية ، وأبي حيان في البحر المحيط ٤٢٨/٧ فقد جاء فيه ﴿ وَالَّذِي ﴾ جنس ، كأنه قال : والفريق الذي جاء بالصدق ، وبدل عليه قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ والطبري ٣/٢٤ والقرطبي ٢٥٦/١٥ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

(٣) الأثر ذكره القرطبي ٢٥٦/١٥ وعزاه إلى مجاهد ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ هذا القول من كلام أبي هريرة وقال : أخرجه ابن مردويه .

طالب عليه السلام<sup>(١)</sup> .

ونظيرُ الَّذِي جاءَ بالصدِّقِ ، في أنه واحدٌ يؤدي عن جماعة ،  
قوله .

وإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ  
هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ حَالِدٍ<sup>(٢)</sup>  
وحذفَ النونَ ، وقوله :  
أَيْنِي كُلِّيْبٍ إِنَّ عَمِّي اللَّذَا  
قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ<sup>(٣)</sup>

٣٦ — وقوله عز وجل : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ .. ﴾ [ آية ٣٦ ] .

هذا يدلُّ على النَّصر ، وأكثرُ الكوفيِّينَ يقرأ ﴿ بكافٍ

- 
- (١) هذا القول كسابقه ، أن المراد به النبي ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وقد أخرج  
هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١٥ .
- (٢) البيت للأشهب بن رُميلة ، وهو في لسان العرب ، وتاج العروس ، والصحاح مادة « فلعج » وقد  
استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٩٠/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٣/٧ وأبو حيان في  
البحر ٤٢٨/٧ وهو في شواهد المغني ص ١٧٤ والخزانة ٥٠٧/٢ .
- (٣) البيت للأخطل التغلبي كما في ديوانه ص ٣٨٧ وذكره ابن جني في المحتسب ١٨٥/١ وشواهد  
سبويه ص ١٢٦ وفي الدرر ، والشاهد فيه حذف النون من لفظ « اللذان » حيث قال :  
« اللذان » ونظير هذا حذف النون من قول الشاعر « إن الذي حانت » في الشعر السابق ،  
وحذف النون في الآية ﴿ والذي جاء بالصدِّق ﴾ .

## عِبَادَةُ ﴿١﴾ .

والتوحيدُ أحسنُ ، لأنه يُروى أنه يُراد به النبي ﷺ ، ويدلُّ عليه ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

رَوَى ابْنُ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الْأَوْتَانُ (٢) .

قال قتادة : أخذها خالد بن الوليد فأساء ، فجاء إلى « العُزَّى » ليكسرهما فقال له قيمُّها : إِنَّ سَبْلَهَا لَا يُطَاق ، فَخَفَّ منها ، فجاء حتى كسر أُنْفَهَا (٣) .

ويُروى أنهم قالوا للنبي ﷺ : لئن لم تنته عن سبِّها ، لنأمرنَّها فلتخبلنَّك (٤) .

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف ، بالجمع ﴿ عِبَادُهُ ﴾ وقرأ الباقون ﴿ بكافٍ عبده ﴾ على الأفراد ، والقراءتان من السبع ، كما في النشر ٣٦٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٢ وإنما كانت قراءة الأفراد ﴿ عَبْدُهُ ﴾ أحسن كما قال المصنف لقوله تعالى ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ الخطاب فيها للنبي ﷺ ، فتتسق الجملة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٤ وقال : وَيُخَوِّفُكَ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بِالْأَوْتَانِ ، والآلة أن تصيبك بسوء ، وقال ابن كثير ٩١/٧ : يعني المشركين يُخَوِّفُونَ الرسول ، ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم ، ونسب الطبري هذا القول إلى قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، قال الفراء : وهذا مثل قول الكفار لشعيب ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ .. ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٤ والقرطبي ٢٥٨/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ ومعنى « إِنْ سَبَّلَهَا » أي وعيدها لا يُطَاق ، قال في اللسان : وقد نَشَرَ سَبَّلَتَهُ : إِذَا جَاءَ بِتَوَعُّدٍ .

(٤) الأثر ذكره القرطبي في تفسيره ٢٥٨/١٥ قال : إِنْهُمْ خَوَّفُوا النَّبِيَّ ﷺ مَضْرَّةَ الْأَوْتَانِ ، فقالوا : أَتَسْبُّ آلِهَتَنَا ؟ لئن لم تكفَّ عن ذكرها ، لتخبلنَّك أو تصيبك بسوء ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

قال مجاهد : نزلت هذه الآية حين قرأ النبي ﷺ سورة النجم  
عند باب الكعبة .

٣٧ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ اِنِّي عَامِلٌ  
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٣٩] .

قال مجاهد : ﴿ على مكانتكم ﴾ أي على ناحيتكم (١) .  
قال أبو جعفر : وهذا قول صحيح .

والمعنى : على ناحيتكم التي اخترتموها ، وتمكنت عندكم .  
﴿ اِنِّي عَامِلٌ ﴾ المعنى : اِنِّي عاملٌ على ناحيتي ، ثم حذف (٢) .  
٣٨ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ  
فِي مَنَامِهَا .. ﴾ [آية ٤٢] .

رَوَى جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : تُجْمَعُ  
أرواحُ الأحياء ، وأرواحُ الأموات ، فتعارف بينهما ما شاء الله ، فيمسكُ  
التي قضى عليها الموت ، ويرسلُ الأخرى إلى أجسادها (٣) .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ٨/٢٤ وهو وعيد وتهديد ، قال ابن كثير ﴿ على مكانتكم ﴾ أي على طريقتمكم ، وهذا تهديد ووعيد .

(٢) إنما حذف الجارَ والمجرور ، لدلالة اللفظ عليه ، أي اِنِّي عاملٌ على طريقتي ومذهبي ، من الدعوة إلى الله ، وإظهار دينه ، ويسمى هذا في البلاغة حذف إيجاز ، بشرط أن يدلَّ الكلام عليه .

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره ٩/٢٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٦٠/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٦/٧ ورفعهُ إلى ابن عباس .



قال الفراء : المعنى ﴿وَأَتَيْتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ عند انقضاء أجلها ، قال : وقد يكون «تَوَفَّاهَا» نومها<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وقيل : المعنى : اللُّهُ يتوفى الأنفس حين موتها ، بإزالة أنفُسِها وتمييزِها ، ثُمَّ أُضْمِرَ لِلثَّانِي فَعَلٌ ، لأنه مخالفٌ للأول .

فالمعنى : ويتوفى التي لم تمت في منامها ، بإزالة تمييزها فقط ، لأنَّ النَّائِمَ يَتَنَفَّسُ<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى ﴿يَتَوَفَّى﴾ و «يَسْتَوْفِي»<sup>(٣)</sup> واحدٌ ، إذا انقضى الشيء ، كما يُقال : تَبَيَّنْتُ ،

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤٢٠/٢ ولفظه ، والمعنى فيه : يتوفى الأنفس حين موتها ، ويتوفى التي لم تمت في منامها ، عند انقضاء أجلها ، ويُقال : إن توفَّيها : نومها ، وهو أحبُّ الوجهين إليَّ . اهـ .

(٢) قال في التسهيل ٤٢٥/٣ : « هذه الآية عظة واعتبار ، ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين : أحدهما وفاة كاملة حقيقية ، وهي الموت ، والآخر وفاة النوم ، لأنَّ النَّائِمَ كَالْمَيِّتِ في كونه لا يبصر ولا يسمع ، ومنه قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ وتقدير الآية : ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ، فيمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت ، فلا يرُدُّها إلى الدنيا ، ويرسل الأنفس النَّائِمَةَ ، فيرُدُّها إلى الدنيا ، والأجل المسمى : أجل الموت » . اهـ .

(٣) مراد المصنف أن آية ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى﴾ ليس بقبض الروح عند الموت فقط ، بل يكون بمعنى استيفاء الشيء على وجه التمام والكمال .. والمعنى : الله يعطي النفوس عمرها ، كاملاً مستوفياً ، فالتى حكم عليها بالموت ، يقبضها ولا يرُدُّها ، والتي لم ينته أجلها ، يقبضها في النوم ثم يرُدُّها ، عند اليقظة ، حتى تستوفي كامل أجلها ، فيقبضها عند ذلك ، ووجه المشابهة أن النَّائِمَ كَالْمَيِّتِ ، فالنوم هو الوفاة الصغرى ، والموت : هو الوفاة الكبرى .

وَاسْتَبْنْتُ ، وَتَيَقَّنَ ، وَاسْتَيْقَنَ ، فَالْمَيْتُ وَالنَّائِمُ فِي هَذَا وَاحِدٌ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ  
قَوْلُهُ ﴿ فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

٣٩ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا  
لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [ آية ٤٣ ] .

قال قتادة : قالوا إنما عبدناها حتى تشفع لنا<sup>(١)</sup> .

ثم قال جلَّ وَعَزَّ : ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً  
وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [ آية ٤٣ ] .

قال سيوطي : هذا باب الواو ، إذا دخلت عليها ألف  
الاستفهام ، وذلك قولك : أفلان عند فلان ؟ فيقول : أهو ممن يكون  
عند فلان ؟

قال أبو العباس<sup>(٢)</sup> : هذا على الاسترشاد ، أو على الإنكار ،  
وما جاء منه في القرآن فمعناه الإنكار<sup>(٣)</sup> ، والتقيرُّ ، ووقوع الشيء .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠/٢٤ وهو أن المراد بها ، شفاعة الآلهة من الأصنام ، وذكره ابن الجوزي  
في زاد المسير ١٨٧/٧ وقال ابن جزي في التسهيل ٤٢٦/٣ : الشفعاء : هم الأصنام ، وغيرها  
لقولهم ﴿ هؤلاء شفعائنا عند الله ﴾ وقال القرطبي ٢٦٣/١٥ : المعنى : لم يتفكروا ولكنهم  
اتخذوا آلهتهم شفعاء ، قل لهم يا محمد : أتتخذونهم شفعاء ، وإن كانوا لا يملكون شيئاً من  
الشفاعة ولا يعقلون لأنها جمادات . ؟ .

(٢) هو الإمام الميرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) أي هو استفهام يراد به الإنكار ، والمعنى : أيشفعون لهم ، وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟

٤٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا .. ﴾ [ آية ٤٤ ] .

كما قال تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١) .

٤١ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [ آية ٤٥ ] .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ اشْمَأَزَّتْ ﴾ : استكبرت ، وكفرت (٢) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : انْقَبَضَتْ (٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يُقَالُ : اشْمَأَزَّ مِنْ كَذَا : إِذَا نَفَرَ مِنْهُ (٤) .

وَيُرَوَّى أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا مِنْ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ » نَفَرُوا ، وَقَالُوا : لَمْ تُذَكِّرْ آلِهَتَنَا (٥) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠/٢٤ ولفظه : قَالَ قَتَادَةُ : ﴿ اشْمَأَزَّتْ ﴾ أَيْ نَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَاسْتَكْبَرَتْ . وَذَكَرَهُ فِي الدَّر الْمَشْهُور ٣٣٠/٥ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢٦٤/١٥ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : نَفَرَتْ ، وَاسْتَكْبَرَتْ ، وَكَفَرَتْ . اهـ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٠/٢٤ وابن كثير ٩٣/٧ والدِّر الْمَشْهُور ٣٣٠/٥ ، وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ مُجَاهِدٍ أَظْهَرَ وَهُوَ قَوْلُ الْمُبَرِّدِ ، لِأَنَّ مَعْنَى الْاِشْمَازِ : النُّفُورُ وَالْاِنْقِبَاضُ ، وَالْمَعْنَى : انْقَبَضَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْكَرَاهَةِ ، فَهَمْ يَكْرَهُونَ تَوْحِيدَ اللَّهِ ، وَيَحْبُونَ الْإِشْرَاقَ .

(٤) فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ : شَمَزَتْ نَفْسَهُ : نَفَرَتْ مِنَ الشَّيْءِ تَكْرَهُهُ ، وَاشْمَأَزَّ بِالْأَمْرِ : ضَاقَ بِهِ وَنَفَرَ مِنْهُ كِرَاهَةً . اهـ .

(٥) هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

٤٢ — وقوله جل وعز ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾  
[ آية ٤٧ ] .

يُروى أنهم عملوا أعمالاً ، توهموا أنها تنفعهم ، فلم تنفعهم ،  
لأنهم كانوا مشركين<sup>(١)</sup> .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبُ دَعَانَا ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ  
نِعْمَةً مِنَّا ..﴾ [ آية ٤٩ ] .

قال مجاهد : ﴿خَوَّلْنَاهُ﴾ : أعطيناه .

قال أبو جعفر : يُقال : خَوَّلْتُهُ كَذَا أي أعطيتُهُ إِيَّاهُ ، تفضلاً  
من غير جزاء<sup>(٢)</sup> .

٤٤ — وقوله جل وعز ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنِّ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [ آية ٤٩ ] .

قال مجاهد : ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على شرف<sup>(٣)</sup> .  
وقال قتادة : أي على خيرٍ عندي<sup>(٤)</sup> .

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٨/٧ وقريب منه قول السدي : ظنوا أن أعمالهم

حسنات ، تنجيهم من عذاب الله ، فبدت لهم سيئات ، لأنهم كانوا مشركين .

(٢) في المعجم الوسيط : خَوَّلَهُ الشَّيْءُ : أعطاه إِيَّاهُ متفضلاً . اهـ .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٢/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٥ .

(٤) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٨/٧ قال : أي على خيرٍ عِلِمَهُ الله عندي ، وذكره

الطبري ١٢/٢٤ والقرطبي ٢٦٦/١٥ وفي المخطوطة « على خَيْرٍ عندي » وهو تصحيف ،

والصواب ما أثبتناه من أقوال المفسرين ، وتأوله المصنّف بأن المعنى على علم بالكسب ، وهو =

قال أبو جعفر : المعنى : إن لي علماً بالكسب ، إما بتجارة ،  
أو غيرها<sup>(١)</sup> ، فقد علمتُ أني أُوتيتُ هذا .

ومن أحسن ما قيل فيه : أن المعنى : قد علمتُ إذا أُوتيتُ  
هذا في الدنيا ، أن لي عند الله منزلةً ، فردَّ الله جلَّ وعزَّ ذا عليه ،  
فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ .. ﴾<sup>(٢)</sup>  
الآية .

فعرَّفَ الله جلَّ وعزَّ ، أنه ليس يُعطي المالَ كلَّ من له منزلة .

٤٥ — ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ .. ﴾ [ آية ٤٩ ] .

أي بل العطيةُ فتنةٌ<sup>(٣)</sup> ، يُمتحنُ بها العبدُ ، ليظهر منه أيشكر أم  
يكفر ؟

---

== صحيح من حيث المعنى ، ولكنه ليس قول قتادة ، وإنما قول قتادة : على خير علمه الله عندي ،  
والله أعلم .

(١) هذا الوجه من التفسير ذكره ابن جزى في التسهيل ٤٢٧/٣ حيث قال : والآية تحتمل  
وجهين : أحدهما — وهو الأظهر — أن يريد على علم مني بالمنافع والمكاسب ، والآخر على علم  
الله باستحقاقى لذلك . اهـ .

(٢) سورة القصص آية رقم ٧٨ .

(٣) أعاد الضمير هنا بالتأنيث ﴿ بل هي فتنة ﴾ لأن المراد بها النعمة أو العطية ، كما قال المصنف ،  
وقبل ذلك أتى بالضمير مذكراً ﴿ إنما أُوتيته على علم ﴾ لأنه أراد به الإنعام ، وهو مذكَّر ، قال  
الفراء في معانيه ٤٢٠/٢ : خرجت هي بالتأنيث لتأنيث الفتنة ، ولو قيل : ﴿ بل هو فتنة ﴾  
لكان صواباً ، ومثله كثير في القرآن . اهـ .

٤٦ — وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ .. ﴾ [ آية ٥٣ ] .

رَوَى مجاهد عن ابن عباس قال : نزلت في « وحشي » قاتل حمزة ، على حمزة السَّلام ، إلى تمام ثلاث آيات ، وكان النبي ﷺ لا يطيق أن ينظر إليه ، فظنَّ أن الله جلَّ وعزَّ لم يقبل منه إسلامه ، فنزلت هذه الآيات الثلاث (١) .

وَرَوَى إبراهيم التيمي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِّمَن يَشَاءُ ﴾ (٢) .

وقال : نزلت في قاتل حمزة وذويه ، كذا قال .

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره من رواية عطاء بن يسار ١٤/٢٤ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٥ عن ابن عباس قال : « بعث رسول الله ﷺ إلى « وحشي بن حرب » قاتل حمزة يدعو إلى الإسلام ، فأرسل إليه يا محمد : كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل ، أو أشرك ، أو زنى ، يلقى أثاماً ، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ؟ وأنا صنعت ذلك ، فهل تجدي من رخصة ؟ فأنزل الله ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾ فقال وحشي : هذا شرط شديد ، فلعلِّي لا أقدر على هذا ؟! فأنزل الله ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فقال : وحشي : هذا بعد مشيئته فلا أدري أيغفر لي أم لا ؟ فهل غير هذا ؟ فأنزل الله ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. ﴾ الآية فقال وحشي : هذا نعم ، فأسلم » وذكره القرطبي بنحوه في تفسيره ٢٦٨/١٥ .

(٢) هذه القراءة شاذة ، وليست من القراءات السبع المعتد بها ، بل هي محمولة على التفسير ، كما نبّه على ذلك أهل التفسير والقراءات ، والإمام النحاس في إعراب القرآن ٨٢٤/٢ .

قال أبو جعفر : وكذلك يُروى أنه في مصحف ابن مسعود .

ومعنى ﴿ لا تَقْنَطُوا ﴾ : لا تيأسوا .

قال قتادة : ﴿ وَأَيُّبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي أقبلوا واعملوا له (١) .

٤٧ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً .. ﴾ [ آية ٥٥ ] .

وكله حسن ، ففي هذا أقوال :

أ — منها أن الله جَلَّ وَعَزَّ ، قد أباح الانتصار — بعد الظلم — والعفو ، والعفو أحسن (٢) .

ب — ومنها أن الله جَلَّ وَعَزَّ ، قد أخبر عن قوم أنهم أطاعوا ، وعن قوم أنهم عصَوْا ، فأمر أن نتَّبِع الطاعة .

ج — ومنها أنه الناسخ (٣) .

د — ومنها أن يكون المعنى : الحسنُ ممَّا أنزل إليكم (٤) .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٧/٢٤ عن قتادة والسدي ، وكذلك صاحب الدر .

(٢) هذا قول لبعض المفسرين في توجيه الآية ، أن الله أباح الانتصار للمظلوم من الظالم فقال ﴿ ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ وذكر بعده أن العفو أفضل فقال ﴿ ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ سورة الشورى .

(٣) هذا القول محمول على أن المفاضلة من حيث النفع والمصلحة ، كقوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .. ﴾ الآية .

(٤) لعل هذا القول أظهر الأقوال ، وهو أن المراد اتباع القرآن ، الذي أنزل إلينا ، وما تضمنه من =

و ﴿بَعْتَةً﴾ فُجَاءَةً .

٤٨ — وقوله جل وعز ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ..﴾ [آية ٥٦] .

المعنى : افعلوا هذا خوف أن تقول نفس ، وكراهة أن تقول نفسٌ يا حسرتا<sup>(١)</sup> .

والحسرة : الندامة ، أي يلحق الإنسان ما يصير معه حسيراً ، أي معيباً ، وحرف النداء يدل على أنه شيء لازم ، أي يا حسرة هذا وقتك ، وهذا مذهب سيويوه<sup>(٢)</sup> .

قال مجاهد : ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي في أمر الله<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : المعنى : في جنب أمر الله ، على التثنية<sup>(٤)</sup> .

= الهداية والإرشاد ، والمعنى : اتبعوا القرآن ، فإنه أحسن الكلام ، وأحسن البيان ، وفي التمسك به سعادة الإنسان ، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض ، لأنه حسن كله ، وهذا ما رجحه الطبري وغيره .

(١) أشار المصنف إلى أن الجملة في موضع نصب مفعول لأجله تقديره : كراهة أن تقول نفس .

(٢) نداء الحسرة لا يتأتى ، وهو من أساليب العرب في التشخيص ، فإنهم يصورون الحسرة بصورة شخص ، وينادونه ليحضر لإنقاذه ، والألف في ﴿حسرتا﴾ بدل ياء الإضافة ، والمعنى كما قال سيويوه : يا حسرتي احضري فهذا وقتك ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٩٢/٧ .

(٣) ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أصله من الجنب بمعنى الجانب ، ثم استعير للأمر والحق ، أي يا حسرتا على ما فرطت في حق الله ، وفي أمر طاعته ، وانظر الطبري ١٩/٢٤ .

(٤) قال الراغب : أضل الجنب الجارحة ، ثم يستعار للناحية والجهة ، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح كاليمين ، والشمال ، والمراد هنا : الجهة مجازاً ، أي في جنب طاعة الله ، أو في حقه =



أي على الطريق الذي يؤدي إلى الحق ، وهو الإيمان .

٤٩ — وقوله جل وعز : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ آية ٥٩ ] .

﴿ بَلَى ﴾ في كلام العرب ، إنما يقع بعد النفي ، وليس في الكلام نفي ، ولكن فيه معناه ، لأن معنى ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾ : ما هداني الله<sup>(١)</sup> .

وَرَوَى الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي ، فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقراءة الأعمش ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْهُ آيَاتِي ﴾ وهذا يدل على التذكير .

---

== تعالى . اهـ . قال الألوسي : وهذا كقول البربري من شعراء الحماسة :

أَمَّا تَنْقِيَنَّ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كِبْدٌ خَرَى عَلَى نِكَ تَقَطُّعُ  
(١) لا يشترط في « بلى » أن يتقدم قبلها النفي صريحاً ، بل يكفي ما يدل عليه معنى النفي ، فإن قوله ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾ معناه : ما هداني الله ، قال الزجاج ٣٥٩/٤ ﴿ بلى ﴾ جواب النفي ، وليس في الكلام لفظ النفي ، ولكن معناه : وكأن هذا القائل قال . ما هُديت ، فقيل : بلى قد بين لك طريق الهدى ، فلو أردت أن تؤمن لأمكنك ذلك . اهـ .

(٢) قال الواحدي : القراءة المشهورة على التذكير ﴿ بلى قَدْ جَاءَتْكَ ﴾ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى ، فخطب المذكر . اهـ . وقراءة التأنيث ﴿ قَدْ جَاءَتْكِ ﴾ جائزة لغة ، ولكنها ليست من القراءات السبع ، لأن النفس تؤنث ، فجاز مجيئها على التأنيث ، قال أبو عبيد : لو صحَّ هذا عن النبي ﷺ لكان حجة ، ولكنه ليس بمسند . اهـ . التفسير الكبير للرازي ٧/٢٧ .

والرَّيْعُ بْنُ أَنَسٍ لم يلحق « أُمَّ سَلَمَةَ » إلا أن القراءة جائزة ، لأنَّ النفس تقع للمذكَّر والمؤنث .

وقد أنكر هذه القراءة بعضهم ، وقال : يجب إذا كسَرَ التَّاء أن يقول : وكنيت من الكوافر ، أو من الكافرات<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، ألا ترى أن قبله ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ثم قال ﴿ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ ﴾ ولم يقل : من السَّواخر ، ولا من السَّاحِرَاتِ !!

والتقدير في العربية على كسر التاء : واستكبرت ، وكنيت من الجميع السَّاحِرِينَ ، أو من النَّاسِ السَّاحِرِينَ ، أو من القوم السَّاحِرِينَ ، و« قومٌ » يقع للرجال والنساء ، إذا اجتمعوا ، وللرجال مفردين ، كما قال [ الشاعر ] :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخْأَلُ أَذْرِي  
أَقْـوَمُ آلِ حِصْنٍ أُمَّ نِسَاءٍ<sup>(٢)</sup>

---

(١) قال الإمام ابن جرير ٢٤/٢١ : قرأه القراء في جميع الأمصار على التذكير ، وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها لإجماع القراء عليها ، وقد روي بالكسر على وجه الخطاب للنفس ، كأنه قال : أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ، يلي قد جاءتك أيتها النفس آياتي فكذبت بها . اهـ .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ، من قصيدة له مطلعها « عَفَا مِنْ آلِ فاطمة الجَوَاءُ » وهو في ديوانه ص ٧٣ وفي شواهد المغني للسيوطي ١/١٣٠ وفي أمالي ابن الشجري ١/٢٣٨ .

٥٠ - وقوله جل وعز : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ... ﴾ [ آية ٦١ ] .

أي بنجائهم من النار .

ويُقرأ ﴿ بِمَفَازَاتِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> والتوحيد أجود <sup>(٢)</sup> ، لأن مفازة بمعنى الفوز .

٥١ - وقوله جل وعز : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [ آية ٦٣ ] .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ ﴿ مَقَالِيدُ ﴾ : أي مفاتيح <sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : ومعنى له مفاتيح السموات والأرض ، هو خالق ما فيهما ، ومفتاح بابه بيده عز وجل ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

---

(١) هذه من القراءات السبع ، قرأ حمزة ، والكسائي ، بالجمع ﴿ بمفازاتهم ﴾ وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ﴿ بمفازتهم ﴾ بالافراد ، وانظر النشر ٣٦٣/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٣ .

(٢) إنما كانت قراءة الأفراد ﴿ بمفازتهم ﴾ أجود وهي قراءة الجمهور ، لأنها جاءت مصدراً بمعنى الفوز ، والتقدير : وينجيهم الله بسبب سعادتهم ، وفوزهم برضوان الله ، قال ابن كثير ١٠٢/٧ : أي ينجيهم بما سبق لهم من السعادة ، والفوز عند الله . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ٢٣/٢٤ قال الأزهرى في تهذيب اللغة : ﴿ له مقاليد ﴾ أي مفاتيح السموات والأرض ، والإقليد : المفتاح بلغة أهل اليمن ، وقال الليث : المِقْلَادُ : الخزانة ، والمقاليد : الخزائن . اهـ . وكذلك قال الجوهري : الإقليد : المفتاح ، والمِقلد : مفتاح ، كالمُنجل ، والجمع المقاليد . اهـ . والمعنى : أن بيده جل وعلا مفاتيح خزائن كل الأشياء في السموات والأرض ، لا يملك أمرها ، ولا يتصرف فيها غيره ، لأنه مالك الملك .

بآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ أي من زَعَمَ أن غيره خلق شيئاً من هذا ، فقد خَسِرَ وَكَفَرَ (١) .

٥٢ — ثم أخبر أنه إنما ينبغي أن يُعبد وحده ، فقال بعد البراهين :

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ؟ [ آية ٦٤ ] .

أي أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَعْبُدُ في أمركم (٢) ؟ .

هذا قولٌ سيئويه .

٥٣ — وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ .. ﴾ [ آية ٦٧ ] .

قال أبو جعفر : أبو عبيدة يذهبُ إلى أن المعنى : وما عرفوا اللَّهَ حَقَّ معرفته (٣) .

وفي معناه قولٌ آخر ، وهو أن يكون التقديرُ : وما قدرُوا نِعَمَ

(١) قال ابن كثير ١٠٢/٧ : ﴿ والذين كفروا بآياتِ الله ﴾ أي بحججه وبراهينه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ حيث خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة .

(٢) قال القرطبي ٢٧٦/١٥ : دَعَا النبي ﷺ إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وقالوا : هو دين آبائك ، فنزلت . ومعنى الآية : قل يا محمد أأأمرونني أن أعبد غير الله ، بعد سطوع الآيات ، والدلائل على وحدانيته ، يا أيها الجاهلون ؟

(٣) هذا القول ذكره أبو عبيدة في كتابه « مجاز القرآن » ٢٠٠/١ وله وجه عند علماء التفسير ، فقد ذكره أبو حيان في البحر المحیط ٤٣٩/٧ فقال ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته ، وما قدروه في أنفسهم حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وسأوا بينه وبين الخشب والحجر في العبادة . اهـ .

الله<sup>(١)</sup> ، ثم حُذِفَ ، كما قال سبحانه ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ .

٥٤ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ..﴾ [ آية ٦٧ ] .

قال الضحاك : هذا كله في يمينه<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : معنى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي يملكها ، كما تقول : هذا في قبضتي<sup>(٣)</sup> .

قال محمد بن يزيد : معنى ﴿بِيَمِينِهِ﴾ بقوته ، وأنشد :  
إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ  
تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ<sup>(٤)</sup>

أي بالقوة .

---

(١) على هذا القول يكون من باب « المجاز المرسل » بتقدير حذف المضاف كما في قوله سبحانه ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٢٦/٢٤ وروى عن ابن عباس قوله : إنما يستعين بشماله المشغولة بيمينه ، وإنما الأرض والسماوات كلها بيمينه ، وليس في شماله شيء ، وقال الحسن : كأنها جوزة بقضئها وقضيضها .

(٣) حمل الإمام أبو جعفر النحاس الآية على المعنى المجازي ، أي هي في ملكه وتصرفه ، والتخصيص بيوم القيامة لأنه ليس له تعالى في ذلك اليوم منازع ﴿وَالأمر يومئذ لله﴾ وقال ابن كثير ١٠٤/٧ : والطريق في هذه الآية وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت ، من غير تكيف ولا تحريف . اهـ .

أقول : ومذهب السلف أصح وأقوم وأسلم .

(٤) البيت للشماخ كما في ديوانه ٣٣٦ وفي المختضب لابن جني ٢٣٤/٢ وأسرار البلاغة للجرجاني ص ٤٠٤ .

٥٥ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ .. ﴾ [ آية ٦٨ ] .

في معناه قولان :

أحدهما : أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الصُّورِ ، فقال : هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه <sup>(١)</sup> .

ورَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة في قوله ﴿ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : في صُورِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : هذا ليس بمعروف ، والمستعمل في جمع صُورَةٍ صُورٌ ، ولم يقرأ أحدٌ « وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ » <sup>(٣)</sup> .

٥٦ — ثم قال تعالى ﴿ فَصَبَّحَقْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ .. ﴾ [ آية ٦٨ ] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٤٤ وقال الترمذي : حديث حسن ، والدارمي في الرقاق ، وأحمد في المسند ١٢٦/٢ بلفظ « أن أعرايياً سأل رسول الله ﷺ عن الصور فقال : قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه » وانظر الدر المنثور ٣٣٧/٥ .

(٢) حكاه الطبري في تفسير سورة الأنعام بصيغة التضعيف فقال ٢٤١/٧ : وقيل : الصُّور في هذا الموضع جمع صورة ، ينفخ فيها روحها فتحيا .. ثم قال : والصواب أن الصور قرْنٌ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ..

(٣) ما قاله المصنف هو الصحيح ، أن الصُّور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ، ولو كان المراد به النفخ في صُور بني آدم حتى تعود لهم الروح لقال : وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ، ولم يأت في اللغة العربية صُور جمع صُور ، وقراءة قتادة وزيد بن علي ﴿ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ﴾ من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٥٩/٢ .

رَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ فَصَعَقَ ﴾ : فمات<sup>(١)</sup> .

وَرَوَى عَاصِمٌ عَنْ عِيسَى الْمَدَنِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ ، يَسْأَلُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ فَقَالَ كَعْبٌ : « جِبْرَائِيلُ » و« مِيكَائِيلُ » و« إِسْرَافِيلُ » مَلَكُ الْمَوْتِ ، وَحَمَلَهُ الْعَرْشُ ، ثُمَّ يَمِيتُهُمُ اللَّهُ بَعْدُ<sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ<sup>(٣)</sup> ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ قَالَ : ( جِبْرَائِيلُ ، وَمِيكَائِيلُ ،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٩/٢٤ وهذا الذي روي عن قتادة ، متفق مع اللغة ، فإن الصَّعَقَ معناه : الموت ، قال في المصباح : صَعَقَ صَعَقاً من باب تَعَبَ : مات ، وصَعِقَ : غشي عليه لصوت سَمِعَهُ ، والصعقة الأولى : النفخة . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٩/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٨/٥ ونسبه إلى السُّدِّي ، ولم يذكر في الروایتين حملة العرش ، وإنما اقتصر فيهما على « جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت » .

(٣) يزيد الرقاشي : هو يزيد بن أبان الرقاشي ، أبو عمرو البصري ، زاهد واعظ ، ولكنه ضعيف ، متروك الحديث ، قال ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣١٠/١١ . وذكره الطبري عن أنس عن النبي ﷺ قال : « قرأ رسول الله ﷺ ونفخ في الصور .. ﴾ الآية ف قيل : من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، فإذا قبض أرواح الخلائق . قال : يا مَلَكُ الْمَوْتِ من بقي ؟ — وهو أعلم — قال يقول : سبحانهك تباركت ربِّي ذا الجلال والإكرام : بقي جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، قال : يا مَلَكُ الْمَوْتِ خذ نفس ميكائيل ، فيقع كالطود العظيم .. » الحديث ، الطبري ٢٩/٢٤ .

وحمله العرش ، ومَلَكُ الموت ، وإسرافيل (١) .

وفي هذا الحديث : أن آخرهم موتاً جبرائيل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ : هم الشهداء ، متقلّدي السيوف عند العرش .

قال أبو جعفر : وهذا ليس بناقضٍ للأول .

وقد رَوَى أبو هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ ، فَإِذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا أَدْرِي أَقَامَ قَبْلِي ، أَمْ هُوَ مَنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ ) (٢) .

٥٧ — وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [ آية ٦٨ ] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ( إِنَّ بَيْنَ النُّفْخَتَيْنِ أَرْبَعِينَ ) (٣) ..

- 
- (١) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أنس مرفوعاً كما في الدر المنثور ٣٣٧/٥ وذكره الأثر عن سعيد بن جبير أخرجه أبو يعلى ، والدارقطني ، والحاكم ، وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « هم الشهداء مقلّدون بأسيا فهم ، حول عرشه ، تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر ، بنجائب من ياقوت .. » الحديث ، وانظر الدر المنثور ٣٣٦/٥ .
- (٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الخصومات ١٥٨/٣ ومسلم رقم ٢٣٧٣ والترمذي رقم ٣٢٤٥ عن أبي هريرة قال : قال رجل من اليهود بسوق المدينة « والذي اصطفى موسى على البشر » فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه ، وقال : أتقول هذا وفيما رسول الله ؟ فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرِفُ رَأْسَهُ .. إلى تمام الحديث .



قال الحسن : لا أدري ، أهي أربعون سنة ، أم أربعون شهراً ،  
أم أربعون ليلةً ، أم أربعون ساعة (١) ؟ .

٥٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا .. ﴾ [ آية ٦٩ ] .

يُبين هذا ، الحديث المرفوع عن النبي ﷺ ، من طرق كثيرة  
صحيح (٢) : ( تنظرون إلى الله جلّ وعزّ ، لا تُضامون في رؤيته ) .

وهو يروى على أربعة أوجه « لا تُضامون » و « لا تُضارون »  
ولا « تُضارون » و « لا تُضامون » .

فمعنى ( تُضامون ) : لا يلحقكم ضمٌّ ، كما يلحق في الدنيا  
في النظر إلى الملوك .

و ( لا تُضارون ) : لا يلحقكم ضميرٌ .

و ( لا تُضامون ) : لا ينضمّ بعضكم إلى بعض ليسأله أن

يريه .

---

(١) حديث « إن بين النفختين أربعين » أخرجه البخاري ١٥٨/٦ ومسلم رقم ٢٩٥٥ وتتمته قالوا :  
يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أُبَيِّتُ ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أُبَيِّتُ ، قالوا : أربعون  
عاماً ؟ قال : أُبَيِّتُ .. الحديث ، وانظر جامع الأصول ٤٢١/١٠ .

(٢) أشار المصنف إلى ما رواه البخاري ٣٥٨/١٣ ومسلم برقم ١٨٣ والنسائي ١١٢/٨ بلفظ  
( إنكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته .. ) الحديث ،  
وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٤٤٧/١٠ والروايات المتعددة فيه ، وفي رواية للبخاري ( هل  
تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ ) .

و(لا تُضَارُّونَ) : لا يخالف بعضكم بعضاً ، يُقال : ضاررته مضارة وضِراراً : أي خالفته<sup>(١)</sup> .

٥٩ — وقوله جل وعز ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [ آية ٧٣ ] .

الكوفيون يذهبون إلى أن الواو زائدة<sup>(٢)</sup> .

وهذا خطأ عند البصريين ، لأن الواو تفيد معنى العطف ، ولا يجوز أن تُزاد .

---

(١) خلاصة القول أن لفظة « تُضَارُّونَ » وردت في الصحيح بالتشديد ، والتخفيف ، كما وردت لفظة « تُضَارُّونَ » وردت كذلك بالتشديد والتخفيف .

(٢) على هذا القول يكون الجواب محذوفاً أي حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها سَعِدُوا ، قال القرطبي ٢٨٥/١٥ : وحذف الجواب بليغ في كلام العرب ، كما قال امرؤ القيس : « فلو أنها نفس تموت جميعاً » أي لكان أروح .

أقول : وأحسن ما قيل في هذه الآية ، أن الواو ليست زائدة ، وإنما هي واو الحال ، بتقدير « قد » أي جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ وهذا من الله سبحانه زيادة لهم في الإكرام والاحترام ، كأن خزنة الجنة فتحوا أبوابها ، ووقفوا منتظرين لهم ، كما يفتح الخدم باب المنزل للضيف المدعو للضيافة قبل قدومه ، ويقفون بانتظاره تكريماً وإجلالاً ، بخلاف أهل النار فإنهم تُفتح لهم أبواب جهنم بغتة وفجأة ، زيادة في الإفزع والتهويل ، وجهنم تشبه السجون ، والجنة تشبه القصور ، وقد عرف الناس أن أبواب السجون لا تزال مغلقة ، حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يُسجنون فيها ، فتفتح لهم ليدخلوها ، فإذا دخلوها أغلقت عليهم ، فهذا هو السر والحكمة في عدم ذكر الواو في خبر جهنم ، وذكرها في خبر الجنة ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ اللهم افتح علينا فتوح العارفين ، وعرفنا أسرار كتابك يا رب العالمين .

قال محمد بن يزيد<sup>(١)</sup> : المعنى : حتى إذا جاءوها ، وفُتحت أبوابها ، سَعِدُوا .

٦٠ — وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [ آية ٧٣ ] .

قال أبو إسحاق<sup>(٢)</sup> : المعنى : طبتم فادخلوها خالدين دخلوا ، وحُذِفَ هذا لعلم السامع .

وقيل : معنى ﴿ طِبْتُمْ ﴾ طبتم في الدنيا<sup>(٣)</sup> .

ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال :  
( يغتسلون من نهر في الجنة ويشربون منه ، فلا يبقى في أجوافهم حَبْتُ ولا غُلٌّ إلا خرج )<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هو الإمام الميرد إمام العربية ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٢) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٣) هذا القول هو الأظهر أي طبتم من دنس المعاصي والآثام ، وهو قول مجاهد ، والجملة في موضع التعليل ، كأنه يقول : كنتم طبيين في الدنيا ، فادخلوا الجنة خالدين ، قال ابن كثير : أي طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم ، فطاب جزاؤكم . اهـ .

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٣٥/٢٤ وذكره ابن الجوزي عن علي بنحوه ، حيث قال ٢٠١/٧ : « إنهم إذا انتهوا إلى باب الجنة ، وجدوا عند بابها شجرة ، يخرج من تحت ساقها عينان ، فيشربون من إحداها ، فلا يبقى في بطونهم أذى ، ولا قذى إلا خرج ، يغتسلون من الأخرى فلا تغبر جلودهم ، ولا تشعث أشعارهم أبداً ، وتقول لهم الملائكة ﴿ طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

٦١ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا  
الْأَرْضَ .. ﴾ [ آية ٧٤ ] .

قال قتادة : يعني أرض الجنة (٢) .

٦٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾ [ آية ٧٥ ] .

فختم بالحمد ، كما بدأ به (٣) .

\* \* \*

« انتهت سورة الزمر »

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٧/٢٤ والقرطبي ٢٨٧/١٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٤٣/٧ وهذا قول أكثر المفسرين ، لقوله تعالى بعده ﴿ تَبَوَّأُوا مِنَ الْجَنَّةِ مِثْقًا نَشَاءً ﴾ وقيل : إنها أرض الدنيا ، قال أبو حيان : وهو بعيد .

(٢) أي بدأ القرآن بالحمد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وختم هنا بالحمد ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

# تفسير سورة غافر

مكية وآياتها ٨٥ آية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ غَافِرٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ <sup>(١)</sup>

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حَمَّ . تُنْزِلُ الْكِتَابَ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [آية ٢ و ١] .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ حَمَّ ﴾ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ <sup>(٢)</sup> .

وَقِيلَ : مَعْنَى ﴿ حَمَّ ﴾ : حُمَّ الْأَمْرُ <sup>(٣)</sup> .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ﴿ الرَّ ﴾ وَ ﴿ حَمَّ ﴾ وَ ﴿ نُونٌ ﴾ حُرُوفُ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ ، مَقْطَعَةٌ <sup>(٤)</sup> .

(١) السورة مكية باتفاق ، قال في البحر ٤٤٦/٧ : الخواميم سبعٌ مكيات بإجماع . اهـ . وتسمى سورة المؤمن ، وغافر ، وسورة الطول .

(٢) الأثر في الطبري ٣٩/٢٤ والقرطبي ٢٨٩/١٥ وزاد المسير ٢٠٦/٧ .

(٣) حكاه الزجاج عن بعض المفسرين كما في تفسير ابن الجوزي ٢٠٦/٧ ، وروى عن الضحاك والكسائي : معناه قضي ما هو كائن .

(٤) الحاء : افتتاح اسم الله جل وعلا « حميد ، وحليم ، وحكيم » والميم : افتتاح اسمه « مجيد ، ومثان » وهذا ذكره القرطبي ٢٨٩/١٥ عن عطاء الخراساني ، وهو أيضاً من رواية عكرمة عن ابن عباس ، والأظهر ما عليه أهل التحقيق ، أن هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وانظر الجزء الأول ص ٧٧ من هذا التفسير .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿ حَامِيمٌ تَنْزِيلٌ ﴾<sup>(١)</sup> والمعنى على قراءته :  
أُثِّلَ حَامِيمٌ ، ولم يصرفه لأنه جعله اسماً للسورة .

ويجوز أن يكون فُتِحَ لِالتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ .

والمعنى : هذا تنزيل الكتاب ، من الله العزيز العليم .

٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [ آية ٣ ] .

ويجوز أن يكون التَّوْبُ جمع توبة ، كما قال :

« فَيَحْجُبُوا سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا »<sup>(٢)</sup> .

ويجوز أن يكون التَّوْبُ : بمعنى : التوبة<sup>(٣)</sup> .

٣ — ثم قال جل وعزَّ : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ ﴾ [ آية ٣ ] .

---

(١) ذكرها ابن الجوزي ٢٠٩/٧ والقرطبي ٢٩٠/١٥ والبحر المحيط ٤٤٦/٧ وليست من القراءات السبع .

(٢) هذا شطر بيت للقُطَّامي ، وهو في ديوانه ص ٣٤ من قصيدة مطلعها : قفي قبل التفريق يا ضياعاً .. وتمامه :

وكنّا كالخريق أصاب غاباً      فَيَحْجُبُوا سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا

وفي تفسير الألوسي ٤٢/٢٤ : ﴿ التَّوْبُ ﴾ يحتمل أن يكون مصدراً ، كالأوب بمعنى الرجوع ، ويحتمل أن يكون اسم جمع لتوبة ، كتمر ، وتمرّة . اهـ .

(٣) هذا هو الأظهر قال الراغب : التَّوْبُ ترك الذنب على أجل الوجوه ، والندم على ما فرط منه ، والعزم على ترك المعادة . اهـ .



روى ابنُ أبي نَحيح ﴿ ذِي الطُّوْلِ ﴾ قال : ذِي الْغِنَى <sup>(١)</sup> .

وروى سعيّد عن قتادة قال : ذِي النِّعْمَةِ <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : الطُّوْلُ في اللُّغَةِ : الفضلُ ، والاقتسارُ ، يُقال : لفلانٍ على فلانٍ طَوْلٌ ، واللَّهْمَّ طُلْ علينا برحمتك .

وروى علي بن أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ذِي الطُّوْلِ ﴾ قال : ذِي السَّعَةِ وَالْغِنَى <sup>(٣)</sup> .

٤ — وقوله جل وعز : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [ آية ٤ ] .

قال قتادة : أي فلا يَغْرُزُكَ إقبالُهم وإدبارُهم ، وتصرفُهم في أسفارهم <sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : مثله قوله جلَّ وعز ﴿ لَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

---

(١ — ٣) هذه الآثار كلها ذكرها الطبري ٤١/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٥ والقرطبي

٢٩١/١٥ قال ابن جرير ﴿ ذِي الطُّوْلِ ﴾ أي ذي الفضل والنعم ، المبسوطة على من شاء من خلقه ، ثم ذكر الآثار . وقال الراغب في المفردات : الطُّوْلُ : تُحْصَى به الفضل والمنُّ . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٤٢/٢٤ وهو في الدر المنثور ٣٤٦/٥ والمخاطب في الآية مكلف عاقل ، أي لا تغترَّ أيها العاقل ، بما هم فيه من التصرف والتقلب في هذه الدنيا ، بالأسفار والتجارات ، والمساكن والمزارع ، والبسطة والغنى ، فإنما هو متاع قليل ، وظل زائل ، ونعيم فاني ، والآية تسلية للنبي عليه السلام ، ووعيد وتهديد للكفرة المحرّمين .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٩٦ .

والمعنى : لا يغرّنك سلامتهم ، وأناة الله لهم ، فإن عاقبتهم مذمومة ، ومصيرهم إلى النار .

٥ — ثم بين أن ذلك كان سبيل من قبلهم فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ .. ﴾ [ آية ٥ ] .

وهم : ثمود ، وعاد ، وقوم لوط ، ومن كان مثلهم .

٦ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ .. ﴾ [ آية ٥ ] .

روى معمر عن قتادة قال : ليأخذوه فيقتلوه<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : ويبين هذا قوله تعالى ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ أي أهلكتهم ، ويُقال : للأسير : أُخِذَ<sup>(٢)</sup> .

٧ — وقوله جلّ وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [ آية ٦ ] .

أي بقوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٢٤ والألوسي ٤٤/٢٤ وأبو حيان في البحر ٤٤٩/٧ وهو قول لابن

عباس ، والمراد بالأخذ هنا : الإهلاك والقتل ، أي حرصت أمة على قتل نبيها ، وبدل عليه قوله

تعالى ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ أي فأهلكتهم ودمرتهم ، فكيف كان عقابي لهم ؟

(٢) قال في المصباح : أخذته مثل أسرته وزناً ومعنى ، فهو أُخِذَ أي أسير ، فعيل بمعنى مفعول . اهـ .

(٣) سورة السجدة آية رقم ١٣ .

قال قتادة : حق عليهم العذاب بكفرهم <sup>(١)</sup> .

٨ — ثم أخبر أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين فقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [ آية ٧ ] .

روى معمر عن قتادة : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ قال : تابوا من الشرك ، واتَّبَعُوا طَاعَتَكَ <sup>(٢)</sup> .

٩ — ثم قال جلَّ وعز : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ .. ﴾ [ آية ٨ ] .

يُروى أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : ما جَنَّاتُ عَدْنٍ ؟ قال : قصورٌ من ذهبٍ في الجنة ، يدخلها النبيُّون ، والصدِّيقون ، والشهداء ، وأئمةُ العدل <sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : العَدْنُ في اللغة : الإقامة ، وقد عَدَنَ

---

(١ — ٢) ذكرهما الطبري عن قتادة ٤٤/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٥ ، والأولى أن تكون الآية على العموم ، أي تابوا من الذنوب مطلقاً ، وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتَّبَعُوا سَبِيلَ الْحَقِّ والهدى والرشاد .

(٣) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٩٥/١٥ قال الطبري ٤٥/٢٤ : ومعنى ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أي بساتين إقامة ، من يدخلها لا يخرج منها .

بالمكان : أقام به (١) .

١٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَفِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ .. ﴾ [ آية ٩ ] .

﴿ وَفِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ قال قتادة : أي العذاب ﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ ﴾ قال : العذاب (٢) .

١١ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [ آية ١٠ ] .

في الكلام تقديم وتأخير ، وقد بينه أهل التفسير (٣) .

قال الحسن : يُعْطُونَ كِتَابَهُمْ ، فإذا نظروا في سيئاتهم ، مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ ، فينادون : لِمَقْتُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ في الدنيا ، إذ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ

---

(١) قال في المصباح المنير : عَدَنَ بِالْمَكَانِ عَدَنًا ، وَعُدُونَا : أقام ، ومنه ﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٤٦/٢٤ والقرطبي ٢٩٦/١٥ ولفظه ﴿ وفهم السيئات ﴾ قال قتادة : أي وفهم ما يسوءهم ، وقيل : فهم عذاب السيئات . اهـ . ومراد المصنف أنه تكرر في الآية لفظ ﴿ السيئات ﴾ والمراد به العذاب ، كما قال سبحانه ﴿ فمن رُحِزَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ .

(٣) توضيحه كما ذكره المفسرون : أن الكفار لما أدخلوا النار ، ورأوا أعمالهم القبيحة ، مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ — أي أبغضوها أشد البغض — فنادتهم الزبانية على جهة التوبيخ والتفريع : لِمَقْتُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ في الدنيا على جرائمكم الشنيعة ، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم ، بعد أن شاهدتهم العذاب !! والكلام كما نبه المصنف فيه تقديم وتأخير ، وأصل الكلام : لِمَقْتُ اللَّهِ لَكُمْ في الدنيا ، إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ، أكبر من مقتكم لأنفسكم اليوم ، والله أعلم .

فتكفرون ، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم<sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : : إذا عاينوا أعمالهم السيئة ، مقتوا أنفسهم ،  
فئودوا : لمقت الله لكم إذ تُدعون إلى الإيمان ، أكبر من مقتكم  
أنفسكم ، إذ عاينتم النار<sup>(٢)</sup> .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ .. ﴾  
[ آية ١١ ] .

روى أبو إسحاق ، عن أبي الأحوص<sup>(٣)</sup> ، عن ابن مسعود  
قال : هي مثل قوله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ  
يُخْيِيكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا في ﴿ أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ خلقتنا  
أمواتاً ، أي نُطفأً ، ثم أَحْيَيْنَا ، ثم أَمَتْنَا ، ثم أَحْيَيْنَا للبعث<sup>(٥)</sup> .

(١) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٩٧/١٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٦/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٤/٥ .

(٣) أبو الأحوص هو : عوف بن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي تابعي ثقة ، قال ابن معين : ثقة ،  
 وذكره ابن حبان في الثقات ، قتله الخوارج أيام الحجاج ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب  
 ١٦٩/٨ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٨ وأولها ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ الآية . وهذه الرواية  
 عن ابن مسعود هي قول الجمهور ، وقد رويت عن ابن عباس ، وقسادة ، والضحاك ، كما ذكره  
 الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، قالوا : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ، ثم أحياهم الله ، ثم  
 أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان ، وموتتان .  
 اهـ .

(٥) هذا القول محكي عن السدي كما رواه عنه المفسرون ، وقريب منه قول ابن زيد : خلقهم من ظهر =

وقيل : إحدى الحياتين ، وإحدى المَوْتَتَيْن : الإحياء في القبر ، ثم الموت ، وأنهم لم يعنوا حياتهم في الآخرة<sup>(١)</sup> .

١٣ — وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ [ آية ١٤ ] .

أي كذبتُم ﴿ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ أي تصدّقوا .

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

رَوَى عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ الرُّوحُ ﴾ : النبوة<sup>(١)</sup> .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الرُّوحُ ﴾ : الوحي<sup>(٢)</sup> .

وروى معمرٌ عن قتادة ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ قال : الوحي ،

---

آدم ، حيث أخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، قال الحافظ ابن كثير ١٢٣/٧ : وهذان القولان عن السدي ، وابن زيد ، ضعيفان ، لأنه يلزمهما ثلاث إحياءات ، وثلاث إماتات ، والصحيح قول ابن مسعود ، وابن عباس ، ومن تابعهما . اهـ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٥٠/٢٤ عن السدي ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٠/٧ عن ابن عباس .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٢٩٩/١٥ وابن الجوزي ٢١٠/٧ والطبري ٤٩/٢٤ وجمعهما القرطبي فقال : أي الوحي ، والنبوة ، وسمي ذلك روحاً ، لأن الناس يمجّون به من موت الكفر ، كما تحيا الأبدان بالأرواح . اهـ .

والرحمة<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : يلقي الوحي على من يختص من عباده ،  
وسمّي الوحي روحاً ، لأنّ النَّاسَ يَحْيَوْنَ به ، أي يهتدون ، والمهتدي  
حيّ ، والضالّ ميّت ، على التمثيل ، ومنه يُقال لمن لم يَفْقَه : إنما أنت  
ميّت ، وقال الله تعالى ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾<sup>(٢)</sup> .

١٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ .. ﴾  
[ آية ١٦ ] .

أي لينذر الذي يُوحى إليه .

ويجوز أن يكون المعنى : لينذر الله يوم التلاق<sup>(٣)</sup> .

قال قتادة : أي يوم يتلاق أهل السّماء ، وأهل الأرض ، ويلتقي  
الأولون والآخرون<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢٤ وفي الدر المنثور ٣٤٨/٥ وزاد المسير ٢١٠/٧ قال الحافظ ابن

كثير : وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾  
وكقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ .

(٢) سورة الروم آية رقم ٥٢ وتامها ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا  
مَدْبِرِينَ ﴾ .

(٣) القول الأول هو الأظهر ، أي ليخوِّف الرسول الموحى إليه عذاب يوم عصيب ، هو يوم القيامة ،  
وهو اختيار الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، والألوسي ، والقول بأن الضمير عائد إلى الله قول  
مرجوح ، والله أعلم .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وابن الجوزي ، وغيرهم ، وقيل : يلتقي فيه الظالم  
والمظلوم ، على صعيد واحد .

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ قال قتادة : أي لا يسترهم جبل ، ولا شيء<sup>(١)</sup> .

١٦ — ثم قال جل وعز : ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [ آية ١٦ ] .

أي يقال هذا<sup>(٢)</sup> .

روى أبو وائل<sup>(٣)</sup> ، عن عبد الله بن مسعود قال : ( يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ ، مِثْلَ الْفِضَّةِ ، لَمْ يُعْصَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَيْهَا قَطُّ ، فَأَوَّلُ مَا يُقَالُ : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ثُمَّ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ مِنَ الْخُصُومَاتِ فِي الدِّمَاءِ ، فَيُحْضَرُ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ ، فَيَقُولُ : سَلْ هَذَا لِمَ قَتَلَنِي ؟ فَإِنْ قَالَ : قَتَلْتَهُ لَتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ ، قِيلَ لِلْمَقْتُولِ : اقْتُلْهُ كَمَا قَتَلْتَكَ ، وَكَذَلِكَ إِنْ قَتَلَ جَمَاعَةً ، أُذِيقَ الْقَتْلَ ،

(١) الأثر أخرجه الطبري ٥١/٢٤ قال ابن كثير ١٢٥/٧ أي هم ظاهرون بادون ، لا شيء يكنهم ، ولا يظللهم ، ولا يسترهم . اهـ . وقال القرطبي ٣٠٠/١٥ : لا يسترهم شيء لأن الأرض يومئذ قاع صفصاف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً . اهـ .

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ مفعول لفعل محذوف ، أي يُقال لمن الملك اليوم ؟ وذلك عند فناء الخلق ، قال الحسن : هو تعالى السائل ، وهو الجيب ، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه ، فيجيب نفسه سبحانه بقوله ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ انظر القرطبي ٣٠٠/١٥ .

(٣) أبو وائل هو : شقيق بن سلمة الأسدي ، الكوفي ، تابعي ثقة ، قال ابن معين : ثقة لا يسأل عن مثله ، مات سنة ٨٢ هـ وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٦١/٤ .



كما أذاقهم في الدنيا ، قال ﴿ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١) .

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَنذَرُهمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ .. ﴾ [ آية ١٨ ] .

قال مجاهد وقتادة : أي القيامة (٢) .

قال الكسائي : يُقال : أَزَفَ الشيءُ يَأْزِفُ : أي [ دَنَا ، وَاقْتَرَبَ ] (٣) .

قال أبو جعفر : قيل للقيامة الآزفة : لقربها ، وإنْ بَعُدَتْ عن النَّاسِ ، ومنه يُقال : أَزَفَ رَجُلٌ فُلَانٍ .

١٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ .. ﴾ [ آية ١٨ ] .

قال قتادة : شَخَصْتُ من صدورهم فَتَشَبَّثَ في حُلُوقهم ، فلم

---

(١) أخرج هذا الأثر القرطبي في جامع الأحكام ٣٠٠/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٥ ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٢) هذا قول الجمهور أن الآزفة اسم من أسماء القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال سبحانه ﴿ أُرِفَتِ الْآزِفَةُ ﴾ أي قربت القيامة ، وقال قطرب : ﴿ الْآزِفَةُ ﴾ يوم حضور المنية ، وهو قول مرجوح .

(٣) سقط من المخطوطة هذه الجملة [ دنا واقترب ] وهي ضرورية ، لأنها من تمام الكلام ، وهي شرح لكلمة أزف ، وقد وضع الإمام النحاس معنى ﴿ الْآزِفَةُ ﴾ وسبب التسمية بعده .

تخرج ، ولم ترجع<sup>(١)</sup> .

وقال غيره : ترخّزت قلوبهم من الفزع ، فلم تخرج  
فيستريحوا ، ولم ترجع<sup>(٢)</sup> .

ثم قال تعالى : ﴿ كَاطِمِينَ ﴾ : أي مغتاضين ، ولا شيء يُزيل  
غِيظَهُمْ ، يُقال : كَظَمَ البعيرُ بَجِرَّتَهُ<sup>(٣)</sup> : إذا ردّدها في حلقه ، وَكَظَمَ  
غِيظَهُ : إذا حَبَسَهُ .

١٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾  
[ آية ١٨ ] .

أي ليس لهم شفيع مُطَاعٌ .

قال الحسن : استكثروا من الأصدقاء المؤمنين ، فإن الرجل  
منهم يَشْفَعُ في قريبه ، وصديقه ، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا ﴿ فَمَا  
لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

٢٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾  
[ آية ١٩ ] .

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٢/٢٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠٢/١٥ .

(٢) هذا على التثنية ، أي تكاد قلوبهم لشدة الخوف والجزع تبلغ الحناجر ، وهي مكان الحلقوم .

(٣) في الصحاح ٢٠٢٢/٥ كظم غيظه كظماً : اجترعه ، وكظم البعير كظوماً : إذا أمسك عن  
الجرّة — يعني الاجترار — فهو كاظم . اهـ .

(٤) الآية من سورة الشعراء رقم ١٠١ والأثر أخرجه الطبري ٨٩/١٩ عن قتادة بنحوه ، ونصّه :  
يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع . اهـ .

قال ابن عباس : هو الرجل ينظر إلى المرأة ، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بَصَرَهُ ، فإذا رأى منهم غفلةً تدسَّسَ ، فإذا نظَّروا إليه غضَّ بصره ، وقد عَلِمَ اللهُ جَلَّ وعَزَّ منه أن يُوَدِّه أن لو نظر إلى عورتها<sup>(١)</sup> .

وقال جريرُ بن عبد الله : ( سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نظر الفجاءة ، فأمرني أن أغضَّ بصري )<sup>(٢)</sup> .

٢١ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [ آية ٢١ ] .

قال مجاهد : هو مشيهم وتأثيرهم في الأرض<sup>(٣)</sup> .

٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [ آية ٢٣ ] .

﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ أي بالعلامات التي تدلُّ على رسالته ، نحو

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٢١٣/٧ والقرطبي ٣٠٣/١٥ وفي الدر المنثور ٣٤٩/٥ وذكره ابن كثير ١٢٧/٧ عن ابن عباس ولفظه : « هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسنة ، أو تمرُّ به المرأة الحسنة ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غضَّ ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غضَّ ، وقد اطلع الله من قلبه ، أنه ودَّ لو اطلع على فرجها » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم ٢١٥٩ في الآداب ، وأبو داود في كتاب النكاح رقم ٢١٤٨ والترمذي في الأدب رقم ٢٧٧٧ وأحمد في المسند ٣٥٨/٤ ولفظه : ( سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة ، فأمرني أن أصرف بصري ) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير ١٢٧/٧ : أي أثروا في الأرض من البناءات ، والمعالم ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، المكذوبون برسالتك ، كما قال تعالى ﴿ وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ ومع هذه القوة العظيمة أخذهم الله بذنوبهم . اهـ .

العصا ، وما أشبهها .

﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ﴾ أي : وحجة مبيّنة .

٢٣ — ثم أعلم جلّ وعز أنهم ردّوا الآيات ، التي يعجز عنها المخلوقون ، بأن قالوا : ساحرٌ كذاب ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ آية ٢٤ ] .

٢٤ — ثم قال جلّ وعز : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ .. ﴾ [ آية ٢٥ ] .

روى معمر عن قتادة قال : هذا بعد القتل الأول<sup>(١)</sup> .

٢٥ — ومعنى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [ آية ٢٦ ] .

قال أبو جعفر : أخاف أن يكون أحدُ الأمرين : إمّا أن يذهب دينكم البتّة ، وإمّا أن يستميل فيفسد عليكم ويحاربكم !! .

ويُقرأ ﴿ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي أخاف

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٠/٥ عن قتادة ، والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠٥/١٥ والطبري ٥٦/٢٤ وابن الجوزي ١٢٨/٧ قال : « وهذا أمر ثانٍ من فرعون ، بقتل ذكور بني إسرائيل ، أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى ، وأمّا الأمر الثاني فلاذلال هذا الشعب وإهانته ، وتقليل عدده ، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام كما أخبر عنهم القرآن ﴿ قَالُوا أَوَآدُنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا ! ﴾

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ وَأَنْ يُظْهِرَ ﴾ بغير ألف قبل الواو ، وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ ﴾ بألف قبل الواو ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٥/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٩ .

الأمرين جميعاً .

٢٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ .. ﴾ [ آية ٢٨ ] .

يجوز أن يكون المعنى : وقال رجل مؤمن ، يكتُمُ إيمانه من آل فرعون ، على التقديم والتأخير .

ويجوز أن يكون المعنى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون ، يكتُمُ إيمانه ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (١) ؟ أي لأن يقول .  
﴿ وَإِنْ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ أي لا يضركم منه شيء .

٢٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .. ﴾ [ آية ٢٨ ] .

هذه آية مشككة ، لأنَّ كلَّ ما وَعَدَ بِهِ نَبِيُّ كَانَ (٢) ، فهذا موضع « كلَّ » ؟ .

---

(١) القول الأول ضعيف ، والثاني هو الأظهر ، فإن قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ صفة لـ « مؤمن » والمعنى وقال رجل مؤمن من جماعة فرعون ، يُخْفِي إيمانه عن قومه : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ؟ .. إلخ. وقد كان هذا الرجل « قبطياً » ولم يكن إسرائيلياً ، وهو قول السدي ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وأبو حيان في البحر المحیط ، لأنه لم يكن لأحد من بني إسرائيل ، أن يتجاسر عند فرعون ، بمثل ما تكلم به هذا الرجل ، قال ابن كثير ١٢٩/٧ : ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يُعَاجِلَ له بالعقوبة ، لأنه منهم . اهـ .

(٢) هذا من الأسلوب الحكيم في المداراة ، ودفع سَفَه السفهاء ، فإنه أراد أن يتظاهر أمام فرعون ، بعدم الوثوق بكل ما جاء به موسى ، فقال ﴿ يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ ليهضمه بعض حقه ، ويريبهم أنه مجرد ناصح أمين لهم .

ففيها أجوبة :

أ — منها أن « بعضاً » بمعنى « كل » وهذا مذهب أبي عبيدة ،  
وأنشد :

« أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ جَمَامُهَا »<sup>(١)</sup>

وهذا قول مرغوب عنه ، لأن فيه بطلان البيان .

ب — قال أبو إسحاق : في هذا إلزام الحجة للمناظر<sup>(٢)</sup> ، أن يُقال :  
أرأيت إن أصابك بعض ما أعدك ، أليس فيه هلاكك ؟ .

فالمعنى : إن لم يصيبكم إلا بعض ما وعدكم موسى ، هلكتم ،  
قال : ومثله قول الشاعر :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ

وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ<sup>(٣)</sup>

---

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة من معلقته وهو في ديوانه ص ٣١٣ بلفظ : « أو يعتلق بعض النفوس جمامها » وقامه :

تَرَاكَ أَمَكْنِيَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَها — أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ جَمَامُهَا  
وهو في مجاز القرآن ٢٠٥/٢ والقرطبي ٣٠٧/١٥ والبحر المحيط ٤٦١/٧ واستشهد به ابن منظور في لسان العرب ١١٩/٧ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٣٧٢/٤ قال : إنما ذكر البعض ليجب له الكل ، لأن البعض هو الكل ، قال الألويسي في روح المعاني ٦٤/٢٤ وذهب الزجاج إلى أن « بعض » في الآية ﴿ يصيبكم بعض الذي يعدكم ﴾ على ظاهره ، والمراد إلزام الحجة .. إلخ . والأظهر أنه إنما قال ﴿ بعض ﴾ ولم يقل « كل » مع أن الذي يصيبهم هو كل ما وعدهم به موسى عليه السلام ، ليلطفهم في الكلام ، ويبعد عن نفسه التعصب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، رجاء إجابتهم للحق .

(٣) البيت لعمير بن شبيب القطامي كما في ديوانه ص ٢٥ وهو في البحر ٤٦١/٧ والقرطبي ٣٠٧/١٥ =

أي أقل أحوال المتأثني ، أن يُدرك بعض حاجته .

ج — وقيل : ليس في قوله ﴿ يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ نفى للكل<sup>(١)</sup> .

د — وقيل : الأنبياء صلى الله عليهم يدعون على قومهم ، فيقولون : اللهم اخسف بهم ، اللهم أهلكهم ، في أنواع من الدُّعاء ، فيصيبهم بعض ذلك .

هـ — وفي الآية جوابٌ خامس : وهو أن موسى ﷺ وَعَدَهُمْ بِعَذَابِ الدُّنْيَا مَعْجَلاً إِنْ كَفَرُوا ، وبِعَذَابِ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا يُلْحِقُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِيهَا ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ مُؤَخَّرٌ ، فَعَلَى هَذَا يَصِيبُهُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُهُمْ<sup>(٢)</sup> .

٢٨ — ثُمَّ قَالَ جَل وَعَزْ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [ آية ٢٨ ] .

---

= وروح المعاني ٦٤/٢٤ وقد ورد في القرطبي والبحر المحيط وروح المعاني أنه « عمرو القطامي » وهو خطأ وصوابه أنه « عمير بن شميم القطامي » .

(١) هذا قول أبي عبيدة أن المراد بالبعض الكل كما حكاه عنه الألويسي وصاحب البحر ، والمعنى على قوله : يصيبكم كل الذي يعدكم به .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢١٨/٧ وحكاه عن الماوردي ، واختاره ابن كثير ، وغيره من المفسرين ، قالوا : إن موسى وعدهم إن كفروا بعذاب الدنيا ، وبِعَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاَلْمَعْنَى يَصِيبُكُمْ الْعَذَابُ الْعَاجِلُ ، وَهُوَ بَعْضُ مَا يَعِدُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، وَيَصِيرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّارِ .

أي كافر<sup>(١)</sup> .

وقال قتادة : أي أسرف على نفسه بالشُّرك<sup>(٢)</sup> .

وقال السدي : وهو صاحب الدِّم<sup>(٣)</sup> .

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [ آية ٢٩ ] .

رُوي عن معاذ بن جبل أنه قرأ ﴿ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ بتشديد الشَّين<sup>(٤)</sup> ، وقال : سبيل الله جل وعز .

قال أبو جعفر : وهذا عند أكثر أهل اللغة العربية لحنٌ ، لأنه

---

(١) هذا قول قتادة كما حكاه الطبري في تفسيره ٥٩/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٩/٧ وهو تفسير للفظ ﴿ مسرف ﴾ أي أسرف في كفره وضلاله .

(٢) سبق نخرج الأثر عن قتادة في الطبري ، وتفسير ابن الجوزي .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٥٩/٢٤ وابن الجوزي ٢١٩/٧ وعزاه إلى مجاهد ، وهو في البحر المحيط ٤٦١/٧ .

أقول : وهذا القول أظهر ، والمعنى : إن الله لا يهدي من كان مسرفاً في القتل وسفك الدماء ، كذاب في ادعاء الربوبية .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٤١/٢ قال : وهي من قولهم : رَشِدَ يَرشُدُ ، كَعَلَمٍ من عِلْمٍ يَعْلَمُ ، أو من رَشِدَ يَرشُدُ ، كَعَبَادٍ ، من عَبَدَ يَعْبُدُ ، وليس من أَرشَدَ يَرشُدُ ، لأن فعلاً المأخوذ من أفعل لم يأت إلا في أحرف محفوظة ، ذكرها ابن جني . اهـ . وفي البحر ٤٦٢/٧ : وقال أبو حاتم : كان معاذ بن جبل يفسرها ﴿ وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد ﴾ أي سبيل الله ، واستبعد ابن عطية هذه القراءة عن معاذ ، فقال : ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه تفسيرها بذلك ، وهل كان فرعون إلا يدّعي أنه إله ، فكيف يقول : وما أهدىكم إلا سبيل الله ؟ وانظر تفصيل البحث في روح المعاني ٦٦/٢٤ .



إِنَّمَا يُقَالُ : أَرَشَدَ يُرْشَدُ ، وَلَا يَكُونُ « فَعَّالٌ » مِنْ « أَفْعَلٌ » إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الثَّلَاثِي ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّكْثِيرَ مِنَ الرَّبَاعِي ، قُلْتَ : « مِفْعَالٌ » (١) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ رَشَّادٌ ﴾ بِمَعْنَى يُرْشَدُ ، لَا عَلَى أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْهُ ، وَلَكِنْ كَمَا يُقَالُ : لِأَلٍّ مِنَ اللَّوْلُو ، فَهُوَ بِمَعْنَاهُ ، وَلَيْسَ جَارِيًّا عَلَيْهِ .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَشَّادٌ مِنْ رَشَدَ ، يُرْشَدُ أَيُّ صَاحِبِ رَشَادٍ ، كَمَا قَالَ :

« كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ » (٢)

٣٠ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزْ : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [ آيَةُ ٣٠ ] .

قَالَ قَتَادَةُ : هُمْ قَوْمُ نُوحَ ، وَعَادٍ ، وَثَمُودَ (٣) .

(١) صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِي تَأْتِي عَلَى وَزْنِ « فَعَّالٌ » وَمِنَ الرَّبَاعِيِّ تَأْتِي عَلَى وَزْنِ « مِفْعَالٌ » كَمَا

وَضَحَّ الْمَصْنُفُ ، تَقُولُ : ضَرَبَ فَهُوَ ضَرْبًا ، وَسَفَكَ فَهُوَ سَفَاكًا ، وَأَكْرَمَ فَهُوَ مَكْرَامًا .. إلخ .

(٢) هَذَا صَدْرُ بَيْتٍ لِلنَّبَاغَةِ الذِّيَابِي يَمْدَحُ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثِ ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٤٠ وَكِتَابُ سَيَبُويَه ٢٠٧/٢ وَمَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ :

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٌ      وَلَيْلَ أَقَاسِيَه بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ  
وَالشَّاهِدُ فِيهِ « نَاصِبٌ » بِمَعْنَى مُتَعَبٌ ، وَفَعْلُهُ أَنْصَبَ ، فَهُوَ مِنَ الْوَصْفِ الَّذِي لَمْ يَجْرَ عَلَى فَعْلِهِ ، وَجَاءَ عَلَى مَعْنَى ذِي نَصَبٍ .

(٣) قَالَ الطَّبْرِيُّ ٥٩/٢٤ : ﴿ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ الَّذِينَ تَحَرَّجُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ « نُوحَ ، وَهُودَ ، وَصَالِحَ » فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِتَجَرُّعِهِمْ عَلَيْهِمْ . اهـ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ ٣١٠/١٥ : يَعْنِي أَيَّامَ الْعَذَابِ الَّتِي غُذِبَ فِيهَا الْمُتَحَرِّجُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ .

٣١ - وقوله جل وعز : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾

[ آية ٣٢ ] .

وقرأ الضحاك : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ بتشديد الدال<sup>(١)</sup> .

قال أهل العربية : هذا لحن ، لأنه من نَدَّ ، يَنْدُ : إذا مرَّ على وجهه هارباً ، كما قال الشاعر :

وَبَرَكَ هُجُودٌ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي

تَوَادِيَهَا أَسْعَى بِعَضْبٍ مُجَرَّدٍ<sup>(٢)</sup>

قال : ولا معنى لهذا في القيامة .

قال أبو جعفر : هذا غلطٌ ، والقراءة به حسنةٌ ، رَوَى صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن خالد ، قال : ( يظهر للناس يومَ القيامةِ

---

== أقول : وما يؤيد قول قتادة قوله تعالى بعدها ﴿ مثل دأب قوم نوح ، وعاد ، وثمود ﴾ فهو توضيح وبيان للأحزاب .

(١) هذه من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٤٣ وذكر أنها قراءة ابن عباس ، والضحاك ، والكلبي ، وعلى هذه القراءة يكون ﴿ التنادُ ﴾ من نَدَّ يَنْدُ إذا هرب ، وعلى القراءة المشهورة وهي قراءة الجمهور يكون مصدر تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضاً ، والمصدر « التنادي » حذفت منه الياء مراعاة لرغوس الآيات ، وسمي يوم القيامة « يوم التناد » لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة ، أو يتصايحون بالويل والثبور ، أو لتنادي أهل الجنة وأهل النار ، كما قال سبحانه ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار .. ﴾ الآية .

(٢) البيت لطرفة بن العبد كما في ديوانه ص ٥٣ وقد ورد فيه ( أمشي ) بدل أسعى ، وفي اللسان مادة ندى والقرطبي ٣١١/١٥ .

عُنُقُ مَنْ نَارٍ ، فيُولُون هَارِبِينَ مِنْهَا ، حَتَّى تُحِيطَ بِهِمْ ، فَإِذَا أَحَاطَتْ بِهِمْ ، قَالُوا : أَيْنَ الْمَفْرُ؟ ثُمَّ أَخَذُوا فِي الْبُكَاءِ حَتَّى تَنْفَدَ الدَّمُوعُ ، فَيَكُونُ دَمَاءً ، ثُمَّ تَشْخَصُ أَبْصَارُ الْكُفَّارِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ (١) .

ويُروى : أَنَّهُ إِذَا أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، وَلَوْ هَارِبِينَ مِنْهَا (٢) .

ولو لم يكن في الاحتجاج بالقراءة إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ (٣) لَكَفَى .

فَأَمَّا مَعْنَى التَّخْفِيفِ : فَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ .

قال : يَوْمَ يُنَادِي كُلُّ قَوْمٍ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَيُنَادِي أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ (٤) .

وقال عبد الله بن خالد : ( إِذَا حُشِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، نَادَى

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٤٣ والرواية التي ذكرها المصنف ، هي في تفسير الطبري ٦١/٢٤ والدر

المنثور ٣٥٠/٥ وتفسير القرطبي ٣١١/١٥ .

(٢) انظر ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٠/٧ .

(٣) هذه الآية مما يؤيد وجه القراءة بالتشديد ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ أي يَوْمَ الْحَرْبِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَدْبِرِينَ ﴾ كَأَنَّهُ تَوْضِيحٌ وَتَفْسِيرٌ ، لِهَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ .

(٤) كما ورد في سورة الأعراف ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا .. ﴾ الآية وكذلك أهل النار ينادون أهل الجنة مستغيثين بهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ .. ﴾ فلهذا سمي يَوْمَ التَّنَادِ .

بعضهم بعضاً ، حتى يظهر لهم عُقُقُ من النار ، فيولُّون هارين .

٣٢ — ثم قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ ﴾ [ آية ٣٣ ] .

قال قتادة : أي من ناصر<sup>(١)</sup> .

٣٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ  
بِالْبَيِّنَاتِ<sup>(٢)</sup> ۖ ﴾ [ آية ٣٤ ] .

أي من قبل موسى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي بالآيات المعجزات .

﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ  
لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ [ آية ٣٤ ] .

أي ظننتم أن الحجة لا تقام عليكم بعده ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ  
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ أي مثل هذا الضلال ، يضلُّ الله من هو  
مسرف مرتاب<sup>(٣)</sup> . .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٦٢/٢٤ وفي البحر ٤٦٤/٧ ولفظه : وقال قتادة : ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي مانع يمنعكم منها أو ناصر ، وكذلك في تفسير الألوسي ٦٧/٢٤ وابن كثير ١٣٣/٧ .

(٢) الخطاب لآل فرعون ، وهم الأقباط ، والمراد بيوسف هو « يوسف الصديق بن يعقوب » عليهما السلام ، وليس كما زعم البعض أنه رسول آخر يسمى « يوسف » أرسل إلى القبط ، وقد نصَّ جمهور المفسرين على أنه « يوسف بن يعقوب » وانظر الطبري ٦٣/٢٤ وتفسير ابن الجوزي ٢٢١/٧ .

(٣) قال القرطبي ٣١٣/١٥ : ﴿ مسرف ﴾ أي مشرك ﴿ مرتاب ﴾ شاك في وحدانية الله تعالى . اهـ .

٣٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ .. ﴾ [ آية ٣٥ ] .

على البدل مِنْ ﴿ مَنْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومعنى ﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ : كَبُرَ الْجِدَالُ مَقْتًا <sup>(٢)</sup> .

٣٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> [ آية ٣٥ ] .

وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ عَلَى قَلْبٍ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ومعنى هذه القراءة كمعنى الأولى ، كما يُقال : أنا أَكَلَمُ فلاناً ، يومَ كُلِّ جمعة ، وكلَّ يومِ جمعة .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٤/٤ فهو تفسير للمسرف المرتاب ، في قوله تعالى ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ فيكون ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ﴾ بدلاً منه ، والمعنى ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ وهم الذين يجادلون في آيات الله ، فالذين منصوب على البدل . قال القرطبي ٣١٣/١٥ : ويجوز أن يكون رفعاً على معنى : هم الذين يجادلون ، أو على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ . اهـ .

(٢) المقت : شدة البغض ، كما قاله أهل اللغة .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو ، وقرأها بالتثنية ﴿ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ ﴾ وقرأ الباقر بالإضافة ﴿ يَطْبَعُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ ﴾ والقراءتان سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٧٠ والنشر في القراءات العشر ٣٦٥/٢ .

(٤) قراءة ابن مسعود بتقديم القلب ﴿ عَلَى قَلْبٍ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ ليست من القراءات السبع ، وانظر الطبري ٦٤/٢٤ .

فأما التوئين فإنه يُقال : قلبٌ متكبرٌ ، أي صاحبه متكبرٌ .

٣٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً ۚ ۞ ﴾

[ آية ٣٦ ] .

أي قصرًا ، وكل بناءٍ عظيمٍ صَرْحٌ <sup>(١)</sup> .

﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ [ آية ٣٦ ] .

قال قتادة : أي الأبواب <sup>(٢)</sup> .

والسببُ في اللغة : ما يؤدِّي إلى الشيء ، فالمعنى : لعلِّي أبلغُ ما يؤدِّي إلى السَّمَوَاتِ .

٣٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ

السَّبِيلِ ۚ ۞ ﴾ [ آية ٣٧ ] .

وَيُقْرَأُ ﴿ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ وهو اختيار أبي عبيد <sup>(٣)</sup> .

---

(١) قال الجوهرى في الصحاح ٣٨١/١ : الصَّرْحُ : القصر ، وكل بناء عال : صَرْحٌ ، والجمع : الصُرُوح . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٦٥/٢٤ وذكر عن ابن عباس أنها منزل السماء ، ثم قال : وقد بينا فيما مضى قبل أن السبب هو : كلُّ ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يُطلب ، من حبل ، وسلَّم ، وطريق ، وغير ذلك . اهـ .

(٣) هو القاسم بن سلام الخزاعي ، من كبار علماء الحديث والأدب ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ وله غريب الحديث ، وغريب القرآن ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٥٤/٢ وتهذيب التهذيب

ورُوي عن ابن أبي إسحاق ﴿ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
 قال أبو جعفر : وأحسنها ﴿ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ كما قال  
 تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 وقول أبي عبيد في اختياره ليس بشيء ، لأن من قرأه بالضم ،  
 فالمعنى عنده — على ما ذكر أبو حاتم — : وَصَدَّهُ الشَّيْطَانُ عَنْ  
 السَّبِيلِ ، كما قال ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ  
 السَّبِيلِ ﴾ <sup>(٣)</sup> المستقيمة .

٣٨ — ثم قال جلا وعزَّ : ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [ آية ٣٧ ] .  
 قال مجاهد وقتادة : أي في خَسَار <sup>(٤)</sup> .  
 قال أبو جعفر : من هذا قوله جلَّ وعزَّ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي  
 لَهَبٍ ﴾ .

- 
- (١) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، بالبناء على المعلوم ﴿ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي وصد فرعون عن  
 سبيل الله ، والقراءة الأولى بالبناء على المجهول ﴿ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ قراءة حمزة ، وعاصم ،  
 والكسائي ، وكلاهما من القراءات السبع ، والمعنى : صَدَّهُ الشَّيْطَانُ عَنْ طريق الهدى والحق ،  
 وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٧١ والنشر ٣٦٥/٢ .
- (٢) سورة محمد ﷺ آية رقم ١ وتامها ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .
- (٣) سورة النمل آية رقم ٢٤ .
- (٤) أخرج هذا الأثر الطبري ٦٦/٢٤ وذكر نحوه عن ابن عباس قال ﴿ فِي تَبَابٍ ﴾ أي في  
 خسران ، وقال القرطبي ٣١٥/١٥ : في خسران وضلال ، وقال في البحر ٤٦٦/٧ : التباب :  
 الخسران ، خسر ملكه في الدنيا فيها بالفرق ، وفي الآخرة بخلود النار . اهـ . قال الجوهري :  
 التَّبَابُ : الخسران والهلاك تقول : تَبَّتْ يَدَاهُ تَبًّا أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً . اهـ . الصحاح  
 مادة تب .

وقوله ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾<sup>(١)</sup> .

٣٩ — وقوله جل وعز : ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ..﴾

[ آية ٤٠ ] .

قال قتادة : يعني شركاً<sup>(٢)</sup> .

٤٠ — وقوله جل وعز : ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ..﴾

[ آية ٤١ ] .

قال مجاهد : إلى الإيمان بالله عز وجل<sup>(٣)</sup> .

٤١ — وقوله جل وعز : ﴿لَا جَرَمَ أَنْ مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي

الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [ آية ٤٣ ] .

قال مجاهد : يعني الأوثان<sup>(٤)</sup> .

---

(١) سورة هود آية رقم ١٠١ والمعنى : ما زادوهم غير تحسیر ، وتدمير ، وهلاك ، كما قاله الطبري .

(٢) تفسير السیئة بالشرك ذكره الطبري ٦٧/٢٤ عن قتادة ، وهو خلاف الظاهر ، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور أن السیئة هي المعصية أيًا كانت ، لأن الله تعالى قال ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ولا مثل للإشراك بالله فالآية على العموم ، أي من عمل في الدنيا سیئة فلا يعاقب في الآخرة إلا بمقدارها ، دون زيادة ، وهذا ما رجحه الطبري والجمهور .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٦٨/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥١/٥ وهو الراجح لأن الإيمان سبب النجاة .

(٤) الأثر في الطبري ٦٩/٢٤ والدر المنثور ٣٥١/٥ والمعنى أن ما تدعونني إليه من الأصنام ليس له استجابة دعوة أصلاً .



قال أبو جعفر : قال الخليل : معنى ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ، وقد جرم الشيء : أي حقاً وأنشد :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُمَيْيَةَ طَعْنَةً

جَرَمْتُ فَرَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا<sup>(١)</sup>

قال أبو جعفر : فأما دخول « لا » على « جَرَمَ » فلتدل على أنه جواب لكلام ، وأنه ليس مستأنفاً .

فالمعنى : وجب بطلان ما تدعونني إليه ، أي ليس له استجابة دعوة تنفع .

٤٢ — وقوله : ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [ آية ٤٣ ] .

قال عبد الله بن مسعود : هم السفاكون للدماء ، وكذلك قال

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضُّرَيْبِ ، كما في لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري وهو في معاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٤ قال الفراء : ( لا جرم ) ، هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة « لا بد » و « لا محالة » كثرت حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقاً . اهـ . وقال في اللسان ﴿ لا جرم ﴾ أي لا بد ولا محالة ، وقيل : معناه حقاً ، واستشهد بالبيت : ولقد طعنْتُ .. إلخ . ثم قال : أي حقَّت لها الغضب ، وقيل معناه : كسبتها الغضب ، قال سيويه : فأما قوله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ هُمُ النَّارُ ﴾ فمعناها لقد حقَّ أن لهم النار ، وقول المفسرين معناها حقاً أن لهم النار ، يدلُّك أنها بمنزلة هذا الفعل ، والعرب تقول : لا جرم لآتينك ، فتراها بمنزلة اليقين ، وكذلك فسرهما المفسرون : حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون ، وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب . اهـ . اللسان مادة جرم .

عطاء ، ومجاهد<sup>(١)</sup> .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا .. ﴾ [ آية ٤٥ ] .

قال قتادة : كان رجلاً من القبط ، فنجّاه الله مع بني إسرائيل<sup>(٢)</sup> .

٤٤ — وقوله جل وعز : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا .. ﴾ [ آية ٤٦ ] .

يقال : كيف يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا وهم من أهلها ؟ .

فالجواب عن هذا ما قاله عبد الله بن مسعود ، قال : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود ، تُعرض كل يوم على النار مرتين ، يقال : هذه داركم<sup>(٣)</sup> .

---

(١) فسر ابن مسعود ومجاهد ﴿ المسرفين ﴾ هنا بالسفاكين للدماء بدون حق ، وفسره قتادة بأنهم المشركون فإن الإشراف في الضلالة ، وعن عكرمة أنهم الجبارون المتكبرون ، والعموم أولى كما ذهب إليه الطبري .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥١/٥ وهو الصحيح أنه كان من القبط ، من جماعة فرعون ، ولم يكن من بني إسرائيل ، كما ذهب إليه البعض ، وما يدل على أنه من الأقباط : قوله تعالى فيما تقدم ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ فالنص صريح في أنه لم يكن إسرائيلياً ، وقد ردّ ابن جرير على من زعم أنه إسرائيلي ، بالحجة والبرهان .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن السدي ٧١/٢٤ ولفظه : « قال بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود ، تُعرض على النار غدوًّا وعشيًّا حتى تقوم الساعة » وذكره ابن كثير عن ابن مسعود ١٣٧/٧ بلفظ « إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، تروح بهم في الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود ، تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها » وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٨/٧ عن ابن مسعود .

وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال : سمعتُ ميمون بن ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح يُنادي : أصبحنا والحمد لله ، وعُرض آل فرعون على النار ، وإذا أمسى نادى : أمسينا والحمد لله ، وعُرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أبا هريرة أحدٌ ، إلا تعودَ بالله من النار<sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ قال : من أيام الدنيا<sup>(٢)</sup> .

قال الفراء : ليس في القيامة غدو ولا عشي ، ولكن مقدار ذلك<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : التفسير على خلاف ما قال الفراء ، وذلك أن التفسير ، على أن هذا العرض ، إنما هو في أيام الدنيا<sup>(٤)</sup> .

(١) هذا الأثر أخرجه ابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي هريرة ، وذكره القرطبي ٣١٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥٢/٥ بنحوه أن أبا هريرة كان له صرختان في كل يوم غدوة وعشية ، كان يقول أول النهار : « ذهب الليل وجاء النهار ، وعُرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أحد صوته ، إلا استعاذ بالله من النار .. » . اهـ .

(٢) الأثر في تفسير الطبري ٧٢/٢٤ والقرطبي ٣١٩/١٥ والدر المنثور ٣٥٢/٥ ولفظه قال : « ما كانت الدنيا تُعرض أرواحهم » أي ما دامت الدنيا باقية فإن أرواحهم تعرض للعذاب .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٩/٣ .

(٤) ما ذهب إليه الفراء ، أن الغدو والعشي في الآخرة ، قول ضعيف ، والصحيح ما ذهب إليه المصنف أنه في البرزخ ، وهو قول أكثر المفسرين ، إذ ليس في الآخرة إلا العذاب الدائم ، ولا يُراد بالنار نار الآخرة ، إنما هي نار البرزخ «عذاب القبر» بدليل قوله تعالى بعدها ﴿ ويوم تقوم =

والمعنى أيضاً : يَبَيِّنُ أنه على ذلك ، لأنه قال جَلَّ وعزَّ ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ثم دَلَّ على أن هذا قبل يوم القيامة ، بقوله ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ فدلَّ على أن الأول ، بمنزلة عذاب القبر .

٤٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [ آية ٥١ ] .

قال معمر عن قتادة : الملائكة<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : واحدهم شاهدٌ ، كما يُقال : صاحبٌ ، وأصحابٌ .

ويجوز أن يكون : جمع شهيد ، كشریف ، وأشراف .

---

= الساعة أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿ وهذه الآية من أدلة أهل السنة على عذاب القبر ، كما قال الحافظ ابن كثير ١٣٦/٧ : وهذه الآية أصل كبير ، في استدلال أهل السنة ، على عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله ﴿ النار يعرضون عليها غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ فالآية دلت على عذاب الكفار في البرزخ .. إلخ. وكذلك قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٩/٧ : وهذه الآية تدل على عذاب القبر . اهـ .

أقول : وما يؤكد ذلك ويؤيده ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » وانظر كلام الحافظ ابن كثير في هذا الموضوع ، ففيه شفاء الغليل .

(١) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧٥/٢٤ عن مجاهد أيضاً ، واختار العموم أن الأشهاد هم الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنون ، وهكذا ذكر القرطبي ٣٢٢/١٥ وهو الأولى والأظهر ، وهو مروي عن زيد بن أسلم .

٤٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ .. ﴾  
[ آية ٥٦ ] .

مثل قوله ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ <sup>(١)</sup> المعنى : ما هم ببالغي إرادتهم فيه ، لأن الكبر شيء قد أتوه ، فهذا لا يُشكّل .

وقد قيل : الكبر ههنا : العلو على النبي ﷺ ، وذلك إرادتهم ولم يبلغوه ، فأما إرادتهم في الأول : فالجدال في آيات الله جل وعز ، حتى يُبطلوها ، ولم يبلغوا ذلك .

وقيل : إنما يُراد بهذا « اليهود » تكبروا ، وتوقفوا ، وقالوا حتى يخرج الدجال ، ونكون معه ، فأعلم الله جل وعز أن هذه الفرقة من اليهود ، لا تلحق الدجال <sup>(٢)</sup> ، واستشهد صاحب هذا القول بقوله ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

---

(١) أي هو على حذف مضاف لأن الكبير حاصل فيهم ، ويصبح المعنى : ما هم بواصلين إلى مرادهم من إطفاء نور الله .

(٢) هذا مروى عن أبي العالية ، أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عنه بسند صحيح ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٥ والشوكاني في فتح القدير ٤٩٩/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٢٥/١٥ قال والمعنى : إن تعظموا عن اتباع محمد — يعني اليهود — وقالوا إن الدجال سيخرج عن قريب ، فيرد الملك إلينا ، وتسير معه الأنهار ، فذلك كبر لا يبلغونه ، فنزلت فيهم الآية ، قاله أبو العالية وغيره . اهـ .

(٣) أي فاستعذ بالله من فتنة الدجال ، على قول من قال : إن الآية نزلت في اليهود ، وعلى القول الآخر من شر الكفار .

٤٧ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [ آية ٦٠ ] .

رَوَى يُسَيْعُ الْكِنْدِيُّ<sup>(١)</sup> عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : الدعاء هو العبادة ، وتلا رسول الله ﷺ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال أبو غريدة : ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ : صاغرين<sup>(٣)</sup> .

٤٨ — وقوله جل وعز : ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [ آية ٧١ ] .

وَقُرِءَ ﴿ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) يُسَيْعُ الْكِنْدِيُّ هو « يسيع بن معدان الحضرمي » الكندي الكوفي ، ويقال فيه « أسيع » ثقة روى عن علي ، والنعمان بن بشير ، وثقه النسائي ، وابن حبان ، وانظر تهذيب التهذيب ٣٨٠/١١ والجرح والتعديل للرازي ٣١٣/٩ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٤٧ وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود في الصلاة رقم ١٤٧٩ وابن ماجه رقم ٣٨٢٨ والحاكم وصححه .

(٣) بهذا فسه المفسرون قال الطبري ١١٦/١٤ ﴿ داخرون ﴾ صاغرون ، يقال : دَخَرَ يَدْخُرُ دُخُورًا : إذا ذَلَّ وخضع ، وكذلك أهل اللغة ، قال الجوهري : الدُّخُور : الصَّغَار والذَل ، يقال : دخر الرجل ، فهو داخر ، أي ذل . اهـ .

(٤) قراءة الجمهور بالضم ﴿ والسَّلَاسِلُ ﴾ فعلى هذا تكون عطفًا على الأغلال ، والمعنى حين تُجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم ، ويُسحبون بها ، وأما قراءة الفتح ﴿ والسلاسل يُسْحَبُونَ ﴾ فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٤٤/٢ والمعنى : الأغلال في أعناقهم ، وهم يسحبون =

وفي قراءة أبي ﴿بِالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ﴾ .

وأجاز الفراء : ﴿وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ﴾ <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ﴾ فالمعنى عنده : يسحبون السَّلَاسِلَ ، وهي قراءة ابن عباس ، قال : وذلك أشدَّ عليهم ، يُكَلِّفُونَ أَنْ يَسْحَبُوهَا وَلَا يُطِيقُونَ <sup>(٢)</sup> .

وَمَنْ قرأ ﴿وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ﴾ فالتَّامُّ عنده  
﴿وَالسَّلَاسِلِ﴾ ثم ابتداء فقال ﴿يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾ .

قال الفراء : والسَّلَاسِلِ بالخفض <sup>(٣)</sup> ، محمولٌ على المعنى ، لأنَّ المعنى : أعناقهم في الأغلال والسَّلَاسِلِ ، كما حُمِلَ على المعنى قوله :

---

= سلاسلهم في جهنم ، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ، وقراءة أبي ﴿بِالسَّلَاسِلِ﴾ ليست أيضاً من القراءات السبع .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٥/٣ .

(٢) انظر الطبري ٨٤/٢٤ والقرطبي ٣٣٢/١٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٣٦/٧ وهي قراءة شاذة كما بينا .

(٣) قراءة الجر ﴿وَالسَّلَاسِلِ﴾ ليست من القراءات الواردة ، وإنما هي جائزة لغة ، فهي محمولة على المعنى ، أي أعناقهم في الأغلال والسَّلَاسِلِ ، والأصل في القراءات الواردة عن رسول الله ﷺ ، وقد ردَّ ابن الأنباري قراءة الخفض ، فقال : والخفض على هذا المعنى ، غير جائز ، لأنك إذا قلت : زيد في الدار ، لم يحسن أن تُضمَر « في » فتقول : زيد الدار ، ولكن الخفض جائز على معنى : إذ أعناقهم في الأغلال والسَّلَاسِلِ . اهـ. القرطبي ٣٣٢/١٥ .

قَدْ سَأَلَمَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا  
الْأَفْعَوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا<sup>(١)</sup>

٤٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [ آية ٧٢ ] .

قال مجاهد : أي تُوقد بهم النار<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : سَجَرْتُ الشَّيْءَ : أي ملائته ، ومنه  
﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فالمعنى على هذا : ثُملاً بهم النَّارُ ، وقال الشاعر يصفُ  
وَعَلًا :

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً  
تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسَمَا<sup>(٤)</sup>

(١) البيت من أرجوزة لأبي حيان الفَقْعَسِي ، استشهد به الفراء في معاني القرآن ١١/٣ ولسان العرب مادة شجع ، ومعنى « الشجاع » الحية و « الشجعما » الضخم ، وانظر الطبري ٨٤/٢٤ والقرطبي ٣٣٢/١٥ .

(٢) الأثر ذكره في البحر ٤٧٤/٧ عن مجاهد قال : ﴿ يُسْجَرُونَ ﴾ يُطْرَحُونَ فِيهَا ، فيكونوا وقودا لها ، وكذلك في الطبري ٨٤/٢٤ .

(٣) سورة الطور آية رقم ٦ والمعنى : والبحر الموقد ناراً ، ومعنى السجر : الإيقاد ، فما ذهب إليه مجاهد أظهر ، قال في لسان العرب ( والبحر المسجور ) جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم ، وكان علي يقول : المسجور بالنار ، وأما من قال إنه بمعنى المملوء فقد قال ابن سيده في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ من قال ملئت فلا وجه له ، إلا أن تكون ملئت ناراً . اهـ. لسان العرب .

(٤) البيت للنمر بن تولب كما في اللسان مادة ( سسم ) وقد أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن =



أي عيناً مملوءة .

٥٠ — وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. ﴾ [ آية ٧٥ ] .

يَبِّينَ هَذَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ (١) .

٥١ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [ آية ٧٥ ] .

قال مجاهد : أي تبطرون وتأشرون (٢) .

٥٢ — وقوله جل وعز : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [ آية ٧٩ ] .

أي الإبل (٣) .

قال قتادة في قوله تعالى ﴿ وَلِتَبْتَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي

---

= ٣٣٣/١٥ بلفظ « النبع والسمسما » ولم يعزه وهو تصحيف ، وما أثبتناه من المخطوطة هو

الصحيح ، كما في لسان العرب .

(١) سورة غافر آية رقم ٨٣ والمراد بالفرح في الآية : فرح البطر ، والاستكبار عن الخضوع للحق .

(٢) الأثر في الطبري ٨٥/٢٤ والبحر المحيط ٤٧٥/٧ والقرطبي ٣٣٣/١٥ عن مجاهد ، قال

الطبري : والمرح : هو الأثر والبطر . اهـ . ومنه قوله تعالى ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب

الفرحين ﴾ فهو فرح الفخر والخيلاء ، لا فرح السرور بالنعمة ، والشكر عليها .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٨/٤ قال : الأنعام ههنا الإبل ، واختار الطبري العموم ،

فقال : هي الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيول . قال في البحر ٤٧٨/٧ ويضعف قول من أدرج

فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم ، وقول من خصّها بالإبل وهو

الزجاج .

صُدُّوْكُمْ ﴿ : الرحلةُ من بلدٍ إلى بلدٍ <sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : أي حاجة كانت <sup>(٢)</sup> .

٥٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .. ﴾ [ آية ٨٣ ] .

أي رضوا به .

قال مجاهد : قالوا : نحنُ أعلمُ منكم ، لن نُبعثَ ، ولن نُحيا بعد الموتِ <sup>(٣)</sup> .

قال مجاهد : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

[ آية ٨٣ ] .

أي ما جاءت به الرسلُ الحقُّ <sup>(٤)</sup> .

---

(١ — ٢) الأثران عن مجاهد وقتادة أخرجهما الطبري ٨٧/٢٤ والشوكاني في فتح القدير ٥٠٧/٤ وقول مجاهد أظهر ، فإن المراد من الآية : بلوغ الأسفار الطويلة ، وحمل الأثقال إلى البلاد الشاسعة ، وقضاء فريضة الحج ، والغزو ، وغير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٨٩/٢٤ والقرطبي ٣٣٦/١٥ وابن الجوزي ٢٣٨/٧ ، وما ذكر عن مجاهد هو من بعض ضلالهم ، فقد اعتقد السفهاء أن عندهم علماً يستغنون به عن علم الأنبياء ، وزعموا أن علومهم العقلية أعلى من علوم الرسل ، فلذلك استكبروا عن اتباعهم .

(٤) أي نزل بالكفار عقاب استهزائهم ، بما جاءهم به الرسل الكرام ، فإن ما جاء به الرسل هو الهدى والحق .

٥٤ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ .. ﴾ [ آية ٨٥ ] .

قال قتادة : أي إنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ، فلم ينفعهم إيمانهم .

٥٥ — ثم قال تعالى : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [ آية ٨٥ ] .

وقد كانوا قبل ذلك خاسرين ، لأنه تبين خسرتهم ، بأن لحقهم العذاب ، ولم يُقبل إيمانهم .

\* \* \*

« انتهت سورة غافر »



# تفسير سورة فصلت

مكية وآياتها ٥٤ آية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ فَصَّلَتْ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ <sup>(١)</sup>

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حَمَّ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [ آية ١ و ٢ ] .

الخبر عند البصريين <sup>(١)</sup> ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [ آية ٣ ] .

وقال بعض الكوفيين : هَذَا كِتَابٌ .

﴿ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ : أي أنزلت متفرقة .

وقال الحسن : فَصَّلَتْ بِالْوَعِيدِ <sup>(٢)</sup> .

وقال مجاهد : ﴿ فَصَّلَتْ ﴾ : فَسَّرَتْ <sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : يُبَيِّنُ حِلَالُهَا وَحُرَامُهَا ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ <sup>(٤)</sup> .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٩/٤ ونقله في البحر ٤٨٣/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٠/٧ وهو مذهب البصريين ، وقول الأخفش ، وعلى قولهم يكون المبتدأ قوله تعالى ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ والخبر ﴿ كتاب فصلت آياته ﴾ وسوغ الابتداء به وهو نكرة ﴿ تنزيل ﴾ وصفه بقوله ﴿ من الرحمن الرحيم ﴾ وعند الكوفيين ، هو خبر لمبتدأ محذوف ، أي هذا تنزيل ، وهذا كتاب ، وانظر القرطبي ٣٣٧/١٥ .

(٢) الآثار عن الحسن ، ومجاهد ، وقاتادة ، ذكرت كلها في البحر المحيط ٤٨٣/٧ وفي تفسير القرطبي ٣٣٧/١٥ وفتح القدير للشوكاني ٥٠٥/٤ وأجمع هذه الأقوال أن معنى ﴿ فصلت ﴾ آياته ﴿ أي بيّنت معانيه ، ووضّحت أحكامه ، بطريق القصص ، والمواعظ ، والأحكام . والأمثال ، والوعد ، والوعيد ، فهو في غاية البيان والكمال .

٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [ آية ٣ ] .

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ أي في حال الاجتماع .

﴿ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي لمن يعلم العربية .

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ نعتٌ للقرآن<sup>(١)</sup> .

٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ .. ﴾

[ آية ٥ ] .

أي في أغطية<sup>(٢)</sup> ، أي ليست نعي ما تقول .

وَالْوَقْرُ : الصَّمَمُ<sup>(٣)</sup> .

٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّنَا

عَامِلُونَ ﴾ [ آية ٥ ] .

﴿ حِجَابٌ ﴾ أي حاجز .

---

(١) أشار المصنف رحمه الله إلى أن ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ منصوب على الحال ، أي حال كونه قرآنًا

عربيًّا ، واضحاً جلياً ، مبشراً لهم ومنذراً ، فيكون ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ صفة للقرآن ، وقوله :

« لمن يعلم العربية » تفسير لقوله تعالى ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وهو الأصح من الأقوال كما قال

الطبري : لقوم يعلمون اللسان العربي ، وقال الشوكاني : أي يعلمون معانيه ويفهمونها ، وهم أهل

اللسان العربي . اهـ . قال القرطبي : والسورة نزلت تقريراً وتوبيخاً لقريش في بيان إعجاز القرآن .

(٢) « أَكِنَّةٌ » جمع كنان وهو الغطاء ، قال في المصباح : الكنان : الغطاء وزناً ومعنى ، والجمع أكنة

مثل أغطية . اهـ .

(٣) أصل الوقر : الثقل يقال : وقرت الأذن وقرأ : ثقل سمعها ، والمعنى : في آذاننا ثقل وصمم بمنعنا

من فهم ما تقول .



وهو يزيد على معنى ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ لَأَن معنى ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أي ليس نجيبك إلى شيء مما تدعوننا إليه<sup>(١)</sup> .

ثم قال ﴿ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ أي فاعمل في هلاكنا ، فإننا عاملون على مثل ذلك<sup>(٢)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : فاعمل بدينك ، فإننا عاملون بديننا .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾ [ آية ٧ ] .

قيل : أي لا يؤمنون<sup>(٣)</sup> .

(١) الآية وردت بطريق الاستعارة ، فقد كانت حواسهم سليمة « القلوب ، والأسماع ، والأبصار » ليس عليها شيء مما يقولون من الأغطية والحجب ، ولكنهم لتعاميهم عن الحق ، واستغفاهم لكلام الرحمن ، كأن قلوبهم مغطاة في غلاف ، وكأن أسماعهم بها صمم ، وكأن بينهم وبين الرسول حجاب ، فهم لا يفهمون ما يُتلى عليهم من آيات الذكر الحكيم ، قال الشوكاني في فتح القدير ٥٠٦/٤ : وهذه تمثيلات لنبؤ قلوبهم عن إدراك الحق ، ومجّ أسماعهم له ، وامتناع المواصلات بينهم وبين رسول الله ﷺ .

(٢) هذا قول الكلبي كما حكاه القرطبي والشوكاني عنه ٥٠٦/٤ والقول الثاني هو الأظهر والأرجح أي اعمل على طريقتك ونحن على طريقتنا ، لا نتابعك ولا نسالك ، واستمر على دينك فإننا مستمرون على ديننا ، وهو اختيار ابن كثير .

(٣) هذا القول منسوب إلى ابن عباس كما حكاه الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، فالمراد عنده تركية النفس من الشرك ، لا زكاة المال ، قال الطبري ٩٢/٢٤ قال ابن عباس « هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله » فالمراد بالزكاة زكاة الأنفس وتطهيرها ، والأكثر على أن المراد بها الزكاة الشرعية وهو قول قتادة ، قال الحافظ ابن كثير ١٥٧/٧ : « وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم ، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير ، وفيه نظر ، لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة ، وهذه الآية مكية ، اللهم إلا أن يُقال : إن أصل =

وقال قتادة : الزكاة فطرة الإسلام ، فمن أداها برىء ونجا ، ومن لم يؤدّها هلك .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [ آية ٨ ] .

قال مجاهد : أي غير محسوب .

قال أبو جعفر : يُقال : مَنَنْتُ الشيءَ فهو مَمْنُونٌ ، ومنينٌ ، إذا قطعته ، كما قال :

فَتَرَى حَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَقْـ  
ح مَنِيناً كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ<sup>(١)</sup>

يعني بالمنين : الغبار المنقطع ، الضعيف .

ويجوز أن يكون الممنون : يُمنُّ به .

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ أَنتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾ [ آية ٩ ] .

---

= الزكاة « الصدقة » كان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تعالى ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ فأما الزكاة ذات المقادير ، فإنما يبين أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعاً بين القولين « . اهـ . وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ١٩/٤ .

(١) البيت للحارث بن حلزة الشكري في معلقته التي مطلعها « آذنتنا ببينا أسماء » انظر المعلقات العشر للشنقيطي ص ١٣٦ و « أهباء » بفتح الهمزة جمع هبوة وهي الغبار ، وروي بالكسر على المصدرية « إهباء » .

روى سفيان ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،  
وابن أبي ذيب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن عبد الله بن سلام<sup>(١)</sup>  
قالا — وهذا معنى قولهما — ابتداء الله جل وعز بخلق الأرضين يوم  
الأحد ، فخلق سبع أرضين في يوم الأحد ، ويوم الاثنين .

ثم ﴿ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا  
أَقْوَاتَهَا ﴾ أرسى الجبال ، وشق الأنهار ، وغرس الأشجار ، وجعل  
المنافع في يومين ، يوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فخلقها سبع سموات في يوم  
الخميس ، ويوم الجمعة .

قال ابن عباس : ولذلك سميت « يوم الجمعة » لأنه اجتمع فيها  
الخلق<sup>(٢)</sup> .

(١) هو رئيس أئمة اليهود ، أسلم رضي الله عنه عند هجرته ﷺ للمدينة وكان اسمه في الجاهلية  
« الحصين » فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله . وفيه نزل ﴿ وشهد شاهد من بني  
إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم .. ﴾ وهو الذي شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، كما في  
صحيح البخاري عن سعد قال : ( ما سمعت رسول الله يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل  
الجنة إلا لعبد الله بن سلام ) ، انظر ترجمته في أسد الغابة ٣/٢٦٤ .

(٢) هذا الأثر أخرجه أبو الشيخ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما ذكره السيوطي في الدر  
المشثور ٣٦١/٥ وفيه تفصيل لقوله تعالى ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ ففصل هنا ما  
أجمله هناك ، فذكر أنه خلق الأرض أولاً في يومين لأنها كالأساس ، والأساس يبدأ به أولاً ، ثم  
بعده بالسقف فخلق السماء ثانياً في يومين ، وهي تمام أربعة أيام ، ثم دحا الأرض فأرسى فيها  
الجبال ، وشق الأنهار ، وأخرج الزروع والثمار في يومين ، فتم خلق السموات والأرض في ستة =

قال عبد الله بن سلام : قضاهنَّ سبع سمواتٍ في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة ، ثم خَلَقَ فيها آدم على عَجَلٍ <sup>(١)</sup> ، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ على قولهما : شَقَّ أنهارها ، وغرس أشجارها .

وقيل : معنى ﴿ بَارَكَ فِيهَا ﴾ : أَكْثَرَ فيها من الأقوات <sup>(٢)</sup> .

وقيل : معناه كما يُقال : باركتُ عليه أي قلتُ بورك فيك .

٨ — قال عكرمة : في قوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ [ آية ١٠ ] .

جعل اليماني باليمن ، والسَّابِرِيُّ بسابور <sup>(٣)</sup> .

== أيام ، ولو شاء لخلقهن بلمح البصر ، ولكنه تعالى أراد أن يَعْلَمَ العباد الحلم والأناة ، وهذا ملخص قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وعلماء السلف .

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ والمراد بالإنسان آدم عليه السلام .

(٢) قال ابن كثير ١٠١/٤ ﴿ وبارك فيها ﴾ أي جعلها مباركة ، قابلة للخير والبذر والغراس ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ وهو ما يحتاج إليه أهلها من الأرزاق والبقاع التي تغرس وتزرع ، يعني يوم الثلاثاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة . اهـ .

(٣) « سَابُور » بلدة بفارس ، بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً ، تنسب إلى سابور أحد الأكاسرة ، كذا في معجم البلدان ١٦٧/٣ وهذا الأثر عن عكرمة ذكره الطبري ٩٦/٢٤ والقرطبي ٣٤٢/١٥ وهو قول الضحَّاك ، ونصّه قال عكرمة ، والضحَّاك : معنى ﴿ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أي أرزاق أهلها ، وما يصلح لمعايشهم من التجارات ، والأشجار والمنافع ، فجعل في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد . اهـ . وهذا ما اختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وصاحب البحر المحيط .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : جعل فيها ما يُتَعَايَشُ به ،  
وَيُنَجَّرُ فيه .

وقيل : ﴿ أَقْوَاتَهَا ﴾ ما يُتَقَوَّتُ وَيُؤْكَلُ .

وقول ابن عباس ، وابن سلام يحتمل المعنيين ، والله أعلم .

٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ [ آية ١٠ ] .

المعنى : في تنمة أربعة أيام<sup>(١)</sup> .

﴿ سَوَاءٌ ﴾ أي استوت استواءً .

وقال الفراء : هو متعلق بقوله ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾  
سواءً<sup>(٢)</sup> .

وقرأ الحسن : ﴿ سَوَاءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> بالخفض ، أي في أربعة أيام ،  
مستوية ، تامة .

وبالإسناد الأول عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لِلسَّائِلِينَ ﴾  
قال : مَنْ سَأَلَكَ فَقَالَ لَكَ : فِي كَمْ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ فَقُلْ

---

(١) هذا قول الزجاج كما في البحر ٤٨٥/٧ قال : وهذا كما تقول : بنيتُ جدار بيتي في يوم ،  
وأُكملتُ جميعه في يومين أي بالأول ، وقال الطبري ٩٧/٢٤ : لما ورد في الخبر أنه تعالى فرغ من  
خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها ، من الأشجار ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والخراب ، في  
أربعة أيام ، أو هن يوم الأحد ، وآخرهن يوم الأربعاء . اهـ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

(٣) قرأ الجمهور ﴿ سَوَاءٌ ﴾ بالنصب على الحال ، وقرأ أبو جعفر بالرفع ، أي هي سواء ، وقرأ  
الحسن ويعقوب بالجر نعتاً لأربعة أيام ، وانظر النشر ٣٦٦/٢ والبحر ٤٨٦/٧ .

له : في هذا<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا القول : جواباً للسائلين .

وفيه قول آخر : وهو أن المعنى : وقَدَّرَ فيها أقواتها للسائلين أي للمحتاجين ، أي لمن سأل ، لأن الناس يسألون أقواتهم ، وهذا مذهب ابن زيد<sup>(٢)</sup> ، قال : قَدَّرَ ذلك على قَدْرِ مسائلهم ، علم ذلك .

١٠ — وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ .. ﴾ [ آية ١١ ] .

دَلَّ على أن خلق السَّماء بعد خلق الأرض ، وقد قال في موضع آخر ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؟ .

ففي هذا أجوبة :

رَوَى هَارُونُ بْنُ عَنَتَةَ ، عَنْ أَبِيهِ<sup>(٣)</sup> ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :  
خلق الله الأرضَ أَوَّلَ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ، ثُمَّ دَحَا الأرضَ والماءَ بعد

---

(١) هذا قول قتادة والسدي كما ذكره ابن كثير والطبري ٩٧/٢٤ قال الطبري ﴿ سواءً للسائلين ﴾

أي لمن سأل عن مبلغ الأجل ، الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي والبركة ، وقدر فيها الأقوات ، وجده كما أخبر الله أربعة أيام ، لا يزدن على ذلك ولا ينقصن . اهـ .

(٢) قول ابن زيد ذكره الطبري ٩٧/٢٤ وابن كثير ١٥٥/٧ وصاحب البحر المحيط ٤٨٦/٧ وقول

ابن عباس والسدي أظهر ، لأن السؤال للسائلين عن مقدار الخلق ، لا للطالبيين للقسوت والرزق .

(٣) هارون بن عنترة وكنيته « أبو عمرو » بن عبد الرحمن الشيباني بن أبي وكيع الكوفي توفي سنة

١٤٢ هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، قال أحمد بن معين ثقة ، وانظر تهذيب التهذيب ٩/١١ .

ذلك ، قال : « دَحَا » أي بسط<sup>(١)</sup> .

وقيل : المعنى : ثم أخبركم بهذا ، كما قال جل وعز ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهو في القرآن كثير<sup>(٢)</sup> .

وقيل : ﴿ ثُمَّ ﴾ ههنا بمعنى الواو ، وهذا لا يصح ولا يجوز .

والجوابان حسنان جيدان .

١١ — وقوله جل وعز : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [ آية ١١ ] .

في هذا أجوبة :

(١) أشار المصنف إلى الجمع بين تعارض النصوص في الظاهر ، فإن قوله تعالى ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا .. ﴾ ثم قال ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ يدل على أن الأرض تخلق بعد السماء ، وفي سورة السجدة ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾ وبعد أن فصل خلق الأرض قال ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ وهذا يدل على أن السماء خلقت بعد الأرض ، فظاهر النصوص التعارض ، وقد أشكل هذا على بعض التابعين ، حتى سأل ابن عباس كما في صحيح البخاري ١٥٩/٦ فأزال له الإشكال بقوله : خلق الله الأرض في يومين ، ثم خلق السماء في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض فأخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجماد والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين ، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين . ثم قال للسائل : فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله عز وجل . اهـ . وخلاصة القول أن الأرض خلقت قبل السماء ثم دحيت بعد خلقها . وانظر تفسير ابن كثير ١٥٤/٧ والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٠/٤ .

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ليست « ثم » للتراخي الزماني ، بل هي لترتيب الأخبار ، فكأنه قال : خلقت كذا ثم أخبركم بهذا ، وله شواهد كثيرة في القرآن الكريم .

أ — منها أن الله جل وعزَّ ، جعل فيهما ما يُميزان ، ويُجيبان عما قيل لهما .

ب — وقال محمد بن يزيد : هذا إخبارٌ عن الهيئة ، أي صارتا في هيئة من قال ، أي هو كما قال : « امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي » <sup>(١)</sup> .

أي حسبي ، أي صار في هيئة من يقول .

وقيل : أخبرنا الله عز وجل بما نعرفُ ، من سرعة الإجابة ، وقد علمنا أنه ليس شيء أسرع ، من أن يُقالَ للإنسان : افْعَلْ ، فيقول : قد فعلتُ .

فأخبر الله جلَّ وعزَّ ، عن إجابة السموات والأرض ، إلى أمره جلَّ وعزَّ .

فأمَّا قوله تعالى ﴿ طَائِعِينَ ﴾ ولم يقل : « طائعات » فقال فيه الفراء معناه : أتينا بمن فينا طائِعِينَ <sup>(٢)</sup>

---

(١) من المعلوم أن الحوض لا يتكلم وإنما هو من باب التمثيل كأنه بلسان الحال يقول : قد امتلأت فكفاني ، وهذا قول بعض المفسرين ، وهو مثل قول بعضهم : قال الحائط للمسمار لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني ، وذهب البعض إلى أن الله خلق للسموات والأرض قدرة على الكلام ، فقالتا على الحقيقة ﴿ أتينا طائعين ﴾ وهذا غير مستحيل على قدرة الله جل وعلا .

(٢) عبارة الفراء في معاني القرآن ١٣/٣ : لم يقل « طائعين » ولا « طائعات » لأنه ذهب به إلى السموات ومن فيهنَّ ، وقد يجوز أن تقولاً — وإن كانتا اثنتين — أتينا طائعين ، فيكونان كالرجال لما تكلمتا . اهـ .



قال أبو جعفر : الأحسن في هذا — وهو مذهبُ جَلَّةِ  
النحويين — أنه جل وعز ، لَمَّا أخبر عنها بأفعال ما يَعْقِلُ ، جاء فيها  
بما يكون لمن يعقل ، كما في قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايتُهُمْ لِي  
سَاجِدِينَ ﴾ (١) .

فأما الكسائي فأجاز في كل شيء ، أن يُجمع بالواو والنون ،  
والياء والنون ، وهذا لا يُعَرَّجُ عليه .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ۖ ﴾  
[ آية ١٢ ] .

﴿ فَقَضَاهُنَّ ﴾ أي أحكمنَّ ، كما قال الشاعر :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا  
دَاوُدُ ، أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغُ تَبَعُ<sup>(٢)</sup>

١٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۖ ﴾ [ آية ١٢ ] .

(١) سورة يوسف آية رقم ٤ والشاهد فيها أن الكواكب ، والشمس ، والقمر ، لا عقل لها ، ولمَّا  
أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة ، والسجود ، وهما من أفعال من يعقل ، أخبر عنها بخبر من يعقل  
فقال ﴿ سَاجِدِينَ ﴾ قال القرطبي : والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته .  
أهـ .

(٢) البيت لابن أبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٩/١ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز  
القرآن ١٤٣/٢ وذكره القرطبي ٣٤٥/١٥ والطبري ٦٧/٢٢ والشاهد « قضاها » أي فرغ من  
عملهما ، والصَّنَعُ بفتح الحاء : الحاذق ، أي كأنهما من صنع داود عليه السلام أو من صنع تَبَعٍ  
ملك اليمن العظيم .

رَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ <sup>(١)</sup> عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : مَا أَمَرَ ، وَمَا أَرَادَهُ <sup>(٢)</sup> .  
وَرَوَى سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : خَلَقَ شَمْسَهَا ، وَقَمَرَهَا ،  
وَنَجْمَوَهَا ، وَأَفْلَاكَهَا <sup>(٣)</sup> .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : الْقَوْلَانِ مُتَقَارِبَانِ ، وَكَأَنَّ الْمَعْنَى — وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ — وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ، بِمَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهَا .

١٤ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا .. ﴾  
[ آية ١٢ ] .

أَيَّ وَحَفْظُهَا حِفْظًا <sup>(٤)</sup> مِنَ الشَّيَاطِينِ بِالْكَوَاكِبِ .

وَالْمَعْنَى : أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِهَذِهِ قَدْرَتُهُ ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَمْثَالَ

(١) « ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ » هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَسَارٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ كَمَا فِي تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ ٥٢٩/٢ وَقَالَ  
الرَّازِيُّ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ٢٠٣/٥ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، وَاسْمُ أَبِي نَجِيحٍ يَسَارٌ ، مَوْلَى  
الْأَخْنَسِ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ثِقَةٌ ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي  
نَجِيحٍ » مَكِّيٌّ ثِقَةٌ . اهـ . مِنْ كِتَابِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِلرَّازِيِّ .

(٢) عِبَارَةُ الطَّبْرِيِّ ٩٩/٢٤ وَعَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ قَالَ : مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَرَادَهُ ،  
وَبَنَحَوْهُ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ٢٤٦/٧ .

(٣) الطَّبْرِيُّ ٩٩/٢٤ وَالْقُرْطُبِيُّ ٣٤٥/١٥ وَذَكَرَ أَنَّهُ قَوْلُ السَّدِيِّ أَيْضًا وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا ، وَلَفْظُهُ قَالَ قَتَادَةُ وَالسَّدِيُّ : خَلَقَ فِيهَا شَمْسَهَا ، وَقَمَرَهَا ، وَنَجْمَوَهَا ، وَأَفْلَاكَهَا ، وَخَلَقَ فِي  
كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَالْخَلْقُ الَّذِي فِيهَا مِنَ الْبَحَارِ ، وَجِبَالِ الْبَرِّ ، وَالتَّلُوجِ . اهـ . وَفِي  
التَّسْهِيلِ : أَيَّ أَوْحَى إِلَى سُكَّانِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَإِلَيْهَا نَفْسُهَا مَا شَاءَ مِنَ الْأُمُورِ .

(٤) قَوْلُهُ ﴿ وَحِفْظًا ﴾ مَفْعُولٌ مَطْلُوقٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ : وَحَفْظُهَا حِفْظًا كَمَا أَشَارَ الْمُصَنِّفُ ، وَيجوز  
أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ أَيَّ مِنْ أَجْلِ الْحِفْظِ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، وَانْظُرِ التَّسْهِيلَ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ .  
٢١/٤ .

مِمَّا تَنْحَتُونَ بِأَيْدِيكُمْ (١) ؟

١٥ — ثُمَّ قَالَ جَل وَعِزْ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ .. ﴾ [ آية ١٣ ] .

أي فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ التَّوْحِيدِ ، وَمَا جِئْتُ بِهِ ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴾ أي أَنْذَرْتُكُمْ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَذَابٌ ، كَمَا نَزَلَ بِهِمْ .

﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ يَعْنِي مِنْ جَاءَ قَبْلَهُمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (٢) .

ثُمَّ قَالَ ﴿ وَمَنْ خَلَفَهُمْ ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ الْمَعْنَى : وَمَنْ بَعْدَ كَوْنِهِمْ (٣) .

---

(١) الْآيَاتُ سَقَتْ لِلتَّوْبِخِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ جَحَدُوا وَحِدَانِيَّتَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ، وَكَأَنَّمَا تَقُولُ : كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِمَنْ أَوْجَدَ الْعَالَمَ ، عَلَوِيَّهِ وَسَفْلِيَّهِ ، وَهُوَ إِلَهِ الْعَالَمِينَ الشَّأْنِ ، الَّذِي خَلَقَ الْكَوْنُ بِمَا فِيهِ مِنْ شَمْسٍ وَأَقْمَارٍ ، وَخَارٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَمَوَاتٍ وَأَرْضِينَ ، وَزَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنَّجْمِ الزَّاهِرَةِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ جَعْلُ الْأَصْنَامِ الْخَسِيسَةِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْفَعُ ، شُرَكَاءَ مَعَ اللَّهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَعْبُودِيَّةِ ؟ أَفَلَيْسَ لَكُمْ عَقُولٌ تَدْرِكُونَ بِهَا فُسَادَ هَذَا الرَّأْيِ !؟

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ رَقْمِ ٣ .

(٣) الضَّمِيرُ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلَفَهُمْ ﴾ يَعُودُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، أَيِ إِنْ الرُّسُلُ جَاءَتْهُمْ فِي الزَّمَنِ الْمَتَقَدِّمِ ، وَالزَّمَنِ الْمَتَأَخَّرِ ، وَلَمْ تَنْقُطْ رِسَالَةُ الْمُرْسَلِينَ ، لَا فِي السَّابِقِ وَلَا فِي الْلاحِقِ ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : الْمَعْنَى : إِنْ الرُّسُلُ جَاءَتْهُمْ فِي الزَّمَانِ الْمَتَقَدِّمِ ، وَاتَّصَلَتْ إِنْذَارَاتُهُمْ إِلَى زَمَنِ عَادٍ وَثُمُودَ حَتَّى قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ ثُمَّ جَاءَتْهُمْ رُسُلٌ آخَرُونَ عِنْدَ اكْتِمَالِ أَعْمَارِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ وَمَنْ خَلَفَهُمْ ﴾ . اهـ . وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ .

والقول الآخر : أن يكون الضمير يعودُ على الرُّسل<sup>(١)</sup> .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ۖ ۞ ﴾ [ آية ١٦ ] .

روى ابنُ أبي نجيح عن مجاهدٍ قال : شديدة السَّموم<sup>(٢)</sup> .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : باردة<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أيسنُ ، وكذا قال عطاء ، لأنَّ

﴿ صَرْصَرًا ﴾ مأخوذ من صرَّ ، والصَّرُّ في كلام العرب : البردُ ، كما قال الشاعر :

لَهَا غُدْرٌ كَقُرُونِ النِّسَا

ءِ رُكْبَنَ فِي يَوْمٍ رِيحٌ وَصِرٌ<sup>(٤)</sup>

وليس القولانَ بمتناقضين ، لأنه يُروى أنها كانت ريحاً باردة ،

---

(١) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ١٣/٣ حيث قال : الهاء والميم في قوله ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ للرسَل أي أتت الرسل آباءهم ، من كان قبلهم ، وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل . اهـ .

(٢ — ٣) الأثران عن مجاهد و قتادة ذكرهما الطبري في تفسيره ١٠٢/٢٤ والقرطبي ٣٤٧/١٥ قال ابن كثير ١٥٨/٧ : والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحاً شديدة قوية ، شديدة البرد ، ذات صوت مزعج . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن ١٣/٣ : كانت باردة ، تحرق كما تحرق النار .

(٤) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٨١ و « غُدْر » جمع غديرة ، وهي ذؤابة الشعر ، أو شعر بالناصية ، وقد جاء في المخطوطة « غُدْر » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، وكذلك في القرطبي ٣٤٧/١٥ والشاعر يصف فرسه بأن لها ذوائب فيها شعرات كثيرة منتشرة ، ذاهبة هنا وهناك ، كأن الريح لعب بها في يوم بارد .

تُحرق كما تُحرق النار .

وقد قال أبو عبيدة : ﴿ صَرَصَرٌ ﴾ شديدة الصوتِ  
عاصف<sup>(١)</sup> .

وقد رُوي عن مجاهد : شديدة الشؤم<sup>(٢)</sup> .

١٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ .. ﴾ [ آية ١٦ ] .

قال مجاهد : أي مشائيم .

وقال قتادة : مشعومات ، نكيدات<sup>(٣)</sup> .

١٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى  
الْهُدَى .. ﴾ [ آية ١٧ ] .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٦/٢ واستشهد بقول ابن ميادة :

أَشَاقَلَكِ الْمُنْزِلُ وَالْمَحْضَرُ      أَوْدَتْ بِهِ رَيْدَانُ صَرَصَرٌ

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد كما في الدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/٥ وهذا القول في الحقيقة

تفسير لقوله « نحسات » وليس تفسيراً لـ « صرصر » فلم يرد في لغة العرب أن « صرصرأ » بمعنى المشعوم وإنما قال أهل اللغة : ريج صرٌّ وصرصرٌ أي شديدة البرد ، وقيل : شدة الصوت كذا في اللسان ، وقال الأزهري ( ريج صرصر ) أي شديدة البرد جداً ، وريج صرٌّ أي فيها تصويت وحركة .. إلخ. ولعل النهم التيس على الراوي عن مجاهد ، ففهم من كلامه في تفسير قوله ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ أي مشعومات شديدة الشؤم ، أن هذا تفسير لقوله « صرصر » والله أعلم .

(٣) قول مجاهد وفتادة ذكرهما أهل التفسير ، ومؤداهما واحد ، أنها أيام مشعومات غير مباركات ويؤيده

قوله تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ من النحس وهو ضدُّ السعد ، استمر عليهم نحسه ودماره ، لأنه اتصل عذابهم الأخروي بالعذاب الدنيوي كما قال الحافظ ابن كثير ١٠٢/٤ .

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : بيننا لهم <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : بيننا لهم الخير ، والشر ، قال سبحانه ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ . إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ <sup>(٢)</sup> وكما قال تعالى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال علي بن أبي طالب : الخير ، والشر .

و ﴿ الْهُونُ ﴾ : الهوان <sup>(٤)</sup> .

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [ آية ١٩ ] .

قال أبو الأحوص <sup>(٥)</sup> وأبو رزين ، ومجاهد ، وقادة : أي يُحسب أولهم على آخرهم <sup>(٦)</sup> .

---

(١) هذه هداية دلالة وبيان ، لا هداية إرشاد للإيمان ، فهي كما قال ابن عباس ﴿ فهديناهم ﴾ أي دللناهم وبيننا لهم طريق الخير والشر ، ولو كانت هداية إيمان لما كفروا بالرحمن قال في التسهيل ٢٢/٤ ﴿ وأما عمود فهديناهم ﴾ أي بيننا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد . اهـ .

(٢) سورة الدهر آية رقم ٣ .

(٣) سورة البلد آية رقم ١٠ .

(٤) قال في الصحاح : الهون : السكينة والوقار ، والهون بالضم : الهوان والذل ، وأهانه : استخف به ، والاسم الهوان . اهـ .

(٥) أبو الأحوص : هو « عوف بن مالك الجُشمي » كوفي ثقة من الطبقة الثالثة ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٩٠/٢ وتهذيب التهذيب ١٦٩/٨ .

(٦) الطبري ١٠٦/٢٤ والقرطبي ٣٥٠/١٥ قال الفراء في معاني القرآن ١٥/٣ : « يُوزَعُونَ » من وَزَعْتُ ومعنى وزعته : حبسته وكففته ، وجاء في التفسير : يُحسب أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار . اهـ . وكذلك قال ابن كثير : تجمع الزبانية أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

قال أبو الأحوص : فإذا تكاملت العِدَّة ، بُدِءَ بالأَكْبَرِ  
فالأَكْبَرُ جُرْماً .

قال أبو جعفر : يُقال : وَزَعَهُ ، يَزِعُهُ ، وَيَزَعُهُ : إذا كَفَّهُ ،  
ومنه « لَمَّا يَزِعُ السُّلْطَانُ ، أَكْثَرَ مِمَّا يَزِعُ الْقُرْآنُ » <sup>(١)</sup> ومنه « لَا بُدَّ  
لِلنَّاسِ مِنْ وَزَعَةٍ » <sup>(٢)</sup> .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ،  
وَأَبْصَارُهُمْ ، وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ آية ٢٠ ] .

قال الفراء : الْجِلْدُ ههنا — وَاللَّهُ أَعْلَمُ — الذَّكْرُ ، كُنِّي  
عنه <sup>(٣)</sup> ، كما قال تعالى ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ والغائطُ :  
الصَّحْرَاءُ .

قال أبو جعفر : وقال غيره : هو الْجِلْدُ بعينه .

وروى أبو الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : يجادل  
المنافقُ عند الميزان ، وَيُدْفَعُ الْحَقُّ ، وَيُدْعَى الْبَاطِلُ ، فيخْتَمُ على فيه ، ثم

---

(١) هذا مما اشتهر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه من كلامه : « إن الله لَيَزِعُ بالسُّلْطَانِ ما لا يزِعُ  
بالْقُرْآنِ » أي يكفُ ويمنع .

(٢) هذا من الأقوال المأثورة عن الحسن البصري ، فقد قال : « لا بد للناس من وازع » أي سلطان  
يكفُّهم ، ذكره الجوهري في الصحاح .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن ١٦/٣ ونقله الطبري عن بعضهم واستبعده ، لأنه خلاف المشهور  
الأغلب ، وانظر جامع البيان ١٠٦/٢٤ .

تُسْتَنْطَقُ جَوَارِحُهُ ، فتشهد عليه ، ثم يُطْلَق عنه فيقول : بُعْدًا لَكُنَّ  
وَسُحْقًا ، إِنَّمَا كُنْتُ أَجَادِلُ عَنْكَ (١) .

٢١ — وقوله جَلَّ وعز : ﴿ وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنطَقَنَا  
اللَّهُ الَّذِي أُنطِقَ كُلُّ شَيْءٍ ۚ ۞ [ آية ٢١ ] .  
هذا تمام الكلام .

٢٢ — ثم قال : ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [ آية ٢١ ] .  
وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ  
تَسْتَبْشِرُونَ ﴾ قال : تَتَّقُونَ (٢) .

(١) هذا الأثر عن ابن مسعود ورد في حديث أخرجه مسلم عن أنس بن مالك ٢٢٨٠/٤ ولفظه :  
( قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله  
أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول يا رب : ألم تُجِرْنِي مِنَ الظلم ؟ قال يقول : بلى ، قال  
فيقول : فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك  
شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيُخْتَم على فيه فيقال لأركانه — يعني جوارحه —  
انطقي ، فتتطق بأعماله ، ثم يُخْلَى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْدًا لَكُنَّ سُحْقًا ، فعنك  
كنت أناضل ) أي أدافع وأجادل . وفي حديث أبي هريرة برواية مسلم أيضاً : « ثم يُقال : الآن  
نبعث شاهداً عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ ؟ فيُخْتَم على فيه ، ويُقال  
لفضذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتتطق فضذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليُعذر من نفسه ،  
وذلك المنافق الذي سخط الله عليه » وانظر القرطبي ٣٥٠/١٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٥٠/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٨/٢٤ والقرطبي ٣٥٢/١٥ قال : و ﴿ تستترون ﴾ أي تستخفون في قول  
أكثر العلماء ، أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم ، حذراً من شهادة الجوارح عليكم . اهـ .  
قال البيضاوي ومعنى الآية : كنتم تستترون عن الناس مخافة الفضيحة ، وما ظننتم أن أعضاءكم  
تشهد عليكم فما استخفيت منها . اهـ .



قال أبو جعفر : المعنى : وما كنتم تستترون ، من أن يشهد عليكم سمعكم .

قال عبد الله بن مسعود : كنتُ مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثقفى وقرشيّان ، كثيرٌ شحمٌ بطونهم ، قليلٌ فقهٌ قلوبهم ، فتحدثوا بينهم بحديث ، فقال أحدهم : أترى الله يسمع ما نقول ؟ فقال الآخران : يسمعنا إذا جهرنا ، ولا يسمعنا إذا خافتنا ، وقال الآخر : إن كان يسمعنا إذا جهرنا ، فهو يسمعنا إذا خافتنا<sup>(١)</sup> .

٢٣ — فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ، وَلَا أَبْصَارُكُمْ ، وَلَا جُلُودُكُمْ .. ﴾ إلى قوله ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ [ آية ٢٢ إلى ٢٤ ] .

وروى بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ .. ﴾ قال : ( تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مُفَدَّمَةً أَفْوَاهُكُمْ

---

(١) الحديث من رواية ابن مسعود أخرجه البخاري ١٦١/٦ ومسلم ١٢١/٨ والترمذي ٣٥٠/٥ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٣٨١/١ وأورده الطبري ١٠٩/٢٤ والواحدي في أسباب النزول ص ٢١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وابن الجوزي ٢٥٠/٧ وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس قال : كان الكفار يقولون : إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ، ولكنه يعلم ما يظهر ، فنزلت الآية .

بِفَدَام<sup>(١)</sup> ، فَأَوَّلُ مَا يُبَيِّنُ عَنِ الْإِنْسَانِ ، فَخَذَهُ وَكَفَّهُ<sup>(٢)</sup> .

٢٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [ آية ٢٣ ] .

أي حين ظننتم أنه لا يسمعكم .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال الله ( أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي .. )<sup>(٣)</sup> ومعنى ﴿ أَرْدَاكُمْ ﴾ : أَهْلَكَكُمْ<sup>(٤)</sup> .

٢٥ — وقوله جل وعز : ﴿ فَإِنْ يَصْبرُوا فَالْنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَيْنِ ﴾ [ آية ٢٤ ] .

---

(١) قال في الوسيط : الْفِدَام ما يوضع على الفم سِدَاداً له ، وكذلك في لسان العرب مادة ( فَدَمَ ) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤٧/٤ بلفظ ( تَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ ، وَأَوَّلُ مَا يُعْرَبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخْذُهُ .. ) الحديث ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وزاد نسبه إلى عبد الرزاق ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في البعث ، عن معاوية بن خديجة ، وفيه زيادة ( وَأَوَّلُ مَا يُعْرَبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخْذُهُ ، وَكَفَّهُ ) وتلا رسول الله ﷺ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التوحيد ١٤٨/٩ ولفظه ( أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .. ) الحديث ، وأخرجه مسلم في التوبة رقم ٢٦٧٥ والترمذي في الزهد رقم ٢٣٨٨ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٢١٠/٣ .

(٤) قال أهل اللغة ﴿ أَرْدَاكُمْ ﴾ أي أَهْلَكَكُمْ ، من الرَّدَى بمعنى الهلاك ، وانظر اللسان ، والصاحح ، والمصباح .

وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ صَبَرُوا أَوْ لَمْ يَصَبَرُوا ؟ ففِي هَذَا جَوَابَان :

أحدهما أَنَّ المعْنَى : فَإِنْ يَصْبِرُوا فِي الدُّنْيَا ، عَلَى أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ <sup>(١)</sup> فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا ﴾ فِي النَّارِ .

وَقِيلَ : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا ﴾ فِي الدُّنْيَا ، وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ .

وَالْجَوَابُ الْآخَرُ : فَإِنْ يَصْبِرُوا فِي النَّارِ أَوْ يَجْزِعُوا ، فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ <sup>(٢)</sup> ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا ﴾ يَدُلُّ عَلَى الْجَزَعِ ، لِأَنَّ الْمُسْتَغِيثَ جَزَعٌ .

٢٦ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ .. ﴾ [ آيَةُ ٢٥ ] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٥ وتامها ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ ، وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ، فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ !؟

(٢) فِي الْكَلَامِ حَذَفَ تَقْدِيرُهُ : فَإِنْ يَصْبِرُوا أَوْ لَا يَصْبِرُوا ، فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَاكُمْ ﴾ وَالْأَسْلُوبُ وَرَدَ مَوْرَدُ التَّهَكُّمِ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ : إِنْ يَصْبِرُوا عَلَى الْعَذَابِ — وَلَا يُنتِجُ الصَّبْرَ لَهُمْ قُرْبًا وَخَلَاصًا — فَالنَّارُ مَسْكَنُهُمْ وَمَنْزِلُهُمْ ، لَا مَحِيصَ لَهُمْ عَنْهَا وَلَا مَحِيدَ ، وَإِنْ يَطْلُبُوا إِِرْضَاءَ اللَّهِ فَمَا هُمْ مِنَ الْمَقْبُولِينَ الْمَرْضِيِّ عَنْهُمْ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الْعُتْبَى : رَجُوعُ الْمُعْتُوبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا يُرْضِي الْعَاتِبَ ، تَقُولُ : اسْتَغْتَبْتَهُ فَأَعْتَبْتَنِي أَيْ اسْتَرْضَيْتَهُ فَأَرْضَانِي ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

فَإِنْ أَكْ مَظْلُومًا فَعَبْتُ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكْ ذَا عُتْبَى فِيمُثْلِكَ يُعْتَبُ

قال مجاهد : يعني الشياطين<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : معنى قَيَّضْتُ له كذا : سَبَّيْتُ له ، من حيث لا يحتسب .

٢٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ قَرِئُوا لَهُمْ مَا يَبَيِّنُ أَيْدِيَهُمْ .. ﴾ [ آية ٢٥ ] .

أي ما يعملونه من المعاصي ﴿ وَمَا خَلَفَهُمْ ﴾ : وما عزموا على أن يعملوه .

٢٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ .. ﴾ [ آية ٢٦ ] .

وقرأ عيسى ، وابن أبي إسحاق ﴿ وَالْغَوْا ﴾ بضم الغين<sup>(٢)</sup> .

حكى الكسائي : لَغَا يَلْغُو ، وعلى هذا ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ .

وحكى : لَغَا يَلْغَى ، وَلَغِيَ يَلْغَى ، والمصدر على هذا مقصور .

روى داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١١/٢٤ والقرطبي ٣٥٤/١٥ والدر المنثور ٣٦٢/٥ عن مجاهد ، و ﴿ قرناء ﴾ جمع قرين ، وهو صاحب الملازم ، والمراد بهم قرناء السوء ، من الجن والإنس قال النقاش أي هبأنا لهم شياطين ، وسلطنا عليهم قرناء ، يزينون لهم المعاصي ، وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين ، ومن الإنس أيضاً . اهـ . القرطبي ٣٥٤/١٥ .

(٢) عدها أبو الفتح ابن جني في المحتسب ٢٤٦/٢ من القراءات الشاذة ، وقراءة الجمهور ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ بسكون الواو ، قال ابن جني : اللغؤ : اختلاط القول في تداخله ، يقال : لَغَا يَلْغُو فهو لَاحٌ ، ومنه حديث ( من قال في الجمعة صَ لَغَا لَغَا ) . اهـ . وقراءة الجمهور من لَغِيَ ، يَلْغَى ، أَوْ لَغَوْثُ ، أَلْغُو ، وَأَلْغَى ، أفاده الهروي ، أي فيجيء الأمر « أَلْغُوا » بالسكون .

كان النبي ﷺ بمكة إذا قرأ رفع صوته ، فتطرّد قريش عنه الناس ، ويقولون : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وإذا خافت بقرآته لم يُسمع من يريد ، فأنزل الله جل وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

وروى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ قال : بالمكان ، والتصفيق ، والتخليط على رسول الله ﷺ إذا قرأ ، كانت قريش تفعله (٢) .

قال أبو جعفر : اللّغو في اللغة : ما لا يُعرَف له حقيقة ، ولا يحصل معناه ، فمعنى ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ : أي عارضوه باللّغو (٣) .

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الثَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ .. ﴾ [ آية ٢٨ ] .

(١) سورة الإسراء آية رقم ١١٠ والأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري بنحوه ١١٢/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ بلفظه ، وروى أيضاً عن ابن عباس ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ قال بالتصغير ، والتخليط عليه في المنطق .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١١٢/٢٤ وابن كثير ١٦٣/٧ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٥٦/١٥ .

(٣) أحسن ما قيل في تفسير الآية قول الضحاك : أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول ، وارفعوا أصواتكم بالصياح ، حتى لا يسمعه أحد .

أقول : وهذا مما يدل بوضوح على تأثير القرآن الكريم على نفوس المشركين ، فكانوا يتوقّون هذا التأثير في نفوس المستمعين ، بإحداث الضجيج والصفير ، ورفع الأصوات عند تلاوة القرآن ، فذمّهم الله على هذا الصنيع ، وتوعّدهم بالعذاب الشديد بقوله ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ ولنجزينهم أسوء الذي كانوا يعملون ﴿ .

المعنى : ذلك العذاب الشديد ، جزاء أعداء الله ، ثم يبين الجزاء فقال : ﴿ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ .

والنَّارُ هي دارُ الخُلْدِ ، والعربُ تفعل هذا على التوكيد<sup>(١)</sup> كما قال :

أَخُو رَغَائِبَ بُعْطِيهَا وَيُسَالِّهَا

يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ التَّوْفَلَ الرَّفْرُ<sup>(٢)</sup>

وهو هو ، كما يُقال لك : في هذا المنزل دارٌ واسعةٌ ، وهو الدَّارُ .

ولا يجوز عند الكوفيين ، حتى يُخالف لفظُ الثاني لفظَ الأول ، لا تقول على قولهم : في هَذَا المنزل منزلٌ حسنٌ ، على أن الثاني الأول ، وهو عند البصريين كله جيّدٌ .

وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٨٥/٤ أنها جاءت على التوكيد ، قال : النار هي الدار ، ولكنه كما تقول : لك في هذه الدار دار السرور ، وأنت تعني الدار بعينها . اهـ . وكذلك قال الفراء ١٧/٣ هي النار بعينها اختلف لفظاها .

(٢) البيت لأعشى باهلة ، من مراثيه في أخيه لأمه وهو في ديوانه ص ٢٧٦ التي مطلعها « هاج الفؤاد على عرفانه الذكر » . وذكره في خزانة الأدب ١٨٥/١ وفي الأصمعيات ص ٨٩ وجمهرة أشعار العرب ، واستشهد به ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٣/٧ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ذكرها الطبري ١١٣/٢٤ وذكرها القرطبي ونسبها إلى ابن عباس ٣٥٦/١٥ قال : وترجم بالدار عن النار . اهـ . أي النار هي دار الخلد . أقول : ليست هذه القراءة من القراءات السبع المشهورة بل هي شاذة .

٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا .. ﴾ [ آية ٢٩ ] .

قال حَبَّةُ الْعَرْنِيِّ ، وَعُقْبَةُ الْفَزَارِيِّ سئل علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله جل وعز ﴿ أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ فقال : هما إبليسُ الأبالسة ، وابنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ ، وكذلك رُوي عن ابن مسعودٍ ، وابن عباس (١) .

٣١ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا .. ﴾ [ آية ٣٠ ] .

قال مجاهد وإبراهيم : قالوا « لا إله إلا الله » ثم استقاموا .

رُوي عن أبي بكر الصديق أنه قال لهم : ما معنى ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ؟ فقالوا : لم يعصوا الله ، فقال : لقد صَعَبُتُمُ الْأَمْرَ ، إنما هو استقاموا ، على أَلَّا يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً (٢) .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٣/٢٤ وابن كثير ١٦٣/٧ والقرطبي ٣٥٧/١٥ قال القرطبي : ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع « ما من مسلم يُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من ذنبه ، لأنه أول من سنَّ القتل » أخرجه الترمذي . وقال الفراء في معاني القرآن ١٨/٣ يقال : إن الذي أضلهم من الجن إبليس ، ومن الإنس قابيل الذي قتل أخاه ، فهو أول من سنَّ الضلالة من الإنس .

(٢) الأثر في الطبري ١١٤/٢٤ وابن كثير ١٦٤/٧ ولقظه قال : لقد حملتموها على غير الحمل ، قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره ، وذكره القرطبي ٣٥٨/١٥ وفي البحر ٤٩٦/٧ قال الصديق : استقاموا على التوحيد ولم يضطرب إيمانهم . اهـ .

وقال مجاهد وإبراهيم : ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ : لم يُشركوا<sup>(١)</sup> .

وقال الزهري : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ على طاعة الله عز وجل ، ولم يروغوا روغان الثعلب<sup>(٢)</sup> .

وروى معمر عن قتادة ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ قال : على طاعة الله<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر في الحديث عن النبي ﷺ : ( استقيموا ولن تُحصوا )<sup>(٤)</sup> أي استقيموا على أمر الله وطاعته .

٣٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا .. ﴾ [ آية ٣٠ ] .

قال مجاهد : ﴿ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ عند الموت ، أن لا تخافوا ولا تحزنوا<sup>(٥)</sup> .

---

(١) — ٣) هذه الآثار عن السلف كلها مذكورة في كتب التفسير ، الطبري ١١٥/٢٤ وابن كثير ١٦٥/٧ والبحر المحيط ٤٩٦/٧ وأجمعها أن المراد : استقاموا على شريعة الله ودينه ، في عقيدتهم وسلوكهم ، وأخلاقهم ، وأفعالهم ، وأقوالهم ، فكانوا مؤمنين حقاً ، مسلمين صدقاً ، وهذا ما اختاره الإمام القرطبي ، وهو الأظهر والأرجح ، والله أعلم .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٧٤ في الطهارة ، وأحمد في المسند ٢٨٢/٥ ولفظه ( استقيموا ولن تُحصوا — أي لن تطبقوا بلوغ الكمال — واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ) ، ورواه مالك في الموطأ في كتاب الطهارة من حديث ثوبان رقم ٣٦ .

(٥) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ١١٦/٢٤ وابن كثير ١٦٥/٧ والقرطبي ٣٥٨/١٥ وهو قول السدي ، وابن عباس ، وابن أسلم ، وقال قتادة ومقاتل : تنزل عليهم الملائكة عند قيامهم من ==



رَوَى سَفِيَانُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ : لَا تَخَافُوا مَا أَمَامَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلْفَكُمْ مِنْ عِيَالِكُمْ ، وَضِيعَتِكُمْ ، فَقَدْ خُلِفْتُمْ فِيهَا بِخَيْرٍ .

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : ﴿ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ لَا يَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١) .

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : يُقَالُ لَهُمْ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ (٢) .

٣٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا .. ﴾ [ آيَةُ ٣٣ ] .

فِي مَعْنَاهُ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ :

فَمَذْهَبُ الْحَسَنِ : أَنَّهَا عَامَةٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ (٣) .

== قُبُورِهِمْ ، وَرَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَبْشِرُونَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَفِي قَبْرِهِ ، وَحِينَ يُبْعَثُ ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا وَهُوَ حَسَنٌ جَدًّا ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ ( إِنْ الْمَلَائِكَةُ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ : أَخْرِجِي أَيْتَهَا الرُّوحَ الطَّيِّبَةَ ، فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ، الَّذِي كُنْتَ تَعْمُرِيهِ ، أَخْرِجِي إِلَى رُوحٍ وَرِيحَانٍ ، وَرُبٌُّ غَيْرُ غَضْبَانٍ ) . اهـ .

(١) قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ ( لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ) بِإِسْقَاطِ « أَنْ » عَلَى الْحِكَايَةِ أَيْ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ قَائِلِينَ لَا تَخَافُوا .. إلخ . وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ لَيْسَتْ مِنَ السَّبْعِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا الطَّبْرِيُّ ١١٦/٢٤ وَفِي الْبَحْرِ ٤٩٦/٧ وَالْفَرَاءُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ١٨/٣ .

(٢) انْظُرْ جَامِعَ الْبَيَانِ لِلطَّبْرِيِّ ١١٦/٢٤ وَالْدَّرَ الْمَشْهُورَ لِلْسَّيْطَوِيِّ ٣٦٣/٥ .

(٣) قَوْلُ الْحَسَنِ أَنَّ الْآيَةَ عَامَةٌ فِي كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ، مِنْ أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَأَرْجَحِهَا ، لِأَنَّ لَفْظَ ﴿ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ ١٦٨/٧ : وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَةٌ فِي كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى خَيْرٍ ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَهْتَدٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ — بَلَا شَكَّ — أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ ، كَمَا قَالَ السَّيِّدِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ . اهـ . وَهَذَا الْقَوْلُ رَجَحَهُ الْجُمْهُورُ .

وروى هشيم عن عوف عن ابن سيرين في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ قال : ذلك النبي ﷺ ، أي دعا إلى توحيد الله (١) .

وقال محمد بن نافع قالت عائشة : نزلت في المؤذنين (٢) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ .

وقال أبو الزاهرية (٣) : قالت عائشة : إني لأرجو أن يكون المؤذنون هم الذين قال الله فيهم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ .

٣٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ .. ﴾ [ آية ٣٤ ] .

﴿ لا ﴾ زائدة (٤) للتوكيد .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١٨/٢٤ وعزاه إلى السدي ، وابن زيد ، وذكره القرطبي ٣٦٠/١٥ وابن كثير ١٦٨/٧ .

(٢) قول عائشة إن الآية نزلت في المؤذنين قول مرجوح ، ذكره ابن كثير ١٦٨/٧ والقرطبي ٣٦٠/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٤/٥ ولفظه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا .. ﴾ ولعلها ذهبت إلى هذا لما بلغها ما روي في صحيح مسلم ( المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة ) قال ابن كثير : والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وغيرهم .

(٣) أبو الزاهرية هو « حدير بن كريب الحضرمي » ثقة صدوق ، من الطبقة الثالثة توفي سنة ١٢٩ كذا في تهذيب التهذيب ٢١٨/٢ .

(٤) مراده « لا » الثانية ، وهذا قول الفراء كما ذكره القرطبي ٣٦١/١٥ عنه ، قال الفراء : « لا » =

٣٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [ آية ٣٤ ] .

قال عطاء ومجاهد : تقول إذا لقيته : سَلَامٌ عليكم .

ويروى عن ابن عباس في قوله ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال : هما الرجلان متقاولان ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا صاحب كذا وكذا ، فيقول له الآخر : إن كنت صادقاً عليّ ، فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً ، فغفر الله لك<sup>(١)</sup> .

وحدثنا بكر بن سهل ، قال حدثنا أبو صالح ، عن معاوية عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال :

« أمر الله جلّ وعزّ المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك ، عصمهم الله من الشيطان ، ونخّصَ لهم عدوهم كأنه ولي حميم<sup>(٢)</sup> » .

---

= صلة أي ولا تستوي الحسنة والسيئة ، وأنشد :  
مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمْ  
وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ  
أراد أبو بكر وعمر . اهـ .

(١) رواه ابن المنذر عن أنس كما في الدر المنثور ٣٦٥/٥ وذكره القرطبي عن ابن عباس ٣٦١/١٥ وقد دعت الآية إلى الدفع بالتّي هي أحسن ومثاله : رجل أساء إليك فالحسنة أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٤ والقرطبي ٣٦٢/١٥ والبحر المحييط ٤٩٨/٧ وهو قول بديع فيه نور من مشكاة النبوة .

٣٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [ آية ٣٥ ] .

قال يقول : الَّذِينَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ .

رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ قال : قريب<sup>(١)</sup> .

٣٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [ آية ٣٥ ] .

أي وما يُلْقَى هذه الفعلة ، إلا الذين يكظمون الغيظ ، ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي من الخير .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : الْحَظُّ الْعَظِيمُ : الْجَنَّةُ<sup>(٢)</sup> .

٣٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ .. ﴾ [ آية ٣٦ ] .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٩/٢٤ قال الحافظ ابن كثير ١٦٩/٧ ﴿ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك ، قادتته تلك الحسنة إلى مصافاتك ، ومحبتك ، والحنو عليك ، حتى يصير كأنه ولي حميم لك أي قريب إليك من الشفقة . اهـ . قال ابن عطية : دخلت « كأن » المفيدة للتشبيه ، لأن العدو لا يعود ولياً حميماً بالإحسان ، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٢٠/٢٤ والألوسي ١٢٤/٢٤ والبحر المحيط ٤٩٨/٧ وعبارته : ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتادة ، وقال الشوكاني ٥١٦/٤ ( ذو حظ عظيم ) قال قتادة : الحظ العظيم الجنة أي ما يُلْقَاهَا إِلَّا من وجبت له الجنة .

أَيَّ إِن عَرَضَ لَكَ الشَّيْطَانُ لِيَصِدَّكَ عَنِ الْحِلْمِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَاحْلَمْ<sup>(١)</sup> .

٣٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ .. ﴾ [ آية ٣٧ ] .

أي ومن علاماته ، التي تدلُّ على قدرته ، ووحدانيته ﴿ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ .  
ويجوز أن يكون المعنى : واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر<sup>(٢)</sup> .

ويجوز أن يكون المضمَر يعود على الشمس والقمر ، لأن الاثنين جميعٌ .

---

(١) قوله ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ ﴾ أصل النَّزَغ : النَّحْسُ ثم استعير للإغراء بالفساد قال في اللسان : والنزغ الكلام الذي يُغري بين الناس ، يقال : نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وأغوى ، والمراد بالآية وسأوسه ونحسه في القلب بما يسوّل للإنسان من المعاصي . اهـ . والمعنى على هذا : إن وسوس إليك الشيطان بترك الدفع بالتي هي أحسن ، وأراد أن يملكك على البطش والانتقام ، فاستعذ بالله من كيده وشده .

(٢) الأظهر — والله أعلم — أن الضمير في قوله تعالى ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ يعود على الشمس والقمر ، والليل والنهار ، لا على الشمس والقمر فقط ، فإنه بعيد ، وهذا ما رجحه الفراء حيث قال في معانيه ١٨/٣ : ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ أي خلق الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وتأنثهن في قوله « خَلَقَهُنَّ » لأن كل ذكر من غير الناس ، فهو في جمعه مؤنث . اهـ .

ويجوز أن يكون يعود على معنى الآيات .

٤٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [ آية ٣٨ ] .

أي فإن استكبروا عن أن يوحدوا الله ، ويتبعوك ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي فالملائكة الذين عند ربك ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ أي لا يملون .

٤١ — ثم زادهم في الدلالة فقال جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً .. ﴾ [ آية ٣٩ ] .

قال قتادة : أي غبراء ، متهشمة<sup>(١)</sup> .

٤٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [ آية ٣٩ ] .

قال مجاهد : ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ أي بالنبات .

قال أبو جعفر : يُقال : اهتزَّ الإنسان أي تحرك ، ومنه قوله :

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٢/٢٤ وابن الجوزي ٢٦٠/٧/٧ قال القرطبي ٣٦٥/١٥ : ﴿ إِنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ﴾ أي يابسة مجدبة ، وقال ابن كثير ١٧١/٧ : ﴿ خَاشِعَةً ﴾ أي هامة لا نبات فيها ، بل هي ميتة قال في البحر المحيط ٤٩٩/٧ : استعير الخشوع لها والتذلل لما ظهر بها من القحط ، وعدم النبات ، وسوء العيش عنها ، بخلاف أن تكون معشبة ، وفيها أشجار مزهرة ومثمرة ، فذلك هو حياتها . اهـ .

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّادَى

إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئٍ السَّوَاءَ مَطْمَعاً<sup>(١)</sup>

ثم قال : ﴿ وَرَيْثٌ ﴾ قال مجاهد : أي ارتفعت ، لتنبت<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : قرأ أبو جعفر « يزيد بن القَعْقَاع » وخالد

﴿ وَرَبَّاتٌ ﴾ معناه : عَظُمَتْ ، من الرَّبِيئَةِ<sup>(٣)</sup> .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ

عَلَيْنَا .. ﴾ [ آية ٤٠ ] .

قال مجاهد : المكاء وما ذكر معه<sup>(٤)</sup> .

وقال قتادة : الإلحاد : التكذيب<sup>(٥)</sup> .

قال أبو جعفر : أصلُ الإلحاد العدولُ عن الشيء ، والميلُ عنه ،

ومنه اللُّحْدُ لأنه جانب القبر .

---

(١) البيت ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٥ والقائل متمم بن نويرة البربري يربّي

أخاه مالكا ، وانظر العقد الفريد ٢٦٣/٣ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٩٢ ، وفيها ( أغر ) بدل

( تراه ) .

(٢) عبارة مجاهد كما في الطبري ١٢٢/٢٤ ( ورَيْثٌ ) قال : ارتفعت قبل أن تنبت ، وقال ابن

كثير : أي أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٤٧/٢ وقراءة الجمهور ﴿ وَرَيْثٌ ﴾ .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٣/٢٤ ويُرَادُ بالمكاء : الصفير ، كقوله تعالى ﴿ إِلَّا مَكَاءً وَتُصْدِيَةٌ ﴾ .

(٥) الأثر في الطبري ١٢٣/٢٤ والبحر المحيط ٥٠٠/٧ ورُوي عن ابن عباس أن الإلحاد : وضع

الكلام على غير مواضعه .

فمعنى ألحد في آيات الله : مأل عن الحق فيها أي جعلها على غير معناها<sup>(١)</sup> .

٤٤ — وقوله جل وعز : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾ [ آية ٤٠ ] .

﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ أبو جهل بن هشام ﴿ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ عمار بن ياسر<sup>(٢)</sup> .

ثم قال ﴿ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ : وقد بين جل وعز ذلك .

قال مجاهد : هذا على الوعيد<sup>(٣)</sup> .

٤٥ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدُّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ .. ﴾ [ آية ٤١ ] .

---

(١) ما ذكره المصنف عن الإلحاد في الآيات يتفق مع قول أهل التفسير ، فقد قال البيضاوي ﴿ يلحدون في آياتنا ﴾ أي يميلون عن الاستقامة في آياتنا ، بالطعن والتحريف ، والتأويل الباطل ، واللغو فيها . اهـ . الفتوحات الإلهية ٤/٤٥ .

(٢) هذا قول عكرمة كما في تفسير ابن الجوزي ٧/٢٦١ وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٦٦ فقال ما نصه : أخرج ابن عساكر عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ؟ نزلت في عمار بن ياسر وفي أبي جهل . اهـ .

أقول : والأظهر أن الآية على العموم والمعنى : هل من يطرح في جهنم وهو الكافر أفضل أم من يكون في الجنة آمناً من عذاب الله وهو المؤمن ؟ وهو اختيار الطبري وابن كثير .

(٣) هذا هو الصحيح أن قوله تعالى ﴿ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ليس أمراً على الإباحة أن يعمل الإنسان ما يشاء ، بل هو تهديد ووعيد ، كما تقول لخادمك : اعمل ما شئت فسترى العاقبة ، وهذا معنى قول الطبري : هذا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر ، وقال الزجاج : لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد . اهـ . تفسير الشوكاني ٤/٥١٩ .



قال قتادة : أي بالقرآن<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : وفي الخبر قولان :

أحدهما : أن المعنى : إنَّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ،  
أولئك يُنادون من مكانٍ بعيد .

والقول الآخر : أن الخبر محذوف ، أي : هلكوا .

وهذا القول الاختيار عند النحويين جميعاً ، فيما علمت<sup>(٢)</sup> .

وقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ : أي قاهرٌ لا يقدرُ أحدٌ أن  
يأتي بمثله .

٤٦ — وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ  
خَلْفِهِ .. ﴾ [ آية ٤٢ ] .

في معناه أقوال :

أ — فمن أحسنها أن المعنى : لا يأتيه الشيطانُ من بين يديه ،

---

(١) الطبري ١٢٤/٢٤ وابن كثير ١٧١/٧ والمعنى : كفروا بالقرآن ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ  
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وهذا باتفاق المفسرين .

(٢) هذا هو الأصح والأرجح عند المفسرين أن الخبر محذوف لتهويل الأمر ، كأنه قيل : إن الذين  
كذبوا بالقرآن ، حين جاءهم به محمد من عند الله ، سيجازون بكفرهم جزاءً لا يكاد  
يُوصف ، لشدة بشاعته وفضاعته ، وهذا رأي أكثر المفسرين ، واختار صاحب البحر المحيط  
٥٠٠/٧ أن الخبر مذكور وهو ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ حُذِفَ منه العائد ، والأول  
أظهر وأشهر .

فيتنقص منه ، ولا من خلفه فيزيد فيه .

قال مجاهد : ﴿ الباطل ﴾ : الشَّيْطَانُ (١) .

وقال الحسن : حفظ الله القرآن من الشيطان ، فلا يقدر أن يزيد فيه ، ولا ينقص منه ، قال الحسن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ قال : لا يقدرُ الشيطانُ أن يُبْطِلَ منه حقاً ، ولا يُحَقِّقَ فيه باطلاً (٣) .

قال أبو جعفر : معنى « يُحَقِّقُ فِيهِ باطلاً » يزيد فيه باطلاً ، فيصير حقاً ، فهذا قول .

ب — وقيل : معنى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ : لا يُبْطِلُهُ كتابٌ قبله ، ولا يأتي بعده كتابٌ فيبطله ، وهذا قولُ الفراء ، أي لا

---

(١) الأثر أخرجه الطبري وعزاه إلى قتادة ١٢٥/٢٤ وابن الجوزي عن مجاهد ٢٦٢/٧ والقرطبي ٣٦٧/١٥ .

(٢) هذا قول مجاهد وقتادة ، كما في الدر المنثور ٣٦٧/٥ وزاد المسير ٣٦٢/٧ .

(٣) سورة الحجر آية رقم ٩ والأثر أخرجه الطبري ١٢٥/٢٤ والشوكاني ٥١٩/٤ قال ابن كثير ١٧١/٧ : أي ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين . اهـ . وهذا القول أظهر ، فإن هذا القرآن لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات ، ولا مجال للطعن فيه ، قال في البحر : وهذا تمثيل أي لا يجد الطعن سبيلاً إليه ، من جهة من الجهات ، وأما ما ظهر من بعض الحمقى ، من الطعن فيه — على زعمهم — ومن تأويل بعضهم له كالباطنية ، فقد ردّ عليهم علماء الإسلام ، وأظهروا حماقاتهم . اهـ . البحر ٥١٠/٧ .

يوجد فيه باطلٌ من إحدى الجهتين<sup>(١)</sup> .

ج — وقيل : معنى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ : من قبل أن يتمَّ نزوله ﴿ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ من بعد تمام نزوله<sup>(٢)</sup> .

ويكون أيضاً ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ بعد نزوله كله ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ قبل تمامه<sup>(٣)</sup> .

د — وقيل : المعنى : لا يأتيه الباطل قبل أن ينزل ، لأن الأنبياء وقد بشرت به ، فلم يقدر الشيطان على أن يدحض ذلك ، ولا من خلفه بعد أن أنزل<sup>(٤)</sup> .

ه — وقيل : معنى ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ على الكثير ، أي لا يأتيه الباطل البتة<sup>(٥)</sup> .

٤٧ — وقوله جل وعز : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ .. ﴾ [ آية ٤٣ ] .

قال أبو صالح<sup>(٦)</sup> : أي من الأذى<sup>(٧)</sup> .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٩/٣ .

(٢) هذه الأقوال التي ذكرها المصنّف ، كلها وجوه تحملها الآية الكريمة ، في تفسير قوله تعالى ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ولكن أظهرها ما ذكرناه عن المفسرين وما قاله الإمام الطبري أن المعنى : لا يستطيع ذو باطل بكيدته تغيير القرآن ، وتبديل شيء من معانيه — وهو الإتيان من بين يديه — ولا إلحاق ما ليس منه فيه — وهو الإتيان من خلفه — .

(٦) « أبو صالح » هو مولى أما هانيء اسمه « باذام » ويقال « باذان » تابعي شهير ، قال ابن الأثير في أسد الغابة ١٧٠/٦ : أورده الحسن بن سفيان في الصحابة ، وأورد له حديثاً قال فيه أخرجه =

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ أي لمن آمن بك .

﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي لمن كذَّبك .

٤٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ .. ﴾ [ آية ٤٤ ] .

أي يُبَيَّنُّ (١) .

قال أبو جعفر : أصل هذا أن التفصيل لا يكون إلا للعرب ،  
وهم أصحاب البيان .

٤٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ ؟ [ آية ٤٤ ] .

قال سعيد بن جبیر : أي أقرآن أعجمي ، ونبي عربي (٢) ؟

قال قتادة : أي لو جعلنا القرآن أعجمياً ، لأنكروا ذلك ،

---

= أبو نعيم وأبو موسى .. إلخ. قال ابن حجر في الإصابة ٢٢٣/٧ : أبو صالح مولى أم هانئ تابعي شهير ، وهم بعض الرواة فذكره في الصحابة . اهـ. وانظر تهذيب التهذيب ٤١٦/١ .

(٧) قال في التسهيل ٢٦/٤ : المعنى ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا كما قال المتقدمون لرسولهم ، فالمراد تسليّة النبي ﷺ بالناسي بهم .

(١) عبارة القرطبي ٣٦٨/١٥ : ﴿ لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ أي يُبَيَّنُّ بلغتنا ، فإننا عرب لا نفهم الأعجمية ، فبيّن تعالى أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز ، إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً ونثراً ، وإذا عجزوا عن معارضته كأن من أدل الدليل على أنه من عند الله . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٤ عن سعيد بن جبیر وابن كثير ١٧٢/٧ والاستفهام هنا للإنكار أي كيف يكون النبي عربياً وينزل عليه قرآن أعجمي !؟

وقالوا : أعربْ مخاطبونَ بالعَجَمِيَّةِ ؟ فكان ذلك أشدَّ لتكذيبهم<sup>(١)</sup> .

وقرأ ابن عباس ، والحسن ، وأبو الأسود : ﴿ اَعْجَمِي ﴾  
بغير استفهام ، والعين ساكنة<sup>(٢)</sup> .

والمعنى على هذه القراءة : لولا فُصِّلَتْ آياته ، فكان منها  
أعجميٌّ تفهمه العَجَمُ ، وعربيٌّ تفهمه العربُ ؟ .

ويكون ﴿ اَعْجَمِي ﴾ بدلاً من ﴿ آيَاتِهِ ﴾ .

وحكى أنه قرئ ﴿ اَعْجَمِي ﴾ ؟ على أن الأصل عَجَمِيٌّ ،  
دخلت عليه ألف الاستفهام .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ١٧٢/٧ وعزاه إلى ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ،  
والسدي وغيرهم ، وذكره ابن الجوزي ٢٦٣/٧ ولم يذكر قائله ، وذكر نحوه أبو حيان في البحر  
المحيط ٥٠٢/٧ .

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن جني في المختص من الشواذ ٢٤٧/٢ وانظر الطبري ١٢٧/٢٤ والقرطبي  
٣٦٩/١٥ وابن كثير ١٧٢/٧ .

أقول : والقول الأول أظهر وأشهر ، فإنهم لم يقترحوا أن ينزل القرآن بلغة العجم ، وإنما أنكروا  
أن ينزل القرآن بلسان أعجمي على نبي عربي ، أو ينزل عليهم بلسان لا يعرفونه ولا يتقنونه والآية  
وردت مورد الفرض ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً ﴾ قال الفخر الرازي ١٣٣/٢٧ : نقلوا في  
سبب النزول أن الكفار لأجل التعنت قالوا : لولا نزل القرآن بلغة العجم ؟ فنزلت .. ثم قال : والحق  
عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد ، فقد حكى الله عنهم ﴿ وقالوا قلوبنا في  
أكنة مما تدعونا إليه ﴾ وهذا الكلام متعلق به ، والتقدير : إنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم ،  
لكان لهم أن يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمي ، إلى القوم العرب .. إلخ .

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق<sup>(١)</sup> : الأعجمي : الذي لا يفصح ، كان من العرب أو من العجم ، والعجمي : الذي ليس من العرب ، كان فصيحاً ، أو غير فصيح .

قال أبو جعفر : والقراءة الأخرى بعيدة ، لأنهم قد أجمعوا على قوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾ ! .

٥٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى .. ﴾ [ آية ٤٤ ] .

﴿ وَقُرْ ﴾ : أي صمم على التمثيل<sup>(٢)</sup> ، وهو عليهم عَمًى .

قال قتادة : القرآن<sup>(٣)</sup> .

وقيل : الوقر عليهم عَمًى<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ وانظر كتابه معاني القرآن ٣٨٩/٤ .

(٢) أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم ، وعلى عينيه غشاوة ، لا يبصر بسببها الأشياء ، فهم كالصم العمي ، فالآية وردت مورد التمثيل .

(٣) الأثر في الطبري ١٢٨/٢٤ عن قتادة قال : عَمُوا وصَمُوا عن القرآن ، فلا ينتفعون به ، قال ابن كثير ١٧٢/٧ : ﴿ وهو عليهم عَمًى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ، وقال صاحب البحر المحيط ٥٠٢/٧ : أخبر تعالى أن القرآن عليهم عَمًى ، يمنعهم من إِبصار حكيمته ، والنظر في معانيه ، والتقرير لآياته .

(٤) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٣/٧ عن بعضهم وهو بعيد ، فإن الضمير يعود على القرآن لا على الوقر ، والقول الأول هو الأظهر ويؤيده قوله تعالى ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ .

وقرأ ابن عباس ، ومعاوية ، وعمر بن العاص ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِي ﴾ على أنه فعل ماضٍ .

وحكي ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَم ﴾<sup>(١)</sup> .

٥١ — ثم قال جل وعز : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [ آية ٤٤ ] .

حكى أهل اللغة أنه يُقال للذي يفهم : أنت تسمع من قريب ويُقال للذي لا يفهم : أنت تُنادى من مكانٍ بعيد .

أي كأنه يُنادى ، من موضع بعيد منه ، فهو لا يسمع النداء ، ولا يفهمه<sup>(٢)</sup> .

ومذهب الضحاك : أنهم يُنادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم ، من مكانٍ بعيد ، ليكون ذلك أشدَّ عليهم في الفضيحة والتوبيخ<sup>(٣)</sup> .

٥٢ — ومعنى قوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [ آية ٤٥ ] .

---

(١) قراءة « عَم » و « عَمِي » ذكرها المفسرون : الطبري ١٢٨/٢٤ وفي البحر المحيط ٥٠٢/٧ والفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ ولكنها ليست من القراءات السبع ، قال الطبري : والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الأمصار ﴿ وهو عليهم عَمِي ﴾ .

(٢) هكذا ذكره الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وفي البحر المحيط ٥٠٣/٧ ونقل عن علي ومجاهد أنه استعارة لقلة فهمهم ، شبههم بالرجل يُنادى من بُعْدٍ ، فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه ، وهو قول أهل اللغة . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٩/٢٤ والقرطبي ٣٧٠/١٥ وفي البحر المحيط ٥٠٣/٧ ولفظه : قال الضحاك : ينادون لكفرهم وقبح أعمالهم ، بأقبح أسمائهم من بُعْدٍ ، حتى يسمع ذلك أهل الموقف ، فيعظم السمعة عليهم ويحل المصائب . اهـ .

أنهم قد أُخْرُوا إِلَى مَدَّةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَـعَـاجِلُهُمْ بِالْهَلَـاكِ .  
 ٥٣ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا .. ﴾ [ آية ٤٧ ] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حِينَ تَطْلُعُ <sup>(١)</sup> .  
 وقال غيره : هِيَ الطَّلْعَةُ تَخْرُجُ مِنْ قَشْرِهَا <sup>(٢)</sup> .  
 قال أبو جعفر : القول الأول أعمُّ ، أي وما تخرج من ثمرة من غلافها ، الذي كانت فيه ، وذلك أوَّل ما تَطْلُعُ ، وغلاف كل شيء : كُـمُّهُ .

٥٤ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَ : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي .. ﴾ [ آية ٤٧ ] .  
 أي على زعمكم <sup>(٣)</sup> .

﴿ قَالُوا آذْنَاكَ ﴾ هذا من قول الآلهة ، أي أَعْلَمْنَاكَ <sup>(٤)</sup> .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١/٢٥ وفي الدر المنثور ٣٦٧/٥ والمراد منه أن الثمار عندما تخرج من غلافها ووعائها ، فهذا معنى خروجها من أكمامها .

(٢) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وقول مجاهد أظهر كما ذكر المصنف ، وهو قول أبي عبيدة أيضاً من علماء اللغة ، فقد قال : أكمامها أوعيتها وهو ما كانت فيه الثمرة واحداً كيم ، وكمة ، ذكره الرازي في التفسير الكبير ١٣٦/٢٧ وهو ما رجحه الإمام النحاس والطبري .

(٣) هذا فيه تقرير وتهكم بهم ، أي أين شركائي الذي زعمتم أنهم آلهة معي ؟ ادعوهم لينقدوك !!

(٤) ما ذكره المصنف أنه قول الآلهة هو قول الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وهو خلاف الظاهر فإن الضمائر متناسقة من البداية إلى النهاية ، فالخطاب مع المشركين ، والجواب أتي منهم ، والمعنى : يقول المشركون ﴿ آذْنَاكَ ﴾ أي أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ، ما منا من يشهد بأن لك =



يُقَال : آذَنُته فَأَذِنَ ، أي أَعَلَمْتُهُ فَعَلِمَ ، والأَصْلُ في هذا من الأَذِنَ ، أي أَوْقَعْتُهُ في أَذُنِهِ ، ومنه :

« آذَنْتُنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ »<sup>(١)</sup>

ومنه قوله جل وعز ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أي اعملوا ما شئتم ، ثم اعتذروا منه ، فإنه يعتذرُكم ، ويقبلُ ما تُعَلِّمونَه به . ومنه الأَذَانُ ، إنما هو إعلَامٌ بالصَّلَاةِ .

ثم قال تعالى ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ أي ما مِنَّا من شَهِدٍ أَنَّ لك شريكاً .

٥٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [ آية ٤٧ ] .

﴿ وَظَنُّوا ﴾ أي وأيقنوا<sup>(٣)</sup> .

٥٦ — وقوله جل وعز : ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ، وَإِنَّ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [ آية ٤٩ ] .

---

= شريكاً ، أعلنوا إيمانهم وتوحيدهم وتبرؤوا من الأصنام في وقت لا ينفع فيه الإيمان ، وهذا ما رجحه الطبري وابن كثير وجهور المفسرين .

(١) هذا شطر بيت للحارث بن حلزة من معلقته ، وقامه :

آذَنْتُنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِي يَمْلَأُ مِنْهُ الثَّوَاءُ  
ذكره القرطبي ٣٧١/١٥ وفي البحر المحيط ٥٠٤/٧ واللسان مادة ( أذن ) .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٦١ .

(٣) «ظنٌّ» تأتي بمعنى الشك، ومعنى اليقين كما في هذه الآية ، وكما في قوله تعالى ﴿ إني ظننت أني ملائِكُ حسابه ﴾ أي أيقنت ، فتنبه له فإنه دقيق .

أَي لَا يَمَلُّ مَنْ أَنْ يَصِيْبَهُ الْخَيْرُ .

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ ﴿ مِنْ دُعَاءِ بِالْخَيْرِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أَيِ إِنْ مَسَّهُ شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنَ الشَّرِّ ، يَحْسَبُ وَقَفِطَ .

٥٧ — وَقَوْلُهُ جَل وَعَزْ : ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً .. ﴾

[ آيَةُ ٥٠ ] .

قَالَ مُجَاهِدٌ : أَيِ بَعْمَلِي ، وَأَنَا حَقِيقٌ بِهَذَا <sup>(٢)</sup> .

وَهَذَا يُرَادُ بِهِ الْكَافِرُ <sup>(٣)</sup> ، أَلَا تَرَى أَنَّ بَعْدَهُ ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ ؟ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ أَيِ عَلَى قَوْلِكَ .

(١) ذَكَرَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْخَاطِطِ ٥٠٤/٧ وَهِيَ لَيْسَتْ مِنَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، فَتَنَبَهَ وَاللَّهُ بِرِعَاكَ .

(٢) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ ٣/٢٥ وَالشُّوْكَانِيُّ ٥٢٢/٤ قَالَ : الْمَعْنَى : هَذَا شَيْءٌ أَسْتَحِقُّهُ عَلَى اللَّهِ ، لِرِضَاهُ بَعْمَلِي ، ظَنَّ أَنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ وَصَلَتْ إِلَيْهِ بِاسْتِحْقَاقِهَا لَهُ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِيَتَّبِعِينَ لَهُ الشَّاكِرَ مِنَ الْجَاهِدِ .

(٣) هَذَا قَوْلُ السَّدِيِّ كَمَا فِي الطَّبْرِيِّ ٢/٢٥ وَفَتْحُ الْقَدِيرِ ٥٢٢/٤ قَالَ فِي التَّسْهِيلِ : ﴿ لَا يَسَامُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ أَيِ لَا يَمَلُّ مِنَ الدُّعَاءِ بِالْمَالِ وَالْعَاقِبَةِ وَشَبَّهَ ذَلِكَ ، نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي « الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغيرةِ » وَقِيلَ : فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَاللَّفْظُ أَعْمَمُ مِنْ ذَلِكَ . اهـ . وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ : الْإِنْسَانُ هُنَا يُرَادُ بِهِ الْكَافِرُ ، وَهُوَ قَوْلُ السَّدِيِّ ، فَقِيلَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغيرةِ ، وَقِيلَ : أُمِيَّةُ بْنُ خُلْفٍ ، وَالْأَوَّلَى حَمَلُ الْآيَةِ عَلَى الْعُمُومِ ، بِاعْتِبَارِ الْغَالِبِ ، فَلَا يُنَافِيهِ خُرُوجُ خُلُصِّ الْعِبَادِ . اهـ . فَتْحُ الْقَدِيرِ ٥٢٢/٤ .

٥٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ [ آية ٥١ ] .

أي تباعد ، ولم يدعنا .

وقرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع » <sup>(١)</sup> ﴿ أَعْرَضَ وَنَاءَ بِجَانِبِهِ ﴾ الألف قبل الهمزة .

فيجوز أن يكون معناه من « نَاءَ » : إذا نهض .

ويجوز أن يكون على قلب الهمز بمعنى الأول .

٥٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [ آية ٥١ ] .

أي كبير .

يقال : له دعاء عريض وطويل ، بمعنى واحد .

٦٠ — وقوله جل وعز : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [ آية ٥٣ ] .

أي في آفاق الدنيا ، وتقلب أحوالها ﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ مثل ذلك <sup>(٢)</sup> .

---

(١) هذه رواية ابن ذكوان عن ابن عامر ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٧ .

(٢) قال القرطبي : المراد ما في أنفسهم من لطائف الصنعة ، وبديع الحكمة ، حتى سبيل الغائط والبول ، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد ، ويتميز ذلك من مكانين ، ومن بديع =

قال مجاهد : ﴿ فِي الْآفَاقِ ﴾ فَتُحُ الْقُرَى ﴿ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾  
فتح مكة (١) .

٦١ — وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾  
[ آية ٥٣ ] .

= صنع الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ، ينظر بهما من الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام ، وفي أذنيه اللتين يفرّق بهما بين الأصوات المختلفة ، وغير ذلك من بديع حكمة الله !!

(١) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٥/٢٥ واختاره ، وذكره ابن كثير عن مجاهد والحسن والسدي ١٧٥/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٧/٧ والرازي في التفسير الكبير ١٣٩/٢٧ ورجح الرازي القول الأول وهو قول ابن زيد ، ونحن ننقل طرفاً منه لحسن عرضه ، وجمال تصويره ، فقد قال الإمام الفخر ، في الآية قولان :

الأول : أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية ، وآيات الليل والنهار ، والأضواء والظلمات ، وعالم العناصر الأربعة ، وآيات العالم العلوي والسفلي ، وآيات المواليد الثلاثة ، وقد أكثر الله منها في القرآن . وقوله تعالى ﴿ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام ، وحدوث الأعضاء العجيبة ، والتركيبات الغريبة ، كما قال سبحانه ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ يعني تُرْهِمُ من هذه الدلائل ، مرة بعد أخرى ، حتى تزول عن قلوبهم الشبهات ، ويؤمنوا بوجود الإله القادر الحكيم .

الثاني : أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة ، وبآيات الأنفس فتح مكة لقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ بسين الاستقبال لأنه يقتضي أنه ما أطلعهم على تلك الآيات إلى الآن ، وسيطلعهم عليها بعد ذلك .

والقول الأول أرجح ، لأن القوم وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء ، إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء ، مما لا نهاية لها ، فهو يطلعهم على تركيب تلك العجائب ، زماناً فزماناً ، ومثاله بنية الإنسان ، شاهدها كل أحد ، إلا أن العجائب التي أبدعها الله في تركيب هذه البدن كثيرة ، وأكثر الناس لا يعرفونها ، فكلما ازداد الإنسان وقوفاً على تلك العجائب ازداد إيماناً ومعرفة .

المعنى : أولم يكفهم برّك ، أي أولم يكفهم ربّك ، بما دلّهم به على توحيد الله جل وعز ، ممّا فيه كفاية لهم ، لأنه على كلّ شيء شهيد<sup>(١)</sup> ؟

ويجوز أن يكون المعنى : أنه له على كلّ شيء شاهد ، بأنه محدّث ، وإذا شهد به جازى عليه .

٦٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ .. ﴾ [ آية ٥٤ ] .

أي في شك .

وقرأ الحسن : ﴿ فِي مَرِئَةٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ أي قد أحاط بعلم الغيب ، والشهادة جلّ وعزّ .

\* \* \*

« انتهت سورة السجدة »

(١) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٨/٧ قال والمعنى : أولم يكفهم شهادة

ربك . اهـ . وتوضيحاً للمعنى نقول : أولم يكفهم برهاناً على صدقك يا محمد ، أن ربك شاهد على كلّ شيء ، لا تخفى عليه خافية ، وأنه شاهد لك بصدق دعوى النبوة ؟

(٢) هذه قراءة السلمي والحسن ﴿ فِي مَرِئَةٍ ﴾ بضم الميم ، كما في البحر المحيط ٥٠٩/٧ قال في الصحاح : والمرية : الشك ، وقد تضم ، وقرئ بهما . اهـ .



# تفسير سورة الشورى

مكية وآياتها ٥٣ آية





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ الشُّورَى وَهِيَ مَكِّيَّةٌ<sup>(١)</sup>

١ — من ذلك قوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ حَمَّ . عَسَقَ ﴾ [ آية ١ ] .

وفي قراءة ابن مسعود ، وابن عَبَّاسٍ ﴿ حَمَّ . سَقَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس : وكان عليٌّ عليه السلام ، يعرفُ الفتنَ بها<sup>(٣)</sup> .

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة في قوله تعالى ﴿ حَمَّ . عَسَقَ ﴾ قال :

اسمٌ من أسماء القرآن .

(١) السورة تسمى « سورة الشورى » في المشهور وتسمى « سورة حم عسق » وآياتها ثلاث وخمسون آية ، وهي مكية كما قال المصنف .

(٢) هذه القراءة بحذف « عين » من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٤٩/٢ عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود ، وذكرها الطبري عن ابن عباس ٦/٢٥ .

(٣) ذكر ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية حديثاً عجيباً غريباً ، خلاصته أن رجلاً سأل ابن عباس عن تفسير قوله تعالى ﴿ حَمَّ عَسَقَ ﴾ فأعرض عنه ، فكرر عليه السؤال ثلاثاً ، وابن عباس يعرض عنه ، وكان في مجلسه « حذيفة بن اليمان » فقال حذيفة : أنا أعرف لم كرهها ؟ نزلت في رجل من أهل بيته ، يُقال له « عبد الإله » يني مدينة على نهر من أنهار المشرق ، تُبنى عليه مدينتان ، يشقُّ النهر بينهما شقاً — إشارة إلى مدينة بغداد — ثم يحسف الله بها في آخر الزمان .. ف ﴿ عَسَقَ ﴾ يعنى عزيمة من الله ، وفتنة ، وقضاء سيكون ، واقع بهاتين المدينتين .. إلخ. وذكره ابن كثير ١٧٧/٧ وقال : حديث غريب منكر . اهـ . والصحيح أن هذه الحروف المقطعة وأمثالها للتنبيه على إعجاز القرآن لا لبيان الفتن والكوارث .

٢ — وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ آية ٣ ] .

المعنى : يوحى إليك وإلى الذين من قبلك ، كذلك الوحي الذي تقدّم ، أو كحروف المعجم .

وقيل : إنه لم ينزل كتابٌ إلا وفيه ﴿ حم . عسق ﴾ .

فالمعنى على هذا : كذلك الذي أنزل من هذه السورة .

وهذا مذهب الفراء<sup>(١)</sup> .

قال : ويُقرأ ﴿ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يجوز على هذه القراءة ، أن يكون هذا التمام ، ثم ابتداء فقال : ﴿ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ على أن العزيز الحكيم خبرٌ ، أو صفةٌ ، والخبر ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وكذلك يكون على قراءة من قرأ ﴿ تُوحَى ﴾ بالنون ، ويجوز على قراءة من قرأ ﴿ يُوحَى ﴾ أن يكون المعنى : يوحى الله ، وأنشد سيبويه :

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢١/٣ ولفظه : كذلك أوحيت إلى كل نبيٍّ ، كما أوحيت إلى محمد ﷺ .

(٢) قراءة « يُوحَى » بالبناء للمجهول قراءة ابن كثير وحده بفتح الحاء ، وقرأ الباقون بكسر الحاء ﴿ يُوحَى ﴾ وكلاهما من السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٠ .

لِيُثَبِّكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ  
وَأَشَعْتُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ<sup>(١)</sup>

فقال : لِيُثَبِّكَ يَزِيدُ ، ثُمَّ يَبَيِّنُ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكْبَهُ ، فالمعنى :  
يَكْبَهُ ضَارِعٌ .

٣ — وقوله جل وعز : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَ<sup>(٢)</sup> مِنْ فَوْقِهِنَّ .. ﴾  
[ آية ٥ ] .

أَي يَنْشَقُّقْنَ مِنْ أَعْلَاهُنَّ ، عَقُوبَةً .

وقال قتادة : لجلالة الله ، وعظمته<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وقيل : أي من فوق الأمم المخالفة<sup>(٤)</sup> .

(١) البيت من شواهد سيبويه ص ٧٦ الشاهد الخامس والأربعون ، وذكر أنه للحارث بن هبيل ،  
والصحيح أنه لنهشل بن حري كما في خزانة الأدب ١٥٢/١ وروي فيه الشطر الثاني « ومختبطٌ  
مما تُطَيِّحُ الطَّوَائِحُ » وانظر معجم الشواهد العربية ٨٣/١ وكذلك هو في كتاب سيبويه .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة أبي عمرو ، عن عاصم ﴿ يَنْفَطِرُنَ ﴾ بالنون من  
الانفطار ، وقرأ الباقر ﴿ يَنْفَطِرُنَ ﴾ أي يتشققن ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٠ والنشر  
٣٦٧/٢ .

(٣) الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧/٢٥ وابن كثير ١٧٩/٧ وابن الجوزي ٢٧٢/٧ وهذا القول قول  
ابن عباس ، والضحاك ، والسدي كما في ابن كثير ، وهو الأرجح لقوله تعالى قبله ﴿ وهو العلي  
العظيم ﴾ والمعنى : تكاد السموات يتشققن من عظمة الله وجلاله ، ومن رفيع شأنه وسلطانه .

(٤) هذا قول الأخفش الصغير « علي بن سليمان » أن الضمير ﴿ من فوقهن ﴾ راجع إلى الكفار ،  
قال الشوكاني : وهذا بعيد جداً ، وذكره في البحر ٥٠٨/٧ .

وَيُقْرَأُ : ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقَهُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup> أي من عظمة مَنْ فَوْقَهُنَّ <sup>(٢)</sup> .

٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [ آية ٥ ] .

وفي الأرض المؤمن ، والكافر <sup>(٣)</sup> !!

فروى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ من المؤمنين <sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : وَيُبَيِّنُ هذا قوله جل وعلا ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ <sup>(٥)</sup> وقال في الكفار ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ ، وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) هذه قراءة الجمهور — كما أسلفنا — وكان ينبغي أن تقدم على القراءة الأولى ﴿ ينفطرون ﴾ لأنها الأصل ، وأما بالتون فهي قراءة أبي عمرو ، وانظر النشر ٣٧٦/٢ .

(٢) هذا هو الصحيح من الأقوال أي يتفطرون من عظمة الله ، ويكون في الآية حذف ، تقديره : من عظمة الخالق الذي فوقهن .

(٣) هذا تنبيه من المصنف للرد على إشكال يحدث ، وهو : كيف يستغفرون لمن في الأرض ، وفيها المؤمن والكافر ؟ وقد أجاب أنه من قبيل العام ، الذي يُراد به الخاص ، أي يستغفرون للمؤمنين الذين هم في الأرض ، كما في سورة المؤمن التي استشهد بها .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٨/٢٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٥٠٨/٧ .

(٥) سورة المؤمن آية رقم ٧ وأولها : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٦ فالكفار ليس لهم من الملائكة استغفار ، بل لهم اللعنة وسوء الدار ، وبهذا جمع المصنف بين الآيتين .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَتُنذِرَ يَوْمَ  
الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ ..﴾ [ آية ٧ ] .

روى أشعث عن الحسن قال : ﴿ أُمُّ الْقُرَى ﴾ : مكة .

قال أبو جعفر : وإنما قيل لها « أُمُّ الْقُرَى » لأنها أَوَّلُ مَا عُظِّمَ  
من خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) . أو لأنها أَوَّلُ مَا وُضِعَ ، كما قال جل وعز  
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ .. ﴾ (٢) .

وفي الحديث : ( إِنَّ الْأَرْضَ مِنْهَا دُحِيتُ ) (٣) .

قال أبو جعفر : والمعنى : لتنذر أهل أُمِّ الْقُرَى (٤) ، وتنذر من  
حَوْلَهَا .

---

(١) الأثر في الطبري ٨/٢٥ والبحر المحيط ٥٠٩/٧ وإنما سميت « أُمُّ الْقُرَى » لأنها أصل البلاد ،  
وأشرف جميع البلاد ، فهي كالأم لسائر المدن والبلدان ، والعرب تسمي أصل كل شيء أمه ،  
حتى يقولون : هذه من أمهات القصائد ، وهذه أم الكتب ، وانظر التفسير الكبير للرازي  
١٤٧/٢٧ ففيه كلام نفيس .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٩٦ والمراد بالآية إن أول بيت بُني للعبادة ، لا لسكنى الناس ،  
فالمسجد الحرام أول المساجد على وجه الأرض .

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه الطبراني ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن عبد الله بن عمرو ،  
ونلفظه ( خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة وكانت الأرض تحته كأنها حشفة ، فدُحيت الأرض  
من تحته ) وانظر الدر المنثور ٥٢/٢ والطبري ٨/٤ .

(٤) البلدة لا تُنذَر ، إنما ينذر أهلها ، فهو على حذف مضاف ، أي لتنذر أهل مكة ، ويدل عليه  
العطف ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ يعني وتنذر من حولها من الناس .

﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ أي يوم يُعْتَبَرُ الناسُ جميعاً<sup>(١)</sup> .

المعنى : وتنذرهم بيوم القيامة ، ثم حُذِفَ المفعول والباء ، كما قال تعالى ﴿ لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهِ .. ﴾<sup>(٢)</sup> .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً .. ﴾ [ آية ١١ ] .

﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ أي إناثاً ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً ، يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴾ .

قال مجاهد : نَسْلاً من بعد نَسْلٍ ، من النَّاسِ ، والأنعام<sup>(٣)</sup> .

قال قتادة : ﴿ يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴾ : يُعِيشُكُمْ فِيهِ<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : المعنى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ ﴿ جَعَلَ ﴾ دَلَّ عَلَى الْجَعْلِ ، كما يُقَالُ : من كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ .  
أي يَخْلُقُكُمْ وَيُكَثِّرُكُمْ فِي الْجَعْلِ .

---

(١) سَمِّيَ يوم الجمع ، لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين ، وأهل السموات والأرضين ، وهو يوم القيامة .

(٢) سورة الكهف آية رقم ٢ .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ١١/٢٥ وابن كثير ١٨٢/٧ والشوكاني في فتح القدير ٥٢٧/٤ ومعنى الآية : أوجد لكم بقدرته من جنسكم نساء من آدميات ، وخلق لكم كذلك من الأنعام أصنافاً ذكوراً وإناثاً ، نسلأ بعد نسل ، وجيلاً بعد جيل .

(٤) الطبري ١٢/٢٥ والدر المنثور ٣/٦ وزاد الميسر ٢٧٦/٧ وعزارة إلى مقاتل ، والمعنى على هذا القول كما وضحه الطبري : يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها فيما خلق لكم من أنواع الأنعام .

وقال الفراء : ﴿ فِيهِ ﴾ : بمعنى به <sup>(١)</sup> ، والله أعلم .

وقال القتيبي <sup>(٢)</sup> : ﴿ يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ ﴾ في الرّوج .

قال أبو جعفر : كأنَّ المعنى عنده : يخلقكم في بطون الإناث ، ويكون ﴿ فِيهِ ﴾ في الرّحم ، وهذا خطأ ؛ لأنَّ الرّحم مؤنثة ، ولم يَجْر لها ذَكَرٌ <sup>(٣)</sup> .

٧ — وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[ آية ١١ ] .

الكاف زائدة للتوكيد ، وأنشد سيبويه :

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢/٣ وهذا على القول بأن المراد بقوله ﴿ يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ ﴾ يُعِشْكُمْ بما خلق لكم ، فكان سياق الآية أن يقال « يَذْرُؤُكُمْ به » يدل « يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ » وقد أجاب الفراء بأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، كما قال سبحانه ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي نصرناه على القوم .

(٢) هو ابن قتيبة « عبد الله بن مسلم » صاحب كتاب « تأويل مشكل القرآن » والمشهور بابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .

(٣) هذا القول فيه بعدد كما نبه المصنف بقوله « وهذا خطأ » لأن الضمير حينئذ يعود على غير المذكور ، والصحيح في معنى الآية أن المعنى : يخلقكم الله ويكثركم ، شيئاً بعد شيء بسببه بالتوالد ، ولولا أنه خلق الذكر والأنثى ، لما كان هناك تناسل ولا توالد ، وهذا خلاصة قول مجاهد ، وهو ما اختاره في البحر ، والرحشري ، والقرطبي ، والحافظ ابن كثير كما في تفسيره ١٨٢/٧ حيث قال ﴿ يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ ﴾ أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة ، ذكوراً وإناثاً ، خلقاً بعد خلق ، وجيلاً بعد جيل ، ونسلأ بعد نسل من الناس والأنعام .

« وَصَالِيَاتٍ كَمَا يُؤْتَفِينَ »<sup>(١)</sup> .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .. ﴾ [ آية ١٢ ] .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : المقاليد : المفاتيح<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن .

يقال للمفتاح : إقْلِيدٌ ، وجمعه على غير قياس ، كمحاسن ، والواحد حُسْنٌ .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾ [ آية ١٣ ] .

قال أبو العالية : الذي وصَّى به نوحاً : الإخلاص لله ،

---

(١) هذا من شواهد سيبويه على زيادة الكاف للتأكيد ، أجرى الكاف مجرى « مثل » فأدخل عليها كافاً ثانية ، أي كمثل إثنائها ، وهذا الشطر من قصيدة لخطام المجاشعي من مشطور الرجز وأولها « حيَّ ديار الحيِّ بين السهبين » وانظر شواهد سيبويه ٣١٣/١ والصاليات : الأثافي التي توضع عليها القدور ، يقول : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافي ، ومعنى الآية : ليس مثل الله شيء ، والعرب تقيم المثل مقام النفس ، فتقول : مثلي لا يُقال له هذا .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣/٢٥ والقرطبي ٢٧٤/١٥ وقال السدي : ﴿ مقاليد ﴾ : خزائن ، قال النحاس : ومن ملك الخزائن ملك المفاتيح . قال في المصباح : والإقْلِيد : المفتاح لغة يمانية ، وقيل : معرب ، والمقاليد : الخزائن اهـ .



وعبادته لا شريك له<sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : وصّى نوحاً ، ووصّاك ، ووصّى الأنبياء كلهم ،  
ديناً واحداً<sup>(٢)</sup> .

وقال الحَكَمُ : جاء نوحٌ بالشرعة بتحريم الأمهات ،  
والبنات ، والأخوات<sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : جاء نوحٌ بالشرعة ، بتحليل الحلال ، وتحريم  
الحرام<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : قول أبي العالية : ومجاهد ، بيّن ، لأنّ الإسلام  
والإخلاص ، دينُ جميع الأنبياء ، والشرائعُ مختلفة<sup>(٥)</sup> .

---

(١ - ٤) هذه الآثار عن أبي العالية ، ومجاهد ، وقاتدة ذكرها أبو حيان في البحر ٥١٢/٧ والسيوطي  
في الدر ٤/٦ والقرطبي ١١/١٦ والطبري ١٥/٢٥ والراجح من هذه الأقوال قول مجاهد وعبارته  
في تفسيره ٥٧٤/٢ : وأوصاك به يا محمد ، وأنبياءه كلهم بالإسلام ، ديناً واحداً ، وهو اختيار  
ابن كثير ، فقد قال : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ﴾ الدين الذي جاء به  
الرسول كلهم ، هو : عبادة الله وحده ، لا شريك له ، كما قال سبحانه ﴿ وما أرسلنا من قبلك  
من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وفي الحديث ( نحن معاشر الأنبياء أولاد  
علات ديننا واحد ﴾ أي القدر المشترك بينهم ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن  
اختلفت شرائعهم . اهـ .

(٥) مما يدل على أن المراد بالدين في الآية ، الإيمان بالله وتوحيده ، وطاعته وعبادته ، أن هذا مما لا  
يختلف في جميع الأديان ، أما الحلال والحرام ، فيختلف من أمة لأمة ، كما قال سبحانه ﴿ لكل  
جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾ فالدين واحد ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ والشرائع مختلفة ،  
فقول مجاهد هو الصواب ، والله أعلم .

١٠ — قوله جل وعز : ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴾ [ آية ١٣ ] .

قال أبو العالية : ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ أي لا تتعادوا ، وكونوا إخواناً<sup>(١)</sup> .

قال قتادة : فأخبر أن الهلكة في التفرق ، وأن الألفة في الاجتماع<sup>(٢)</sup> .

١١ — ثم قال جل وعز : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .. ﴾ [ آية ١٣ ] .

قال قتادة : أكبروا واشتد عليهم شهادة « أن لا إله إلا الله وحده » وضاق بها إبليس وجنوده ، فأبى الله جل وعز إلا أن ينصرها ويغلبها ، ويظهرها على من ناوأها<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأثر في الطبري ١٥/٢٥ وذكره ابن كثير ١٨٣/٧ فقال : وصى الله تعالى جميع الأنبياء ، بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ١٥/٢٥ وأخرجه ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ، ولفظه كما في الدر ٤/٦ : قال قتادة : « اعلّموا أن الفرقة هلكة ، وأن الجماعة ثقة » فالمراد بالتفرق : الاختلاف والتنازع في أصول الدين فإنه مهلكة ، وأما الاختلاف في الفروع ، فهذا تيسير من الله ورحمة ، وللقاضي أبي بكر بن العربي كلام نفيس في هذا الموضوع انظره في القرطبي ١٠/١٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥/٢٥ والقرطبي ١١/١٦ والدر المشور ٤/٦ ومعنى الآية : عظم وشق على المشركين ، ما تدعوهم إليه يا محمد ، من كلمة التوحيد ، وترك عبادة الأوثان ، وهو =

١٢ - ثم قال جل وعز : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [آية ١٣] .

قال أبو العالية : يُخَلِّصه من الشُّرك ، ولا يكون الاجتباء إلا من الشُّرك <sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : ﴿ يَجْتَبِي ﴾ : يُخَلِّصُ <sup>(٢)</sup> .

١٣ - وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَنْتَهُمُ .. ﴾ [آية ١٤] .

المعنى : وما تفرقوا إلا من أجل البغي ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ القرآن ، والدلالات ، على صِحِّهِ نُبُوَّة محمد عليه السلام <sup>(٣)</sup> .

---

= خلاصة قول الطبري ، وابن كثير ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ وقوله سبحانه ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلہتنا لشاعر مجنون ﴾ .

(١ - ٢) الأثران ذكرهما السيوطي في الدر ٤/٦ وجاء في تفسير مجاهد ٥٧٤/٢ : يستخلص لنفسه من يشاء والعبارة أظهر مما في المخطوطة : يخلص ، والله أعلم . قال القرطبي ١٢/١٦ ﴿ يجتبي إليه ﴾ أي يختار ، والاجتباء الاختيار ، أي يختار للتوحيد من يشاء ﴿ ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي يستخلص لدينه من رجع إليه ، وقال ابن كثير ١٨٣/٧ : أي هو الذي يُقدَّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد . اهـ . وهذا يؤيد أن الاجتباء ليس هنا للنبوَّة ، وإنما للهداية والإيمان .

(٣) الضمير في قوله تعالى ﴿ وما تفرقوا ﴾ اختلف المفسرون فيه ، فروي عن ابن عباس أن المراد به قریش ، وهو ظاهر كلام المصنف وصنيعه ، لأنه فسر العلم بالقرآن ، الدال على صحة نبوته عليه السلام ، والراجع أن المراد به أهل الأديان المختلفة من اليهود ، والنصارى والمشركين ، =

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [ آية ١٤ ] .

قال مجاهد : أُخِّرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) .

١٥ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

مُؤَخَّرٌ يُنَوَّى بِهِ التَّقْدِيمُ .

والمعنى : كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، فلذلك فادْعُ واستقم كما أُمِرْتَ .

﴿ فَلِذَلِكَ ﴾ أي فإلى ذلك ، أي فإلى إقامة الدين (٢) ، كما

قال :

---

= وغيرهم ، وهو قول لابن عباس أيضاً ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ فالمشركون قالوا : لم نُحْصَ محمد بالنبوة دوننا ؟ واليهود والنصارى حسدوه ، فأنكروا رسالته ، والجميع ظلموا وبغوا طلباً للرياسة ، فلم يكن تفرقهم لقصور البيان ، بل للبغي والعدوان .

(١) قول مجاهد تفسير للأجل المسمى في الآية ، والمراد بالكلمة وعده تعالى بتأخير العقاب ، إلى يوم الحساب ، كما قال سبحانه ﴿ وما تؤخره إلا لأجل معدود ﴾ وهو قول جمهور المفسرين .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٩٦/٤ روجه المصنف ، وهو أن اللام في قوله ﴿ فلذلك ﴾ بمعنى « إلى » ويصبح المعنى : فإلى ذلك الدين القيم الذي شرعه الله ، ووصى به أنبياءه ورسله ، فادع الناس ، واستقم على شريعة الله ، ولا تبال بمن ناوءك وعاداك ، وهو اختيار الطبري ، وابن =

« أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ »<sup>(١)</sup>

أي أوحى إليها .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ۖ ﴾ [ آية ١٦ ] .

قال مجاهد : أي من بعد ما أسلم النَّاسُ .

قال : وهؤلاء قومٌ توهَّموا أنَّ الجاهليَّةَ تعودُ .

وقال قتادة : الَّذِينَ حَاجُّوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ :  
اليهود والنصارى ، قالوا : نبينا قبل نبيكم ، وديننا قبل دينكم ، ونحن

---

= كثير ، وقوله « مؤخر يُتَوَى به التقديم » يريد أن المعنى : استقم يا محمد كما أمرك الله ، وادع إلى الدين الحق الذي وصَّاك به ، ووصى به المرسلين ، فالاستقامة أولاً ثم الدعوة ثانياً . وذهب آخرون إلى أن اللام للتعليل ، وهي باقية على حالها ، والمعنى : فلأجل ذلك التفرق والاختلاف ، الذي حدث لأهل الكتاب ، أمرناك يا محمد أن تلزم النهج القويم ، وهو الاستقامة على دين الله ، والدعوة إلى الائتلاف ، وعدم الاختلاف والاتفاق على الملة الخنيفية ، وعدم اتباع أهوائهم المختلفة الباطلة .. إلخ . واختارة الألوسي ، وابن جزى ، والرازي ، ولعل هذا القول أوضح ، وهو ما رجحناه في صفوة التفاسير ، وانظر التفسير الكبير للرازي ١٥٨/٢٧ .

(١) هذا عجز بيت للعجاج من قصيدته التي مطلعها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ بِإِذْنِهِ السَّمَاءُ وَاطْمَأَنَّتِ

وَقَامَ شَطْرَ الرَّجَزِ :

بِإِذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَا أَقْلَبَتْ وَحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ

وانظر ديوان العجاج ص ٢٦٦ وتهذيب اللغة ٢٩٦/٥ والمعنى : أوحى الله إليها أن استقرِّي فاستقرت .

خير منكم<sup>(١)</sup> .

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾

[ آية ١٧ ] .

قال قتادة : الميزان : العدل<sup>(٢)</sup> .

١٨ — ثم قال جل وعز : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [ آية ١٧ ] .

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي البعث قريب<sup>(٣)</sup> .

أو لعل مجيء الساعة قريب .

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، وَالَّذِينَ

آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ..﴾ [ آية ١٨ ] .

أي يقولون متى تكون ؟ على وجه التكذيب بها<sup>(٤)</sup> .

---

(١ — ٢) هذه الآثار عن مجاهد ، وقاتدة ، ذكرها الطبري ١٩/٢٥ والقرطبي ١٤/١٦ وفي البحر

٥١٣/٧ قال الألوسي ٢٥/٢٥ : قال ابن عباس ومجاهد ، نزلت في طائفة من بني إسرائيل همت برد

الناس عن الإسلام وإصلاحهم ، فقالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، فديننا أفضل

من دينكم ، ونحن أولى منكم ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أي من بعدما استجاب الناس

لله ، ودخلوا في دينه ﴿حجتهم داحضة﴾ أي باطلة زائلة . اهـ .

(٣) أشار المصنف إلى أنه جاء لفظ « قريب » بالذكر ولم يقل قريبة ، لأن تأنيث الساعة غير

حقيقي ، لأنها كالوقت ، وهذا قول الزجاج ، ويكون المعنى : لعل البعث قريب ، أو على تقدير

حذف مضاف أي لعل مجيء الساعة قريب . اهـ . وانظر البحر المحيط ٥١٣/٧ والقرطبي

١٥/١٦ والتسهيل لعلوم التنزيل ٣٣/٤ .

(٤) أي يطلبون تعجيلها استهزاء بها ، وسخرية وتعجيزاً للمؤمنين ، كقوله تعالى ﴿سأل سائل

بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع﴾ وقوله ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله

وعده ..﴾ الآية .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ أي خائفون ، لأنهم قد أيقنوا  
بكونها .

﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي يجادلون فيها<sup>(١)</sup> ،  
ليشككوا المؤمنين .

﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ لأنهم لو أفكروا<sup>(٢)</sup> ، لعلموا أن الذي  
أنشأهم ، وخلقهم أول مرة ، قادر على أن يبعثهم<sup>(٣)</sup> .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي  
حَرْثِهِ .. ﴾ [ آية ٢٠ ] .

الحَرْث<sup>(٤)</sup> : العمل ، ومنه قول عبد الله بن عمر : « احْرَثْ  
لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »<sup>(٥)</sup> ومنه

---

(١) ﴿ يمارون ﴾ من المراء وهو المجادلة ، قال في المصباح : ماريته ، أماريه مراء ومُماراة إذا جادلتها ،  
وكذلك هو في الصحاح للجوهري .

(٢) في القاموس : الفكر . إعمال النظر في الشيء ، يقال : فكَّر فيه ، وأفكر ، وفكر ، وتفكر .  
اهد . ومراد المصنف لو تفكروا لعلموا . إلخ .

(٣) عبارة القرطبي ١٦/١٦ : لو تفكروا لعلموا أن الذي أنشأهم من تراب ، ثم من نقطة ، إلى أن  
بلغوا ما بلغوا ، قادر على أن يبعثهم ، وهي أوضح .

(٤) الحَرْث هنا يراد به : العمل ، والسعي ، قال ابن قتيبة ﴿ حَرْثُ الْآخِرَةِ ﴾ أي عمل الآخرة  
يقال : فلان يحْرث للدين أي يعمل لها ويجمع المال ، فالمعنى : من كان يريد بعمله الآخرة  
نضاعف له الحسنات . اهد . انظر تفسير ابن الجوزي ٢٨١/٧ .

(٥) الحديث ذكره القرطبي في تفسيره بهذا اللفظ ١٨/١٦ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد  
اشتهر بلفظ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً .. » إلخ . وأخرج له البيهقي في السنن بلفظ =

سُمِّي الرجل حارثاً .

والمعنى : من كان يريد بعمله الآخرة ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾  
أي : نَوَقِّعْهُ ونضاعف له الحسنات .

وقوله جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا .. ﴾ [ آية ٢٠ ] :

في معناه ثلاثة أقوال :

أ — منها أن المعنى : نَوْتُهُ منها ما نريد ، كما قال سبحانه ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ .. ﴾<sup>(١)</sup> .

ب — ومنها أن يكون المعنى : ندفع عنه من آفات الدنيا<sup>(٢)</sup> .

والقول الثالث أن المعنى : من كان يفعل الخير ، لِيُثْنَى عليه ،  
تركناه وذلك ، ولم يكن له في الآخرة نصيب<sup>(٣)</sup> .

---

= ( اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً ، واحذر فعل امرئ يخشى أن يموت غداً ) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز لضعفه ، وانظر فيض القدير ١٢/٢ .

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٨ وغرض المصنف من الاستشهاد بالآية أن يقول إن قوله تعالى ﴿ نَوْتُهُ مِنْهَا ﴾ مقيد بالمشيئة ، وليس مطلقاً ، وهذا قول لابن عباس ، وقتادة ، أن الآية مقيدة وليست مطلقة ، كما حكاها عنهما الطبري ، وقال في التسهيل ٣٤/٤ : نَوْتُهُ مِنْهَا ما قُدِّرَ وقُسم له . اهـ .

(٢) هذا المعنى بعيد ، ولم أره في مشاهير كتب المفسرين ، لأن الله تعالى يقول ﴿ نَوْتُهُ مِنْهَا ﴾ أي نعطه ما قسمناه له منها من الرزق .

(٣) هذا قول لبعض المفسرين ، ويشهد له ما رواه أحمد ، والحاكم وصححه ( بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة ، والنصر والتمكين في الأرض .. ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فمن عمل منهم عمل =



٢١ — وقوله جل وعز : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۚ ۞ ﴾ [ آية ٢٢ ] .

أي من جزاء ما كسبوا وهو العذاب<sup>(١)</sup> ، وهو واقع بهم .

٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ۚ ۞ ﴾ [ آية ٢٣ ] .

في معناها أربعة أقوال :

١ — رَوَى قُرْعَةُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، عَنْ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا أُتَيْتُمْ بِهِ أَجْرًا ، إِلَّا أَنْ تَتَوَدَّدُوا لِلَّهِ ، وَتَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ<sup>(٢)</sup> .

وروى منصور وعوف عن الحسن ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

---

= الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب ) وأحسن ما قيل في تفسير هذه الآية قول ابن عباس : من كان يؤثر دنياه على آخرته ، لم يجعل الله له نصيباً في الآخرة إلا النار ، ولم يزد بذلك من الدنيا شيئاً ، إلا رزقاً فرغ منه وقسم له وهو قول قتادة أيضاً ، وانظر الطبري ٢١/٢٥ والدر ٥/٦ والشوكاني ٥٣٦/٤ .

(١) يريد أنه على حذف مضاف أي من عذاب ما كسبوا ، وهو في الطبري ٢٢/٢٥ : ﴿ مشفقين مما كسبوا ﴾ أي خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي وعذاب الله نازل بهم ، وهم ذائقوه لا محالة . اهـ . وكذلك قال ابن كثير .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس ٢٥/٢٥ والقرطبي ٢٢/١٦ وقريب منه قول الحسن : هو التقرب إلى الله ، والتوّدّد إليه بالعمل الصالح ، وقد ورد في المخطوطة « إلا أن توادّوا وتقربوا إليه بطاعته » وفيه تصحيف ونقص ، وصوابه ما أثبتناه « إلا أن تتودّدوا لله عز وجل وتقربوا إليه بطاعته » كما في الطبري ، والقرطبي ، والله أعلم .

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ قَالَ : تَتَوَدَّدُونَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَتَتَقَرَّبُونَ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ (١) ، فَهَذَا قَوْلٌ .

٢ — وَقَالَ الشَّعْبِيُّ ، وَمَجَاهِدٌ ، وَعِكْرَمَةُ ، وَقَتَادَةُ : الْمَعْنَى : قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً ، إِلَّا أَنْ تُؤَدُّونِي لِقَرَابَتِي مِنْكُمْ ، فَتَحْفَظُونِي وَلَا تَكْذِبُونِي (٢) .

قَالَ عِكْرَمَةُ : وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَصِلُ أَرْحَامَهَا ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ قَطَعَتْهُ ، فَقَالَ : صَلُّونِي كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ (١) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا : قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً ، لَكِنْ أَذْكُرْكُمْ قَرَابَتِي ، عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ (٤) ، فَهَذَانِ قَوْلَانِ .

---

(١) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٢٦/٢٥ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢٢/١٦ وَالسَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجَاتِ ٧/٦ وَهُوَ كَالْقَوْلِ الْأَوَّلِ ، وَلِهَذَا عَدَّهُمَا الْمُصَنِّفُ قَوْلًا وَاحِدًا .

(٢) هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَهُوَ أَقْوَى الْأَقْوَالِ وَأَظْهَرُهَا . وَالْمَعْنَى : لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَجْراً ، إِلَّا أَنْ تُؤَدُّونِي لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ ، الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَلَا تُؤَدُّونِي ، فَاَلْمَقْصِدُ مِنَ الْآيَةِ اسْتِعْطَافُ قَرِيشَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ بَطْنٌ إِلَّا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ قَرَابَةٌ ، وَهَذَا رَأْيُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَاخْتِيَارُ الطَّبْرِيِّ ، وَابْنُ كَثِيرٍ .

(٣) الْأَثَرُ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ بِنَحْوِهِ ٢٤/٢٥ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢١/١٦ وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « قَطَعَتْ » وَصَوَابُهُ مَا أَتْبَعْنَاهُ كَمَا فِي الْقُرْطُبِيِّ .

(٤) يَعْنِي أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطِعٌ ، لِأَنَّ الْمُسْتَثْنَى مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فَيَصِحُّ الْمَعْنَى : لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْراً عَلَى نَصْحِكُمْ وَهَدَايَتِكُمْ وَلَكِنِّي أَذْكُرْكُمْ قَرَابَتِي ، كَمَا قَدَّرَهُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

٣ — وقال الضحاك : هذه الآية منسوخة ، نَسَخَهَا قوله جل وعز ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> فالذي سئلوه ، أن يودّوه بقرابته ، ثم رَدَّه الله إلى ما كان عليه الأنبياء ، كما قال نوح ، وهوّد ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> . فهذه ثلاثة أقوال .

٤ — وروى قيسٌ عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا يا رسول الله : من هؤلاء الذين نودّهم ؟ قال : عليّ ، وفاطمة ، وولدها <sup>(٥)</sup> .

(١) قول الضحاك ذكره الشوكاني ٥٣٧/٤ والقرطبي ٢٢/١٦ وهذا القول ليس بقوي ، لأن مودة آل البيت ومحبتهم واجبة شرعاً ودينياً لم تُنسخ ، وقد قال ﷺ « أَهْلُ بَيْتِي ، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » رواه مسلم وأحمد وفي الحديث الصحيح « إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا : كِتَابُ اللَّهِ ، وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي » أخرجه الترمذي .

(٢) نص الآية ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأنعام آية رقم ٩١ وهذه الآية من أمر الله لنبيه ﷺ أمر أن يقولها للمشركين ، وليست من قول نوح أو هود ، وأما قول نوح وهود فقد ورد في سورة الشعراء ونص الآية ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(٣) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف كما في الدر ٧/٦ وذكره الحافظ ابن كثير وضعفه واستبعده ، لأن الآية مكية وزواج عليّ بالسيدة فاطمة كان بعد الهجرة ، فكيف يقول الرسول ﷺ « فاطمة وولدها » ولم يكن لها عند نزول الآية ذرية ولا أولاد ؟ ونحن ننقل كلام الحافظ ابن كثير في هذا الأثر فإنه نفيس فقد قال في تفسيره ١٨٩/٧ بعد ذكر الرواية : « وهذا إسناد ضعيف ، فيه مبهم لا يُعرف ، عن شيخ شيعي متخرق =

٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا .. ﴾ [ آية ٢٣ ] .

الاعتراف : الاكتساب ، وهو مأخوذ من قولهم : رجلٌ قَرَفَةٌ<sup>(١)</sup> إذا كان محتالاً .

٢٤ — وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

قال قتادة : أي إن شاء أنساك ما علمك<sup>(٢)</sup> .

وقيل : المعنى : إن يشأ يُزِلْ تمييزك ، فاشكره إذ لم يفعل<sup>(٣)</sup> .

= — يعني أحقق يختلق الكذب — وهو « حسين الأشقر » ولا يُقبل خبره في هذا المحل ، وذكر نزول هذه الآية في المدينة بعيد ، فإنها مكية ولم يكن لفاطمة إذ ذاك أولاد بالكلية ، فإنها لم تنزج بعلي إلا بعد بدر ، من السنة الثانية من الهجرة .. ثم قال : والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام جبر الأمة ، وترجمان القرآن « عبد الله بن عباس » كما رواه عنه البخاري : « إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » ولا تُنكر الوصاة بأهل البيت ، والإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض ، فخرًا وحسبًا ونسبًا .. اهـ. ابن كثير ١٨٩/٧ .

(١) قال في تاج العروس : رجلٌ قُرْفَةٌ كَثُودَةٌ إذا كان مكتسبًا ، وقُرِفَ الذنب وغيره واقترفه : اكتسبه ، واقترف الذنب : أتاه وفعله ، ولهذا يقال : الاعتراف يزيل الاعتراف . اهـ. التاج مادة قرف .

(٢) الاثر أخرجه الطبري ٢٧/٢٥ عن قتادة ولفظه : إن يشأ الله. أنساك ما قد أتاك ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٦/٧ .

(٣) هذا المعنى ذكره الألوسي في روح المعاني ٣٥/٢٥ وعزاه إلى السمرقندي ، قال : والمعنى : إن يشأ يختم على قلبك ، كما فعل بهم ، فهو تسلية له عليه الصلاة والسلام ، وتذكير لإحسانه إليه ، =

وقيل : معنى ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ : إن يشأ الله يربط على قلبك ، بالصبر على أذاهم<sup>(١)</sup> . وقولهم : ﴿ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ تَمَّ الكلام .

٢٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ، وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

أي يمحو الله الشرَّك ويُزيله .

= وإكرامه له ﷺ ليشكر ربه سبحانه ، ويترحم على من تُحتم على قلبه ، فاستحق غضب ربه .. إلخ .

(١) الأثر ذكره في البحر عن مجاهد ٥١٧/٧ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٦/٧ وقال : هو قول مقاتل ، والزجاج .

أقول : هذا قول بعيد ، لأن الآية وردت مورد التهديد ، فالصواب فيها ما قاله قتادة ، والسدي ، وجهور المفسرين ، في أن الآية رد على المشركين في زعمهم أن محمداً ﷺ افترى هذا القرآن ، يقول : لو افتريت على الله الكذب ، كما يزعم هؤلاء المجرمون ، لختمننا على قلبك ، فأنسيناك هذا القرآن ، وسلبناه من صدرك ، ولكنك لم تفتتر على الله كذباً ، ولهذا أيديناك وسددناك قال ابن كثير المعنى : لو افتريت عليه كذباً كما يزعم الجاهلون ، لطبع الله على قلبك ، وسلبك ما كان آتاك من القرآن ، كقوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ وهكذا قال أبو السعود .

(٢) قال الطبري ٢٧/٢٥ : ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ في موضع رفع بالابتداء ، ولكنه حذف منه الواو في المصحف ، كما حذف من قوله ﴿ سندع الزبانية ﴾ ومن قوله ﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾ وليس يجزم على العطف على ﴿ يختم ﴾ وبمثله قال الفراء في معانيه ٢٣/٣ والجمهور من المفسرين .

وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو  
عَنِ السَّيِّئَاتِ .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

في الحديث أن عبد الله بن مسعود سئل عن رجل زنى بامرأة ،  
أيجوز له أن يتزوجها ؟ فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ،  
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

٢٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ [ آية ٢٦ ] .

﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع نصب ، بمعنى : ويستجيب للذين  
آمنوا ، كما قال سبحانه ﴿ وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ ﴾ أي كالوا لهم ، يقال :  
استجبته بمعنى أجبته ، وأنشد الأصمعي :

وَدَاعِ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ (٢)

ويجوز أن يكون في موضع رفع (٣) ، ويكون ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ﴾

(١) استدل ابن مسعود على جواز التزوج بالمرأة التي زنى بها ، بالعموم في الآية الكريمة ، حيث  
تناولت جميع أنواع المعاصي والموبقات ، وانظر الطبري ٢٨/٢٥ ومعاني القرآن ٢٣/٢ .

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مراثيه لأخيه ، رواها القالي في أماليه ، وأورده الطبري في  
تفسيره ٢١٥/٤ والمحرر الوجيز ٤٦٧/٣ .

(٣) هذا قول للفرأء كما في معاني القرآن ٢٤/٣ حيث قال : ويجوز أن يكون ﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع  
رفع ، أي الذين آمنوا يستجيبون لله .. إلخ .

الَّذِينَ آمَنُوا ﴿﴾ بمعنى يُجيب الذين آمنوا ، كما قال عز وجل  
﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ <sup>(١)</sup> .

قال محمد بن يزيد : حقيقته : فليستدعوا الإجابة ، هكذا  
حقيقة معنى « استفعل » <sup>(٢)</sup> .

٢٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعُوا فِي الْأَرْضِ ،  
وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ .. ﴾ [ آية ٢٧ ] .

روى سعيد عن قتادة قال : خير الرزق ما لا يطغى ، ولا  
يلهي <sup>(٣)</sup> .

٢٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا .. ﴾  
[ آية ٢٨ ] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦ وتامها ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا  
دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .

(٢) هذا قول للمبرد كما حكاه القرطبي في جامع الأحكام ٢٦/١٦ ومعناه : يطلب المؤمنون الإجابة  
من ربهم ، فاستفعل على هذا على يابه من الطلب ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ أي يطلب  
الإجابة ، والقول الأول أن ﴿ يستجيب ﴾ بمعنى يجيب أظهر ، وأصله : ويستجيب لهم ،  
حذفت منه اللام ، لقوله تعالى ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يستجيب دعاءهم ، ويزيدهم من  
فضله .

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري ٣٠/٢٦ وابن كثير ١٩٣/٧ ولفظه : قال قتادة : كان يقال : خير  
العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك ، وذكر حديث ( إنما أخاف عليك ما يخرج الله من زهرة الحياة  
الدنيا .. ) الحديث الذي رواه الشيخان ، وانظر الدر ٨/٦ .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أي يتسوا .

قال أبو جعفر : يُقال : قَنَطَ ، يَقْنِطُ ، وَقَنْطَ يَقْنُطُ : إذا اشتدَّ يأسه من الشيء (١) .

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ .. ﴾ [ آية ٢٩ ] .

قال الفراء : أراد بَثَّ في الأرض ، دون السماء ، كما قال سبحانه ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ وإنما يخرج من المِلْح (٢) .

قال أبو جعفر : هذا غَلَطٌ .

روى ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ قال : النَّاسُ ، والملائكة (٣) .

(١) في المصباح مادة قنط : القُنُوط بالضم : الإياس من رحمة الله تعالى ، وَقَنْطَ يَقْنِطُ من بابي ضَرَبَ ، وَتَعَبَ وهو قَانِطٌ وَقَنْوُطٌ ، وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قَعَدَ — قَنَطَ يَقْنُطُ — وَيُعَدِّي بالهمزة . اهـ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٤/٣ وعبارته : وما بَثَّ في الأرض دون السماء ، بذلك جاء في التفسير ، ومثله مما تُثْنِي ومعناه واحد ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ وإنما يخرج من الملح دون العَذْب « . اهـ .

(٣) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٣١/٢٦ وفي البحر ٥١٨/٧ والشوكاني ٥٣٨/٤ قال الحافظ ابن كثير ١٩٤/٧ : ﴿ وما بَثَّ فيهما من دابة ﴾ هذا يشمل الملائكة ، والجن ، والإنس ، وسائر الحيوانات ، على اختلاف ألوانهم ، وأشكالهم ، ولغاتهم . اهـ . وقال الإمام الفخر في التفسير =



وهذا قول حسن ، يُقال لكل حيٍّ : دَابَّةٌ ، من دَبَّ ، فهو دَابٌّ (١) ، والهَاءُ للمبالغة ، كما يقال : رَاوِيَةٌ ، وَعَلَامَةٌ .

ثم قال جل وعز ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ ﴾ أي على إحيائهم (٢) .  
﴿ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ .

٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [ آية ٣٠ ] .

يُقال : قد تكون المصيبة بغير هذا ، ففيه أجوبة :

---

= الكبير ١٧١/٧ : فإن قيل : كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة ؟ قلنا فيه وجوه :  
الأول : قد يُضاف الفعل إلى جماعة ، ويكون فاعله واحداً ، كما يُقال : بنو فلان فعلوا كذا ، وإنما فعله واحد منهم .

الثاني : أن الديب هو الحركة ، والملائكة لهم حركة .  
الثالث : لا يبعد أن يُقال : إنه تعالى خلق في السموات أنواعاً من الحيوانات ، يمشون مشي الأناسي على الأرض . اهـ .

وانظر محاسن التأويل للقاسمي ٢٤٥/١٤ ففيه بحث نفيس .

(١) المراد بالدابة المعنى اللغوي لا العرفي ، ففي اللغة كل شيء يدب ويتحرك ، فهو دابة قال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وفي الأمثال « أكذب من دبّ ودَرَج » أي أكذب الأحياء والأموات ، وقال الشاعر :

زعمتني شيخاً ولستُ بشيخ  
إنما الشيخ من يدبُ ديباً

(٢) هذا تفسير للآية باللازم ، فإن « الجمع » يستدعي الإحياء ويستلزمه ، والأوّل كما قال المفسرون ، أن المراد به جمع الخلائق في القيامة ، للحساب والجزاء ، قال الطبري ٣١/٢٥ : وهو على جمع خلقه بالحشر يوم القيامة قادر ، وقال ابن كثير ١٩٤/٧ : أي يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق .. إلخ .

أ — روى معمر عن قتادة عن الحسن في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ قال : الحدود<sup>(١)</sup> .

فالمعنى في هذا : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ جَعَلَ الحدود ، بما يُعْمَلُ من المعاصي<sup>(٢)</sup> .

ب — وقيل : ﴿ مَا ﴾ ههنا بمعنى « الذي » وهو حسن .  
والدليل على هذا ، أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قرءوا ﴿ بما ﴾ بغير فاء<sup>(٣)</sup> .

فالمعنى على هذا : وَالَّذِي كَانَ أَصَابَكُمْ ، بذنوبٍ عملتموها .

ج — وروى سفيان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال قال

- 
- (١) الأثر أخرجه الطبري ٣٣/٢٥ والدر المنثور ١٠/٦ والقرطبي ٣٠/٦ والبحر المحيط ٥١٩/٧ .  
(٢) مراد الحسن البصري كما وضعه الطبري ٣٢/٢٥ أَنَّ ما عُوقِبَ به المسلم في الدنيا من عقوبة ، بجُذِّ استوجبه على ذنب ، فيما عمله من معصية الله ، ويعفو عن كثير فلا يوجب عليكم فيها حداً . اهـ . والحدود شرعت للطهارة ، لتكون كفارة لما اقترف الإنسان من الذنوب والآثام ، حتى لا يعاقب في الآخرة ، والمراد بالمصيبة : ما يصيب الإنسان في ماله ، وولده ، وبدنه ، من أنواع المصائب ، ويؤثره حديث ( ما يصيب المؤمن من نَصَبٍ ، ولا وَصَبٍ ، ولا هَمٍّ ، ولا حَزَنٍ ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياها ) البخاري كتاب المرض ١٤٨/٦ .  
(٣) يريد المصنف ﴿ ما ﴾ التي في قوله ﴿ فيما كسبت أيديكم ﴾ أي فبسبب الذي كسبته أيديكم ، واستدل بقراءة نافع ، وابن عامر — وهي قراءة سبعة — بجذف الفاء ﴿ وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨١ .

رسول الله ﷺ : ( مَا مِنْ خَدَشٍ عُدٍّ ، وَلَا عَثْرَةٍ قَدِمٍ ، وَلَا  
 اخْتِلَاجٍ عَرَقٍ ، إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ ) ، ثُمَّ  
 تلا ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو  
 عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : وما أصابكم من  
 مصيبة ، مقصودٌ بها العقوبة ، فبما كسبت أيديكم .

قال أبو جعفر : وفي الآية قول رابع ، وهو : أن كل مصيبة  
 تصيبُ ، فإنما هي من أجل ذنب ، إمّا أن يكون الإنسانُ  
 عَمِلَهُ ، وإمّا أن يكون تنبيهاً له ، لئلاً يَعْمَلَهُ ، وإمّا أن  
 يكون امتحاناً له ، ليعتبر والداه ، فقد صارت كلُّ مصيبةٍ على  
 هذا من أجل الذنوب ، وصارت القراءةُ بالفاء أحسنَ ، لأنه  
 شرطٌ وجوابه (٢) .

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، بلفظ : ﴿ والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ، ولا  
 اختلاج عرق .. ﴾ الحديث . وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ، عن الحسن البصري مرفوعاً  
 ١٩٥/٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد أنه من رواية ابن المنذر ، والبيهقي في  
 شعب الإيمان ، عن قتادة مرفوعاً ، وانظر تفسير القرطبي ٣١/١٦ .

(٢) هذا القول مروى عن عكرمة ، نقله عنه القرطبي ٣١/١٦ . قال عكرمة : « ما من نكبة  
 أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب ، لم يكن الله ليغفره له إلا بها ، أو لينال درجة لم يكن يوصله  
 إليها إلا بها .. » ثم روى أن رجلاً قال لموسى : سئل الله لي في حاجة يقضيها لي ، هو أعلم بها ،  
 ففعل موسى ، فلما نزل إذا هو بالرجل قد مرّق السبع لحمه ، وقتله ، فقال موسى : ما بال هذا  
 يا رب ؟ فقال الله تبارك وتعالى سألتني درجة ، علمت أنه لا يبلغها بعمله ، فأصبته بما ترى  
 لأجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة . اهـ .

٣١ - وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [ آية ٣٢ ] .

قال مجاهد : الجواري : السفن ، والأعلام : الجبال <sup>(١)</sup> .

٣٢ - ثم قال جل وعز : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ .. ﴾ [ آية ٣٣ ] .

أي سواكن .

٣٣ - وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ يُوقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [ آية ٣٤ ] .

قال مجاهد : ﴿ يُوقَهُنَّ ﴾ يهلكهن <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال : أُوْقِئَتْ ذَنْبُهُ : أي أهلكته .

قال قتادة : ﴿ أَوْ يُوقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ يهلك من فيهن بذنوبهم <sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأثر في الطبري ٣٣/٢٥ والدر المنثور ١٠/٦ وهذا قول الحسن ، والسدي ، والضحاك ، وقد اتفق عليه المفسرون .

(٢) قال في المصباح : وَبَقَّ يَبْقُ وَيُوقَأُ : هَلَكَ ، ويتعدى بالهمزة فيقال : أُوْقِئَتْهُ ، والموقعات : المعاصي لأنهن مهلكات : اهـ . والأثر أخرجه الطبري ٣٤/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ ولفظه قال قتادة : ﴿ أَوْ يُوقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ قال : بذنوب أهلها . فعلى قول قتادة الكلام فيه حذف ، أي يوبق أهلهن بما كسبوا من الذنوب =

قال أبو جعفر : تقديره مثل ﴿ واسأل القرية ﴾ (١) .

٣٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ ،  
وَالْفَوَاحِشَ .. ﴾ [ آية ٣٧ ] .

رؤي عن ابن عباس : ﴿ كِبَائِرُ الْإِثْمِ ﴾ : الشُّرُكُ (٢) .

ويقرأ ﴿ كَبِيرُ الْإِثْمِ ﴾ (٣) .

قال الحسن : الكبائر : كُلُّ مَا وَعَدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَيْهِ  
النَّارَ (٤) .

وقيل : الكبائر : كُلُّ مَا وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ ، وأجمع  
المسلمون على أنه من الكبائر !! فقد أجمعوا على أَنَّ الخمر من  
الكبائر .

---

= فهو مثل ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهل القرية ، وإنما احتيج إلى التقدير ، لأن الكسب لا يُنسب  
إلى السفن ، وإنما ينسب لأهلها وركابها .

(١) سورة يوسف آية رقم ٨٢ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٣٥/١٦ عن ابن عباس ، والألوسي ٤٦/٢٥ والفراء في معانيه ٢٥/٣ ولفظه :

وُفُسِّرَ عن ابن عباس أن كبير الإثم هو الشرك ، فهذا موافق لمن قرأ ﴿ كبير الإثم ﴾  
— بالتوحيد — يعني بالافراد ، وقال الفخر الرازي ١٧٦/٢٧ : وهو عندي بعيد ، لأن شرط  
الإيمان المذكور أولاً ، وهو يغني عن عدم الشرك . اهـ .

(٣) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وقرأ الجمهور بصيغة الجمع ﴿ كبائر  
الإثم ﴾ وانظر السبع لابن مجاهد ص ٥٨١ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٥ عن الحسن ، وسعيد بن جبير قال : كل ذنب نسبته الله إلى النار ،  
فهو من الكبائر .

حدثنا بكر بن سهل ، قال حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ : « الإِشْرَاكُ ، واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، وَالْأَمْنُ لِمَكْرِ اللَّهِ » (١) .

ومنها عقوق الوالدين ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنات ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وأكل الربا ، والسحر (٢) ، والزنى ، واليمين الغموس الفاجرة ، والغلول ، ومنع الزكاة المفروضة ، وشهادة الزور ، وكتان الشهادة ، وشرب الخمر ، وترك الصلاة متعمداً ، أو شيء مما افترض الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٤٠/٥ وروى عنه بسنده أنه سئل عن الكبائر أسبع هي ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب ، وروى أيضاً عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس : كم الكبائر ؟ أسبع هي ؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار . اهـ .

(٢) أشار المصنف بذكر هذه الذنوب إلى ما أخرجه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال ( اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ) وهذه أمهات الكبائر ، وليست هي كل الكبائر ، قال القرطبي ٣٥/١٦ : ﴿ والفواحش ﴾ داخلة في الكبائر ، ولكنها تكون أفحش وأشنع ، كالقتل بالنسبة إلى الجرح ، والزنى بالنسبة إلى المراودة ، وقيل : الفواحش والكبائر بمعنى واحد ، أي يجتنبون المعاصي ، لأنها كبائر وفواحش . اهـ .

٣٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [ آية ٣٨ ] .

أي يتشاورون<sup>(١)</sup> .

٣٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [ آية ٣٩ ] .

روى منصور عن إبراهيم : كانوا يكرهون أن يُدْلُوا أنفسهم ، فيجترء عليهم الفساق<sup>(٢)</sup> .

٣٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا .. ﴾ [ آية ٤٠ ] .

قال ابن أبي نجيح : إذا قال : أَخْرَاهُ اللهُ ، قال له : أَخْرَاهُ اللهُ .

(١) قال ابن قتيبة ﴿ وأمرهم شورى ﴾ أي يتشاورون فيه بينهم ، وهكذا قال الطبري ٣٧/٢٥ : إذا حَزَبَهُمْ أمر تشاوروا بينهم . وقال الزجاج ٤٠١/٤ أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه ، وقال الرازي ١٧٧/٢٧ : كان إذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا . فأثنى الله عليهم . وعن الحسن البصري : ما تشاور قوم إلا هُتِدوا لأرشد أمورهم . اهـ . التفسير الكبير .

(٢) هذا الأثر رواه عبد بن حميد ، عن منصور ، عن إبراهيم النخعي ، كما في الدر المنثور ١٠/٦ . وغرض الآية الثناء عليهم بأنهم يأبون الدل ، فإذا بغى عليهم باغ ، ردوا عن أنفسهم العدوان ، إظهاراً لعزة المؤمن ، وردعاً للظالم المعتدي ، قال الطبري ٣٧/٢٥ في روايته عن السدي : ينتصرون ممن بغى عليهم ، من غير أن يعتدوا ، واختار هذا القول .

قال أبو جعفر : الأولى سيئة في اللفظ والمعنى ، والثانية سيئة في اللفظ ، وليست في المعنى سيئة ، ولا الذي عملها مسيء ، وسميت سيئة لازدواج الكلام ، ليعلم أنها جزاء على الأولى <sup>(١)</sup> .

٣٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [ آية ٤١ ] .

قال قتادة : هذا في القصاص ، فأما من ظلمك ، فلا يحل لك أن تظلمه <sup>(٢)</sup> .

قال الحسن : ﴿ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ هذا إذا لم يكن ظلمه لا يصلح <sup>(٣)</sup> .

أي هذا فيما أباح الله الانتصار منه .

- 
- (١) توضيح هذا المعنى : أن دفع الأذى والعدوان لا يسمى سيئة ، بل هو إحسان ، لأن كَفَّ الظالم عن ظلمه ، ومقابلة الجناية بما يماثلها دفع للعدوان ، ولكنها لما كانت في مقابلة السيئة — وهي تسوء من تقع عليه — سميت سيئة ، مشابة لها في اللفظ ، دون المعنى ، وهذا ما يسمى في علم البلاغة « المشاكلة » وهي الاتفاق في اللفظ ، مع الاختلاف في المعنى ، كما قال الشاعر :
- قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لَكَ طَبْعُهُ      قُلْتُ اطْبَعُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصاً
- (٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٣/٧ والقرطبي في جامع أحكام القرآن ٤٠/١٦ .
- (٣) أشار الحسن البصري إلى أن دفع الإساءة يجب أن يكون فيما أذن الله به ، فلا يجوز إذا كذب عليك إنسان أن تكذب على لسانه ، وإذا قذفه بالزنى لا يجوز أن يقذفه بالزنى ، وإذا سرق منه أن يسرق هو منه ، وإنما يجوز في المباح ، والله أعلم .



وقد روى يونس عن الحسن في قوله ﴿ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ قال : إِذَا لُعِنَ لَعْنًا ، وَإِذَا سُبَّ سَبًّا<sup>(١)</sup> ، مَا لَمْ يَكُنْ حَدًّا ، أَوْ كَلِمَةً لَا تَصْلُحُ .

٣٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا حَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ .. ﴾ [ آية ٤٥ ] .

أي ينظرون إلى النار<sup>(٢)</sup> .

قال مجاهد : ﴿ خَفِيٍّ ﴾ أي ذليل<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وقيل : ينظرون بقلوبهم ، لأنهم يُحْشَرُونَ عُمِيًّا<sup>(٤)</sup> .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٨/٢٥ والقرطبي ٤٠/١٦ عن مجاهد ، والسدي ، قال الطبري في روايته عن السدي : « إذا شتمك بشتيمة فاشتمة مثلها ، من غير أن تعتدي ، وقال مجاهد : إذا قال : أخزاه الله ، أو لعنه الله يقول مثله ، ولا يقابل القذف بقذف ، ولا الكذب بالكذب . اهـ .

(٢) لم يسبق ذكر النار في الآية ولكنه مفهوم من السياق ، لأن ما قبله يدل عليه . وهو قوله تعالى ﴿ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٢٥ وهو قول ابن عباس ، وذكره ابن كثير ٢٠١/٧ عن مجاهد .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٠٢/٤ وذكره الفراء في معاني القرآن ٢٦/٣ قال : نظروا إلى النار بقلوبهم ، ولم يروها بأعينهم ، لأنهم يحشرون عُمِيًّا ، والأظهر ما قاله مجاهد وابن عباس أنهم ينظرون بطرف ذابل ذليل ، وأظهر منه ما روي عن قتادة أن المعنى : أنهم يسارقون النظر إلى النار .

٤٠ — وقول جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ ﴾ [ آية ٤٥ ] .

قال قتادة : خسروا أهلهم الذين في الجنة ، أعثوا لهم لو أطاعوا<sup>(١)</sup> .

وقيل : لما كان المؤمنون ، يلحق بهم أهلهم في الجنة ، وكان الكفار لا يجتمعون معهم في خير ، كانوا قد خسروهم ، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

٤١ — وقوله جل وعز : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ [ آية ٤٧ ] .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ من مخز ، و ﴿ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ من ناصر<sup>(٣)</sup> .

وقيل : ﴿ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ من مخلص من عذاب الله . . . ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ أي لا تقدر أن تنكروا الذنوب ،

(١) قال ابن كثير ٢٠١/٧ : فرق بينهم وبين أصحابهم ، وأحبابهم ، وأهاليهم ، وقراباتهم ، فخسروهم . اهـ .

(٢) تفضلاً منه تعالى ، يلحق بهم أبناءهم ، وذريتهم ، وإن لم يعلموا بعملهم ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قراءة ابن عامر ، والجمهور ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ وكلا القراءتين سبعة .

(٣) ﴿ ملجأ ﴾ أي مكان وحصن تلجأون إليه ، و ﴿ نكير ﴾ أي ناصر ينصرم من عذاب الله ، قاله مجاهد كما في الطبري ٤٣/٢٥ .

التي توقفون عليها<sup>(١)</sup> .

٤٢ — وقوله جل وعز : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ [ آية ٥٠ ] .

قال عبيدة ، وأبو مالك ، والحسن ، ومجاهد ، والضحاك — والمقصود لفظ عبيدة<sup>(٢)</sup> — أي : يهب لمن يشاء ذكوراً يولدون له ، ولا يولد له إناث ، ويهب لمن يشاء إناثاً يولدون له ، ولا يولد له ذكر ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ يولد له ذكور ، ويولد له إناث .  
قال عبيدة : ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ لا يولد له<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : يقال لكل اثنين مقترنين : زوجان ، كل واحد منهما زوج .. من ذلك الرجل والمرأة ، والخُفَّانِ ، والنَّعْلان ، فمعنى ﴿ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ : يقرنهم ، أي يقرن لهم<sup>(٤)</sup> ، كما قال

---

(١) فسر المصنف ﴿ نكير ﴾ بمعنى الإنكار أي لا تقدرون على إنكار شيء من الذنوب ، واختاره

في البحر ٥٢٥/٧ وما ذهب إليه هو قول الزجاج في معانيه ٤٠٢/٤ .

(٢) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٤٧/١ : « عبيدة بن عمرو السلماني » أبو عمرو ، تابعي

كبير مخضرم ، ثقة ، ثبت ، مات سنة ٧٢ هـ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ، والسدي ، وانظر جامع البيان ٤٤/٢٥ .

(٤) ليس معنى ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ أنه يزوج الذكر بالأنثى ، وإنما معنى الآية أنه تعالى يجعلهم إن شاء من النوعين ، فيجمع للإنسان بين البنين والبنات ، وهذا معنى قول المصنف : يقرن لهم ، أي يجمع لهم بين الذكور والإناث ، قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاماً ، ثم تلد =

## ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾<sup>(١)</sup> .

ويُقال : زُوِّجَتْ إبلي صغيرها وكبيرها ، أي قرنتُ صغيرها مع كبيرها .

ويُقال : رجلٌ عقيمٌ : لا يولدُ له ، وامرأةٌ عقيمٌ : لا تلدُ ، وريحٌ عقيم<sup>(٢)</sup> : لا تأتي بمطرٍ ولا خير .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [ آية ٥١ ] .

### في المعنى قولان :

أ — فالذي عليه أهل التفسير ، ما قاله مجاهد ، قال : ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ أن يَنْفُثَ في قلبه<sup>(٣)</sup> .

= جارية ، ثم تلد غلاماً وهكذا . قال العنبي : التزويج ههنا : هو الجمع بين البنين والبنات ، تقول العرب : زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار . قال بعض المفسرين : نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام ، فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور ، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد ﷺ جمع الله له بين الذكور والإناث ، ويحيى كان عقيماً ، قال في التسهيل : والظاهر أن الآية على العموم .

(١) سورة يس آية رقم ٣٩ وتنمة الآية ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ والشاهد في الآية ﴿ قدرناه منازل ﴾ أي قدرنا له منازل .

(٢) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ أي الرياح المدمرة ، التي لا خير فيها ولا بركة ، لأنها لا تلقح سحاباً ولا شجراً .

(٣) هذا مثل ما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال ( إن روح القدس نفث في روعي ، أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ) .

﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ كما كَلَّمَ موسى صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ كما أرسل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ، وإلى أشباهه .

والقول الآخر : أن معنى ﴿ إِلَّا وَحِيًّا ﴾ كما أوحى إلى الأنبياء صلى الله عليهم بإرسال جبريل صلى الله عليه ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ كما كَلَّمَ موسى ﷺ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ إلى الناس عامة<sup>(٢)</sup> .

ويُقرأ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا في موضع الحال ، أي الذي يقوم مقام الكلام ما ذكر .

ويجوز أن يكون مقطوعاً من الأول .

(١) هذا خصوصية لنبي الله الكريم « موسى بن عمران » فقد كلمه الله بلا واسطة ، كما قال سبحانه ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ولهذا سمي « موسى الكلم » ولما سأل الرؤية بعد التكليم حجب عنها ، قال ابن كثير ٢٠٤/٧ وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله ( ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً — أي مواجهة دون حجاب ولا رسول — فقال يا عبد : تمنّ عليّ .. ) الحديث ، ولكن هذا في عالم البرزخ ، لا في الدار الدنيا اهـ .

(٢) القول الأول هو الأظهر والأشهر وهو قول جمهور المفسرين : الطبري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن كثير ، والألوسي .. قال ابن كثير ٢٠٤/٧ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة ، على الأنبياء عليهم السلام .. إلخ . وهو مذهب الجمهور .

(٣) قراءة الرفع ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي ﴾ بالرفع في كل من ﴿ يرسل ﴾ و ﴿ يوحى ﴾ هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وهي من القراءات السبع ، على تقدير أو هو يرسل ، ويوحى ، وقراء الجمهور بالنصب ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي ﴾ عطف على ﴿ وحياً ﴾ قال الفراء : والنصب أجود . وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٢ .

٤٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا .. ﴾

[ آية ٥٢ ] .

قال ابن عباس : النبوة<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : أي وكذلك أوحينا إليك ، ما تحيا به النفوس ،  
أي ما تهتدي به .

وقال قتادة والحسن : ﴿ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ أي رحمة من

عندنا<sup>(٢)</sup> .

٤٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[ آية ٥٢ ] .

أي بما أوحينا إليك<sup>(٣)</sup> .

وقال معلّى<sup>(٤)</sup> : سمعت حوشباً يقرأ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى

---

(١) الأثر أخرجه في البحر عن ابن عباس ٥٢٧/٧ والقرطبي ٥٤/١٦ ونقل ابن الجوزي ٢٩٨/٧ عن ابن عباس ﴿ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ أنه القرآن ، واختاره الطبري ، وابن كثير ، وأكثر من المفسرين ، قال القرطبي ٥٥/١٦ : قال الضحاك : هو القرآن ، وهو قول مالك بن دينار ، وسماه روحاً ، لأن فيه حياة من موت الجهل ، وجعله من أمره بمعنى أنزله كما يشاء من التنظيم المعجز ، والتأليف العجيب ، وكان مالك بن دينار يقول : يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن يبيع القلوب ، كما أن الغيث يبيع الأرض . اهـ .

(٢) الأثر في الطبري ٤٦/٢٥ والقرطبي ٥٤/١٦ وابن الجوزي ٢٩٨/٧ والبحر المحيط ٥٢٧/٧ .

(٣) الهداية هنا بمعنى : الدلالة والإرشاد ، أي وإنك يا محمد لترشد وتدل ، بما أوحاه إليك ، إلى دين قيم مستقيم ، هو الإسلام .

(٤) هو معلّى بن أسد العمّي ، أبو الهيثم البصري ، الحافظ ، قال العجلي : ثقة كيس ، وذكره ابن =

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ .

وفي قراءة أبي ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢) .

قال أبو جعفر : وهذا لا يُقرأ به ، لأنه مخالفٌ للسَّواد ، وإنما يُحْمَلُ ما كان مثله ، على أنه من قائله ، على جهة التفسير ، كما قال سفيان في قوله جل وعزَّ : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي لتدعو .

وروى معمرٌ عن قتادة في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال : لَكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٣) .

\* \* \*

### « انتهت سورة الشورى »

= حبان في الثقات ، توفي سنة ٢١٨ هـ وانظر ترجمته في التهذيب ٢٣٦/١٠ و « حوشب » هو

حوشب بن مسلم الثقفي من كبار أصحاب الحسن ، ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ٦٦/٣ .  
(١) هذه قراءة عاصم الجحدري ، وحوشب ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ بالبناء للمجهول ، أي وإنك يا محمد ليهديك الله إلى طريق الهدى والإيمان ، وقراءة الجمهور ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي وإنك لتهدي بذلك النور ، من شاء الله هدايته ، وقد ذكرت القراءة الأولى في البحر المحيط ٥٢٨/٧ والقرطبي ٦٠/١٦ وروح المعاني ٦٠/٢٥ .

(٢) قراءة أبيٍّ محمولة على جهة التفسير كما قال المصنف ، وليست من القراءات السبع ، ومراده بمخالفة السواد أنها قراءة غير القراء المشهورين المعتمدين ، وهم القراء السبعة ، ولهذا لا يُعَوَّلُ على هذه القراءة ، وانظر القرطبي ٦٠/١٦ .

(٣) الأثر أخرجه عبد بن حميد عن قتادة ، كما في الدر المنثور للسيوطي ١٣/٦ قال ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال الله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال : داع يدعوا إلى الله تعالى ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٧/٢٥ والقرطبي ٦٠/١٦ والمراد أن كل أمة من أمم الأرض ، قد بعث الله لها داعياً يرشدها إلى الله .





# تفسير سورة الزخرف

مَكِّيَّة وَأَيَّانَهَا ١٩ آيَةً



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ الزَّخْرَفِ هِيَ مَكِّيَّةٌ

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حَم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾  
[ آية ١ و ٢ ] .

أي أبان الهدى من الضلالة ، والحق من الباطل .  
ويكون ﴿ المبين ﴾ : البين<sup>(١)</sup> .

٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾  
[ آية ٣ ] .  
أي بيناه<sup>(٢)</sup> .

(١) سُمِّيَ الْقُرْآنُ بِالْمُبِينِ بِمَعْنَى الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ ، الْمَظْهَرِ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ : بَانَ الْأَمْرُ فَهُوَ بَيِّنٌ ، وَأَبَانَ ، وَاسْتَبَانَ ، وَتَبَيَّنَ كُلُّهَا بِمَعْنَى الْوُضُوحِ وَالْإِنْكَشَافِ . اهـ . مَادَّةُ بَانَ .

(٢) هَذَا قَوْلُ الزَّجَاجِ فِي مَعَانِيهِ ٤/٤٠٤ وَالْأَوَّلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ ٢٥/٤٧ وَابْنُ كَثِيرٍ ٧/٢٠٥ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ أَي أَنْزَلْنَاهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، فَصِيحًا وَاضِحًا ، وَهُوَ قَوْلُ السَّدِيِّ ، وَسَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ ، وَقَالَ مَجَاهِدٌ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ ﴾ أَي قَلْنَاهُ ، وَإِنَّمَا فَسَّرَ السَّلَفُ الْآيَةَ بِهَذَا ، لِثَلَاثِ يَوْهَمٍ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَقَدْ رَوَى فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٦/١٣ عَنْ طَاوُوسٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْقُرْآنِ : أَكَلَامُ اللَّهِ أَمْ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلْ كَلَامُ اللَّهِ ، أَوْمًا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَفَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ؟ قَالَ : كَتَبَهُ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ؟ !

٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَائِهٖ فِي اُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ [ آية ٤ ] .

روى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ﴿ فِي اُمِّ الْكِتَابِ ﴾ قَالَ : في أصل الكتاب ، وجملته عندنا<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : ونظير هذا على قول قتادة ﴿ اِنَّهُ لَقُرْآنٌ مَّجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقيل : ﴿ وَائِهٖ فِي اُمِّ الْكِتَابِ ﴾ : يعني ما قُدِّرَ من الخير والشر<sup>(٣)</sup> ﴿ لَعَلِّي ﴾ : لقاها ، لا يقدر أحد أن يدفعه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ : مُحْكَمٌ .

٤ — وقوله جل وعز : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [ آية ٥ ] .

روى إسماعيل عن أبي صالح ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴾ ؟

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٨/٢٥ والدر المنثور ١٣/٦ وبهذا القول قال الزجاج ﴿ في أم الكتاب ﴾ أي في أصل الكتاب ، وأصل كل شيء : أمه ، والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ . اهـ . زاد المسير ٣٠٢/٧ وهو اختيار الطبري ، وابن كثير .

(٢) سورة البروج آية رقم ٢٢ .

(٣) هذا قول ابن جريج كما في القرطبي ٦٢/١٦ فقد قال : ( وإنه ) أي أعمال الخلق ، من إيمان وكفر ، وطاعة ومعصية .. إلخ . والقول الأول بأن الضمير يعود على القرآن ، أظهر وأشبه والمعنى : وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ ، عندنا لرفيع الشأن ، عظيم القدر ، ذو حكمة بالغة ، ومكانة فائقة ، محكم بريء من اللبس والزيغ ، وانظر ابن كثير ٢٠٥/٧ .

قال : العذاب<sup>(١)</sup> .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : أَتَكْذِبُونَ بِالْقُرْآنِ ، ولا تُعَاقِبُونَ<sup>(٢)</sup> ؟

قال أبو جعفر : المعنى على هذين القولين : أفنضرب عنكم ذكر العذاب .

ومذهب قتادة أن المعنى : أفنهيكم ، ولا نأمركم ، ولا نهاكم<sup>(٣)</sup> ؟

قال أبو جعفر : يقال : ضربت عنه ، وأضربت أي تركته .

ثم قال جل وعز ﴿ صَفْحًا ﴾ أي إعراضاً .

يجوز أن يكون المعنى : أفنصفح عنكم صفحاً<sup>(٤)</sup> ، كما يُقال : هو يَدْعُهُ تركاً .

---

(١) ذكره الطبري ٤٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٠٣/٧ ونسبه إلى مجاهد والسدي ، وهو قول مرجوح ، والراجح قول قتادة وابن زيد ، والمعنى : أفنمسك عن إنزال القرآن ونعرض عنكم من أجل أنكم لا تؤمنون ؟

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢٥ والقرطبي ٦٢/١٦ والبحر المحيط ٦/٨ وعبارته : ألا نعاقبكم بالتكذيب ، وعبرة الطبري : تكذبون بالقرآن ثم لا تُعَاقِبُونَ عليه ؟ وكذلك هو في الدر المنثور ١٣/٦ .

(٣) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٢/١٦ ولفظه وقال قتادة : أفنهيكم ولا نأمركم ولا نهاكم ؟ وينحوه قال السدي : أفنترككم سدى فلا نأمركم ولا نهاكم ؟ وذكره في البحر ، والطبري ينحوه .

(٤) على هذا التأويل يكون إعراب ﴿ صَفْحًا ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق ، لفعل محذوف من غير فعله أي أفنصفح عنكم الذكر صفحاً ، لأن معنى ﴿ أفنضرب ﴾ أفنصفح ونعفو ؟

ويجوز أن يكون المعنى : أفنضرب عنكم الذكر صافحين ، كما  
يُقال : جاء فلانٌ مشياً .

ومعنى صفحتُ عنه : أعرضت عنه أي وليّته صفحةً عُنْقِي ،  
قال الشاعر :

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ  
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ<sup>(١)</sup>

٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [ آية ٥ ] .

قال قتادة : أي مشركين<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : المعنى لأن كنتم ، إذا فتحت ﴿ أَنْ ﴾ وبذلك  
قرأ الحسن ، وأبو عمرو ، وابن كثير .

وقرأ أهل المدينة ، وأهل الكوفة بالكسر ، وهو عند قوم من

---

(١) البيت لكثير عزة وقد ذكره في غريب القرآن ص ٣٩٥ وتاج العروس ولسان العرب مادة صفح  
بلفظ « إلا بجيلة » بدل « بجيلة » وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٣/١٦ وابن الجوزي في  
زاد المسير ٣٠٢/٧ والبحر المحيط ٦/٨ بلفظ « بجيلة » والشاعر يصف امرأة أعرضت عنه  
وصدّت ، فهي بجيلة بالوصل والكلام .

(٢) الطبري ٤٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٠٣/٧ والقرطبي ٦٣/١٦ وخلاصة المعنى : أنترك تذكيركم  
إعراضاً عنكم ونعتيركم كالبهايم فلا نعظكم بالقرآن ، من أجل أنكم مسرفون في الكفر  
والعصيان ؟ لا ، بل نذكركم ، ونعظكم حتى لا تبقى لكم حجة .

أهل اللغة لحنٌ ، منهم أبو حاتم<sup>(١)</sup> ، وإنما صار عندهم لحناً<sup>(٢)</sup> ، لأنهم إنما وُبحُوا على شيءٍ قد ثبت وكان ، فهذا موضع « أن » مفتوحة ، كما قال سبحانه ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا عند الخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والقراء جيدٌ .

قال سيبويه : سألتُ الخليل عن قوله — يعني الفرزدق — :

أَتَغْضَبُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ حُرَّتْنَا

جَهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لَقَتْلِ ابْنِ حَازِمٍ<sup>(٣)</sup>

فقال : هي « إن » مكسورة ، لأنه قبيح أن يُفصل بين « أن »

والفعل .

قال أبو جعفر : وهذا شيءٌ قد مضى .

(١) « أبو حاتم » هو سهل بن محمد السجستاني ، النحوي ، اللغوي ، المقيت المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

أخذ عنه المبرّد ، وابن دريد ، وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٢) لا يقال : إن كسر الهمزة في قوله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ لحنٌ ، لأنها قراءة من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة ، ونافع ، والكسائي ، وقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ أَنْ كُنْتُمْ ﴾ فكلاهما قراءة واردة عن رسول الله ﷺ بالسند الصحيح ، وطالما لها وجهٌ في اللغة ، فلا يُقال عنها : إنها لحن ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٤ .

(٣) البيت من شواهد المغني ٨٦/١ وفي جامع البيان للطبري ٥٠/٢٥ ومعاني القرآن للقراء ٢٧/٣ وقد ورد فيه وفي الطبري البيت بلفظ « أتَجزع » وفي الطبري « ابن حازم » وصوابه بمجمعتين « ابن حازم » .

قال أبو إسحاق<sup>(١)</sup> : وهذا يكون بمعنى الحال ، إذا كان في الكلام معنى التويخ والتقرير ، أي أهذه حالك ؟<sup>(٢)</sup>

قال أبو جعفر : فعلى هذا قوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ، وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [ آية ٨ ] .

قال مجاهد : أي سنة الأولين<sup>(٤)</sup> :

قال قتادة : أي عقوبة الأولين .

وقوله جلّ وعز : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي طرقاً<sup>(٥)</sup> .

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ [ آية ١٢ ] .  
أي الأصناف كلها<sup>(٦)</sup> .

(١) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٢) أي يحمل على هذا المعنى ، أي على وجه الاستقبال كما قال الزجاج ٤٠٥/٤ من كسرهما فعلى معنى الاستقبال ، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر ؟

(٣ — ٤) انظر الآثار في الطبري ٥١/٢٥ والقرطبي ٦٤/١٦ والبحر المحيط ٦/٨ .

(٥) في المصباح : السبيل : الطريق ، يذكّر ويؤنث ، والجمع على التذكير : سُبُل . اهـ . ومما جاء مؤنثاً قوله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ ومما ورد مذكراً قوله تعالى ﴿ وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً ﴾ .

(٦) هذا قول سعيد بن جبير كما في القرطبي ٦٥/١٦ وقال الحسن : الشتاء والصيف ، والليل والنهار ، والسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والجنة والنار .. إلخ . والأولى أن يقال : خلق =



٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [آية ١٢] .

قال مجاهد : الأباغر ، والخيل ، والبغال ، والحمير<sup>(١)</sup> .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ لَتَسْتَبْرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ [آية ١٤] .

أي على ظهور هذا الجنس<sup>(٢)</sup> .

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي تقولوا : الحمد لله .

كما روى أبو إسحاق ، عن علي بن ربيعة قال : رأيت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه<sup>(٣)</sup> جعل رجله في الركاب ، فقال ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ فلما استوى راكباً قال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ثم قال ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا

= جميع الأصناف من الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وغير ذلك ، فإنه عام يشمل الجميع ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٠٧/٧ .

(١) هذا تفسير للأنعام ، والأباغر جمع بعير ، يقال في جمعه أباغر ، وأبعر ، وبُعْران ، وكذا في المصباح ، والبعير يطلق على الذكر وعلى الأنثى ، والجمل على الذكر فقط ، والناقة على الأنثى فقط ، قال الطبري : الأنعام هي البهائم .

(٢) لم يقل : لتستوبوا على ظهورها ، وإنما قال ﴿ على ظهوره ﴾ لأن الضمير عائد على « ما » كأنه قال : على ظهور ما تركبون . اهـ . البحر المحيط ٧/٨ .

(٣) لا ينبغي أن يقال عن علي « صلوات الله عليه » لأن هذا خاص بالأنبياء ، وإنما يقال : رضي الله عنه ، كما يقال لسائر الصحابة الكرام .

أَنْتَ ، قد عملتُ سوءً ، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ثم قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعَلَّ كِفْعَلِي (١) .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد : من ركب ولم يقل : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مُقرّنين ﴾ قال له الشيطان : تغنّ ، فإن لم يُحسن ، قال له : تَمَنّ (٢) .

قال قتادة : ﴿ مُقرّنين ﴾ أي في القوة (٣) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٩٧/١ وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٧/٧ وزاد فيه ( ثم ضحك ، فقلت له : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ صنعَ كما صنعتُ ثم ضحك ، فقلت : ممّ ضحكت يا رسول الله ؟ فقال : يعجبُ الربُّ من عبده إذا قال : ربِّ اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوبَ غيري ) وذكر الحديث بكامله في الدر المنثور ١٤/٦ وزاد أنه أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، والحاكم ، وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام عن مجاهد ٦٨/١٦ ومعنى « تغنّ » أي غنّ ، ومعنى « تمنّ » أي اكذب ، يريد أن يشغله عن ذكر الله ، بالغناء تارة ، وبأحاديث الكذب مرة أخرى ، ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما تغنيت ولا تمنيت ولا شريت خمرًا في جاهليّة ولا إسلام . قال القرطبي : علّمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب ، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن ، وهو قوله تعالى ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ﴾ فكم من راكب دابة عثرت به فألقته على وجهه ، أو طاح من ظهرها فهلك ، وكَم من سفينة غرقت ، فلما كان الركوب مباشرة سبب من أسباب التلف ، أمر ألا ينسى ذكر الله ، بقلبه ولسانه ، حتى يكون مستعدًّا للقاء الله .. اهـ . بشيء من الاختصار .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٥٥/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٤/٦ ولفظه ﴿ وما كنا له مُقرّنين ﴾ لا في الأيدي ، ولا في القوة ، أي ما كنا نقدر عليه ، لولا تسهيل الله .

قال أبو جعفر : حَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ : أَقْرَنَ لَهُ : إِذَا أَطَاقَهُ ، وَأَنْشَدُوا :

رَكِبْتُمْ صَعْبَتِي أَشْرًا وَحَيْنًا  
وَلَسْتُمْ لِلصَّعَابِ بِمُقَرَّنِينَ<sup>(١)</sup>

وحقيقة : أَقْرَنْتُ لَهُ : صَرْتُ لَهُ قَرْنًا ، يُقَالُ : هُوَ قَرْنُهُ فِي الْقِتَالِ ، وَهُوَ عَلَى قَرْنِهِ ، أَيِ مِثْلِهِ فِي السَّنِّ<sup>(٢)</sup> .

١٠ - ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ [ آية ١٤ ] .

أَيِ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ<sup>(٣)</sup> .

١١ - ثُمَّ قَالَ جَل وَعَز : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [ آية ١٥ ] .

---

(١) البيت للكميت استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٠٢ على أن معنى مقرن : ضابط ومطبق ، وذكره القرطبي ٦٦/١٦ بلفظ « أَشْرًا وَحَيْنًا » أي بطراً وجوراً ومعنى « حَيْنًا » أي هلاكاً كما في اللسان ، وأورد العجز دون الصدر ابن حجر في فتح الباري ٤٣٧/٨ .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : أَقْرَنَ لَهُ : أَيِ أَطَاقَهُ وَقَوَّيَ عَلَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرَنِينَ ﴾ أَيِ مَطْبِقِينَ ، وَفِي الْمَصْبَاحِ أَقْرَنْتُ الشَّيْءَ إِقْرَانًا : أَطَقْتُهُ وَقَوَّيْتُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَرْوِيٌّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَتَادَةَ ، وَالسَّيِّدِي ، وَابْنِ زَيْدٍ ، كَمَا حَكَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ ٧/٢٠٧ قَالَ « مَقْرَنِينَ » أَيِ مَطْبِقِينَ ، قَالَ الْمَفْسُورُونَ : وَمَا كُنَّا قَادِرِينَ وَلَا مَطْبِقِينَ لِرُكُوبِهِ لَوْلَا تَسْخِيرُهُ تَعَالَى لَنَا .

(٣) عبارة الطبري أوضح حيث قال ٥٥/٢٥ ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ أَيِ : وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِنَا لَصَائِرُونَ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قال قتادة : ﴿ جُزْءٌ ﴾ : أي عِذْلًا<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : والمعنى على قولهم أنهم عبدوا الملائكة ، فجعلوا لله جل وعزَّ شَبْهاً ومِثْلاً .

وقال عطاء : ﴿ جُزْءٌ ﴾ : أي نصيباً وشِركاً<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذا أبينُ كما يُقال : هذا جزءُ فلانٍ ، وقيل لهم هذا ، لأنهم جعلوا الملائكة بناتِ الله ، هذا قول مجاهد .

ومعنى ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ : قالوا هذا ووصفوه<sup>(٣)</sup> .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [ آية ١٨ ] .

---

(١) الطبري عن قتادة ٥٦/٢٥ والقرطبي ٦٩/١٦ والبحر المحيط ٨/٨ ولفظه وقال قتادة : « جُزْءٌ » أي نِدًّا وذلك هو الأصنام .

(٢) الطبري ٥٥/٢٥ وعزاه إلى مجاهد والسدي ولفظه : جعلوا لله وَلَدًا وبناتٍ من الملائكة ، واختاره الطبري ورجحه ابن كثير لقوله تعالى بعده ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ ؟ قال ابن كثير ٢٠٩/٧ : وكذلك جعل المشركون له من قسمي البنات والبنين ، أحسَّهما وأردأهما وهو البنات كما قال سبحانه ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ ؟ وقال ههنا ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ ؟ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار ، ثم ذكر تعالى تمام الإنكار فقال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ . اهـ . فما رجحه المصنف من قول عطاء ومجاهد هو الأظهر والله أعلم .

(٣) أي وصفوه بصفات الخلقين ، فزعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال ابن عباس : يعني النساء ، جُعِلَ رُيُوثُهُنَّ غَيْرَ زَيٍّ  
الرجال (١) .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون المعنى : أَوْ مَن يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ  
يجعلون لله جُلَّ وَعَزَّ نصيباً ؟ .

ويجوز أن يكون : في موضع رفع (٢) .

١٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [ آية ١٨ ] .

قال قتادة : قُلَّ مَا تَكَلَّمَتِ امْرَأَةٌ وَلَهَا حُجَّةٌ ، إِلَّا جَعَلَتْهَا  
عليها (٣) .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٥٧/٢٥ والقرطبي ٧١/١٦ عن ابن عباس ، وقال الحافظ ابن كثير  
٢١٠/٧ ﴿ أَوْ مَن يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ ﴾ أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلّي ، منذ تكون  
طفلة ، وإذا خاصمت فلا عبارة لها ، بل هي عاجزة عيئة ، أو من تكون هكذا تنسب إلى  
جناب الله عز وجل ؟ فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنى ، فيكمل نقص  
ظاهرها بلبس الحلّي ، وما في معناه :

وَمَا الْحَلِيُّ إِلَّا زِينَةٌ مِّنْ تَقْصِصَةٍ      يُتِمُّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصُرَا  
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مُؤَقَّرًا      كَحُسْنِكَ ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

(٢) هذا قول الفراء كما في معانيه ٢٩/٣ قال : فَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ « مَنْ » فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى  
الاستئناف ، وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَهَا عَلَى إِضْمَارِ فَعَلٍ « يَجْعَلُونَ » . اهـ .

أقول : على الرفع يكون الكلام على الابتداء ، والخبر مضمّر تقديره : أو من كان على هذه  
الحالة يستحقّ العبادة ؟ وعلى النصب يكون التقدير : وجعلوا لله من يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٧/٢٥ والقرطبي ٧٢/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٥/٦ .

١٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً ۖ ۞ ﴾ [ آية ١٩ ] .

﴿ جَعَلُوا ﴾ هنا بمعنى : وصّفوا ، وهذا من وجوه « جَعَلَ » التي ذكرها الخليل ، وسيبويه ، كما تقول : جعلت فلاناً أعلم الناس أي وصفته بهذا<sup>(١)</sup> .

١٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [ آية ٢٠ ] .  
هذه آيةٌ مشكّلةٌ ، وقد تكلم فيها العلماء .

أ — فمن أحسن ما قالوا أن قوله عز وجل ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ مردودٌ إلى قوله ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً ۖ ۞ ﴾ .

فالمعنى : إن الله جلّ وعز لم يرّد عليهم قولهم ﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ وإنما المعنى : ما لهم بقولهم : الملائكة بنات الله من علم ، وما بعده يدلّ على أن المعنى على هذا ، لأن بعده ﴿ أَمْ

---

(١) هذا قول الزجاج كما قال في لسان العرب ﴿ وجعلوا الملائكة ﴾ قال الزجاج : الجعل هنا بمعنى القول ، والحكم على الشيء ، كما تقول : قد جعلت زيدا أعلم الناس أي قد وصفته بذلك وحكمت به . اهـ . وانظر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٦/٧ ومعاني الزجاج ٤٠٧/٤ .

آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ ﴿ أَيُّ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ كِتَاباً فِيهِ هَذَا ﴾ (١) ؟

ب — وفي الآية قول آخر ، وهو أَنْ مَعْنَى ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ مَا لَهُمْ عَذْرٌ فِي هَذَا ، لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ عَذْرٌ لَهُمْ ، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ (٢) ، فَالرَّدُّ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى ، وَقَوْلُهُ ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً ﴾ (٣) .

١٦ — وَقَوْلُهُ جَل وَعَزْ : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ .. ﴾

[ آية ٢٢ ] .

(١) توضيح هذا أن الله تعالى حكى عن كفار العرب ثلاثة أقوال شنيعة :

الأول : أنهم نسبوا إلى الله النسل والذرية .

الثاني : أنهم نسبوا إليه — تقدست أسمائهم — البنات دون البنين .

الثالث : أنهم حكموا على الملائكة الأبرار الأطهار أنهم إناث ، دون دليل ولا برهان .

فكذبهم القرآن ورد عليهم ذلك السفه والبهتان فقال ﴿ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ؟ ثم زادوا في الضلال والجهل ، فزعموا أَنَّ ذَلِكَ بِرِضَى اللَّهِ ، فَقَالُوا عَلَى سَبِيلِ السَّخِرَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ كَمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ أَيُّ مَا عَبَدْنَا هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ وَلَا تِلْكَ الْأَوْتَانِ ، وَلَمَا كَانَتْ عِبَادَتُنَا وَاقِعَةً بِمَشِيقَةِ اللَّهِ فَهُوَ رَاضٍ بِهَا .. إلخ. فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ لَا يَخْرُصُونَ ﴾ أَيُّ لَيْسَ عَنْدهُمْ حُجَّةٌ وَلَا بَرَهَانٌ ، هَذَا الزَّعْمُ الْكَاذِبُ ، وَإِنَّمَا هُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ ، وَيَتَقَوَّلُونَ عَلَيْهِ . اهـ .

(٢) احتج المشركون بحجة واهية ، وهي أنهم قالوا : إِنَّمَا عَبَدْنَا الْمَلَائِكَةَ وَاتَّخَذْنَاهُمْ إِنْثَاءً ، بِرِضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ رَاضِيًا عَنْ عِبَادَتِهَا ، لَعَجَّلَ لَنَا الْعُقُوبَةَ .. إلخ. فَجَعَلُوا إِمْهَالَ اللَّهِ ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ ، دَلِيلًا عَلَى رِضَاهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ الْآيَةِ .

(٣) أي هذه الآية أيضاً تدل على الرَّدِّ فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً ﴾ سَخِرَتْ بِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ بِمَا يَزْعُمُونَ ، فَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا مُسْتَدْتِدَ مِنْ عَقْلٍ أَوْ نَقْلِ .

وقرأ مجاهد ، وعمر بن عبد العزيز ﴿ عَلَى إِمَّةٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

قال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد .

قال أبو جعفر : المعروف في اللغة ، أن « الإِمَّة » بالكسر :  
الطريقة من الدين والمذهب ، كما قال :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً

وَهَلْ يَأْتِمُنْ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ<sup>(٢)</sup>

والإِمَّةُ : السُّنَّةُ وَالْمِلَّةُ<sup>(٣)</sup> ، وقد يكون لها غير هذا المعنى ، وقد  
تكون الإِمَّةُ بمعنى المُلْكِ ، والتَّمام كما قال :

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَّةِ وَارْتَهَمُوا هُنَاكَ الْقُبُورَ<sup>(٤)</sup>

---

(١) هذا خلاف لغوي في كسر الهمزة وضمها في ( أمة ) قال الشوكاني ٥٥١/٤ : قرأ الجمهور ﴿ أمة ﴾ بضم الهمزة ، وقرأ مجاهد وقتادة بكسرها .

(٢) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه ص ٣٥٠ وهو في الصحاح ، واللسان مادة « أم » وفي الدر المنثور ١٥/٦ وتفسير القرطبي ٧٥/١٦ وفتح القدير ٥٥١/٤ للشوكاني .

(٣) قال الجوهري : والإِمَّةُ الجماعة ، والطريقة والدين يقال : فلان لا أمة له ، أي لا دين ولا نخلة له ، وقوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة ﴾ أي خير أهل دين ، والإِمَّة بالكسر : النعمة ، وهي لغة في الأمة ، وهي الطريقة والدين . اهـ . من الصحاح .

(٤) البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه ص ٨٩ وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ٣٠/٣ واللسان مادة ( أم ) والطبري ٦٠/٢٥ والقرطبي ٧٤/١٦ والشوكاني ٥٥٢/٤ قال الفراء : وكأنَّ « الإِمَّة » الطريقة من أمت القوم ، فإن العرب تقول : ما أحسن إِمَّتَه ، وعِمَّتَه ، وجلستَه — أي إمامته — والإِمَّة أيضاً المُلْكُ والنعيم ، وذكر البيت .



وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ على مِلَّةٍ<sup>(١)</sup> .

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [ آية ٢٢ ] .  
يجوز أن يكون خبراً بعد خبر<sup>(٢)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : مهتدون على آثارهم .

١٨ — ثم أخبر جل وعز أن الأنبياء قبله قد قيل لهم مثل هذا فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ، إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [ آية ٢٣ ] .  
ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> .. ؟ [ آية ٢٤ ] .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٦٠/٢٥ عن مجاهد وينحوه في الدر المنثور ١٥/٦ والمراد : إنا وجدنا آبائنا على دين وملة ونحن ماشون على طريقتهم ، مهتدون بآثارهم ، قال القرطبي ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ أي نهتدي بهم ، وفي الآية الأخرى ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ أي نقفدي بهم ، والمعنى واحد ، وفي الآية دليل على إبطال التقليد ، لزمهم على تقليد آبائهم ، وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول ﷺ .

(٢) أي الجملة كلها في موضع رفع ، خبر ثاني ، والخبر الأول جملة ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ وعلى التقدير الثاني ، يكون الجار والمجرور متعلقاً بقوله ﴿ مهتدون ﴾ كما قدره المصنف .

(٣) القراءة التي أوردها المصنف ﴿ قُلْ أُولُو جِحْتِكُمْ .. ﴾ على الأمر ، هي قراءة نافع ، وحمة ، والكسائي ، وقرأ ابن عامر ، وحفص ، عن عاصم ﴿ قَالَ أُولُو جِحْتِكُمْ ﴾ بالألف على الخبر ، وكلتا القراءتين من السبع ، وانظر النشر ٣٦٩/٢ .

المعنى : أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، أقمتُم على ما كان عليه آباؤكم<sup>(١)</sup> ؟

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [ آية ٢٦ ] .

وفي قراءة ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وَحَكَى الْفَرَاءُ أَنَّ قَوْمًا يَكْتُبُونَ الهمزة في كل موضع ألفاً<sup>(٣)</sup> .

فعلى هذا يُقرأ ﴿ بَرِيءٌ ﴾ وإن كان في السَّوَادِ بالألف ، ومن قرأ ﴿ بَرَاءٌ ﴾ قال في الاثنين ، والجميع ، بَرَاءٌ أيضاً ، بمعنى ذَوِي بَرَاءٍ .

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٠٨/٤ وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٩/٧ قال ومعنى الكلام : قل أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ، وإن جنتكم بأهدى منه ؟ فردُّوا على الأنبياء فقالوا ﴿ إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ قال ابن الجوزي : وفي هذه الآية إبطال القول بالتقليد . اهـ .

أقول : المعنى على قراءة ﴿ قال أولو جنتكم ﴾ أي قال كل نبي لقومه ، حين أنذرهم عذاب الله ، أتقتدون بآبائكم ، ولو جنتكم بدين أهدى وأرشد مما كانوا عليه ؟ وهذا تسفيه لهم وتجهيل ، حيث يقلدون آباءهم تقليداً أعمى دون نظر في الدليل ، وبذلك أقام عليهم النبي الحجة الدامغة .

(٢) ذكره الطبري ٦٢/٢٥ أن هذه القراءة قراءة عبد الله يعني ابن مسعود ، وذكر في البحر المحيظ ١١/٨ أنها قراءة الأعمش ، وهي لغة نجد .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠/٣ وهو على قوله مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والجمع ، فلا يثنى ولا يُجمع ولا يؤنث ، قال في الصحاح : تبرأت من كذا وأنا منه بَرَاءٌ ، وخلاء ، لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر في الأصل . اهـ .

٢٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴾ [ آية ٢٧ ] .

قال قتادة : أي خلقتني <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون استثناء من الأول .

وجوز أن يكون « إِلَّا » بمعنى « لَكِنْ » <sup>(٢)</sup> .

٢١ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴾ [ آية ٢٨ ] .

قال مجاهد : ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً ﴾ : لا إله إلا الله <sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : التوحيد ، والإخلاص في عَقِبِهِ <sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر في الطبري ٦٣/٢٥ والقرطبي ٧٦/١٦ .

(٢) يريد المصنف أن الاستثناء في الآية ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ استثناء منقطع بمعنى « لكن » والتقدير : إنني بريء مما تعبدون ، لكن ربي الذي خلقتني وأنشأني ، فهو الذي أعبد ، وهو الذي يرشدني ويهديني إلى الدين الحق ، والطريق المستقيم ، وهذا على أنهم ما كانوا يعبدون إلا الأوثان ، ويصح أن يكون الاستثناء متصلاً إن كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه الأوثان ، والأظهر أنه منقطع لأن قوم إبراهيم ، ما كانوا يعرفون الله حتى يعبدوه ، وإنما كانوا عبدة الكواكب والأصنام .

(٣ — ٤) انظر الآثار في الطبري ٦٣/٢٥ وابن كثير ، والبحر المحيط عن مجاهد قال : الكلمة هي « لا إله إلا الله » وشهادة أن لا إله إلا الله ، لم يزل في ذريته من يقوها من بعده . اهـ . ونقله في البحر المحيط ١٢/٨ عن قتادة ومجاهد والسدي قال : الكلمة « لا إله إلا الله » وإن لم يجر لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها ، وقال ابن كثير ٢١٢/٧ : أي هذه الكلمة وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي « لا إله إلا الله » أي جعلها دائمة في ذريته ، يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وروي نحوه عن ابن عباس . اهـ .

وقال مجاهد : في وَلَدِهِ (١) .

قال قتادة : لا يزال من وَلَدِ إبراهيم ﷺ ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ جَلًّا وَعِزًّا ، إلى يوم القيامة (٢) .

وقوله جَلُّ وَعِزُّ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى دينك ودين إبراهيم صلى الله عليهما ، إذ كانوا من وَلَدِهِ .

٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [ آية ٣١ ] .

قال ابن عباس : القريتان : « مكة » و « الطائف » (٣) .

---

(١-٢) راجع التعليق السابق .

(٣) اتفق المفسرون على أن المراد من القريتين « مكة » و « الطائف » وهذا أمر لا خلاف فيه ، إنما الخلاف فيمن قصدهم المشركون من العظماء ، والراجح ما قاله قتادة أنه « الوليد بن المغيرة المخزومي » من مكة لأنه كان سيداً عظيماً من سادة مكة ، و « عروة بن مسعود الثقفي » من عظماء أهل الطائف ، وعلى هذا القول أكثر المفسرين ، وهو الذي رجحه المصنف .

أقول : استبعدت قريش أن ينزل القرآن على محمد ، وهو فقير يتيم ، واقترحوا أن ينزل على أحد العظماء ، في مكة أو الطائف ، من ذوي الثروة والجاه ، ظناً منهم أن العظيم هو الذي يكون له مال وجاه ، وفاتهم أن العظمة الحقيقية هي عظمة النفس ، وصفاء الروح ، ورجاحة العقل ، ومن أعظم نفساً ، وأسمى روحاً ، وأرجح عقلاً ، من محمد بن عبد الله ، الذي فاق جميع الخلق في هذه المزايا ، صلوات الله وسلامه عليه ؟ ولهذا جاءهم الرد المفحم ﴿أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فإذا كان أمر المعيشة وهو تافه حقير ، لم يتركه الله لأهوائهم ومشتياتهم ، فكيف يترك لهم أمر النبوة والرسالة ، وهو أمر عظيم خطير ؟ فالآية تسفيه لعقولهم وتجهيل ، إذ من غير المعقول أن يتولى الله أمر المعيشة فيقسمها بين عباده بنفسه ، ويترك أمر الرسالة والنبوة لأهوائهم الفاسدة ؟

**قال قتادة : الرجلان :** « أبو مسعود الثقفي » واسمه عُرْوَةُ بن مسعود ، من أهل الطائف ، و « الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي » من أهل مكة .

**قال مجاهد :** الرجلان « عُتْبَةُ بن ربيعة » من أهل مكة ، وأبو مسعود الثقفي واسمه « عُمَيْر بن عَمْرُو بن مسعود » .

**قال أبو جعفر :** رُوي هذا عن جماعةٍ ثقاتٍ ، منهم « ابن جريج » و « ابن أبي نجیح » .

**وروي ذلك عن قتادة الثقات أيضاً ،** إلا أنَّ قول قتادة أشبه بالصَّواب ، لأنَّ مَعْمَرًا رَوَى عنه أنه قال : قال الوليد بن المغيرة : لو كان ما يقول مُحَمَّدٌ حقًا ، أنزل عليَّ ، أو على أبي مسعود الثقفي <sup>(١)</sup> !!  
فخبر قتادة بسبب نزول الآية <sup>(٢)</sup> .

---

(١) مما يؤيد أنه « الوليد بن المغيرة » أن المشركين كانوا يقولون عنه « رجحانة قريش » وهو الذي كان صدرًا مقدّمًا فيهم ، يرجعون إلى رأيه ، ويستشيرونه في كثير مما أشكل عليهم ، وكان موسعاً عليه في أمر العيش والرزق ، وفيه نزل ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً . وبين شهوداً .. ﴾ إلى قوله تقدست أسماؤه ﴿ إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر .. ﴾ الآيات .

(٢) إنما كان قول قتادة أرجح وأظهر ، لأنه تأيّد بسبب النزول ، فقد روى المفسرون أن الوليد بن المغيرة كان يقول : « لو كان ما يقول محمد حقاً ، لنزل هذا القرآن عليّ ، أو على عروة بن مسعود .. إلخ . ذكره في البحر المحيط ١٣/٨ فهذا يرجح ما ذهب إليه المصنف .

قال أبو العباس<sup>(١)</sup> : التقدير في العربية : على رجلٍ من رَجُلَيْنِ من القريتين .

قال أبو جعفر : حقيقةُ التقدير في العربية : على رجلٍ من رَجُلَيِ القريتين ، كما قال سبحانه ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

٢٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ [ آية ٣٢ ] .

أي كما قسمنا بينهم الأرزاق ، وفضلنا بعضهم على بعض ، كذلك فضلنا بعضهم على بعض بالاصطفاء بالرسالة .

٢٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا .. ﴾ [ آية ٣٢ ] .

أي ليكون بعضهم لبعض خَوَلاً<sup>(٣)</sup> ، و « سُخْرِي » و « سِخْرِي » واحد<sup>(٤)</sup> .

(١) هو الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٢) في الآية مجازٌ بالحذف أي على رجلٍ من رَجُلَيِ القريتين ، فحذف المضاف « رَجُلَيِ » فصار اللفظ ﴿ على رجلٍ من القريتين ﴾ أي على رجلٍ عظيمٍ كبير ، في إحدى القريتين : مكة ، أو الطائف ، واستشهد المصنف بالآية ﴿ واسألِ القرية ﴾ أي أهل القرية ففيها حذف المضاف .

(٣) خَوَلاً أي خدماً قال في المصباح : والخَوَلُ مثل الخَدَم والحَشَم وزنٌ ومعنى . اهـ .

(٤) يُقال في اللغة « سِخْرِيًّا » و « سُخْرِيًّا » بكسر السين وضمها ، كذا في المصباح المنير ، قال في البحر ١٣/٨ : وهو من التسخير بمعنى الاستخدام وليس من السخرية بمعنى الهزء . اهـ . والمراد من الآية أن يكون كل واحد مسخراً للآخر ، يخدم بعضهم بعضاً ، لينتظم أمر الحياة ، ولو كان الناس كلهم أغنياء لتعطلت مصالح العباد ، فسبحان المدبّر الحكيم .

ثم أخبر جل وعز أن ما عنده من الرحمة خير فقال  
﴿ وَرَحْمَةٌ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [ آية ٣٢ ] .

وقرأ الحسن : ﴿ تَجْمَعُونَ ﴾ بالتاء<sup>(١)</sup> .

٢٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾  
[ آية ٣٣ ] .

في معنى الآية قولان :

قال الحسن وقتادة : لولا أن يكفر الناس جميعاً ، لفعلنا  
هذا<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا القول : لولا أن يميل الناس إلى  
الدنيا فيكفروا ، لأعطينا الكافر هذا ، لهوان الدنيا على الله عز وجل .  
والقول الآخر — قاله الكسائي — قال : المعنى : لولا إرادتنا

(١) قراءة الجمهور بالياء ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ولم أعتز على قراءة الحسن ، فيما ذكره القراء والمفسرون .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٨/٢٥ وفي البحر المحيط ١٤/٨ وابن كثير ٢١٣/٧ وذكر أنه قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ، وذكره القرطبي ٨٤/١٦ ولفظه : قال الحسن : لولا أن يكفر الناس جميعاً ، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة ، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه ، لهوان الدنيا عند الله عز وجل ، قال : وعلى هذا أكثر المفسرين ابن عباس ، والسدي ، وقتادة وغيرهم . اهـ .

أن يكون في الكفار غني وفقر ، وفي المسلمين مثل ذلك ، لأعطينا الكفار من الدنيا هذا ، لهوانها على الله جل وعز (١) .

قال الفراء : يجوز أن يكون معنى ﴿ لِيُؤْتِيَهُمْ ﴾ على بيوتهم .

قال أبو جعفر : روى سفيان عن إسماعيل عن الشعبي  
﴿ سُقِفًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ قال : جُزْوعًا ، ﴿ وَمَعَارِجَ ﴾ قال : دَرَجًا (٢)  
﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ قال : يَصْعَدُونَ .

(١) هذا القول ضعيف ، وهو قول لبعض علماء اللغة ، لم يذكره المفسرون ، والراجح القول الأول ، وهو ما قاله الجمهور ، لأن الآية وردت في معرض بيان حقارة الدنيا ، وهوانها على الله عز وجل ، ومعنى الآية كما ذكره المفسرون : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أي لولا أن يرغب الناس في الكفر ، ويجمعوا عليه ، إذا رأوا الكافر في سعة من العيش والرزق ، ويصبروا أمة واحدة في الكفر ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾ أي لخصصنا هذه الدنيا بالكفار ، ونعمناهم فيها ، فجعلنا لهم القصور الفخمة ، المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش ، سقفا وأبوابها وسررها من الفضة والذهب ، وجعلنا لهم مصاعد ، وسلام يرتقون ويصعدون عليها ، من الذهب والفضة ، ثم قال ﴿ وليبوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً ﴾ أي جعلنا للكفار الأسرّة المزخرفة بالذهب وأنواع الياقوت وكذلك الأبواب ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ أي وليس كل هذا التمتع إلا شيء قليل حقير بالنسبة إلى ما أعدّه الله للمتقين الأبرار ، ولكنه تعالى رحيم بالعباد ، فلذلك أغنى بعض الكفار وأفقر بعضهم ، خشية أن يفتن المؤمنون إذا رأوا الكفار في هذا التمتع الكبير ، والرفاهية والسعادة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣١/٣ .

(٣) هذا قول الجمهور أن المعارج هي الدرج ، واحدها معراج وهو السلم ، والجميع معارج ومعارج ، قال ابن عباس : المعارج درج يصعدون عليها إلى الغرف ، قال الشاعر : يا رب رب البيت ذي المعارج . اهـ . من الطبري ٧٠/٢٥ .



وقرأ جماعة : ﴿ سَقْفًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> وأنكر هذه القراءة بعض أهل اللغة ، وقال : لو كان كذا لقال « عليه » .

قال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، لأنه يجوز أن يكون « عليها » للدرج <sup>(٢)</sup> .

٢٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَيُوتِيهِمْ أَبْوَابًا ﴾ [ آية ٣٤ ] .

أي من فضة ، ﴿ وَسُرُرًا ﴾ أي من فضة ﴿ وَزُخْرَفًا ﴾ .

روى شعبة عن الحكم عن مجاهد قال : « كنت لا أدري ما معنى ﴿ وزخرفاً ﴾ حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ وَذَهَبًا ﴾ <sup>(٣)</sup> !!

قال أبو جعفر : في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى : وجعلنا لهم زخرفاً أي غنى .

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ سَقْفًا ﴾ بالإنفراد ، وقرأ الجمهور ﴿ سَقْفًا ﴾ بالجمع ، وكلا القراءتين سبعية ، ولا يعتد بإنكار أهل اللغة لها ، طالما ثبتت القراءة عن رسول الله ﷺ ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٥ .

(٢) هذا هو الظاهر أن المراد بقوله ﴿ عليها يظهرون ﴾ أي على المصاعد والدرج ، يرتقون ويصعدون ، يقال : ظهرت على البيت ، أي علوته ، وارتقيت سطحه . اهـ . القرطبي ٨٥/١٦ .

(٣) لم ترد هذه في القراءات — حتى ولا في الشاذة — وهي محمولة على التفسير ، لأن جمهور المفسرين قالوا : الزخرف : الذهب ، قال الطبري ٧١/٢٥ : ﴿ وزخرفاً ﴾ أي وجعلنا مع ذلك زخرفاً وهو الذهب . اهـ .

والآخر : أنَّ المعنى : مِنْ فضةٍ ، ومن زخرفٍ ، ثم حذف  
« مِنْ » ونصب<sup>(١)</sup> .

٢٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا  
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [ آية ٣٦ ] .

روى سعيد عن قتادة قال : ﴿ يَعِشُ ﴾ : يُعْرِضُ<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عبيدة : ﴿ يَعِشُ ﴾ : تُظْلِمُ عينه<sup>(٣)</sup> .

وروى عكرمة عن ابن عباس : يَعِمَى<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : يجبُ على قول ابن عباس ، أن تكون القراءة  
﴿ وَمَنْ يَعِشْ ﴾ بفتح الشين<sup>(٥)</sup> .

---

(١) هذا الوجه أظهر وهو المختار ، قال في البحر المحيط ١٥/٨ : ويجوز أن يكون الأصل : جعلنا لهم  
سُقُفًا من فضة وزخرف ، أي بعضها من فضة ، وبعضها من ذهب ، فنصب عَطُفًا على محل  
﴿ من فضة ﴾ قال : والزخرف : الذهب هنا . اهـ .

(٢) — (٤) كل هذه الآثار وردت عن السلف ، وذكرها المفسرون ، الطبري ٣١٥/٢٥ والقرطبي  
٩٠/١٦ وابن الجوزي ٣١٥/٧ وقد جمع ابن كثير هذه الأقوال فقال في تفسير الآية ﴿ ومن  
يعش عن ذكر الرحمن ﴾ أي يتعامى ويتغافل ويعرض ، نقيض له من الشياطين من يُضِلُّه ،  
قال : والعشى في العين : ضعف بصرها ، والمراد ههنا عَشَى البصيرة . اهـ . قال الزمخشري  
٤٢٠/٣ يَعِشُ بفتح الشين : إذا حصلت الآفة في عينه ، ويعشو بضم الشين : إذا نظر نظرة  
الأعشى ، وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمي وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم :  
يتجاهل ويجهل مع معرفته بالحق ، وهو عبارة عن الغفلة وإهمال النظر . اهـ .

(٥) هذه قراءة يحيى بن سلام كما في البحر المحيط ١٥/٨ وانظر زاد المسير ٣١٥/٧ والقرطبي  
٨٩/١٦ وذكر أنها قراءة ابن عباس وعكرمة .

وأما قول قتادة ﴿يَعِشُ﴾ يُعْرِضُ ، وهو قول الفراء<sup>(١)</sup> ، فغير معروف في اللغة ، إنما يُقال : عَشَا يَعْشُو : إذا مشى ببصر ضعيف<sup>(٢)</sup> ، قال الحطيئة :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ  
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ<sup>(٣)</sup>

ونظير هذا : عَرَجَ الرجلُ يَعْرِجُ ، أي مشى مشية الأعرج .  
وعَرَجَ يَعْرِجُ : صَارَ أَعْرَجَ .

وأصح ما في هذا قولُ أبي عبيدة<sup>(٤)</sup> ، قال الله جل وعزَّ

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٢/٣ ولفظه : ﴿وَمَنْ يَعِشُ﴾ يريد ومن يُعرض عنه ، ومن قرأها ﴿وَمَنْ يَعِشُ﴾ يريد : يَغْم عنه . اهـ.

(٢) هذا قول الخليل فقد قال : الْعَشُو : هو النظر ببصر ضعيف ، وفي المصباح : عَشِيَّ يَعِشِي من باب تعب : ضَعَفَ بَصْرُهُ ، فهو أَعَشَى والمرأة عشواء ، وفي الصحاح : العشا مقصور مصدر الأعشى ، وهو الذي لا يبصر بالليل ويُبصر بالنهار ، والمرأة عشواء ، وأعشاه الله فعشيَّ عَشِيَّ ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخط بيديهما كل شيء . اهـ.

(٣) ديوان الحطيئة ص ١٦١ وشواهد سيبويه ص ٨٠ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٤/٢ واللسان والصحاح ، وخزانة الأدب للبغدادى ٩٠/٩ وقد ورد فيه وفي تفسير الطبري ٧٢/٢٥ بلفظ : مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ حَطْبًا جَزْلاً وَنَاراً تَأْجَجُهَا قال البغدادى في الخزانة ٩٠/٩ : وما أنشده الشارح مركب من بيتين سهواً ، فصدده للحطيئة ، وعجزه لابن الحر . اهـ.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٤/٢ ولفظه ﴿وَمَنْ يَعِشُ﴾ تُظلم عينه عنه ، كأن عليها غشاوة .

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ..﴾ (١) .

وفي الحديث : أن سعيد بن المسيب ذهب إحدى عينيه ، وكان يَعْشُو بالأخرى ، أي يُبصر بها بَصَرًا ضعيفاً (٢) .

٢٨ — وقوله جل وعز : ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [ آية ٣٦ ] .

قيل : جزاءً على ما فعل (٣) .

وقال سعيد الجُرَيْرِيُّ (٤) في قوله تعالى ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾

قال : بلغنا أن الكافر إذا خرج من قبره ، سَفَعَ شيطانٌ بيده ، فلا يزال معه ، حتى يدخله الله عز وجل النار ، فذلك قوله جل وعز ﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ ويؤكد بالموئن مَلَكٌ فلا يزال معه ، حتى يقضي الله بين الخلق ، أو يصير إلى

(١) سورة الكهف آية رقم ١٠١ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٥/٧ باللفظ نفسه ، وكذلك ذكره ابن الأثير في النهاية ٢٤٣/٣ .

(٣) هذا تعليل لتسليط الشيطان ، وليس بتفسير لقوله ﴿نُقِضَ﴾ وقد أوضح هذا أبو حيان في البحر المحيط ١٦/٨ فقال : أي يُبْسَرُ له الرحمن شيطاناً ويُعَدُّه له ، وهذا عقاب على الكفر بالحنم ، وعدم الفلاح كقوله تعالى ﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قَرْنَاءَ ..﴾ الآية .

(٧) هو سعيد بن إلياس الجُرَيْرِيُّ بضم الجيم قال في تقريب التهذيب ٢٩١/١ هو أبو مسعود البصري ، ثقة من الخامسة اختلط قبل موته بثلاث سنين ، ومات سنة ١٤٤ هـ . أقول : ذكر اسمه مصحفاً « سعيد الجزري » في الدر المنثور للسيوطي ، وصوابه ما ذكره ابن حجر .

ما شاء الله<sup>(١)</sup> .

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [آية ٣٧] .

أي وإن الشياطين ليصدون الكافر عن السبيل .  
﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أي ويحسب<sup>(٢)</sup> الكفار أنهم مهتدون .

٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾<sup>(٣)</sup> قال : الكافر وقرينه جميعاً .

قال أبو جعفر : وَيُقْرَأُ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾<sup>(٤)</sup> يُراد به الكافر في الظاهر ، والمعنى لهما جميعاً ، لأنه قد عُرف ذلك بما بعده ، كما قال :

---

(١) الحديث أخرجه ابن المنذر ، وعبد الرزاق ، وابن جرير في جامع البيان ٧٤/٢٥ وذكره بلفظ السيوطي في الدر المنثور ١٧/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٦ ومعنى سفع شيطان بيده أي أمسك وأخذ بيده ، وانظر الصحاح مادة سفع .

(٢) ورد في المخطوطة ﴿ويحسبون﴾ أي ويحسبون الكفار ، وهو خطأ من الناسخ لأن الفعل تقدم على الفاعل فيقال : ويحسب الكفار ، إلا على لغة رديئة يجمع الفعل إذا تقدم على الفاعل ، وهي لغة «أكلوني البراغيث» .

(٣ — ٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، بالتثنية ﴿جاءَنَا﴾ وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص بالإفراد ﴿جَاءَنَا﴾ وكلا القراءتين من السبع ، كما في النشر لابن الجزري ٣٦٩/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٨٦ والبحر المحيط ١٦/٨ .

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بَدْرَةٌ

شُقَّتْ مَا قِيَهُمَا مِنْ أُخْرٍ<sup>(١)</sup>

٣١ - وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾

[ آية ٣٨ ] .

في معناه قولان :

أحدهما : أنه يراد « مشرق الشتاء » و « مشرق الصيف »<sup>(٢)</sup> .

والآخر : أنه يُراد المشرق والمغرب<sup>(٣)</sup> ، فجاء على كلام العرب ،

لأنهم إذا اجتمع الشيئان في معنى ، غُلِبَ أحدهما ، كما قال الشاعر :

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ١٦٦ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٦ وهو في المنصف لابن جني ٨١/١ وأما ابن الشعري ١٢٢/١ والشاهد فيه أنه قال « وعَيْنٌ » وأراد بها العينين ، ولهذا ثَنَى « مَا قِيَهُمَا » .

(٢) هذا قول مقاتل ، وابن المسيب ، حكاهما عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٦/٧ والشوكاني في فتح القدير ٥٥٦/٤ والقول ضعيف .

(٣) هذا القول هو الأصح والأرجح ، وهو قول جمهور المفسرين : الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، والألوسي ، وغيرهم .. فالآية وردت على التغليب ، قال الفراء في معاني القرآن ٣٣/٣ : ﴿ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ أراد المشرق والمغرب فقال : المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب ، لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، فيقال : القمران للشمس والقمر ، والعمران لأبي بكر وعمر ، والبصرتان للكوفة والبصرة . اهـ . وهكذا ذكر الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، أن الآية من باب التغليب ، قال الحافظ ابن كثير ٢١٥/٧ : والمراد بالمشرقين هنا هو : ما بين المشرق والمغرب ، وإنما استعمل ههنا تغليباً ، كما يُقال : القمران ، والعمران ، والأبوان . اهـ .

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ  
لَنَا قَمَرَاهَا وَالتَّجُومُ الطَّوَالِعُ<sup>(١)</sup>

وأنشد أبو عبيدة بيت جرير :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فَعَلَهُمْ  
وَالطَّيَّانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمْرُ<sup>(٢)</sup>

وأنشد سيويه :

« قَدَنِي مَنْ نَصَرَ الْخُبَيْبِ قَدِي »<sup>(٣)</sup>

يريد « عبد الله » و « مُصْعَباً » ابني الزبير ، وإنما « أبو  
خبيب » عبد الله .

(١) البيت للفرزدق كما في ديوانه ص ٥١٩ ورواه المبرد في الكامل ١٤٣/١ والطبري ٧٤/٢٥

والقرطبي ٩١/١٦ ومعاني القرآن للفراء ٣٣/٣ وتفسير ابن الجوزي ٣١٦/٧ .

(٢) في المخطوطة : « ما كان رسول الله يرضى فعلهم » والرواية بهذا الشكل خطأ ، وصوابه ما أثبتناه

بتقديم « يرضى » لوزن الشعر ، فإنه من بحر البسيط ، والبيت لجرير كما في ديوانه ص ٢٠١ وقد

ورد بلفظ « دينهم » بدل « فعلهم » وكذا ورد في جنى الجنتين للمحبي ص ٧٥ وقد ذكره

القرطبي في تفسيره ٩١/١٦ وعجزه : والعمران أبو بكر ولا عمر وهو بهذا اللفظ من باب

التغليب ، لأنه قصد بالعمرين : أبا بكر ، وعمر ، وأما على رواية المصنف ، فليس فيه تغليب ،

والله أعلم .

(٣) هذا شطر من بيت لحُميد بن مالك الأرقط ، وقامه « ليس الإمام بالشحيح المُلحد » ومعنى :

قَدَنِي : حَسْبِي ، وأراد بالخُبَيْبِ « عبد الله بن الزبير » لأنه كان يُكنى « أبا خبيب » وأخاه

« مصعب بن الزبير » فأورده على التغليب ، وانظر شواهد المغني ٤٨٧/١ والقرطبي ٩١/١٦ .

وفي الحديث أن أصحاب الجمل ، قالوا لعلّ بن أبي طالب عليه السلام : أَعْطَيْنَا سُنَّةَ الْعُمَرَيْنِ ، يعنون : أبا بكر ، وعمر .

٣٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [ آية ٣٩ ] .

المعنى : إن الله عز وجل حَرَّمَ أَهْلَ النَّارِ ، هذا المقدار من الفرح ، وهو النَّاسِي ، وهو أن ذا البلاء ، إذا رأى من قد سَاوَاهُ في المصيبة ، سَكَنَ ذَلِكَ مِنْ حَزَنِهِ <sup>(١)</sup> ، كما قالت الخنساء :

فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي  
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي  
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ  
أَعَزَّتْ نَفْسِي مِنْهُ بِالنَّاسِي <sup>(٢)</sup>

(١) قال في التسهيل ٥١/٤ : « هذا كلام يُقال للكفار في الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ، ولا يجدون راحة النَّاسِي ، التي يجدها المكروب في الدنيا ، إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه . اهـ . وكذا قال الألوسي في روح المعاني ٨٤/٢٥ .

(٢) البيتان للخنساء واسمها « تماضر بنت عمرو بن الحارث » وقد غلب عليها لقب الخنساء تشبيهاً بها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها ، والأبيات في رثاء أخيها صخر الذي قتل يوم كلاب سنة ٦١٥ م من قصيدة ذكرت في ديوانها ص ٨٤ وقبل هذين البيتين قولها :

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا      وَأَذْكُرُهُ لَكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ  
فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي ..

والشاهد في الأبيات أنها تعزّي نفسها بكثرة المصائب والمفجوعين الذين سيكون على إخوانهم ، ففي التعزية تسليّة .



٣٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾

[ آية ٤١ ] .

قال قتادة : ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النِّقْمَةُ ، وليس نبيُّ  
إلا قد رأى النِّقْمَةَ في أمِّته ، إلا محمداً ﷺ ، ولكنه أرى ما ينزل  
بأمِّته من بعده ، فما رُوي بعد ذلك ضاحكاً مُنبسطاً<sup>(١)</sup> .

٣٤ — وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ تُرِينَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ  
مُقْتَدِرُونَ ﴾ [ آية ٤٢ ] .

قيل : المعنى : الذي وعدناهم ، ووعدناك عليهم من النصر<sup>(٢)</sup> .

وقيل : الذي وعدناهم يرجع إلى قوله تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري عن قتادة ٧٥/٢٥ وابن كثير ٢١٦/٧ وفي المخطوطة « أرى النعمة »  
وصوابها : رأى النعمة كما في الطبري ٧٥/٢٥ وكذلك ورد في المخطوطة « ضاحكاً مستنشطاً »  
وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه في الدر المنثور للسيوطي ١٨/٦ ولفظه « فما رُوي ﷺ  
ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله عز وجل » وانظر تفسير ابن كثير ٢١٦/٧ .

(٢) هذا هو الأظهر في معنى الآية الكريمة ، فالله عز وجل قد وعد رسوله ﷺ بالنصر ، والانتقام له  
من أعدائه ، وقد حقق له ذلك ، حيث فتح له البلاد ، وخضعت له رقاب العباد ، قال ابن  
عباس : قد أراه الله ذلك يوم بدر وقال ابن كثير ٢١٥/٧ : المعنى : لا بد أن تنتقم منهم  
ونعاقبهم ، ولم يقبض الله تعالى رسوله ، حتى أقر عينه من أعدائه ، وحكمه في نواصبيهم ، هذا  
معنى قول السُّدي ، واختاره ابن جرير . اهـ .

رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ أَيُّ الَّذِي وَعَدْنَا الْمُتَّقِينَ ، مِنَ النَّصْرِ ، وَقَدْ  
نُصِرُوا ﴿٢﴾ .

٣٥ — وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [ آية ٤٣ ] .

قال قتادة : أَيُّ بِالْقُرْآنِ ﴿ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾  
قال : عَلَى الْإِسْلَامِ .

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قال : الْقُرْآنُ ﴿٣﴾ .

وروى محمد بن يوسف عن سفيان ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ  
وَلِقَوْمِكَ ﴾ قال : شَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿٤﴾ .

٣٦ — ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَسَوْفَ يُسْأَلُونَ ﴾ [ آية ٤٤ ] .

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٣٥ .

(٢) هذا القول مرجوح ، لأن الضمير في الآية يعود على المشركين المكذبين لرسول الله عليه السلام ، لا على المؤمنين ، وهذا ما اختاره ابن جرير حيث قال ٧٦/٢٥ : وهذا في سياق خبر الله عن المشركين ، فلأن يكون ذلك تهديداً لهم ، أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يجز له ذكراً . اهـ . وقال في البحر المحيط ١٨/٨ : أو نرينك العذاب الذي وعدناهم ، النازل بهم كيوم بدر « فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ » أي هم في قبضتنا لا يفوتونا ، وهذا قول الجمهور . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ٧٦/٢٥ والقرطبي ٩٤/١٦ وابن كثير ٧/٢١٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٧٦/٢٥ قال « وإنه لذكرك لك ولقومك » أي وإن هذا القرآن الذي أمرناك أن تستمسك به ، لشرف لك ولقومك من قريش . اهـ . وهذا قول جمهور المفسرين .

قال الفراء : أي وسوف تسألون عن الشكر عليه<sup>(١)</sup> .

٣٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [ آية ٤٥ ] .

قال أبو جعفر : هذه آية مشككة ، وفي معناها قولان :

روى أبو عَوَّاة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال :  
لَقِيَ الرَّسُلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ .

فهذا قول ، ومعناه : أنه سِيسرى بك ، وَتَلَقَّى الرَّسُلَ  
فاسألهم<sup>(٢)</sup> .

والقول الآخر : وهو قول « محمد بن يزيد »<sup>(٣)</sup> وجماعة  
العلماء ، أن في هذا المعنى التوقيف والتقرير ، والتوبيخ ، والمعنى :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٣٤ فقد قال والمعنى : وإنه لشرف لك ولقومك ، وسوف تسألون عن الشكر عليه . اهـ . وقال القرطبي ١٦/٩٣ : يعني القرآن شرف لك ، ولقومك من قريش ، إذ نزل بلغتهم ، وعلى رجل منهم ، نظيره ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي شرفكم ، فالقرآن نزل بلسان قريش ، وإياهم خاطب ، فاحتاج أهل اللغات كلهم إلى لسانهم ، كل من آمن بذلك ، فصاروا عيالاً عليهم ، فشرّفوا بذلك على سائر أهل اللغات . اهـ .

(٢) ذكر هذا القول الطبري ٢٥/٧٨ وعزاه إلى ابن زيد وقال : إن الرسل جمعوا له ليلة أسري به بيت المقدس ، فأثمهم وصلّى بهم ، فقال الله له : سلّمهم ، فكان أشدّ إيماناً بالله ، ويقيناً بما جاءه من الله أن يسألهم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩٩ عن سعيد بن جبير ، والألويسي في روح المعاني ٢٥/٨٦ .

(٣) هو الإمام المبرد رحمه الله من أجلة علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

وَأَسْأَلُ أُمَّمَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا<sup>(١)</sup> كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ أَي سَلْ مِنْ عَبْدِ الْمَلَائِكَةِ ، أَوْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَ ثَلَاثَةٍ ، أَوْ عَبْدٌ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، هَلْ وَجَدَ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ ، مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي كِتَابِ نَبِيِّ ، أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ ، فَفِي هَذَا مَعْنَى التَّقْرِيرِ ، وَالتَّوْبِيخِ ، وَالتَّوْقِيفِ ، عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا ، وَفَعَلُوا مَا لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وَيَصَحُّ هَذَا الْقَوْلُ ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحَكَمِ ، رَوَى عَنْ الضَّحَّاكِ قَالَ : وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ ﴿وَأَسْأَلُ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قَالَ : يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ<sup>(٣)</sup> .

رَوَى سَفِيَّانُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ

(١) عَلَى رَأْيِ الْإِمَامِ الْمُرِيدِ ، تَكُونُ الْآيَةُ مِمَّا حُذِفَ فِيهِ الْمُضَافُ ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ أَيِ اسْأَلِ أُمَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا .. إلخ. وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ كَمَا فِي مَعَانِيهِ ٣٤/٣ وَلَفْظُهُ : كَيْفَ أَمَرَ أَنْ يَسْأَلَ رَسُولًا قَدْ مَضَى ؟ فَفِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُخْبِرُونَهُ عَنْ كُتُبِ الرُّسُلِ ، الَّتِي جَاءُوا بِهَا ، فَكَأَنَّهُ سَأَلَ الْأَنْبِيَاءَ .

وَالثَّانِي : قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ سَيُسْرَى بِكَ يَا مُحَمَّدُ ، فَتَلْقَى الْأَنْبِيَاءَ ، فَسَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ .. إلخ. وَرَجَّحَ الطَّبْرِيُّ ٧٨/٢٥ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ آيَةُ رَقْمِ ٩٣ .

(٣) هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ ، مَحْمُولَةٌ عَلَى التَّفْسِيرِ ، لَا عَلَى أَنَّهَا قِرَاءَةٌ ، وَانْظُرْ مَا قَالَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ ٢١٧/٧ .

الله ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنَا ﴾ فهذه قراءة مفسرة (١) .

وقال قتادة : أي سأل أهل الكتاب ، أَمَرَ اللهُ إِلَّا بالتوحيد ، والإخلاص (٢) ؟

وزعم ابن قتيبة أن التقدير : واسأل من أرسلنا إليه من قبلك رسلاً من رسلنا ، فحذف « إليه » لأن في الكلام دلالة عليه ، وحذف « رسلاً » لأن ﴿ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ يدل عليه ، وزعم أن الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد المشركون (٣) .

٣٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [ آية ٤٩ ] .

يقال : كيف قالوا له ﴿ أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾ وقد قالوا ﴿ إِنَّا

---

(١) الطبري ٧٧/٢٥ وابن كثير ٢١٧/٧ ولفظه : « قال مجاهد : وفي قراءة ابن مسعود ﴿ واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رُسُلَنَا ﴾ وهكذا حكاه قتادة ، والضحاك ، والسدي ، عن ابن مسعود ، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة ، والله أعلم .

(٢) الأثر ذكره الطبري بنحوه عن قتادة ٧٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣١٩/٧ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي ٩٦/١٦ ولفظه : وقيل المعنى : واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، فحذف المضاف ، والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته .. ثم قال : وسبب هذا الأمر بالسؤال ، أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ : إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك ، فأمره الله يسأل الأنبياء ، على جهة التوقيف ، لا لأنه كان في شك . اهـ .

لَمْهْتَدُونَ ﴿ فيمَا يُسْتَقْبَلُ (١) ؟

قيل : إنهم لما قالوا له هذا — قبل أن يدعوه — عرفوه فنادوه

به .

وقيل : كانوا يسمُّون العلماء سَحَرَةً ، فالمعنى : يا أيُّها

العالم (٤) .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ مِنْ أَنَا إِنِّ  
آمَنَّا ، كَشَفَ عَنَّا الْعَذَابَ (٢) .

قال أبو جعفر : ويدلُّ على صحَّة هذا الجواب ، قوله تعالى  
﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ أي ينقضون العهد .

وروى سعيد عن قتادة ﴿ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ قال :

---

(١) توضيحه أن كلامهم هذا ظاهره التناقض ، فإن قولهم ﴿ يا أيُّها الساحر ﴾ يقتضي أنهم لا  
يصدِّقونه في دعوى الرسالة ، بل يكذبونه ، وقولهم ﴿ اذْغُ لَنَا رَبُّكَ ﴾ يدلُّ على الإيمان  
والتصديق ، بدليل قولهم ﴿ إِنَّا لَمَهْتَدُونَ ﴾ والجواب من ثلاثة وجوه :

الأول : أنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم أرادوا بقولهم ﴿ يا أيُّها الساحر ﴾ : يا أيُّها العالم ، وكان الساحر عندهم  
معظماً ، وهو قول ابن عباس واختاره الطبري ، وابن كثير ، وأكثر المفسرين ، قال ابن كثير  
٢١٧/٧ : « وكان علماء زمانهم هم السحرة ، ولم يكن السحر عندهم مذموماً ، فليس هذا على  
سبيل الانتقاص منهم ، وإنما هو تعظيم في زعمهم » . اهـ .

والثالث : أن هذا اسم ألَّفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم به ، فخاطبوه بما تعودوا  
مخاطبته به ، من غير اعتقاد معناه ، وهو قول الزجاج ٤١٤/٤ .

(٢) يدل على صحَّة قول مجاهد ما جاء في سورة الأعراف ﴿ ولما وقع عليهم الرجزُ ، قالوا يا موسى  
اذْغُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ، لَنَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾  
فمرادهم — بما عَهِدَ عِنْدَكَ — أي بما أوصاك وأخبرك به ، من كشف العذاب عنا إن آمنا .

يَعْدِرُونَ<sup>(١)</sup> .

٣٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؟

[ آية ٥١ ] .

قال الأخفش : في الكلام حذف ، والمعنى : أفلا تبصرون ؟ أم تبصرون ؟ كما قال :

فَيَا ظَبْيَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ  
وَبَيْنَ النَّقَا هَلْ أَنْتِ أُمُّ أُمٍّ سَالِمٍ<sup>(٢)</sup>

أي أنت أحسن أم أم سالم ؟

قال أبو زيد<sup>(٣)</sup> : العربُ تزيد ، والمعنى : أنا خير<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٨٠/٢ السيوطي في الدر المنثور ١٩/٦ والأولى ما ذكره القرطبي ٩٨/١٦ أن المعنى : إذا هم ينقضون العهد ، الذي جعلوه على أنفسهم ، لأن معنى النكت في اللغة : النقض .

(٢) البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ٧٦٧/٢ واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٩٩/١٦ وهو في شواهد سيبويه ص ١٤٢ ومعنى الوعساء : الرملة اللينة ، و « النقا » الكتيب من الرمل ، وجُلَاجِل : اسم مكان .

(٣) « أبو زيد » هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد كبار أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥ هـ وهو من ثقات اللغويين ، قال ابن الأنباري : كان سيبويه إذا قال : سمعتُ الثقة ، عني أبا زيد ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ .

(٤) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ أما أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ فعلى رأي أبي زيد تكون « أم » زائدة أي تأخير منه .

## وقيل المعنى : أَيْلُ (١) ؟

قال أبو جعفر : وأحسن ما قيل في هذه الآية — قول الخليل وسيبويه — أن المعنى : أفلا تبصرون ، أم أنتم بُصْرَاءُ ؟ ويكون ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ بمعنى أم أنتم خيرٌ (٢) ؟ لأنهم لو قالوا له : أنت خير ، كانوا عنده بصراء .

٤٠ — وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [ آية ٥٢ ] .

والمهين : القليل من المهانة (٣) .

(١) هذا قول أبي عبيدة كما في كتابه مجاز القرآن ٢٠٤/٢ قال : مجازها : بل أنا خير من هذا .. إلخ . وعلى هذا مثنى أكثر المفسرين ، على أن « أم » ليست حرف عطف ، وإنما هي منقطعة بمعنى « بل » وانظر جامع الأحكام ٩٩/١٦ .

(٢) هذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال في جامع البيان ٨١/٢٥ : « وقد اختلف في معنى « أم » في هذا الموضع فقال بعضهم معناها : بل أنا خير ، وقالوا ذلك خبر لا استفهام ، وهو قول السدي ، وقال بعضهم : هو من الاستفهام وفي الكلام محذوف تقديره : أنا خير من هذا الذي هو مهين ؟ أم هو ؟ ثم ترك ذكر « أم هو » لما في الكلام من الدليل عليه ، قال : وهذا أول التأويلات . اهـ . جامع البيان ٨٢/٢٥ .

(٣) في الصحاح مادة ( مَهَنَ ) : امْتَهَنْتُ الشَّيْءَ : ابْتَدَلْتُهُ ، وَامْتَهَنْتُهُ : أضعفْتُه ، وَرَجُلٌ مَهِينٌ : أَيْ حقير . اهـ . وقال النحاس في إعراب القرآن ٩٤/٣ : وفي معنى ﴿ مهين ﴾ قولان : قيل معناه : الذي يَمْتَنُّ نفسه في حاجاته ، ومعاشه ، ليس له من يكفيه . وقال الكسائي : المهين : الضعيف الدليل ، وقد مَهَنَ مهانةً ، وهذا أولاهما بالصواب .



روى سعيد عن قتادة : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ قال : عَمِي<sup>(١)</sup> .

وقيل : إنما هذا للثَّغَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهِ .

٤١ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ<sup>(٢)</sup> مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ

مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [ آية ٥٣ ] .

أي فهلاً أُلْقِيَ عليه أساورة من عند الله ، تدلُّ على أنه

رسول<sup>(٣)</sup> ١٩

و ﴿ أَسْوِرَةٌ ﴾ جمع إسوار ، وفي قراءة أبي وعبد الله ﴿ نَوَلَا

أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِيرُ ﴾<sup>(٤)</sup> وهو بمعنى الأول .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٢/٢٥ وابن كثير ٢١٨/٧ والدر المنثور ١٩/٦ قال الحافظ ابن كثير : وهذا الذي قاله فرعون — لعنه الله — كذب واختلاق ، وإنما حمّله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقيّة ، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة ، والبهاء في صورة يهر أبصار ذوي الألباب ، وقوله ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ افتراء أيضاً ، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل الله عز وجل أن يُحَلَّ عقدة لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله دعاءه ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا موسى ﴾ . اهـ . باختصار .

(٢) « أُسْوِرَةٌ » و « أَسْوِرَةٌ » من القراءات السبع ، والمصنف مثبته على قراءة الأكثرين ، قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٥٨٧ : « كلهم قرأ « أَسْوِرَةٌ » بالألف ، إلا عاصماً في رواية حفص ، فإنه قرأ « أُسْوِرَةٌ » بغير ألف ، وكذا ذكر ابن الجزري في النشر ٣٦٩/٢ .

(٣) قال مجاهد : كانوا إذا سَوَّدُوا رجلاً عليهم سُوْرُهُ بسوارين ، وطَوَّقُوهُ بطوق ذهب علامة على سيادته ، فلذلك قال فرعون ما قال .

(٤) قراءة ﴿ أَسَاوِيرُ ﴾ ليست من القراءات السبع ، إنما ذكرها بعض المفسرين ، الألويسي في روح المعاني ٩١/٢٥ وغيره فهي شاذة .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ قال قتادة : أي متتابعين (١) .

وقال مجاهد : أي يمشون معه معاً (٢) .

قال أبو جعفر : فاقترحوا هذا ، بعدما جاءهم ما يدل على نبوته .

٤٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [ آية ٥٤ ] .

أي استغفروهم (٣) .

٤٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ آية ٥٥ ] .

قال مجاهد وقاتدة : أي أغضبونا (٤) .

---

(١ — ٢) ذكرهما الطبري ٨٣/٢٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٢/٧ والأظهر قول مجاهد وقد رجحه ابن كثير فقال : أي جاءوا يكتنفونه خدمة له ، ويشهدون بتصديقه .

(٣) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٣٥/٣ والأظهر أن المعنى استجهل قومه ، واستخف عقولهم كما ذكره القرطبي وابن كثير .

(٤) هذا قول جمهور المفسرين أن معنى « آسفونا » أغضبونا ، روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : « فلما آسفونا » أي غاظونا وأغضبونا ، وروى ابن كثير ٢١٩/٧ عن الضحاك أنه قال : أغضبونا ، قال وهكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد القرظي ، وقاتدة ، والسدي . اهـ. وانظر الطبري ٨٤/٢٥ .

٤٤ — وقوله جل وعز : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [ آية ٥٦ ] .

قال لاحق بن حُمَيد : أي جعلناهم سلفاً لمن عمل بعملهم ،  
وَمَثَلًا لمن لم يعمل بعملهم <sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : هم قوم فرعون ، سلفٌ لكفار أمة محمد ﷺ ،  
قال : ﴿ وَمَثَلًا ﴾ أي عبرة <sup>(٢)</sup> .

وقال قتادة : ﴿ سلفاً ﴾ إلى النار ﴿ وَمَثَلًا ﴾ أي عظة <sup>(٣)</sup> .

قُرِيءَ على أبي قاسم ، قريب « أحمد بن منيع » عن أبي كامل  
الجحدري عن عبد الواحد ، عن عاصم عن أبي مجلز ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ  
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ قال : سلفاً لمن عمل بمثل عملهم ، ومثلاً لمن  
لم يعمل بمثل عملهم <sup>(٤)</sup> .

---

(١ — ٤) هذه الآثار كلها وردت عن السلف ، وذكرها المفسرون الطبري ٨٥/٢٥ والقرطبي ١٠٢/١٦ وابن كثير ٢١٨/٧ وأصل السَّلَفُ : المتقدّم من كل شيء ، ومنه قولهم « جَعَلَكَ اللَّهُ خَيْرَ تَخْلُفٍ لِّخَيْرٍ سَلَفٍ » قال في المصباح المنير : سَلَفٌ من باب قَعَدَ : مضى وانقضى ، فهو سَالَفٌ ، والجمع سَلَفٌ ، ثم جُمع السَّلَفُ على أسلاف مثل سبب وأسباب . اهـ . وعلى هذا المعنى اللغوي يكون قول مجاهد و قتادة أرجح الأقوال كما نبّه المصنف والمعنى « وجعلناهم سَلَفًا » أي جعلنا قوم فرعون سلفاً لكفار قريش ، يتقدمونهم إلى النار ، ويتبعهم هؤلاء الفجار فيلحقونهم على آثارهم ، لأنهم اقتدوا بهم في الضلال ﴿ وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ أي وجعلناهم عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم ، وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن جرير الطبري ٨٥/٢٥ حيث قال : والمعنى : جعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون ، مقدّمة يتقدمون إلى النار ، كفار قومك من قريش ، وكفار قومك لهم بالأثر ، وجعلناهم عبرة وعظة ، يتعظ بهم من بعدهم من الأمم . اهـ . وكذلك قال الفخر الرازي ٢٢٠/٢٧ : أي جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون أي جعلناهم سلفاً لكفار أمة محمد عليه السلام ، وعظة لمن بقي بعدهم ، وآية وعبرة . اهـ . فما رجحه المصنف هو الصحيح .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، وأصل السِّلَفِ في اللغة : ما تقدّم ، ومنه تسَلَّفْتُ من فلان ، وأبينها قول قتادة ، أي جعلناهم متقدّمين في الهلاك ، وعظة لمن يأتي بعدهم .  
ويقرأ ﴿ سُلْفًا ﴾ جمع سَلِيف <sup>(١)</sup> .

وقرأ حميد الأعرج فيما روي عنه ﴿ سُلْفًا ﴾ <sup>(٢)</sup> جمع سُلْفَةٍ أي فرقة متقدمة .  
وأبينها وأكثرها فتح السَّيْنِ واللَّام ، كما يُقال : فلان يحبُّ السِّلَفَ .

٤٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [ آية ٥٧ ] .

قال مجاهد : قالوا ما ذكر محمد « عيسى » صلى الله عليهما إلا لتنزله منزلته من النَّصَارَى <sup>(٣)</sup> .

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧ جمع سليف بمعنى فريق .

(٢) هذه القراءة بضم السين وفتح اللام ﴿ سُلْفًا ﴾ جمع سُلْفَةٍ بمعنى الأمة والجماعة من الناس ، وليست قراءة سبعية ، وانظر روح المعاني ٩٢/٢٥ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن مجاهد ٨٥/٢٥ ولفظه قال « قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى » ، وكذلك ذكره القرطبي ١٠٢/١٦ وهو قول ابن عباس أيضاً كما نقله عنه الطبري قال : يعني قريشاً لما نزلت ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ قالت له قريش : فما ابنُ مريم ؟ قال : ذاك عبد الله ورسوله ، فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم رباً !! فأنزل الله ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ . اهـ .

**وقال قتادة :** لما أنزل على النبي ﷺ ذكر عيسى غاظ ذلك قريشاً ، وقالوا : لم ذكرت عيسى ؟ وقالوا : ما ذكره إلا لنستعمل فيه ما استعملت النصارى في عيسى ، فأنزل الله جل وعز ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۖ ﴾ (١) .

**وقيل :** نزل هذا في « ابن الزبيري » لما أنزل الله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (٢) قال : فالنصارى تعبد المسيح ؟؟ قال جل وعز ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۖ ﴾ أي قد علموا أنه لا يُراد بهذا المسيح ، وإنما يُراد بها الأصنام التي كانوا يعبدونها (٣) .

(١) الأثر في الطبري ٨٦/٢٥ والدر المنثور ٢٠/٦ والشوكاني في الفتح ٥٦١/٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٩٨ .

(٣) ذكر هذه القصة المفسرون ، ابن كثير ٢٢٠/٧ وابن الجوزي ٣٩٢/٧ والقرطبي ١٠٣/١٦ وخلاصتها أن رسول الله ﷺ جلس ذات يوم مع أشراف قريش في المسجد الحرام ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له « النضر بن الحارث » فأسكته رسول الله ﷺ وأفحمه ، وتلا عليهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ فضجت قريش وقالوا : شتم محمد آلهتنا ، فقال ابن الزبيري يا محمد : أهذا خاص بنا أم بكل من عُبد من دون الله ؟ قال : بل لكل من عُبد من دون الله !! فقال : قد خصمتك ورب الكعبة : ألسنت تزعم أن الملائكة عباد صالحون ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيزاً ، والنصارى تعبد المسيح بن مريم ، فإذا كان هؤلاء جميعاً في النار ، فقد رضىنا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ، فضحك المشركون وضجوا وارتفعت أصواتهم ، وظنوا أنهم غلبوا الرسول فأنزل الله ﴿ وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ وأنزل الله ﴿ إن الذين سبقك لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون ﴾ قال القرطبي ١٠٣/١٦ : ولو تأمل ابن الزبيري الآية ما اعترض عليها لأنه قال « إنكم وما تعبدون » ولم يقل =

٤٦ — وقوله جل وعز : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [ آية ٥٨ ] .

روى سفيان ، وشعبة عن عاصم ، عن أبي رزين عن ابن عباس ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قال : يَضِجُونَ<sup>(١)</sup> .

ويُقرأ ﴿ يَصِدُّونَ ﴾ بضم الصاد<sup>(٢)</sup> قال النخعي : أي يُعرضون .

وقال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد<sup>(٣)</sup> .

= ﴿ ومن تعبدون ﴾ وإنما أراد الأصنام ونحوها ، مما لا يعقل ، ولم يرد المسيح ولا الملائكة ، وإن كانوا معبودين ، ولهذا قال تعالى ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ أي مجادلون بالباطل . اهـ .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(٢) هذه قراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائي بضم الصاد وهي سبعة ، وقرأ الباقر بكسر الصاد ﴿ يَصِدُّونَ ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٩/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٢٤/٧ .

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٤/٧ أن هذا قول الزجاج قال : ومعناها جميعاً : يضحجون ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٠٥ : من كسر الصاد فمعناه : يضحجون ، ومن ضمها فمعناه يعللون — يريد يعرضون — وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٢١٥٢٧ : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ أي إذا قريش من هذا المثل ، يرتفع لهم ضجيج وجلبة ، فرحاً وجدلاً وضحكاً ، ينسب ما رأوا من إسكات رسول الله ، فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع ، أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج ، وقالوا لرسول الله ﷺ : آهتنا عندك ليست خيراً من عيسى ، فإذا كان عيسى من حصب جهنم ، كان أمر آهتنا أهون . اهـ .

أقول : ما سكوت رسول الله ﷺ عجزاً عن الجواب ، وإنما سكوت انتظاراً للوحي ، وقد نزل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ فكانت الحجة الدامغة لرسول الله على المشركين .

وأنكر بعض أهل اللغة الضم ، وقال : لو كانت « يَصُدُّون »  
لكانت « غنه » ولم تكن « منه » .

وقال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، لأن معنى يَصُدُّون منه أي من  
أجله .

٤٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا أَلَّهْتُمَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ؟ .. ﴾ [ آية ٥٨ ] .

قال قتادة : [ « أم هو » يعنون محمداً ﷺ ] <sup>(١)</sup> وفي قراءة  
« أُبَيِّ » <sup>(٢)</sup> ﴿ وَقَالُوا أَلَّهْتُمَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ .

٤٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا .. ﴾ [ آية ٥٨ ] .

المعنى على تفسير قتادة : إنهم قد علموا أنك لا تريد منهم ،  
أن يُنزلوك منزلة المسيح <sup>(٣)</sup> .

وعلى القول الآخر : إنهم قد علموا أنه لا يُراد بقوله جل وعز

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ١٠٤/١٦ وبه  
يستقيم الكلام ، قال القرطبي : والقراءة تقوّي قول قتادة .

(٢) المراد به « أُبَيُّ بن كعب » رضي الله عنه ، وهو أقرأ الصحابة لكتاب الله ، كما صحّ بذلك  
الحديث الشريف ، ونقل القرطبي في تفسيره أن هذه القراءة ﴿ خَيْرٌ أَمْ هَذَا ﴾ هي قراءة ابن  
مسعود ، وهي ليست من القراءات السبع .

(٣) هذا القول مرجوح بل ضعيف ، لأن الآية تتحدث عن المسيح عيسى بن مريم ﴿ ولما ضُرب ابن  
مريم مثلاً .. ﴾ الآية ولا تتحدث عن محمد رسول الله ﷺ ، فالصحيح قول الجمهور أن المراد  
به عيسى عليه السلام ، وقصة ابن الزبيري تؤيد هذا ، فالقول الذي قال عنه المصنف « وعلى  
القول الآخر » هو الصحيح ، والله أعلم .

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ المسيح عليه السلام ، وإنما يُراد به الأصنام ، واللُّغَةُ تدلُّ على هذا ، لأن « ما » لما لا يعقل ، فقد عَلِمَ أن معنى ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ لا يكون للمسيح .

وهذا أصحُّ ما قيل في قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

٤٩ — ثم قال جل وعز : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [ آية ٥٨ ] .

قال سفيان حدثني رجلٌ ، أنها نزلت في ابن الزَّيْعَرِيِّ <sup>(٢)</sup>

٥٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [ آية ٥٩ ] .

يكون المعنى على قول من قال : إن الآية نزلت في ابن الزَّيْعَرِيِّ : إن <sup>(٣)</sup> المسيح إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ، وجعلناه مثلاً لبني

(١) انظر سبب النزول ص ٢٣٠ للواحدي ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٢/٥ والقرطبي ٣٤٣/١١ .

(٢) هو « عبد الله بن الزَّيْعَرِيِّ السَّهْمِي » من زعماء المشركين ، الذي زعم أنه غلب رسول الله بالحجة حين نزلت الآية الكريمة ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ فقال للرسول: خصمتك ورب الكعبة .. إلخ. وانظر القرطبي ١٠٣/١٦ .

(٣) « إن » هنا نافية بمعنى « ما » أي ما المسيح إِلَّا عَبْدٌ ، لأنها اقترنت بـ « إِلَّا » فتفيد معنى الحصر .



إسرائيل ، أي جعلناه عظةً لهم ، أي ذا عظة أي يعظهم <sup>(١)</sup> .

ويجوز أن يكون معنى ﴿مَثَلًا﴾ : أنه بشرٌ مثلهم ، فُضِّل عليهم .

ويجوز أن يكون المعنى على قول قتادة وعلى الآخر أيضاً : إنَّ محمدًا إلا عبدٌ أنعمنا عليه <sup>(٢)</sup> ، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ، والكلام في «مَثَلٍ» كالكلام فيه .

٥١ — ثم قال جل وعز : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [آية ٦٠] .

قال مجاهد : أي يعمرونها كما تعمرونها ، بدلاً منكم <sup>(٣)</sup> .

(١) الأول أن يُفسَّر ﴿وجعلناه مثلاً﴾ أي آيةً وعبرة ، كما قال ابن الجوزي ، وكما فسره القرطبي حيث قال ١٠٤/١٦ : المعنى : أنعمنا عليه بالنبوة ، وجعلناه آيةً وعبرة ، يُستدلُّ بها على قدرة الله تعالى ، حيث خلُق من أم بغير أب « وقال الرازي ٢٢٢/٢٧ : أي صيّرناه عبرةً عجيبةً ، كالمَثَل السائر ، حيث خلقناه من غير أب ، كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة . اهـ . وما ذكره المصنف أنه بمعنى يَعُظُّهُمْ ، ففيه نظر .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي في تفسيره ١٠٤/١٦ فقال : وقيل : المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ ، والأول أظهر .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٨٩/٢٥ والقرطبي ١٠٥/١٦ وابن الجوزي ٣٢٥/٧ وعلى تفسير مجاهد تكون « مِنْ » في قوله ﴿منكم﴾ بمعنى بدل أي بدلکم ، وحروف الجرِّ محلُّ بعضها محلُّ بعض ، وينوب بعضها عن بعض كما قال الشاعر :

جَارِيَةٌ لَمْ تَأْكُلِ الْمَرْقُوقَا وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبَقُولِ الْفُسْتَقَا

أي بدل البقول كذا في المغني ص ٢٥٠ . قال الأزهري : و « مِنْ » قد تكون للبدل كقوله تعالى ﴿لجعلنا منكم﴾ يريد بدلاً منكم . اهـ .

وقال قتادة : أي ملائكة يخلف بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup> .

٥٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا .. ﴾

[ آية ٦١ ] .

روى سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس

﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال : نزول عيسى<sup>(٢)</sup> .

وكذلك روى سيمّاك<sup>(٣)</sup> عن عكرمة عن ابن عباس .

وكذلك قال مجاهد وأبو مالك .

وقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة أنهما قرءا ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ

لِّلسَّاعَةِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٩/٢٥ والدر المنثور ٢٠/٦ وابن كثير ٢٢٢/٧ وذكر أنه قول ابن عباس

وقتادة ، ورجح الطبري قول مجاهد فقال ٨٩/٢٥ : والمعنى : ولو نشاء أهلكناكم ، فأفنيها جميعكم ، وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة ، يخلفونكم فيها يعبدونني !!

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٠/٢٥ وابن الجوزي ٣٢٥/٧ وابن كثير ٢٢٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠/٦ .

(٣) « سيمّاك » بكسر أوله وتخفيف الميم قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٣٢/١ : هو سيمّاك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي ، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة من الرابعة توفي سنة ١٢٣ هـ .

(٤) ذكر هذه القراءة الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والشوكاني ، وغيرهم ، ولم أرها في القراءات السبع ، قال الطبري ٩١/٢٥ : « والصواب من القراءة في ذلك : الكسر في العين لإجماع الحجة من القراء عليه ، وقد ذكر أنها في قراءة أبيي » وإنه ليذكر للساعة « فذلك مصحح قراءة الذين قرءوا بكسر العين » ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ﴾ . اهـ .

قال الخليل : العَلَمُ والعلامةُ واحدٌ .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ ﴾ : يُعَلِّمُ بنزول عيسى ﷺ ، أن السَّاعَةَ قد قَرَبَتْ .

وصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : ( لينزلن ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا ، فليكسرنَّ الصليبَ ، وليقتلنَّ الخنزير .. )<sup>(١)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : وإن محمداً ﷺ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ ، لأنه خاتم النبيين<sup>(٢)</sup> ، قال الله جل وعز ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

ثم قال تعالى ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ : أي فلا تشكُّوا<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ١٣٥/١ وابن ماجه ٤٠١/٢ ولفظ مسلم ( والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ، حَكَمًا مَقْسُطًا .. ) الحديث . ولفظ ابن ماجه ( لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام حَكَمًا مَقْسُطًا ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ) . اهـ . سنن ابن ماجه رقم ٤١٢٩ الجزء الثاني ص ٤٠١ من طبعة الأعظمي .

(٢) هذا القول ضعيف ، والجمهور على أن الضمير يعود على « عيسى » عليه السلام أي وإن عيسى علامة على قرب الساعة قال الطبري ٩٠/٢٥ : والمعنى أن ظهور عيسى عَلَّمَ يُعَلِّمُ به مجيء الساعة ، لأن ظهوره من أشرافها ، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا .. إلخ . وقال الحافظ ابن كثير ٢٢٣/٧ « وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، إماماً عادلاً ، وحكماً مَقْسُطًا » وهذا قول جمهور المفسرين .

(٣) الامتراء في اللغة : الشكُّ ، قال في المصباح المنير : امترى في أمره : شكُّ ، والاسم : المِرْيَةُ بالكسر . اهـ .

٥٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ .. ﴾ [ آية ٦٣ ] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَلِأَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ قال : تبديل التوراة <sup>(١)</sup> .

٥٤ — وقوله جل وعز : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [ آية ٦٧ ] .

قال مجاهد : أصحاب المعاصي متعادون يوم القيامة <sup>(٢)</sup> .

وقال الحارث : سئل علي بن أبي طالب عن قوله جل وعز ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فقال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، مات أحد المؤمنين فبُشِّرَ بالجنة ، فقال : اللهم لا تُضِلَّ خليلي ، حتى يُبَشِّرَ بما بُشِّرْتُ به ، وَرَضَى عنه كما رَضِيتَ

(١) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٩٢/٢٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٦/٧ والقرطبي ١٠٨/١٦ وإليه جنح الزجاج ، حيث قال : المعنى : ولأَيِّنْ لَكُمْ في الإنجيل بعض الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة ، وذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٥/٢ إلى أن « بعض » في قوله تعالى ﴿ وَلِأَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ بمعنى الكل ، واستشهد عليه بيت من الشعر للبيد « أَوْ يَغْتَلِقُ بَعْضَ النَفُوسِ جَمَامَهَا » وضعف هذا القول الطبري ٩٢/٢٥ وقال : وقد كان بينهم اختلاف كثير ، في أسباب دينهم ودنياهم ، فقال لهم : أبين لكم بعض ذلك ، وهو أمر دينهم دون أمر دنياهم ، ورجحه ابن كثير ٢٢٤/٧ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٤/٢٥ والقرطبي ١٠٩/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢١/٦ قال الحافظ ابن كثير ٢٢٤/٧ : أي كُلُّ صحابةٍ وصداقةٍ لغير الله ، فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة ، إلا ما كان لله عز وجل ، فإنه دائم بدوامه . اهـ .

عني ، فلما مات جُمع بينهما ، فقال له : جَزَاكَ اللهُ من خليلٍ ، ومن  
أخٍ وصاحبٍ خيراً ، فنعِم الخليلُ كنتَ .

والكافران يقولُ أحدهما لصاحبه : بئس الخليلُ ، والصاحبُ  
كنتَ ، ثم قرأ ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا  
الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

وقال مجاهد : قال ابن عباس : أَحَبَّ اللهُ ، وَأَبْغَضَ اللهُ ،  
وَوَالَّ اللهُ ، وعادَ اللهُ ، فإنه إنما يُتَأَلَّ ما عندَ اللهِ بهذا ، ولن يَنْفَعَ أَحَدٌ  
كَثْرَةَ صَوْمِهِ ، وصلَاتِهِ ، وحجِّه ، حتى يكون هكذا ، وقد صار  
النَّاسُ اليوم يُحِبُّونَ ويبغضونَ للدنيا ، ولن يَنْفَعَ ذَلِكَ أَهْلَهُ ، ثم قرأ  
﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

٥٢ — وقوله جل وعز : ﴿ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ أَتْمًا وَأَرْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴾  
[ آية ٧٠ ] .

- 
- (١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من حديث علي بن أبي طالب ،  
ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٩٤/٢٥ وابن كثير ٢٢٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور  
٢١/٦ . وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه عن علي رضي الله عنه .
- (٢) الأثر أخرج بعضه ابن جرير ٩٤/٢٥ وابن كثير ٢٢٤/٧ . ومما يؤيد هذا الأثر عن ابن عباس ،  
ما جاء في الحديث الصحيح ( من أَحَبَّ اللهُ ، وَأَبْغَضَ اللهُ ، وأَعْطَى اللهُ ، ومنع اللهُ ، فقد  
استكمل الإيمان ) أخرجه أبو داود عن أبي أمامة ، وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي هريرة  
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( لو أَنَّ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي اللهِ ، أَحَدُهُمَا بِالْمَشْرِقِ وَالْآخَرُ  
بِالْمَغْرِبِ ، لَجَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ : هَذَا الَّذِي أَحَبَّتَهُ فِيَّ ) وانظر تفسير ابن كثير  
٢٢٥/٧ .

قال يحيى بن أبي كثير سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴾ قال : ( اللَّذَةُ : والسَّمَاعُ بما شَاءَ الله من ذكره )<sup>(١)</sup> .

قال قتادة : ﴿ تُخْبَرُونَ ﴾ : تُنَعَّمُونَ<sup>(٢)</sup> .

٥٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ .. ﴾ [ آية ٧١ ] .

روى سعيد عن قتادة قال : الأكوابُ دون الأباريق ، قال : وَبَلَّغْنِي أَنَّهَا مَدَوْرَةٌ ، وكذلك هي عند أهل اللُّغَةِ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا آذَانٌ لَهَا ، وَلَا عُرَى<sup>(٣)</sup> .

٥٧ — وقوله جل وعز : ﴿ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [ آية ٧٥ ] .

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في سورة الروم ٢٨/٢١ وقال : هو التلذذ بالسَّمَاعِ ، والغناء ، فهم في اللذيد من الأرياح ، والعيش الهنيئ ، فيما يُسْرُونَ به ، وَيُغْبَطُونَ عليه ، والحيرة : السرور والغبطة .

(٢) الأثر في الطبري ٢٨/٢٥ والقرطبي ١١١/١٦ والشوكاني ٥٦٣/٤ قال : والأولى تفسير ذلك بالفرح والسرور ، الناشئين عن الكرامة ، والنعمة . اهـ .

(٣) الأكواب جمع كوب ، وهو إناء مستدير لا عُرْوَةَ له ، قال الفراء : الكوبُ : الكورُ المستدير الرأس الذي لا أذن له ، وكذا قال في لسان العرب ، وإنما كانت بغير عُرَى ، ليشرب الشارب من أين شاء ، قال القرطبي ١١١/١٦ : ولم يذكر تعالى الأطعمة والأشربة في قوله ﴿ يُطَافُ ﴾ عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴿ لأنه يُعلم أنه لا معنى للطواف بالصحاف والأكواب عليهم ، من غير أن يكون فيها شيء . اهـ .

مأخوذ من الفَتْرَةِ ، والفُتُورِ ، والفتْرِ (١) .

والمُبْلِسُ : المتحيرُّ ، الَّذِي قد يَبْسَ من الخَيْرِ (٢) .

٥٨ - وقوله جل وعز : ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [ آية ٧٧ ] .

قال مجاهد : ما كنا ندري ما معنى ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ ﴾ حتى وجدنا في قراءة عبد الله ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِ ﴾ (٣) .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : يُنَادُونَ مَالِكاً أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فيجيبهم بعدها ﴿ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ ثم يُنَادُونَ رَبَّ الْعِزَّة ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فيسكت عنهم مثل عُمَرُ الدنيا ، ثم يقول : ﴿ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون ﴾ قال : فليس بعدها

---

(١) في الصحاح ٧٧٢/٢ : الفَتْرَةُ : الإنكسار والضعف ، يُقال : فتر الحرُّ ، فتوراً ، وطرفٌ فاترٌ إذا لم يكن حديداً .

(٢) قال في المصباح : أبلِسَ الرجلُ إِبْلَاساً : سَكَتَ ، وَأَبْلَسَ : أَيْسَ ، وإِِبْلَاسٌ : اليأسُ ، ومنه ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٥٧/٢ و « مال » ترخيم « مالك » خازن النار ، قال في الألفية :

تَرْخِيماً أَحْذِفْ آخِرَ الْمُتَنَادَى كَيَاسُعَا فَيَمِنْ دَعَا سَعَاذَا

والأثر عن مجاهد ذكره القرطبي ١١٧/١٦ ولفظه : كنا لا ندري بالزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله : بيتٌ من ذهب ، وكنا لا ندري ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ حتى وجدناه في قراءة عبد الله ﴿ ونادوا يا مَالِ ﴾ على الترخيم . اهـ .

إِلَّا صِيَّاحُ كَصِيَّاحِ الْحَمِيرِ ، أَوَّلُهُ زَفِيرٌ ، وَآخِرُهُ شَهيقٌ <sup>(١)</sup> .

٥٩ — وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ أُنَبِّئُكُمْ أَمْراً فَأَنتُمْ مُبْرَمُونَ ﴾ [ آية ٧٩ ] .

قال مجاهد : أي أم أجمعوا على كيد أو شرٍّ ، فَإِنَّا نَكِيدُهُمْ <sup>(٢)</sup> .

قال الفراء : أي أم أحكموا أمراً يُنجيهم من عذابنا على قولهم ،  
فإِنَّا نَعَذِّبُهُمْ <sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : يقال : أُنَبِّئُ الأَمْرَ : إذا بالغ في إحكامه ،  
وأُبرِمَ الفاتِلُ : إذا أحكم الفتلَ ، وهو الفتلُ الثاني ، والأولُ سَحِيلٌ كما  
قال :

« مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ » <sup>(٤)</sup>

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٣٠/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣/٦ بنحوه ،  
قال ابن كثير ٢٢٧/٧ في روايته عن البخاري ١٦٣/٦ : عن صفوان بن يعلى عن أبيه قال :  
سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَيْكَ ﴾ . اهـ . قال ابن  
كثير : أي ليقبض أرواحنا فيرحلنا مما نحن فيه ، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿ قال إنكم  
ماكنثون ﴾ قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال : إنكم ماكنثون . اهـ .  
أقول : ليكون ذلك لهم أخزى وأذل .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٠/٢٥ وابن كثير ٢٢٧/٧ والقرطبي ١١٨/١٦ وهو أظهر الأقوال ،  
والمعنى : أم أحكم هؤلاء الفجار أمرهم للكيد برسول الله ؟ فإننا محكمون أمرنا في تدميرهم  
وإهلاكهم .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٨/٣ قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٦/٢ ﴿ أم أبرموا ﴾ : أم  
أحكموا ، والإبرام الإحكام .

(٤) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى ، وتماه كما في ديوانه ص ١٤ :  
يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ =



ومنه : رجل بَرِّمٌ : إذا كان لا يدخل في الميسر ، أو كان ضيق الخُلُق لا يجتمع مع النَّاس<sup>(١)</sup> ، كما قال الشاعر :

وَلَا بَرِّمًا تُهْدَى النِّسَاءُ لِعَرْسِهِ  
إِذَا الْقَشْعُ مِنْ بُرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعَّقَا<sup>(٢)</sup>

و « بَرِّمَةٌ » من هذا ، سُمِّيت به ، للإلحاح عليها بالإيقاد<sup>(٣)</sup> .

٦٠ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾

[ آية ٨١ ] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ — قال مجاهد : أي قل إن كان للرحمن ولد — في قولكم — فأنا أول من عبده ، ووَحَّدَه ، وكذَّبَكُم<sup>(٤)</sup> .

= المبرم الذي قُتل خيطاه حتى صار خيطاً واحداً ، والسَّحِيلُ : خيطٌ واحد لم يضم إليه آخر ، ولم يقتل بعد .

(١) قال الجوهري : البَرِّمُ : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، والجمع أبرام ، وفي المثل : « أَبْرَمًا قُرُونًا » ؟ أي هو بَرِّمٌ ، ويأكل مع ذلك تمرتين ، تمرتين . اهـ. الصحاح ، وقال الأزهري : والبَرِّمُ : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، ويأكل معهم من لحمه . اهـ. تهذيب اللغة .

(٢) البيت لمتَّم بن نويرة اليربوعي ، ذكره الجوهري في الصحاح ، وابن منظور في لسان العرب ، مادة برم ، وفي المخطوطة ورد بلفظ « وَلَا بَرِّمٌ » وصوابه ما أثبتناه كما في الصحاح ، واللسان .

(٣) البرِّمَةُ : قُدْرٌ من حجارة ، وجمعها بَرِّمٌ ، وفي حديث جابر ( لَا تُتْرَلْنَ بِرُمَتِكُمْ ، وَلَا تُخَبَزْنَ عَجِينَكُمْ حتى آتي ) .

(٤) ذكر هذا الأثر الطبري في جامع البيان ١٠١/٢٥ ورجحه على بقية الأقوال ، وذكره القرطبي ١١٩/١٦ وابن كثير ٢٢٩/٧ .

ب — وقال الحسن : يقول : ما كان للرحمن ولد<sup>(١)</sup> .

ج — وقيل : هو من عِبَدَ أي أَنْفَ كما قال :

« وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بَدَارِمٌ »<sup>(٢)</sup>

قال أبو جعفر : أحسنها قول مجاهد<sup>(٣)</sup> ، لأنَّ « إِنْ » يبعد أن تكون ههنا بمعنى « ما » لأنَّ ذلك لا يكاد يستعمل إلا وبعد « إِنْ » إلا .

وأيضاً فإن بعدها ألفاً ، وأكثر ما يُقال ، إذا أَنْفَ الإنسانُ وغَضِبَ ، وأنكر الشيء : عِبَدَ فهو عِبْدٌ<sup>(٤)</sup> ، كما يُقال : حَذَرَ ، فهو حَذِرٌ .

(١) قول الحسن ذكره المفسرون : الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وغيرهم ، وعلى هذا القول تكون « إِنْ » نافية بمعنى « ما » أي : قل ما كان للرحمن ولدُ البتَّة .. إلخ . وقد ضَعُفَ المصنف لأنَّ من شروط « إِنْ » النافية أن يأتي بعدها « إلا » كقوله تعالى ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ أي ما عليك إلا البلاغ ، وكقوله ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ أي ما كانت إلا صبيحة واحدة .

(٢) هذا عجز بيت للفرزدق ، وهو في اللسان والصحاح مادة عبد ، ومجاز القرآن ٢٠٦/٢ وغريب القرآن ص ٤٠١ والبحر المحيط ٢٨/٨ والقرطبي ١٢٠/١٦ وتماه :

أولسئلك قومٌ إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْنَهُمْ وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلِّيًّا بَدَارِمٌ  
(٣) هذا ما اختاره الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، قال القرطبي ١١٩/١٦ ومعنى الآية : إِنْ ثَبَتَ اللَّهُ وَلَدًا فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ وَلَدَهُ ، ولكن يستحيل أن يكون له ولد ، وهو كما تقول لمن تناظره : إِنْ ثَبَتَ مَا قُلْتَ بِالدَّلِيلِ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ يَعْتَقِدُهُ ، وهذا مبالغة في الاستبعاد . اهـ . وكذلك قال الحافظ ابن كثير ٢٢٧/٧ .

(٤) يريد المصنف أنه لو كان المراد من قوله ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ أي الآنفين عن عبادة الولد ، لكان ينبغي أن يكون اللفظ ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ بغير ألف ، لأنَّ عِبْدَ بمعنى أَنْفَ ، يأتي اسم الفاعل منه ﴿ عِبْدٌ ﴾ لذلك كان القول ضعيفاً .

وقول مجاهد يَنْ أَيُّ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ — عَلَى زَعْمِكُمْ  
وقولكم — كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿أَيُّنَ شُرَكَائِي﴾<sup>(١)</sup> ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ  
خَالَفَكُمْ وَوَحَّدَ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ .

وَمَعْنَى ﴿الْعَايِدِينَ﴾ كَمَعْنَى الْمُوَحِّدِينَ ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ عَابِدٌ ،  
إِلَّا لِلْمُوَحِّدِ .

٦١ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ  
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [ آيَةُ ٨٤ ] .

قَالَ قَتَادَةُ : أَيُّ يُعْبَدُ فِي السَّمَاءِ ، وَفِي الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup> .

وُورِي عَنْ عُمَرَ ، وَأَبِيٍّ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي  
السَّمَاءِ اللَّهُ وَفِي الْأَرْضِ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) الْآيَةُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ رَقْمَ ٦٢ وَتَمَامُهَا ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾  
أَيُّ أَيُّنَ مَنْ جَعَلْتُمُوهُمْ شُرَكَائِيَ بِزَعْمِكُمْ ؟

(٢) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ١٠٤/٢٥ وَالْقُرْطُبِيُّ ١٢١/١٦ وَلَفْظُهُ : أَيُّ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ فِي  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ٢٣٣/٧ فَالْإِلَهِ عَلَى قَوْلِ قَتَادَةَ مَعْنَاهُ : الْمَعْبُودُ أَيُّ اللَّهُ مَعْبُودُ فِي  
السَّمَاءِ ، وَمَعْبُودُ فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْأَكْثَرِينَ .

(٣) هَذَا الْقَوْلُ ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي جَامِعِ الْأَحْكَامِ ١٢١/١٦ وَرَدَّهُ فَقَدْ قَالَ : وَرُوي أَنَّهُ قَرَأَ عُمَرُ ، وَابْنُ  
مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمَا ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ اللَّهُ وَفِي الْأَرْضِ اللَّهُ﴾ قَالَ : وَهَذَا خِلَافُ الْمَصْحُفِ .  
أَهـ . وَذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ٢٣٣/٧ . وَهَذَا الْقَوْلُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ تَفْسِيرٌ لَا قِرَاءَةٌ ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ  
ابْنُ كَثِيرٍ ٢٢٩/٧ : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ أَيُّ هُوَ إِلَهٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ ،  
وَالْإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ، يَعْبُدُهُ أَهْلُهُمَا ، وَكُلُّهُمْ خَاضِعُونَ لَهُ ، أَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ  
تَعَالَى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَوَّهَرَهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أَيُّ هُوَ الْمَدْعُوعُ  
« اللَّهُ » فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . أَهـ .

٦٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ .. ﴾ [ آية ٨٦ ] .

قال قتادة : المسيح ، وعزير ، قد عبدا من دون الله ، ولهما شفاعاة (١) .

وقال مجاهد : لا يشفعُ المسيح ، وعزير ، والملائكة ، إلا لمن شهد بالحق ، قال : « لا إله إلا الله » (٢) .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أبين ، وقولُ مجاهد على أنه استثناء ليس من الأول (٣) .

٦٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقِيلَ لَهُ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ آية ٨٨ ] .

(١ — ٢) الأثران في الطبري ١٠٥/٢٥ والقرطبي ١٢٢/١٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٣٤/٧ ، ورجح الطبري العموم في تفسيره ، فقد قال في جامع البيان ١٠٤/٢٥ والمعنى : ولا يملك الذين يعبدهم المشركون — عيسى وعزير والملائكة — الشفاعاة عند الله لأحد ، إلا لمن شهد بالحق ، فوحد الله وأطاعه ، وهم يعلمون حقيقة توحيدِهِ .. إلخ. وهكذا قال القرطبي ١٢٢/١٦ : أراد بالذين يدعون من دونه « عيسى وعزيراً والملائكة » والمعنى : لا يملك هؤلاء الشفاعاة إلا لمن شهد بالحق ، وآمن على علم وبصيرة : وشهادة الحق : « لا إله إلا الله » . اهـ.

(٣) يريد المصنف أن الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ استثناء منقطع ، بمعنى « لَكِنْ » والمعنى : لكن من شهد بالحق فإنه تنفع شهادته ، وتقبل عند الله ، ذلك لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، وهذا أمانة المستثنى المنقطع .

وسنبيّن معنى ﴿ وَقِيلَ لَهُ (١) يَا رَبِّ ﴾ في الإعراب إن شاء الله (٢).

٦٤ — وقوله جل وعز : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [ آية ٨٩ ] .

قال قتادة : في قوله ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ قيل له هذا ، ثم نُسخ بالأمر بالقتال (٣) .

\* \* \*

« انتهى تفسير سورة الزخرف »

(١) قوله ﴿ وَقِيلَ لَهُ ﴾ القيلُ : بمعنى القول أي وقول محمد يا رب إن قومي هؤلاء قومٌ معاندون مكابرون ، لا يسمعون النصيح ، ولا يُصدّقون بالرسالة ، قال قتادة : هذا قول نبيكم يشكو قومه إلى ربه عز وجل .

(٢) ذكر الإمام النحاس في إعراب القرآن ١٠٤/٣ أن الضمير في ﴿ قِيلَ لَهُ ﴾ عائد على النبي ﷺ ، وفيها قراءتان : النصبُ ﴿ وَقِيلَ لَهُ ﴾ على أنه معطوف على الجملة قبله ، والمعنى : أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم ، وقيل ؟ والثاني على أن معناه : وعنده علم الساعة ، وعلم قيله ، وقراءة الجر قراءة عاصم وحمة ، وانظر الطبري ١٠٦/٢٥ وزاد المسير ٣٣٤/٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٢٤/٦ قال : نُسخَ الصَّفْحُ ، والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٤/١٦ ولفظه : قال قتادة : أمر بالصفح عنهم ، ثم أُمِرَ بقتالهم ، فصار الصّفْحُ منسوخاً بالسيف ، ونحوه عن ابن عباس ، ثم قال : وقيل : هي محكمة لم تُنسخ . اهـ . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٣٠/٨ : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ أي أعرض عنهم وتاركهم ﴿ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ أي الأمر سلام ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ لهم وتهديد ومواعدة ، وهي منسوخة بآية السيف . اهـ .



# تفسير سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ آية





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سُورَةُ الدُّخَانِ هِيَ مَكِّيَّةٌ <sup>(١)</sup>

١ — قوله جل وعز : ﴿ حَمَّ : وَالكِتَابِ الْمُبِين . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ [ آية ١ — ٣ ] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾ : ليلة القدر <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أ — فمن أصحها ما رواه حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « أنزل القرآن في ليلة القدر ، إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبرائيل في عشرين سنة » <sup>(٣)</sup> وهذا إسناد لا يندفع .

(١) هي مكية باتفاق كما قال القرطبي ١٢٥/١٦ وسميت سورة الدخان ، لذكر آية الدخان فيها في قوله تقدست أسماؤه ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ .

(٢) الجمهور على أن الليلة المباركة هي « ليلة القدر » لقوله تعالى هنا ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾ وقال هناك ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ ﴾ فتكون الليلة المباركة هي ليلة القدر ، لأن القرآن يُفسر بعضه بعضاً ، وهذه الليلة المباركة من شهر رمضان لقوله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .. ﴾ الآية . قال القرطبي ١٢٦/١٦ : والليلة المباركة ليلة القدر ، ويقال : ليلة النصف من شعبان ووصفها بالبركة لما يُنزل الله فيها على عباده من البركات ، والخيرات ، والثواب ، وقال عكرمة : الليلة المباركة ههنا ليلة النصف من شعبان ، قال : والأول أصح .

(٣) الأثر أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس كذا في الدر المنثور ١٥/٦ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٦/٧ والطبري ٢٥٨/٢٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٢/٨ بنحوه ، قال : وهو قول

ب — وقيل المعنى : إنا أنزلناه قرآناً في تفضيل ليلة القَدَر<sup>(١)</sup> .

وهو قوله تعالى ﴿ لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فهذا قولان .

ج — وقيل المعنى : إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القَدَر<sup>(٢)</sup> ، كما تقول : أنا أخرجُ إلى مكة غداً ، أي أنا ابتدئُ الخروج .

٢ — وقوله جل وعز : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [ آية ٤ و ٥ ] .

في معناه قولان متقاربان :

قال ابن عباس : يُحْكِمُ الله جَلَّ وعَزَّ أمرَ الدنيا إلى قابل ، في ليلة القدر ، ما كان من حياة ، أو موت ، أو رزق<sup>(٣)</sup> .

---

= قتادة وابن زيد والحسن ، وهذا أصح الأقوال ، قال ابن العربي : وجهور العلماء على أنها ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ ثم عين زمانه بقوله ﴿ في ليلة مباركة ﴾ فمن زعم أنها في غيره ، فقد أعظم القرية على الله . اهـ. القرطبي ١٣٢٧/١٦ .

(١) لم أر هذا القول الذي ذكره المصنف لأحد من المفسرين ، وهو قول غريب .  
(٢) ذكر هذا القول القرطبي في جامع الأحكام ١٢٦/١٦ وابن جزري في التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/٤ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥/٦ ، وذكره ابن كثير ٢٣٢/٧ وقال : أي في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمرُ السنة ، وما يكون فيها من الآجال ، والأرزاق ، وما يكون فيها إلى آخرها ، وهكذا روي عن ابن عمر ، وأبي مالك ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد من السلف . اهـ.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، ومجاهد ،  
وقناة : نحواً من هذا ، إلا أن مجاهداً قال : إلا الشقاء ، والسعادة ،  
فإنهما لا يتغيران<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : فهذا قول .

والمعنى عليه : أنه يُؤمر — ليلة القدر — الملائكة بما يكون من  
الْقَطْرِ ، وَالرِّزْقِ ، وَالْحَيَاةِ ، وَالْمَوْتِ ، إلى قابل<sup>(٢)</sup> .

ومعنى « يُفْرَق » و « يُؤْمَر » واحد ، كأنه قال : يُؤْمَرُ كُلُّ  
أمرٍ حكيم ، أمراً من عندنا .

والقول الآخر : أنها ليلة النصف من شعبان ، يُرْمُ فيها أمرُ  
السَّيِّئَةِ ، وَيُنْسَخُ الأَحْيَاءُ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، وَيُكْتَبُ الْحَاجُّ ، فلا يُزَادُ فيهم ،  
ولا يُنْقَصُ منهم أحدٌ<sup>(٣)</sup> .

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/٢٥ والقرطبي ١٢٦/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٥/٦ .

(٢) هذا قول الجمهور كما بينا ، والمعنى : في ليلة القدر يُفصل وَيُبَيِّنُ كل أمرٍ قَدَرَهُ اللهُ محكم ، من أرزاق  
العباد ، وآجالهم ، وسائر أحوالهم ، فلا يُبدَّل ولا يُعَيَّر ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما :  
« وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق ، وينكح النساء ، وقد وقع اسمه في الموتى » .

(٣) هذا قول عكرمة ولكنه ضعيف لا يُعوَّل عليه ، كما قال المحققون من المفسرين ، قال ابن كثير  
٢٣٢/٧ « ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان — كما روي عن عكرمة — فقد أبعد الشجعة ،  
فإن نص القرآن أنها في رمضان ، والحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( تُقْطَعُ  
الْأَجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُوَلِّدُ لَهُ ، وَقَدْ أُخْرِجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتِ )  
فهو حديث مرسل ، ومثله لا يُعارض به النصوص . اهـ .

وقال غيره : ﴿ يُفْرَقُ ﴾ : يُقْضَى ، ويُفَصَّلُ في تلك الليلة ،  
إلى مثلها من السنة الأخرى .

و ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بمعنى محكم .

وقيل : إن معنى ﴿ يُفْرَقُ ﴾ : يُفَصَّلُ ، أي يُفَصَّلُ بين  
المؤمن ، والكافر ، والمنافق ، فيقال للملائكة هذا ، ويعرفونه .

٣ — وقوله جل وعز : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴾  
[ آية ١٠ ] .

روى إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي بن  
أبي طالب عليه السلام ، قال : « آية الدخان لم تمض بعد  
وستكون ، يأتي دخانٌ يصيب المؤمنين الزكّام ، ويتنقّد الكافر » (١) .

وروى الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : « جلس  
رجلٌ فقال : إنَّ الدخان لم يكن ، وإنما يكون يوم القيامة ، يأخذ  
المؤمنين منه مثل الزكّام ، ويشتدُّ على الكافرين والمنافقين ، فدخلنا على  
عبد الله بن مسعود وهو متّكئٌ ، فحكينا له ما قال ، فقام فجلس  
مغضباً وقال : إذا سئل أحدكم عمّا لا يعلم فليقل : لا علم لي به ،  
فإن الله جلّ وعزّ يقول لنبيه ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا أَنَا

(١) هكذا في المخطوطة « يَنْقَدُّ » والقُدُّ : الشَّقُّ ، يُقال : قددته فانقَدَّ ، كذا في المصباح المنير والمراد  
أن الكافر يأخذه الدخان حتى يشقَّ جوفه ، وهذا الأثر عن علي أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن  
حميد ، ولفظه « إن الدخان لم يمض بعد ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكّام ، وينفخ الكافر حتى ينقَدَّ »  
وانظر الدر المنثور ٢٩/٦ .

مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿١﴾ وسأخبركم عن الدخان .. إن قريشاً استعصت<sup>(١)</sup> على رسول الله ﷺ وكفرت ، فدعا الله جل وعزَّ عليها أن يُجَوِّعَهَا ، فأصابها جوعٌ شديد ، حتى كان الرجلُ يرى بين السماء والأرض دُخاناً ، من الجوع والحرِّ ، فقالت قريش ﴿ رِنَّا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ فكشفه الله عنهم فعادوا ، ثم بطش بهم البطشة الكبرى يوم بدرٍ ، ولو كان الدخانُ يوم القيامة ، ما كُشِفَ عنهم<sup>(٢)</sup> .

٤ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [ آية ١٥ ] .

(١) في المخطوطة « استعصبت » وهو تصحيف ، وصوابه « استعصت » كما في رواية البخاري ١٦٤/٦ : ( إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف .. ) الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٦٤/٦ من حديث مسروق عن عبد الله بن مسعود ، وأخرجه أحمد في المسند وأبو نعيم ، والبيهقي ، وذكره الطبري ١١٢/٢٥ وابن كثير ٢٣٢/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨/٦ والخلاصة فإن للمفسرين رأيين في هذه الآية الكريمة : الأول : أن الدخان قد حدث ومضى ، في عهد النبي ﷺ حين دعا على قريش فقال : اللهم اشُدْ وطأتك على مضرٍّ ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ، وكان الواحد منهم يرى بين السماء والأرض دخاناً منتشراً من شدة الجوع ، وهذا قول ابن مسعود ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم ، واستدل ابن مسعود بحديث ( خمسٌ قد مضين : الدخانُ ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، والزلزامة ) . والثاني : أن الدخان لم يأت بعد ، وهو من علامات الساعة ، وسيكون قبيل القيامة ، يُصيب المؤمن منه مثل الزكام ، ويُنضجُ رأس الكافر ، والمنافق ، وهو قول ابن عباس ، وعلي ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، والحسن البصري ، واختاره الحفاظ ابن كثير ٢٣٣/٧ ورجحه لما رواه مسلم في صحيحه ( لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آياتٍ : طلوعُ الشمس من مغربها ، =

يجوز أن يكون المعنى : إنكم عائدون في المعاصي .

ويجوز أن يكون بمعنى : ميتين<sup>(١)</sup> .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُتَقِمُونَ﴾  
[ آية ١٦ ] .

قال أبي بن كعب ، وابن مسعود في ﴿البطشة الكبرى﴾ :  
إنها يوم بدر<sup>(٢)</sup> .

وروى عوف ، وقتادة ، عن الحسن ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ  
الْكُبْرَى﴾ قال : يوم القيامة<sup>(٣)</sup> .

---

= والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، والدجال .. ( إنغ .  
الحديث ، ثم أورد الحافظ ابن كثير حديثاً مسنداً عن ابن عباس وقال : هذا إسناد صحيح إلى  
ابن عباس — حبر الأمة وترجمان القرآن — وهكذا قول من وافقه من الصحابة ، والتابعين ، مع  
الأحاديث المرفوعة من الصحاح ، والحسان التي أوردناها مما فيه مفتح ، ودلالة ظاهرة على أن  
الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . اهـ . ورجح الطبري قول ابن مسعود ،  
وكذلك العلامة أبو السعود ، والله أعلم .

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤١/٧ : ﴿إنكم عائدون﴾ فيه قولان :

أحدهما : إنكم عائدون إلى الشرك ، قاله ابن مسعود .

والثاني : إلى عذاب الله قاله قتادة ، وكذلك روى الطبري ، وابن كثير . وقول المصنف يجوز  
أن يكون بمعنى ميتين ، معناه : تموتون ثم ترجعون إلينا للحساب ، والعذاب ، وقول ابن مسعود  
أظهر ، قال الرازي ٢٤٤/٢٧ : المقصود التنبيه على أنهم لا يؤفون بعهدهم ، يتضرعون إلى الله  
وقت الشدة ، فإذا زال الخوف عادوا إلى الكفر .

(٢ — ٣) القولان في الطبري ١١٧/٢٥ والقرطبي ١٣٤/١٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٤٢/٧ ، ورجح =

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [ آية ١٧ ] .

روى سعيد عن قتادة قال : ابتليناهم<sup>(١)</sup> .

قال ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ : يعني موسى ﷺ .

قال ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ : أَنْ لَا تَعْتُوا<sup>(٢)</sup> .

قال : وقوله ﴿ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي بعذر<sup>(٣)</sup> مُبِين .

٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ [ آية ٢٠ ] .

= ابن كثير ٢٣٧/٧ القول الثاني ، فقال : والظاهر أن ذلك يوم القيامة ، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً ، وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : قال ابن مسعود ﴿ البطشة الكبرى ﴾ يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة ، وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٤٤/٢٧ : وقول ابن عباس أصح ، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف به هذا الوصف العظيم ، ولما وصف بالكبرى وجب أن يكون أعظم أنواع البطش وذلك في القيامة .

(١) هذا قول ابن عباس والجمهور ، والمعنى : عاملناهم معاملة المختبر ، ببعثة موسى إليهم ، ليظهر المطيع من العاصي ، والبر من الفاجر .

(٢) أي لا تستكبروا وتجبروا ، وفي المصباح : عَتَا عَتَوْا من باب قَعَد : استكبر ، فهو عَاتٍ ، وعَتَا الشيخ عَتِيًّا : أَسَنَّ وكَبَّرَ . اهـ .

(٣) في المخطوطة [ بعذرٍ مُبِينٍ ] وهو خطأ ، لأنه لا معنى له هنا ، والصواب ما أثبتناه ( بعذرٍ مُبِينٍ ) وهو قول قتادة كما نقله عنه الطبري ١١٩/٢٥ والقرطبي ١٣٥/١٦ والشوكاني ٥٧٤/٤ قال الشوكاني : أي بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها . اهـ .

قال قتادة : بالحجارة .

قال الفراء : الرَّجْمُ ههنا : القتل<sup>(١)</sup> .

وروى إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في ﴿ وَإِنِّي  
عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ قال : أن يقولوا : ساحرٌ ، أو  
كاهنٌ ، أو شاعرٌ<sup>(٢)</sup> .

٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِن لَّمْ تُوْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ [ آية ٢١ ] .

أي دعوني كفافاً ، لا لي ، ولا عليّ<sup>(٣)</sup> .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَاتَّركِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾  
[ آية ٢٤ ] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٥ وابن كثير ٢٣٨/٧ والقرطبي ١٣٥/١٦ قال ابن كثير : قال

ابن عباس هو الرجم باللسان ، وهو الشتم ، وقال قتادة : الرجم بالحجارة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠/٣ فقد جاء فيه : الرجم ههنا : القتل .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٥ وابن كثير ٢٣٨/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩/٦ وعلى هذا

يكون المراد بالرجم : الرجم بالقول ، وهو قول ابن عباس ، كما حكاه عنه الطبري .

(٤) هذا قول مقاتل كما في جامع الأحكام للقرطبي ١٣٥/١٦ ، والأظهر أن المعنى : وإن لم يصدقوا

برسالتني فاتركوني ، وخلّوا سبيلي ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير .



روى عكرمة عن ابن عباس قال ﴿ رَهْوَ ﴾ : طريقاً<sup>(٤)</sup> .

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال : سهلاً<sup>(٢)</sup> .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَاثْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوَ ﴾ :  
أي ساكناً ، لا تأمره أن يرجع إلى ما كان عليه ، حتى يحصل فيه  
آخِرُهُمْ<sup>(٣)</sup> .

وروي عن مجاهد أنه قال : ﴿ رَهْوَ ﴾ : أي يابساً<sup>(٤)</sup> .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، ويُقال للساكن :  
رَهْوَ ، كما قال الشاعر :

وَالْحَيْلُ تَمْرَغُ رَهْوَ فِي أَعْنَتِهَا  
كَالطَّيْرِ يَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِوبِ ذِي الْبَرْدِ<sup>(٥)</sup>

---

(١ — ٤) هذه الأقوال عن السلف في الطبري ١٢١/٢٥ والقرطبي ١٣٧/١٦ والدر المنثور ٢٩/٦ وأظهرها ما قاله ابن جرير ١٢١/٢٥ إن المعنى : إذا قطعت البحر أنت وأصحابك ، فتركه ساكناً ، على حاله التي كان عليها حين دخلته ، قال : وذلك أن الرهو في كلام العرب : السكون . اهـ . قال قتادة : أراد موسى أن يضرب البحر بعصاه لَمَّا قطعه حتى يلتئم ، وخاف أن يتبعه فرعون ، فقيل له : لم هذا ؟ إنهم جند مغرقون في البحر ، لأنهم إذا رأوه ساكناً على حالته دخلوا فيه ، فيطبقه الله عليهم . اهـ . البحر المحيط ٣٦/٨ .

(٥) البيت للناطقة الذبياني ، وقد ورد في ديوانه ص ٢٣ بلفظ :  
« وَالْحَيْلُ تَمْرَغُ غَرْباً فِي أَعْنَتِهَا      كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِوبِ ذِي الْبَرْدِ »  
ولم يرد فيه لفظ « رهو » الذي هو الشاهد في البيت ، و « تَمْرَغُ » تُسْرِعُ في سيرها ،  
والغَرْبُ : الحدة والنشاط ، وقد ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٣٧/١٦ والألوسي في روح  
المعاني ١٢٢/٢٥ والشوكاني في فتح القدير ٥٧٤/٤ بلفظ رهواً قال الجوهري في الصحاح : رَهَا =

ويُقال : جاء القوم رهواً على نَظْمٍ واحدٍ .

١٠ — وقوله جل وعز : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَغُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [ آية ٢٥ و ٢٦ ] .

قال الفراء : يُقال : المنازل الحسنة ، ويقال : المنابر<sup>(١)</sup> .

١١ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [ آية ٢٩ ] .

رَوَى المِسيَّبُ بْنُ رَافِعٍ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « يَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ ، الْبَابُ الَّذِي يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ ، وَمُصَلَّاهُ مِنَ الْأَرْضِ »<sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « لِلْمُؤْمِنِ بَابٌ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ ، وَيَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ ، فَإِذَا مَاتَ بَكَى عَلَيْهِ ، وَبَكَى عَلَيْهِ

---

= البحرُ : أي سكن ، وجاءت الخيل رهواً أي برفق وسكينة ، والرهو : السير السهل . اهـ . وكذا في اللسان .

(١) معاني القرآن للفراء ٤١/٣ وذكره الطبري ١٢٣/٢٥ وعزاه إلى مجاهد وابن جبير ، قال : المنابر ، والقول الأول أظهر ، وهو اختيار الجمهور ، قال ابن كثير ٢٣٨/٧ : ﴿ ومقام كريم ﴾ : هي المساكن الأنيقة ، والأماكن الحسنة . اهـ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٥/٧ وابن كثير ٢٤٠/٧ وأورد آثاراً كثيرة عن بكاء الأرض ، منها ما روي عن مجاهد أنه قال : « ما مات مؤمن إلا بكّت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً ، فقليل له : أوتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دويّ كدوي النحل ؟

الموضع الذي كان يُصَلِّي عليه ، ولم يكن في آل فرعون خيرٌ ، ولا كان لهم عملٌ صالحٌ يصعد ، قال الله تعالى ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .. ﴾ (١) .

وقيل : المعنى : فما بكى عليهم أهل السماء ، وأهل الأرض ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (٢) .

قال أبو جعفر : العربُ إذا عَظُمَتْ هَلَاكُ إنسانٍ قالت : بكت عليه السماء ، وأظلمت (٣) له الشمسُ ، على التمثيل كما قال :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في التفسير ٣٥٤/٥ من حديث أنس بن مالك مرفوعاً ، ولفظه ( ما من مسلم إلا وله في السماء بابان : باب يصعد فيه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه ، وتلا عليه هذه الآية ) وأخرجه الطبري ١٢٥/٢٥ عن ابن عباس ، وابن كثير ٢٤٠/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٠/٦ .

(٢) أي اسأل أهل القرية ، فهو على حذف مضاف ، وقد جعل المصنف الآية من هذا القبيل على رأي المفسرين ، وحكاها القرطبي ١٤٠/١٦ ورجح أنه على الحقيقة فقال : وقيل في الكلام إضمار أي ما بكى عليهم أهل السماء والأرض كقوله ﴿ واسأل القرية ﴾ بل سُرُوا بهلاكهم ، قاله الحسن ، ثم قال : والقول الأول أظهر ، أن السماء تبكي عليه ، وكذلك الأرض ، إذ لا استحالة في ذلك ، وإذا كانت السموات والأرض تُسبح ، وتسمع ، وتكلم ، فكذلك تبكي كما جاء به الخبر . اهـ .

(٣) في المخطوطة : وأظلمت له الشمس ، وهو خطأ وصوابه « وأظلمت » كما استشهد عليه ببيت الشعر « ليست بكأسفة .. » إلخ . قال ابن الجوزي ٣٤٥/٧ : إن العرب إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم قال : أظلمت له الشمس ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح والسماء والأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة . اهـ .

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ .

تُبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ<sup>(١)</sup>

ثم قال تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ : أي مؤخرين .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ .

مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [ آية ٣١ ] .

قال قتادة : كان يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ<sup>(٢)</sup> .

١٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[ آية ٣٢ ] .

قال قتادة : على عَالَمِي أَهْلِ زَمَانِهِمْ<sup>(٣)</sup> .

---

(١) البيت لجرير كما في ديوانه ص ٢٣٥ يرثي أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » وذكره في البحر المحيط ٣٦/٨ والقرطبي ١٤٠/١٦ وابن الجوزي ٣٤٦/٧ ، والصحاح ، واللسان ، وفيه ما يسميه علماء البيان بالتعقيد اللفظي ، ومراده أن الشمس حال كونها طالعة ، ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر ، تبكي عليك ، فقدّم « تبكي عليك » فأوهم أن « نجوم الليل » فاعل تبكي ، بينما هي منصوبة باسم الفاعل « كاسفة » أي ليست كاسفة نجوم الليل والقمر ، وهي تبكي عليك ، فافهمه فإنه أسلوب دقيق المعنى .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٥ وابن الجوزي ٣٤٧/٧ والقرطبي ١٤٢/١٦ وهو رأي جمهور المفسرين ، وقد جاء مفسراً في قوله تعالى في البقرة ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ، يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ .. ﴾ آية رقم ٤٩ .

(٣) هذا قول الجمهور أن المراد عالمي زمانهم ، بدليل قوله تعالى عن هذه الأمة الحمدية ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾ قال الطبري ١٢٧/٢٥ : « أي على عالمي أهل زمانهم يومئذ ، وذلك زمان موسى عليه السلام ، ولكل زمان عالم » . اهـ . وهكذا قال ابن كثير ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وغيرهم من المفسرين .

١٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾  
[ آية ٣٣ ] .

قال قتادة : أنجاهم من عدوهم ، وأقطعهم البحر ، وأنزل  
عليهم المن ، والسَّلوى<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : فالبلَاءُ ههنا النعمة على هذا القول ، كما قال  
الشاعر :

﴿ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو ﴾<sup>(٢)</sup>

وقد يكون البلاء ههنا: العذابُ ضدُّ النعمة أي لحقهم البلاء لما  
كفروا بآيات الله<sup>(٣)</sup> .

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري ١٢٧/٢٥ وابن الجوزي ٣٤٧/٧ والقرطبي ١٤٣/١٦ والراجح العموم أن المراد بالآيات هنا المعجزات ، والحجج ، والبراهين ، وخوارق العادات وسائر الآيات الباهرة مثل فلق البحر ، وتظليل الغمام .. إلخ. وهو ما اختاره الطبري ، وغيره من المفسرين .

(٢) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى ، كما في ديوانه ص ١٠٩ وصدره :  
« رَأَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو »  
أي صنع لهما خير الصنيع الذي يتلى به عباده ، وعلى هذا يكون البلاء بالنعمة هنا ، وهو قول الحسن ، وقاتادة ، ومعنى الآية ﴿ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾ أي ما فيه نعمة ظاهرة كما قال تعالى ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ .

(٣) هذا قول آخر ذكره الفراء في كتابه معاني القرآن ٤٢/٣ حيث قال : « بلاء مبين » يريد نعم بيّنة ، منها إنجائهم من آل فرعون ، وتظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسَّلوى عليهم .. إلخ. وقد قيل : إن البلاء عذاب ، وكل صواب . اهـ. واختار الطبري العموم وأن الله ابتلاهم بالرخاء والشدة ، وبالخير والشر ، امتحاناً وابتلاءً ، وهو اختيار ابن كثير أيضاً ، وهو الأرجح .

١٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ [ آية ٣٥ ] .

« إِنْ هَؤُلَاءِ » يعني قريشاً « إِنْ هِيَ » بمعنى ما هي ،  
والمُنْشَرُونَ : المبعوثون ، أنشَرَ اللهُ الموتى فنشروا<sup>(١)</sup> ، كما قال الشاعر :

يَا آلَ بَكْرِ أَنْشِرُوا لِي كُلِّيًّا  
يَا آلَ بَكْرِ أَيَّنَ أَيَّنَ الْفِرَارُ ؟<sup>(٢)</sup>

١٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَاتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [ آية ٣٦ ] .

الفرءاء يذهب إلى أن قوله ﴿ فَاتُّوا ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ وحده  
على ما تستعمله العرب في مخاطبة الجليل<sup>(٣)</sup> .

(١) في المصباح : نُشِّرَ الموتى نشوراً : أحياهم ، ويتعدى بالآلف فيقال : أنشَرهم الله ، ونشرت الأرض : حييت وأنبئت . اهـ .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ص ٨٧ وهو لمهلهل بن ربيعة ، وانظر شرح سيبويه للأعلام ٣١٨/١ والخصائص لابن جني ٢٢٩/٣ وخزانة الأدب للبغدادى ٣٠٠/١ ، والشاهد فيه قوله « أَنْشِرُوا لِي » أي أحيوا لي .

(٣) يريد المصنف أن قوله ﴿ فَاتُّوا بِآبَائِنَا ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ على جهة التعظيم ، كما يُخاطب الملوك والعظماء بلفظ الجمع وانظر معاني القرآن للفرءاء ٤٢/٣ واستدل الفرءاء بقوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني ﴾ وقال بعض المفسرين : الخطاب للرسول والمؤمنين على وجه التعجيز ، أي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَحْيُوا لَنَا آبَاءَنَا لِيُخْبِرُونَا بِصَدَقِ مَا تَقُولُونَ !! وهذا هو الأظهر ، والله أعلم .

١٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَّعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ ﴾ [ آية ٣٧ ] .

قالت عائشة : كان تُبَّعٌ<sup>(١)</sup> رجلاً صالحاً ، فذمَّ الله قومه ، ولم يذممه .

وقال سعيد بن جبير : سأل ابن عباس كعباً : كيف ذكر الله جل وعز قوم تُبَّع ، ولم يذكر تُبَّعاً ؟ فقال : كان تُبَّعٌ ملكاً من الملوك ، وكان قومه كُفَّاناً ، وكان معهم قومٌ من أهل الكتاب ، فكان قومه يكذبون على أهل الكتاب عنده ، فقال لهم جميعاً : قربوا قرباناً ، فقربوا فتقبل قربان أهل الكتاب ، ولم يتقبل قربان قومه ، فأسلم ، فلذلك ذكر الله قومه ، ولم يذكره<sup>(٢)</sup> .

---

(١) هو تُبَّع الحميري أحد ملوك — سبأ — اليمن ، ذكره الطبري ١٢٨/٢٥ وابن كثير ٢٤٢/٧ والقرطبي ١٤٥/١٦ وغيرهم من المفسرين ، وقد ذكر أنه كان ملكاً مؤمناً وقومه كفار ، وروى الطبري بسنده عن عائشة « لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً » .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١/٦ بأوسع من هذا ، وذكر الحافظ ابن كثير ٢٤٢/٧ روايات عديدة مطوّلة ، عن تُبَّع وقومه ، وكذلك القرطبي ، وابن الجوزي ، ثم قال ابن كثير : وقوم تُبَّع — وهم سبأ — كانوا عرباً من قحطان ، وقد كانت جَمَيْرٌ كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَوْهُ « تُبَّعاً » كما يُقال « كسرى » لمن مَلَكَ الفرس ، و « قيصر » لمن مَلَكَ الروم .. إلخ . وكان تُبَّع — والله أعلم — كان كافراً ثم أسلم ، وتابع دين الكليم موسى ، على يَدَيَّيْهِ من كان من أحبار اليهود ، في ذلك الزمان على الحق ، قبل بعثة المسيح عليه السلام ، وحجَّ البيت ، وكساه الوصائل من الحرير ، وعظَّمه وأكرمه ، ثم عاد إلى اليمن . اهـ .

١٨ — وقوله جل وعز : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ آية ٣٩ ] .

﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي إِلَّا لِإِقَامَةِ الْحَقِّ (١) .

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [ آية ٤١ ] .

المَوْلَى : الولي ، والنَّاصِرُ ، كما قال الشاعر :

فَعَدْتُ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ

مَوْلَى الْمَخَافَةِ ، خَلَفَهَا وَأَمَامُهَا (٢)

وفي الحديث عن النبي ﷺ : ( مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ، فَعَلَيْي مَوْلَاهُ ) (٣) .

(١) جعل المصنف الباء في قوله تعالى ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ للسببية والتعليل ، أي ما خلقناهما إلا بسبب الحق ، وإقامة الحق ، وهو اختيار الطبري ، وقيل : الباء للملابسة والمعنى : ما خلقناهما إلا ملتبسين بالحق ، وهو ما رجحه الألوسي في روح المعاني .

(٢) البيت للبيد بن ربيعة كما في ديوانه ص ٣١١ يصف بقرة فقدت ولدها ، في فلاة واسعة ، وانظر الصحاح للجوهري واللسان مادة ولي .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/٤ والترمذي في المناقب رقم ٣٧١٤ وسنده صحيح ، وانظر فيض التقدير للمناوي ٢١٧/٦ ومعنى الحديث : من كنتُ وليه وناصره ، فعليّ وليه وناصره ، خصّه ﷺ بالثناء لمزيد علمه ، ودقيق فهمه واستنباطه ، وحسن سيرته ، وصفاء سريرته ، ورسوخ قدمه في الدين ، ولا يلزم من هذا تفضيله على أبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، بل هو بيان لفضله وعلمه ، وقد رواه البزار ، وزاد فيه قوله عليه السلام ( اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من أخذله ) .



في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يكون المعنى : من كنتُ أتولاهُ فعليُّ يتولاهُ .

والقول الثاني : من كان يتولاني تولاهُ .

والقول الثالث : أنه يُروى أن أسامةَ بن زيدٍ قال لعليٍّ عليه

السلام : لستَ مولايَ إنما مولايَ رسولُ الله ﷺ فقال عليه السلام :

( من كنتُ مولاهُ فعليُّ مولاهُ )<sup>(١)</sup> .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَنِيمِ ﴾ [ آية ٤٤ ] .

قال شعبة : سمعتُ سليمانَ عن مجاهد قال : كان ابن عباس

جالساً وفي يده مُحَجَّنٌ ، والناسُ يطوفون بالبیت ، فقال رسول الله

ﷺ : ( يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، فلو أنَّ

قطرةً من الزُّقُومِ قَطَرَتْ على أهلِ الدنيا ، لَأَمَرْتُ عَلَيْهِمْ عَيْشَهُمْ ،

فكيف بمن طعامُهُ الزُّقُومُ ؟ )<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ذكر هذه الرواية الإمام المناوي في فيض القدير على شرح الجامع الصغير ٢١٨/٦ ، وذكرها ابن

الأثير في النهاية عند ذكره الحديث ( من كنتُ مولاهُ فعليُّ مولاهُ ) فقال : الوليُّ : الناصر ، وقد

تكرر ذكر المولى في الحديث وهو اسم يقع على معانٍ كثيرة منها : السيد ، والمنعم ، والمعيق ،

والناصر ، وابن العم ، والخليف ، وكلُّ من وَلِيَ أمراً فهو مولاهُ ووليُّه ، ثم قال : وسبب الحديث

أن أسامة قال لعلي : لستَ مولايَ .. الحديث ، قال الهروي : أي من أحبني وتولاني فليتولاهُ .

اهـ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه بلفظ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت

على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه » قال الترمذي : وهذا حديث حسن

صحيح . اهـ . تحفة الأحوذى ٣٠٧/٧ ورواه أيضاً ابن ماجه برقم ٤٣٨٠ في باب صفة النار ،

وذكره الطبري عن مجاهد عن ابن عباس ١٣١/٢٥ وابن كثير ١٧/٧ .

قال أبو الدرداء : ﴿ طَعَامُ الْأَيْتِمِ ﴾ : طعامُ الفاجر<sup>(١)</sup> .

٢١ — ثم قال جل وعز : ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغْلِي الْحَمِيمِ ﴾

[ آية ٤٥ ] .

روى سعيد بن جبیر ، وأبو ظبيان عن ابن عباس قال :  
المُهْل : دُرْدِيُّ الزَّيْتِ<sup>(٢)</sup> .

ثم قال ﴿ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾<sup>(٣)</sup> يعني الشجرة .

ومن قال ﴿ يَغْلِي ﴾ : جعله للطعام ، والزقوم .

وقال الفراء وأبو حاتم : من قال ﴿ يَغْلِي ﴾ جاز أن يجعله  
للمُهْل<sup>(٤)</sup> .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٣١/٢٥ وابن كثير ٢٤٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢/٦ ولفظه كما في الدر « كان أبو الدرداء يقرئ رجلاً ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْتِمِ ﴾ فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم ، فلمَّا رأى أبو الدرداء أنه لا يفهم قال ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْفَاجِرِ ﴾ وأخرجه ابن المنذر ، وإلحاًم وصححه ، وهذا محمول على التفسير ، وليس بقراءة .

(٢) دُرْدِيُّ الزَّيْتِ : أي عَكَّرُ الزيت ورديقه ، وهو ما يبقى من الحُثالة في آخره ، قال في اللسان : ودردِيُّ الزيت : ما يبقى في أسفله ، وأصله ما يركد في أسفل كل مائع . اهـ . والأثر ذكره الطبري ١٣١/٢٥ وابن كثير ٢٤٥/٧ .

(٣) في الآية قراءتان سبعيتان ، فقد قرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، وحمة « تغلي » بالثاء ، وقرأ ابن كثير وحفص « يغلي » بالياء ، وقد نبّه المصنف على معنى كل قراءة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧١/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٤٣/٣ قال : « يَغْلِي » إن شئت جعلتها للطعام ، أو للمُهْل .

قال أبو جعفر : وهذا غَلَطٌ ، لأنَّ الْمُهْلَ ليس هو الذي يغلي  
في البطون ، وإنما شُبِّهَ به ما يَغْلِي .

والحميم : الماء الحارُّ ، كما قال :  
« فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ »<sup>(١)</sup>

الكِبَاءُ : البخورُ ، يُقال : كَبَبْتُ العودَ أي بَحَرْتُهُ ، والكِبَا  
مقصورٌ : الكُنَاسَةُ<sup>(٢)</sup> .

٢٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾  
[ آية ٤٧ ] .

أي يقول للملائكة : خذوه فاعْتِلُوهُ<sup>(٣)</sup> .

قال مجاهد : أي فادفعوه .

---

(١) هذا شطر بيت أنشده شمر للمرقش كما في لسان العرب ، وتهذيب اللغة مادة « حمم » وقامه :  
كُلُّ عِشَاءٍ لَهَا مِقْطُورَةٌ ذَاتُ كِبَاءٍ مُعَدٌّ وَحَمِيمٍ  
قال الأزهري : الحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد ، يكون الماء البارد ، ويكون الماء الحار ،  
قال الشاعر :

وَسَاعَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ  
(٢) في المخطوطة « فيها كِبَا » وصوابه « كِبَاءٌ » قال في القاموس : الكِبَاءُ كَكِسَاءٍ : عودُ البخور ،  
وبالقصر كَالِي : الكُنَاسَةُ .

(٣) الخطاب للملائكة كما قال المفسرون أي يقال للزبانية : خذوا هذا الفاجر اللئيم ، فسوقوه وجروه  
بعنف ، إلى وسط الجحيم .

قال أبو جعفر : يُقال : عَتَلَهُ ، يَعْتَلُهُ ، وَيَعْتَلُهُ : إذا جَرَّه بعنْفٍ ، وشِدَّة<sup>(١)</sup> .

قال قتادة : ﴿ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ إلى وسطِ الجحيم .

٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [ آية ٤٩ ] .

وقرأ الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلَام ﴿ ذُقْ أَنْتَ ﴾ بفتح الهمزة<sup>(٢)</sup> ، وهي قراءة الكسائي ، والمعنى عليها : ذُقْ لأنك كنت تقول هذا ، والمعنى : على قولك .

قال قتادة : أنزل الله عز وجل في « أبي جهل » الآية ﴿ أُولَى لَكَ فَأُولَى . ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴾ فقال : أيوعدني محمدٌ ، وما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم ؟ فأنزل الله ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

---

(١) قال الأزهري : عَتَلَهُ ، أَعْتَلَهُ ، وَأَعْتَلَهُ : إذا دفعته دفعاً عنيفاً ، وهما لغتان فصيحتان ، وقد قرئ بهما ، وقوله تعالى ﴿ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ أي خذوه فاقصفوه كما يقصف الخطبُ ، رواه الأعمش عن مجاهد . اهـ . تهذيب اللغة وفي كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ : اختلفوا في كسر التاء وضمها من قوله ﴿ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ برفع التاء ، وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ﴿ فَأَعْتَلُوهُ ﴾ بكسر التاء ، وكذا في النشر في القراءات العشر ٣٧١/٢ .

(٢) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٧١/٢ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ ﴾ قرأ الكسائي بفتح الهمزة ، وقرأ الباقون بكسرها . اهـ .

أقول : فكل من القراءتين سبعة ، أما على قراءة الفتح فيكون للتعليل ، ذُقْ لأنك أنت العزيز الكريم ، وعلى كلا القراءتين فالغرض التهكم والتوبيخ .

الكَرِيمُ ﴿ وَأَنْزَلَ فِيهِ ﴿ كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (١) .

٢٤ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [ آية ٥١ ] .

قال الكسائي : المقام : المكان ، والمقام : الإقامة (٢) ، كما

قال :

« عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا » (٣)

ومعنى ﴿ أمين ﴾ أي من العلل والأحزان .

قال قتادة : « أمين » من الشيطان والأنصاب ، والأحزان (٤) .

٢٥ — وقوله جل وعز : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾

[ آية ٥٣ ] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣٤/٢٥ وابن كثير ٢٤٧/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣/٦ عن قتادة ، وقال : أخرجه عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وقال في البحر المحيط ٤٠/٨ : وهذا على سبيل التهكم والفرع لمن كان يتعزز ويتكرم على قومه .

(٢) قال الجوهري : المَقَامُ والمُقَامُ ، قد يكون كل منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ، تقول : أقام بالمكان إقامةً ، والمُقَامَةُ بالضم : الإقامة ، وبالفتح : المجلس ، والجماعة من الناس . اهـ. الصحاح .

(٣) هذا شطر بيت للبيد من أول معلقته ، وهو في ديوانه ص ٢٩٧ وتماه :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا      بَيْنِي تَأْبُدُ غَوْلُهَا فَرِحَامُهَا

وذكره الجوهري في الصحاح مادة « قوم » والقرطبي في جامع الأحكام ١٥٢/١٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣٥/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣/٦ ويجمع الأقوال ما قاله الشوكاني ٥٧٩/٤ : ﴿ في مقام أمين ﴾ يأمن صاحبه من جميع المخاوف ، وكذا قال ابن كثير ٢٤٦/٧ : قد أمنتوا من الموت ، والخروج ، ومن كل همٍّ ، وحزن ، وجزع ، وتعب ، ونصب ، ومن الشيطان وكيدته ، وسائر الآفات والمصائب . اهـ .

قال عكرمة : الاستبرق : غليظ الدِّياج (١) .

قال أبو إسحاق (٢) : الاستبرق مأخوذ من البريق ، وهو الذي يجعل على الكعبة ، والسندس الرقيق منه .

٢٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [ آية ٥٤ ] .

قال مجاهد : أي أنكحناهم (٣) .

قال قتادة : وفي قراءة عبد الله ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِعِيسٍ عِينٍ ﴾ (٤) ومعناه : البيض ، يُقال : جَمَلٌ أَعْيَسُ ، إذا كان أبيضَ يَضْرِبُ إلى الشُّقْرَةِ (٥) .

٢٧ — ثم قال جل وعز : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [ آية ٥٥ ] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن عكرمة ١٣٦/٢٥ والقرطبي ١٥٢/١٦ قال الطبري : والمعنى : يلبس هؤلاء المتقون في الجنات ﴿ من سندس ﴾ وهو ما رق من الديباج ﴿ واستبرق ﴾ وهو ما غلظ من الديباج . اهـ .

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٣٦/٢٥ قال : والمعنى : كما أكرمناهم بإدخال الجنات ، وإلباسهم فيها السندس والاستبرق ، كذلك أكرمناهم فزوجناهم حوراً من النساء ، وهنَّ النقيّات البيضاء ، العظيمات العيون . اهـ .

(٤) هذه القراءة عن ابن مسعود من القراءات الشاذة كما في المختسب لابن جني ٢٦١/٢ وذكرها الطبري ١٣٦/٢٥ في جامع البيان ، والفراء في معاني القرآن ٤٤/٢ قال : والعيساء : البيضاء ، والحواء كذلك .

(٥) قال الجوهري : العيس بالكسر : الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة ، واحدها أعيس ، والأثنى عيساء ، وكذلك في المصباح .

قال قتادة : آمنين من الموت ، والوصب ، والشيطان<sup>(١)</sup> .  
وقال غيره : آمنين من انقطاع ذلك<sup>(٢)</sup> ، ومن غائلة أذاه ،  
ومكروهه ، وليس كفاكهة الدنيا التي لها غائلة ، وتنفذ .

٢٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ،  
وَوَقَّاهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [ آية ٥٦ ] .

المعنى : لا يذوقون فيها الموت البتة ، ثم قال ﴿ إِلَّا الْمَوْتَةَ  
الْأُولَى ﴾ استثناء ليس من الأول ، وأنشد سيبويه :

مَنْ كَانَ أَسْرَعَ فِي تَفَرُّقٍ فَالْجِ  
فَلَبَّيْهُ جَرَيْتَ مَعَاً وَأَغْدَتِ<sup>(٣)</sup>  
ثم استثنى ما ليس من الأول فقال :  
إِلَّا كَنَاشِرَةَ التِّي ضَيَّعْتُمْ  
كَالْغُصْنِ فِي غُلُوَائِهِ الْمُتَنَبِّتِ

- 
- (١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣٧/٢٥ والقرطبي ١٣٤/١٦ والشوكاني ٥٧٩/٤ .  
(٢) هذا ما اختاره ابن كثير ٢٤٧/٧ حيث قال : ﴿ آمنين ﴾ أي وهم آمنون من انقطاعه ، وامتناعه ، بل  
يحضر لهم كل ما أرادوا . اهـ . والأولى أنه على العموم ، أي آمنين من التخيم ، والأمراض ،  
والآفات ، والأكدار ، ومن انقطاع النعم في الجنة .  
(٣) البيتان للشاعر ( عنز بن دجاجة المازني ) وهما من شواهد سيبويه ص ٧٣ وقد ورد فيه البيت  
الأول بلفظ « من كان أشرك في تفرق فالج » .. إلخ . وانظر كتاب سيبويه شرح قبر ٣٢٨/٢  
وجامع الأحكام للقرطبي ١٥٤/١٦ والشاهد فيه « إِلَّا كَنَاشِرَةَ » فالاستثناء فيه منقطع بمعنى  
لكن ، فالشاعر يدعو على بني مازن الذين تسببوا في هجر فالج لوطنه ، ويستثنى منهم « ناشرة »  
لأنه لم يرض بصنيعهم . اهـ . والآية على هذا الرأي معناها : لا يذوقون في الجنة الموت أبداً ، لكن  
الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا .

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾  
[ آية ٥٧ ] .

قال الفراء : أي فعل ذلك تفضلاً<sup>(١)</sup> .

٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ [ آية ٥٩ ] .  
أي منتظرون .

\* \* \*

« انتهت سورة الدخان »

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤٤/٣ وعلى قوله ﴿ فضلاً ﴾ جعله مفعولاً لفعل محذوف تقديره : فعل ذلك بهم تفضلاً منه عليهم ، وقيل : منصوب على أنه مفعول مطلق ، أي تفضل عليهم تفضلاً ، كما في حاشية الجمل على الجلالين .



تفسير سورة الحاثية  
مكية وآياتها ٧٣ آية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ الْكَافِيَّةِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ آية ٣ ] .

والمعنى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(١)</sup> .

وَدَلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ .. ﴾ [ آية ٤ ] .

وَكُلُّ مَا فِيهِ الرُّوحُ ، فَهُوَ دَابَّةٌ <sup>(٢)</sup> .

٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ ﴾ [ آية ٥ ] .

(١) على هذا أكثر المفسرين ، وقال أبو حيان في البحر المحييط ٤٢/٨ : اَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أَي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ كَقَوْلِهِ ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ ﴾ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُرَادُ التَّخْصِصُ بِالْخَلْقِ ، بَلْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْعُمُومِ ، أَي فِي أَي شَيْءٍ نَظَرْتَ مِنْهُمَا مِنْ خَلْقٍ ، وَمِنْ غَيْرِهِ ، مِنْ تَسْخِيرٍ وَتَنْوِيرٍ ، لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . اهـ .

(٢) قال في المصباح : كُلُّ حَيَوَانٍ فِي الْأَرْضِ دَابَّةٌ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ وَتَخْصِصُ الْفَرَسَ ، وَالْبَغْلَ ، بِالْدَابَّةِ ، عُرِفَ طَائِرُ . اهـ .

قال قتادة : إن شاء جعلها رحمةً ، وإن شاء جعلها عذاباً<sup>(١)</sup> .

٣ — وقوله جل وعز : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْثُلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ آية ٦ ] .

أي بعد قرآن الله<sup>(٢)</sup> ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ .

٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [ آية ٧ ] .

الْأَفَّاكُ : الكَذَابُ<sup>(٣)</sup> .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ .. ﴾ [ آية ١٣ ] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٤١/٢٥ وعزاه في الدر المنثور ٣٤/٦ إلى ابن جريج .

أقول : هذا نوع من أنواع تصريف الرياح أن يجعلها الله رحمةً على قوم ، وعذاباً وهلاكاً لآخرين ، والأولى التعميم ، كما قال ابن كثير ﴿ وتصريف الرياح ﴾ : أي جنوباً ، وشمالاً ، بحرية ، وبرية ، منها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح الأشجار ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ، ومنها ما هو عقيم . اهـ . وفي الحديث ( نُصِرْتُ بالصَّبَا ، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بالدَّبُور ) .

(٢) قال في البحر المحيط ٤٩/٨ ﴿ بعد الله .. ﴾ الآية فيها تقريب وتوبيخ وتهديد ، والمراد بقوله ﴿ بعد الله ﴾ أي بعد حديث الله ، وهو كتابه وكلامه كقوله تعالى ﴿ الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ وقوله ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي بعد حديث الله وكلامه ؟ فالآية على حذف مضاف .

(٣) في الصحاح : الإفْك : الكذب ، ورجلٌ أَفَّاكٌ أي كَذَّاب . اهـ . والصيغة تدل على المبالغة لأنها على صيغة فَعَال ، وهي من أوزان المبالغة كما قال ابن مالك :

« فَعَالٌ أَوْ مَفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ فِي كَثَرَةٍ عَنْ فَاعِلٍ يَدِيلُ »

قال المفسرون : نزلت الآية في « النضر بن الحارث » كان يشتري أحاديث العجم ، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن ، والآية عامة في كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة .

روى إسرائيل عن سَمَاكِ عن عكرمة عن ابن عباس قال : منه  
النُّورُ ، ومنه الشمسُ ، ومنه القمرُ<sup>(١)</sup> .

وَيُقْرَأُ ﴿ جَمِيعاً مِنَّةً ﴾<sup>(٢)</sup> بمعنى مَنْ بِهِ مِنَّةٌ .

وَيُقْرَأُ ﴿ مِنَّةً ﴾<sup>(٣)</sup> بمعنى : ذَلِكَ مِنَّةٌ .

وَيَجُوزُ ﴿ مِنَّةً ﴾<sup>(٤)</sup> على أنه مصدر ، كما قال تعالى ﴿ صَنَعَ  
اللَّهُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ  
اللَّهِ .. ﴾ [ آية ١٤ ] .

قال مجاهد : أي لا يبالون نِعَمَ اللَّهِ<sup>(٦)</sup> ، أي لا يعلمون أنه أنعم

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٤/٦ عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري عنه ١٤٣/٣٥ فقال : « كُلُّ شَيْءٍ هُوَ مِنَ اللَّهِ ، لَا يَنَازِعُهُ فِيهِ الْمَنَازِعُونَ » وقال ابن كثير : الكواكبُ ، والجبالُ ، والبحارُ ، والأنهارُ ، وجميع ما تنفقون به ، الجميع من فضله ، وإحسانه ، وامتنانه . اهـ .

(٢ — ٤) هذه الوجوه من القراءات ﴿ مِنَّةً ، أو مِنَّةً ، أو مِنَّةً ﴾ كلها قراءات شاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢٦٢/٢ وليس فيها شيء من القراءات السبع ، ومعلوم أنه لا يُقرأ بالشاذ ، وإنما تُذكر لبيان الوجوه التي تحتملها الآية فقط .

(٥) سورة النمل آية رقم ٨٨ وتقرأ الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴿ .

(٦) الطبري عن مجاهد ١٤٤/٢٥ في قوله ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ قال : لا يُبالون نِعَمَ اللَّهِ ، أو نقم الله ، وابن الجوزي ٣٥٨/٧ .

أقول : إذا فُسِّرَتْ « أيام الله » بنعمه فالرجاء على أصله ، وإذا فسرت بالنقم والعقوبات ، =

بها عليهم ، كما قال تعالى ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون المعنى : لا يرجون البعث ،  
أي لا يؤمنون به .

وقال قتادة : هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ فَاقْتُلُوا  
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا  
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ آية ١٨ ] .

روى سعيد عن قتادة قال : الشريعة : الفرائض ، والحدود ،  
والأمر ، والنهي <sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : الشريعة في اللغة : المذهب ، والملة ، ومنه  
شرع فلان في كذا ، ومنه [ الشارح ] لأنه طريق إلى المقصد ، فالشريعة

---

= فالرجاء بمعنى الخوف أي لا يخافون عقاب الله ، والأظهر كما قال النحاس أن المراد ﴿ لا يرجون  
أيام الله ﴾ أي لا يرجون لقاءه ، ولا يؤمنون بالبعث والنشور .

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٥ وتامها ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى  
النور وذكرهم بأيام الله ﴾ .

(٢) هذا رأي الأكتيين أن الآية منسوخة ، قال ابن كثير ٢٥١/٧ : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا .. ﴾  
الآية أي يصفحوا عنهم ، ويحملوا الأذى منهم ، وهذا كان في ابتداء الإسلام ، أمروا أن يصبروا  
على أذى المشركين ، وأهل الكتاب ، تأليفاً لقلوبهم ، ثم لما أصرُّوا على العناد ، شرع الله  
للمؤمنين الجلاء والجهاد . اهـ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٤٧/٢٥ والقرطبي ١٦٣/١٦ والدر المنثور ٣٥/٦ .

ما شرع الله لعباده من الدين ، والجمع : الشرائع [ <sup>(١)</sup> أي المذاهب .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [ آية ٢٠ ] .

أي هذا القرآن <sup>(٢)</sup> .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [ آية ٢١ ] .

﴿ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي : كسبوا السيئات <sup>(٣)</sup> ، ومنه ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ومنه الجوارح <sup>(٥)</sup> أي الكواسب .

١٠ — وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [ آية ٢١ ] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سطر كامل سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من القرطبي ، لأنه ينقل كثيراً عن الإمام النحاس .

(٢) الإشارة ﴿ هذا ﴾ تعود على القرآن ، كما قال الطبري : هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ، بصائر للناس ، يصرون به الحق من الباطل . اهـ .

(٣) في الصحاح : جَرَحَ واجترَحَ ، أي اكتسب ، والجوارحُ من السباع والطيور : ذوات الصيد ، وجوارح الإنسان : أعضاؤه التي يكتسب بها . اهـ .

(٤) الآية من سورة الأنعام رقم ٦٠ وأولها ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ أي ما اكتسبتموه وفعلتموه .

(٥) يشير المصنف إلى آية المائدة ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلّبين تعلّمونهم مما علمكم الله ﴾ وهي كما قال ابن عباس : الكلاب ، والضفقر المعلّمة .

قال مجاهد : المؤمن يموت مؤمناً ، ويُبعث مؤمناً ، والكافر يموت كافراً ، ويُبعث كافراً<sup>(١)</sup> .

ويُقرأ : ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقرأ الأعمش : ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : القراءة الأولى أحسن من جهة المعنى على قول مجاهد ، وهي أيضاً أجود عند النحويين من جهة الإعراب .

وقراءة الأعمش على البدل ، وعند الفراء بمعنى الظرف<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٤٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥/٦ والقرطبي ١٦٦/١٦ .

(٢) قراءة النصب ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ ﴾ هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وحفص ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، بالرفع ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ ﴾ وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر ٣٧٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٩٥ .

(٣) قراءة الجر ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ ذكرها في البحر المحيط ٤٧/٨ وليست من القراءات السبع ، فهي جائزة لغة لا تلاوة .

(٤) انظر كلام الفراء في معاني القرآن ٤٧/٣ قال في التسهيل ٧٠/٤ : وهذه الجملة داخلية فيما أنكره الله مما ظنه الكفار ، وقيل : هي كلام مستأنف ، أي : إن محيا المؤمنين ومماتهم سواء ، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء ، لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ما قبلها . اهـ .

أقول : هذا هو الظاهر والصحيح ، كما نبه ابن جزي ومعنى الآية على قوله : هل يظن الكفار الفجار ، الذين اكتسبوا المعاصي والآثام ، أن نجعلهم كالمؤمنين الأبرار ، ونساوي بينهم في المحيا والممات ؟ لا يمكن أبداً المساواة بين الأبرار والفجار ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، كقوله سبحانه ﴿ أقمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستترون ﴾ .



١١ — وقوله جل وعز : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ .. ﴾ [ آية ٢٣ ] .

قال سعيد بن جبير : كان أحدهم يعبد الحَجَر ، فإذا رأى أحسن منه ، قال : هذا أحسن من هذا ، فعَبَّده<sup>(١)</sup> .

وقال الحسن وقادة في قوله ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ قال : المنافق إذا هَوِيَ شيئاً رَكِبَهُ<sup>(٢)</sup> .

ثم قال : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [ ية ٢٣ ] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ قد عَلَّمَهُ عنده<sup>(٣)</sup> .

---

(١) الأثر في الطبري ١٥٠/٢٥ والقرطبي ١٦٧/١٦ والبحر المحيط ٤٨/٨ .

(٢) قال في البحر المحيط ٤٨/٨ : كانوا يعبدون ما يَهْوُونَ من الحجارة ، قال قادة : لا يَهْوِي شيئاً إلا رَكِبَهُ لا يخاف الله ، فلهذا يقال : « الهَوَى إِلَهٌ مَعْبُودٌ » وقد كان أحدهم يهوى الحجر فيعبده ، ثم يرى غيره فيهواه ، فيلقى الأول ويعبد الثاني ، والآية وإن نزلت في هوى الكفر ، فهي متناولة لجميع هوى النفس الأمارة ، وهذا قول ابن عباس ، وقادة ، والحسن البصري ، كما نقله القرطبي ١٦٦/١٦ أن الكافر اتخذ دينه ما يهواه ، فلا يهوى شيئاً إلا رَكِبَهُ ، ولهذا قال ابن عباس : ما ذكر الله الهوى إلا ذمّه .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ١٥١/٢٥ والضمير على هذا القول ، يرجع إلى الله تعالى ، أي أضلَّهُ الله في سابق علمه ، وهو اختيار الطبري حيث قال : أي خذله الله عن محجة الطريق ، في سابق علمه ، على علم منه تعالى بأنه لا يهتدي .

والقول الثاني أن الضمير يعود على العابد أي وأضلَّ الله ذلك الشقي حال كونه عالماً بالحق غير جاهل به ، فهو أشد قبحاً وشناعة ، ممن يضل عن جهل ، وهذا القول أظهر .

وقيل : ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ أنه لا ينفعه ، ولا يضره .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

يقال : هم لا يُقِرُّون بالبعث ، فما معنى ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ؟  
ففيه ثلاثة أجوبة :

١ — منها أن المعنى : يموت بعضنا ، ويحيى بعض<sup>(١)</sup> .

٢ — ومنها أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وأن المعنى : نحيا ، ونموت<sup>(٢)</sup> .

٣ — والجواب الثالث : أن معنى ﴿ نَمُوتُ ﴾ نُخْلَقُ مَوَاتاً ، ثم نحيا في الدنيا .

وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ :

---

(١) هذا القول هو أرجح الأقوال وأظهرها ، وهو اختيار الأكثرين والمعنى : قال المشركون : لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، يموت بعضنا ويحيى بعضنا ، ولا آخرة ، ولا بعث ، ولا نشور ، قال ابن كثير ٢٥٣/٧ : هذا قول الدهرية من الكفار ، يريدون ما تَمَّ إِلَّا هذه الدار ، يموت قوم ، ويعيش آخرون ، وما تَمَّ معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد . اهـ .

(٢) هذا القول بناء على أن الواو لمطلق الجمع ولا تفيد ترتيباً ، وقد ذكره الطبري ١٥١/٢٥ فقال : ويحتمل أن يكون المعنى : نحيا ونموت ، على وجه تقديم الحياة قبل الممات ، وهذا تفعله العرب في « الواو » خاصة كما يقال : قمتُ وقعدتُ بمعنى : قعدت وقمت . اهـ .

قال مجاهد : أي الزَّمانُ أي مرَّ السنينَ ، والأَيَّامُ (١) .

وفي الحديث عن النبي ﷺ ( لا تسبُّوا الدهرَ ، فإنَّ الله هو الدهرُ ) (٢) .

### في معناه ثلاثة أقوال :

١ — منها أن المعنى : لا تسبُّوا خَلْقاً من خلق الله ، فيما لا ذنب له فيه « فإن الله هو الدهرُ » أي خالقُ الدهرِ (٣) ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ .

٢ — وقيل : لما كانوا يقولون فعلَ الله بالزمان ، فإنه قد فعل بنا كذا ، وكان الله جلَّ وعزَّ هو القاضي بتلك الأشياء ، قال لهم : لا تسبُّوا فاعل

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٥٣/٢٥ والقرطبي ١٧٠/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥/٦ قال الطبري : أي ما يُفنيها إلا مرَّ الليالي والأيام ، وطول العمر ، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربٌّ ، يُفنيهم ويهلكهم . اهـ .

(٢) الحديث رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ١٧٦٣/٤ وأحمد في المسند ٢٩٩/٥ وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٦٦/٦ بلفظ ( يؤذيني ابنُ آدمَ يسبُّ الدهرَ ، وأنا الدهرُ ، بيدي الأمرُ ، أُقلبُ الليلَ والنَّهارَ ) .

(٣) أحسن ما قيل في معنى الحديث ، ما قاله الشافعي وأبو عبيدة : كانت العرب في جاهليتها ، إذا أصابهم شدةٌ ، أو بلاءٌ ، أو نكبةٌ ، قالوا : يا خيبة الدهرِ ، فيُسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونهُ ، وإنما فاعلها هو الله ، فكانهم إنما سبُّوا الله عز وجل ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نُهي عن سبِّ الدهر بهذا الاعتبار ، قال ابن كثير : هذا أحسن ما قيل في تفسير الحديث .

الأشياء ، فإن الدهر ليس يفعلها<sup>(١)</sup> .

٣ — وقد رُوي ( فإن الله هو الدهر ) والمعنى عليه : لا تسبوا الدهر ، فإن الله مقيم الدهر ، أي مقيم أبداً لا يزال<sup>(٢)</sup> .

وقد رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال : قولهم لا نُبْعَث<sup>(٣)</sup> .

١٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا .. ﴾ [ آية ٢٨ ] .

في معناه قولان :

رَوَى وِرْقَاءُ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وابنُ عيينة عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ﴾

---

(١) هذا القول هو خلاصة قول الشافعي رحمه الله كما ذكرناه ، ويؤيده ما أخرجه ابن جرير ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن النبي ﷺ ( إن الله تعالى قال : لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر ، فإنني أنا الدهر ، أقلبُ ليله ونهاره ، وإذا شئتُ قبضتُهما ) الطبري ١٥٣/٢٥ .

(٢) هذا القول غريب وبعيد ، والصحيح ما ذكرناه ، فإنهم كانوا يضيفون الأمور إلى الدهر ، والله هو الفاعل لهذه الأمور ، فيرجع السبُّ إليه سبحانه ، وانظر القرطبي في جامع الأحكام ١٧١/١٦ ففيه كلام نفيس .

(٣) مراده : ما لهم بأمر البعث والنشور ، والجزاء والمعاد ، علمٌ يقيني ، ولا مستند من عقل أو نقل ، بل هو مجرد ظنون وأوهام ، يقولونه تحريصاً من غير دليل ولا برهان ، وهو خلاصة قول ابن جرير الطبري رحمه الله .

قال : مُسْتَوْفِرِينَ عَلَى الرُّكْبِ (١) .

قال مجاهد — في رواية ابن أبي نجيح — الأُمَّة ههنا :

الواحد (٢) .

قال سفيان بن أبي عُيينة : ولا يكون المستوفز إلا على ركبته ،

وأطراف أصابعه (٣) .

قال الضحاك : ﴿ جَائِيَّةٌ ﴾ : عند الحساب (٤) .

فهذا قول .

وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَّةٌ ﴾ قال :

أهل كل دين ، وجائية : مجتمعة (٥) .

قال أبو جعفر : قد يُقال لما اجتمع من التراب : جُثْوَةٌ ،

فأحسبُ الفراء أخذه من هذا ، قال الشاعر :

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا

صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيدٍ مُنْضَدٍ (٦)

---

(١ — ٤) انظر هذه الآثار في الطبري ١٥٤/٢٥ والقرطبي ١٧٤/١٦ والبحر المحيط ٥٠/٨ قال أبو

حيان : ﴿ جائية ﴾ أي باركة على الركب ، مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف . اهـ . وكلُّ الأقوال التي ذكرها المصنف متقاربة ، ولهذا عدّها المصنف قولاً واحداً .

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٨/٣ قال : ﴿ وتري كل أمة جائية ﴾ يريد أهل دين « جائية » يقول مجتمعة للحساب ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يقول : إلى حسابها ، وهو من قوله تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ . اهـ .

(٦) البيت لطرفة بن العبد ، يصف قبرين ، كما في ديوانه ص ٤٨ وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ١٧٤/١٦ وفي البحر المحيط ٥٠/٨ وقد ورد في الديوان الشطر الثاني بلفظ « صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيدٍ مُنْضَدٍ » .

والقول الأول أعرف ، وأشهر .

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [ آية ٢٨ ] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن كتابها ما فُرض عليها ، من حلال وحرام <sup>(١)</sup> .

والقول الآخر : أن كتابها ما كتبت الملائكة عليها <sup>(٢)</sup> .

وهذا أولى ، لأن بعده ما يدل عليه .

١٥ — وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [ آية ٢٩ ] .

﴿ يَنْطِقُ ﴾ أي يُبَيِّنُ .

أي تنظرون فتذكرون ما عملتم <sup>(٣)</sup> .

---

(١) هذا قول الماوردي كما في تفسير ابن الجوزي ٣٦٤/٧ قال : كتابها الذي أنزل على رسوله ، وهو قول مرجوح .

(٢) هذا قول الأكثرين أن المراد به صحائف أعمالها التي سجلتها الحفظة عليها ، قال الطبري : تدعى إلى كتابها الذي أُملئت على حفظها ، وقال ابن كثير : يعني كتاب أعمالها . اهـ . ويؤيده قوله تعالى ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مَشْفُقِينَ مِمَّا فِيهِ ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ فهي صريحة في كتاب الأعمال ، والله أعلم .

(٣) المراد بقوله ﴿ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي يشهد عليكم بما عملتم ، ففيه استعارة تصريحية ، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة ، لأن شهادة الكتاب ببيانه ، أقوى من شهادة الإنسان بلسانه ، وأعمالهم القبيحة لوضوحها كأنها تنطق بإجرامهم .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[ آية ٢٩ ] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى ما تكتبه الملائكة ، وتنسخه من أعمال بني

آدم<sup>(١)</sup> .

والقول الآخر : رواه سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال :  
فَرَعَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ مَا هُوَ كَائِنٌ ، فَنَسَخَ الْمَلَائِكَةُ مَا يُعْمَلُ يَوْمًا يَوْمًا ،  
من اللوح المحفوظ ، فيقابل به ما يعمل الإنسان ، لا يزيد على ذلك ،  
ولا ينقص .

قال : فقيل لابن عباس : ما توهمنا إلا أنهم يكتبونه بعدما  
يُعمَل !! فقال : أنتم قوم عرب ، والله جلَّ وَعَزَّ يقول ﴿ إِنَّا كُنَّا  
نَسْتَنْسِخُ ﴾ ولا يكون الاستنساخ إلا من نسخة<sup>(٢)</sup> .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى  
عَلَيْكُمْ ، فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [ آية ٣١ ] .

---

(١) هذا القول أظهر وهو اختيار الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، قال الحافظ ابن كثير ٢٥٦/٧ :  
أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

(٢) ذكر هذا الأثر الطبري ١٥٦/٢٥ وابن كثير ٢٥٦/٧ والقرطبي ١٢٥/١٦ وابن الجوزي  
٣٦٥/٧ وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من  
أصل ، وأكثر المفسرين على أن المراد بالاستنساخ ، أمر الله للملائكة بتدوين أعمال العباد ، كما  
قال علي رضي الله عنه : إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء ، يكتبون فيه أعمال بني آدم ،  
وقرأ ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وهو الأظهر ، والله أعلم .

في الكلام حذف ، والمعنى : فيقال لهم<sup>(١)</sup> : ألم تكن آياتي تُتلى عليكم ؟

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا .. ﴾ [ آية ٣٤ ] .

روى معمر عن قتادة قال : فالיום نترككم ، كما تركتم لقاء يومكم هذا .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا : فالיום نترككم في النار ، كما تركتم العمل ليومكم هذا<sup>(٢)</sup> !!

١٨ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ آية ٣٧ ] .  
الكبرياء : العظمة .

\* \* \*

« انتهت سورة الجاثية »

---

(١) أي يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيخاً ، والمخدوف من الآية هو جواب ﴿ أَمَا ﴾ أي وأما الكفار فيقال لهم : ألم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله ؟

(٢) هذا قول ابن عباس كما حكاه عنه الطبري وغيره حيث قال ١٥٨/٢٥ : أي وقيل لهؤلاء الكفرة اليوم نترككم في عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا .. وإنما فسر النسيان بالترك لأن الله تعالى لا يضل ولا ينسى ، والآية فيها استعارة تمثيلية ، مثل تركهم في العذاب ، بمن حُبس في مكان منفرد مظلم ، ثم نسيه السجنان من الطعام والشراب ، حتى هلك ، والمراد تعاملكم معاملة الناسي فنترككم في عذاب جهنم .



# تفسير سورة الأحقاف

مكية وآياتها ٣٥ آية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ الْأَحْقَافِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾ [ آية ٣ ] .

أي لإقامة الحق <sup>(١)</sup> .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [ آية ٣ ] .

أي أعرضوا بعدما تبين لهم الحق من خلق الله عز وجل .

٢ — ثم احتج عليهم فيما يعبدون فقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾ [ آية ٤ ] .

المعنى : ما تدعونها من دون الله .

﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ؟ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) الباء على هذا القول بمعنى لام التعليل ، أي ما خلقنا السموات والأرض إلا لإقامة الحق ، والعدل بين العباد ، وقال بعض المفسرين إنه استثناء مفرغ أي إلا خلقاً ملتبساً بالحق ، حسب الحكمة الإلهية لإيجاد العالم .

(٢) هذا أسلوب إفحام وتعجيز وسخرية بعقول المشركين ، فإن هذه الأصنام حجارة صماء لا تخلق شيئاً ، ولا تبدي ولا تعيد ، فكأنه يقول لهم : أخبروني وأرشدوني أي شيء خلقوا من الأرض حتى جعلتموها شركاء مع الله ؟ ففيه تهجين لعقولهم كقوله تعالى ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ .

أي في خلق السموات .

﴿ اَيْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ أي بكتاب فيه برهان على

ما قلتم .

﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ .

قال مجاهد : أحد يَأْثُرُ علماً<sup>(١)</sup> .

وقال الحسن : شيء يُثَارُ أو يُسْتَخْرَجُ<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عبيدة : ﴿ أَثَارَةٌ ﴾ : بَقِيَّةُ<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة ، لأن البَقِيَّةَ هو شيءٌ

يُؤْثَرُ ، ومعروف في اللغة<sup>(٤)</sup> أن يُقال : سَمِنَتِ النَّاقَةُ على أَثَارَةٍ أي على

بَقِيَّةٍ من سَمَنِ .

---

(١) الأثر في الطبري ٣/٢٦ وابن كثير ٢٥٨/٧ وزاد المسير ٣٦٩/٧ ، وروى عن ابن عباس أن

معنى « أَثَارَةٍ من علمٍ » أي بَيِّنَةٍ من الأمر حكاه عنه الطبري وابن كثير ، واختار الطبري أن المعنى : بقية من علم .

(٢) حكاه الطبري ٣/٢٦ عن الحسن البصري ، وابن كثير ٢٥٩/٧ وابن الجوزي ٣٦٩/٧ ولفظه :

الأثَارَةُ : الشيء يَثِيرُهُ مستخرجه ، قاله الحسن ، وهو قول مرجوح .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢١٢ .

(٤) قال الهروي : الأثَارَةُ والأثر : البَقِيَّةُ ، يُقال : ما ثَمَّ عَيْنٌ ولا أُنْثَرُ ، والأثَارَةُ : مصدر كالسماحة

والشجاعة ، وأصل الكلمة من الأثر وهي الرواية ، وقال الألويسي : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ من علمٍ ﴾ أي بقية

من علم بقيت عليكم من علوم الأولين ، شاهدة باستحقاقهم العبادة .

وَيُقْرَأُ ﴿ أَوْ أَثَرَةٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

روى أبو سلمة عن ابن عباس ﴿ أَوْ أَثَرَةٌ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال :

الخط<sup>(٢)</sup> .

حدثنا محمد بن أحمد — يُعرف بالجُرَيْجِي — حدثنا بُنْدَار ،

أُنْبَأَنَا يَحْيَى بن سعيد عن سفيان الثوري ، عن صفوان بن سليم ، عن  
أم سلمة ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ أَوْ أَثَرَةٌ مِنْ  
عِلْمٍ ﴾ قال : الخط<sup>(٣)</sup> .

---

(١) هذه القراءة رُوِيَتْ عن الأعمش ﴿ أَوْ أَثَرَةٌ ﴾ وهي ليست من السبع ، بل هي قراءة شاذة ، كما  
في المختص لابن جني ٢٦٤/٢ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٢٦/١ وابن أبي حاتم ، والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ،  
وانظر الدر المنثور ٣٧/٦ .

(٣) جامع الأحكام للقرطبي ١٧٩/١٦ وروى السيوطي في الدر المنثور أحاديث متعددة في هذا  
الباب ، والمراد بالخط : الخط من التراب — أي الضرب بالرمل — قال ابن عباس : وذلك شيء  
كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجر ، وفي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد عن معاوية بن الحكم  
( .. قلت يا رسول الله : ومنا رجال يخطون ، قال : « كان نبي يخط فممن وافق خطه فذاك » )  
صحيح مسلم ١٧٤٩/٤ ومسند أحمد ٤٤٧/٥ ، وقد اختلف العلماء في معناه ، والصحيح أن  
معناه من وافق خطه خط ذلك النبي فهو مباح له ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بموافقة  
خطه ، فلا يُباح لنا فعله إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها ، وهذا خلاصة رأي القاضي  
عياض رحمه الله ، وإنما لم يقل رسول الله ﷺ هو حرام ، لئلا يتوهم متوهم أن النص يدخل فيه  
ذاك النبي الذي كان يخط ، فراعى النبي عليه السلام حرمة ذلك النبي ، مع بيان الحكم في  
حقنا ، والحديث إشارة إلى علم الرمل ، وهو منسوخ في شريعتنا ، لأن الشرع منع من  
التخرص ، والتكهن ، وادعاء معرفة الغيب ، وانظر ما قاله الخطابي في القرطبي ١٨٠/١٦ وكذا  
النهاية لابن الأثير ٤٧/٢ .

وروى سعيد عن قتادة ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال : خاصة من علم<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : يُقال لفلانٍ عندي أثرٌ ، أو أثرٌ : أي شيءٌ أخصّه به ، ومنه أَثَرْتُ فلاناً على فلانٍ .

ويجوز أن يكون ﴿أَثَرَةٌ﴾ خبراً عن بعض الأنبياء صلى الله عليهم ، من أَثَرْتُ الحديث ، وذا قول أبي عبيدة<sup>(٢)</sup> .

٣ — وقوله جل وعز : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ..﴾ [ آية ٨ ] .

قال مجاهد : أي تقولونه<sup>(٣)</sup> .

٤ — وقوله جل وعز : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ..﴾ [ آية ٩ ] .

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ : أي أوّل مَنْ أُرْسِلَ<sup>(٤)</sup> .

---

(١) في المخطوطة [ خاصاً من علم ] وهو تصحيف ، وصوابه خاصة من علم ، كما في الطبري ٢/٢٦ وابن الجوزي ٣٦٩/٧ وابن كثير ٢٥٩/٧ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٢/٢ .

(٣) الأثر في الطبري ٥/٢٦ والقرطبي ١٨٤/١٦ والإقاضة : الخوض في الشيء والاندفاع ، والمعنى : هو تعالى أعلم بما تخوضون في القرآن ، وتقذحون به ، من قولكم : هو شعر ، هو سحر ، هو كهانة ، وغير ذلك من وجوه الطعن .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٨/٦ وعزه الطبري إلى ابن عباس قال : ﴿ما كنت بدعاً من الرسل﴾ أي لست أوّل رسول أُرسِل إلى الناس ، بل كان قبلي رسل ، وقال =

وقوله تعالى ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وقد قال في موضع آخر ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (١).

فالجواب في هذا : أنه ليس من ذاك ، وإنما المعنى — والله أعلم — وما أذري ما يفعل بي ولا بكم ، من جذب أو غيره (٢).

= ابن كثير ٢٦٠/٧ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقاعدة المعنى : ما أنا بأول رسول ، ولم يحك ابن جرير ، ولا ابن أبي حاتم غير ذلك .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢ .

(٢) أراد المصنف أن يدفع الإشكال الذي ربما يخطر على البال ، وهو كيف نوفق بين قوله تعالى ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ؟ فقد أخبره تعالى بمغفرة ذنوبه ، ويدخله الجنة مع المؤمنين ، فكيف يقول ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ ؟ والجواب فيه أربعة أقوال للمفسرين ، وأظهرها أن المراد ما يحدث له ولأصحابه من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة ، كأنه يقول : لا أذري بما يقضي الله عليّ وعليكم ، فإن مقادير الله مغيبة ، وهذا قول الحسن البصري ، واختاره الطبري ، وابن كثير ، وجمهور المفسرين ، قال الطبري ٧/٢٦ : والمراد من الآية أنه عليه السلام لا يدري إلآم يصير أمره ، وأمرهم في الدنيا ، أيصير أمره معهم أن يقتلوه ، أو يخرجوه من بينهم ، أو يؤمنوا به فيتبعوه .. إلخ. قال الحسن : أما في الآخرة فمعاذ الله ، قد علم أنه في الجنة حين أخذ الله ميثاقه في الرسل ، ولكن قال : وما أذري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا ، هل أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي ؟ أو أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ وهل أمتي المكذبة ؟ أو أمتي المصدقة ؟ أم أمتي المرمية بالحجارة ؟ أو المخسوف بها ، ثم أوحى إليه فأخبره الله ما يصنع الله به ، وما يصنع بأمته .. قال الطبري : وأولها بالصواب ما قاله الحسن البصري ، وقال ابن كثير ٢٦٠/٧ : وهذا القول الذي عوّل عليه ابن جرير ، لا يجوز غيره ، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة للآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يقول إليه أمره ، وأمر مشركي قريش إلى ماذا ؟ أيؤمنون أم يكفرون ، فيعذبون فيستأصلون بكفرهم ؟ . اهـ .

أقول : وهذا هو الحق الذي تطمئن له النفس .

وَيُيِّنُ هَذَا أَنَّهُ يُرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رُؤْيَا سَرَتْ أَصْحَابَهُ ، فَاسْتَبْطَأُوا تَأْوِيلَهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. ﴾ [ آية ١٠ ] .

قيل : في الكلام حذف لعلم السامع به .

والمعنى : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل ، مِمَّنْ تَتَّقُونَ بِهِ ، وَتَقْفُونَ عَلَى صَدَقِهِ وَعِلْمِهِ ، عَلَى مَا شَهِدَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، أَلَيْسَ قَدْ غَرَّرتُمْ ، وَأَتَيْتُمْ أَمْرًا قَبِيحًا ، وَاجْتَرَأْتُمْ عَلَيْهِ (١) ؟!

فأما الشاهد من بني إسرائيل فقيل : إنه « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ » .

رَوَى مَالِكٌ عَنْ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي

(١) عبارة ابن جرير في التسهيل ٧٥/٤ : ومعنى الآية : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَكَفَرْتُمْ بِهِ أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ ثُمَّ حُذِفَ قَوْلُهُ : « أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ » وَهُوَ الْجَوَابُ لِأَنَّهُ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .



على وجه الأرض : إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد الله بن سلام ، وفيه  
 نَزَلَتْ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ  
 وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. ﴾ (١) .

وقال الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ ﴾ : عبد الله بن سلام (٢) .

قال أبو جعفر : وفي الآية قولان آخران :

أ — قال مسروق : ليس هو « عبد الله بن سلام » لأن السورة  
 مَكِّيَّةٌ ، والمعنى لموسى ﷺ والتوراة ، وأهل الكتاب ، أنزل الله جل وعز  
 التوراة على موسى ، فأمن بها أهل الكتاب ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ مخاطبة

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٤٦/٥ ومسلم في فضائل الصحابة ١٦٠/٧  
 ورواه النسائي أيضاً وابن جرير ، وابن مردويه ، عن سعد بن أبي وقاص بهذا اللفظ ، وانظر  
 السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وروح المعاني للألوسي ٣/٢٦ .

(٢) هذا قول الجمهور ، والسورة وإن كانت مكية إلا أن هذه الآية مدنية على رأي بعض المفسرين ،  
 فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك ، أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد  
 الله بن سلام ، وإسلام عبد الله كان بالمدينة بالاتفاق ، فتكون الآية مدنية ، ومما يدل على أن  
 إسلامه كان في المدينة بعد الهجرة ، ما أخرجه أحمد في المسند ٤٥١/٥ من حديث زُرارة بن  
 أوفى ، عن عبد الله بن سلام ، قال : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ خَرَجْتُ أَنْظُرَ فِيمَنْ  
 يَنْظُرُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ يَقُولُ « يَا أَيُّهَا  
 النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامَ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ  
 بِسَلَامٍ » وفي بعض الروايات « فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَقُلْتُ يَا  
 مُحَمَّدُ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ .. » ثم أسلم بعد إخباره ﷺ له عنها .

لقريش ، قال ﴿ وَسَبِّحُوا إِلَيْهِ ﴾ يعني أهل الكتاب (١) .

ب — رَوَى ابْنُ عَوْنٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَلَيْسَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِعَامَيْنِ (٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : هَذَا الْإِعْتِرَاضُ لَا يُلْزَمُ ، وَسُئِلَ « مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ » عَنْ هَذَا بَعِينُهُ فَقَالَ : كَانَتِ الْآيَةُ تَنْزِلُ فَيَقَالُ لَهُمْ : أَلْحَقُوهَا فِي سُورَةِ كَذَا ، وَكَذَا (٣) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَهَذَا جَوَابٌ عَنْ ذَاكَ .

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ أَتُؤْمِنُونَ ؟  
وَقَالَ الْحَسَنُ : نَزَلَ هَذَا بِمَكَّةَ فَأَمَّنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ

---

(١ — ٢) ذكرهما الطبري في جامع البيان ٩/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٥٧/٨ .

(٣) هذا هو الصحيح أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام كما قاله الجمهور ، والآية مدنية جاءت ضمن هذه السورة المكية ، فقد كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالآية أو الآيات ، فيقول له : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ كَذَا فِي سُورَةِ كَذَا ، فَتَكُونُ الْآيَةُ مَدْنِيَّةً فِي ثَنَائِهَا سُورَةَ مَكِّيَّةً ، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ ، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

بالمدينة<sup>(١)</sup> .

٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ .. ﴾ [ آية ١١ ] .

قال مسروق : هم أهل الكتاب<sup>(٢)</sup> .

وقال الحسن : أسلم ، وغفار ، فقالت قريش : لو كان خيراً ما سبقونا إليه<sup>(٣)</sup> .

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَّذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرِي لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [ آية ١٢ ] .

- 
- (١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وعلى قول الحسن تكون الآية من الآيات التي تضمنت غيباً ظهر مصداقه في الوجود ، فقد أخبر القرآن الكريم بشهادة عبد الله بن سلام قبل وقوعها ، ثم وقعت كما أخبر ، وكان ابن سلام يقول : نزلت في آيات من كتاب الله عز وجل ، نزل في ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن .. ﴾ ونزل في ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب ﴾ وانظر ترجمته وأخباره في أسد الغابة لابن الأثير ٢٦٤/٣ .
- (٢) أي اليهود والنصارى هم الذين قالوا ذلك ، وهو أحد أقوال ذكرها المفسرون ، وانظر الدر المنثور ٣٧٦/٦ .

- (٣) هذا قول ابن السائب والكلبي والزجاج ، كما في البحر المحيط ٥٩/٨ وإليه ذهب الفراء فقد قال في معاني القرآن ٥١/٣ : لَمَّا أَسْلَمْتُ مُزَيْنَةَ ، وَجْهِيَّةَ ، وَأَسْلَمُ ، وَغِفَارَ ، قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ وَغُظْفَانُ : لَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا ، مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ رِعَاةَ الْبَهْمِ . اهـ . وَرَجَّحَ ابْنُ جُزَيٍّ فِي التَّسْهِيلِ ٧٥/٤ أَنَّ هَذِهِ مَقَالَةٌ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ وَأَكْبَرِهِمْ ، وَذَلِكَ لَمَّا أَسْلَمَ الضَّعْفَاءُ كِبِلَالُ ، وَعِمَارُ ، وَصَهْبِيُّ قَالَ أَوْلَعَكَ الْمُتَكَبِّرُونَ : لَوْ كَانَ الْإِسْلَامُ خَيْرًا مَا سَبَقْنَا إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : يَعْنُونَ بِلَالًا ، وَعِمَارًا ، وَصَهْبِيًّا ، وَخُبَابًا ، وَأَمْثَالَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ .

فيه جوابان :

أحدهما : أن المعنى : مصدّق له أي لكتاب موسى ﷺ ، ثم حذف ، لأن قبله ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ <sup>(١)</sup> .

و ﴿عريباً﴾ حال ، و ﴿لساناً﴾ توطئة للحال أي توكيد ، كما يُقال : جاءني زيد رجلاً صالحاً ، ويُقوي هذا أنه في قراءة عبد الله ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ [ لما بين يديه ] <sup>(٢)</sup> لِسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ .

والجواب الآخر : أن يكون ﴿لساناً﴾ مفعولاً ، يُراد به النبي ﷺ <sup>(٣)</sup> ، ويكون المعنى : ذا لسانٍ عربي .

ثم قال ﴿ لِتُنْذِرَ <sup>(٤)</sup> الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ آية ١٢ ] .

---

(١) على هذا القول يكون معنى الآية : وهذا القرآن كتاب عظيم الشأن ، مصدّق للتوراة والإنجيل قبله ، بلسان عربي فصيح ، فكيف ينكرونه ، وهو أفصح بياناً ، وأظهر برهاناً ، وأبلغ إعجازاً !! ومعنى قوله ﴿ إماماً ﴾ أي يُهتدى به ، وهذا رأي الأكثرين .

(٢) المراد به عبد الله بن مسعود ، وهذه القراءة شاذة ، وليست من القراءات السبع ، فهي محمولة على التفسير .

(٣) هذا قول مرجوح ذكره القرطبي ١٩١/١٦ وابن جزري في التسهيل ٧٦/٤ وذكر أن هذا القول اختيار ابن عطية ، والمعنى على هذا القول : وهذا كتابٌ صدّق ذا لسانٍ عربي ، أي صدّق محمداً . وعبارة القرطبي في جامع الأحكام : وقيل : إن ﴿لساناً﴾ مفعول ، والمراد به النبي ﷺ أي وهذا كتاب مصدّق للنبي ﷺ لأنه معجزته ، والتقدير : مصدّق ذا لسانٍ عربي ، فاللسان منصوب بمصدّق وهو النبي عليه السلام . اهـ . والقول الأول أظهر وأرجح لعدم التكلف ، ويصح أن يكون منصوباً بنزع الخافض والمعنى : وهذا كتاب مصدّق بلسانٍ عربي .

(٤) هذه القراءة ﴿لتنذر﴾ بالتاء قراءة نافع ، وابن عامر ، وقرأ الباقون ﴿لننذر﴾ بالياء وهي قراءة الجمهور ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦ .

يجوز أن يكون المعنى : وهو بُشِّرَ .

وأن يكون المعنى : وتُبَشِّرُ المحسنين بُشْرَى<sup>(١)</sup> .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [ آية ١٣ ] .

قد بينا معنى ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ فيما تقدّم<sup>(٢)</sup> .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ [ آية ١٥ ] .

﴿ إِحْسَانًا ﴾ : أي يحسن إليهما إحساناً<sup>(٣)</sup> .

١٠ — ثم قال تعالى : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [ آية ١٥ ] .

ويُقرأ ﴿ كُرْهًا ﴾ بفتح الكاف وهو عند بعض العربية لحنٌ ،  
لأنه يُفرّق بينهما .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : الكُرْهُ : المشقّة .

والفراء وجماعة من أهل العربية ، يذهبون إلى أن الكُرْهَ بفتح

---

(١) ذكر القولين الطبري في جامع البيان ١٤/٢٦ فقال : وفي ﴿ وبُشِّرَ للمحسنين ﴾ وجهان من الإعراب : الرفع على العطف على الكتاب بمعنى : وهذا كتاب مصدّق وبُشِّرَ ، والنصب على معنى : لينذر الذين ظلموا وبُشِّرَ ، فإذا جعل مكان يُبَشِّرُ ﴿ وبُشِّرَ ﴾ أو « وبشارة » نصبت ، كما تقول : أتيتك لأزورك ، وكرامة لك . اهـ . وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٥١/٣ .

(٢) انظر ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

(٣) ﴿ إِحْسَانًا ﴾ منصوب على المصدر بفعل محذوف تقديره : أمرناه أن يحسن إليهما إحساناً ، وإلى هذا نحي صاحب الجلالين .

الكاف : القهر ، والعَصْبُ<sup>(١)</sup> ، فعلى هذا القول يكون لحناً .

وقال الكسائي : الكَرُّ ، والكُرُّ ، بمعنى واحد ، وكذلك هو عند البصريين جميعاً ، لا أعلم بينهم اختلافاً ، لأن الكَرَّ : المصدر ، والكُرُّ : اسم بمعناه<sup>(٢)</sup> .

١١ — وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .. ﴾

[ آية ١٥ ] .

قال مجاهد : سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ فقال : بضعاً وثلاثين سنة<sup>(٣)</sup> .

قال مجاهد : ثلاثاً وثلاثين<sup>(٤)</sup> .

---

(١) في الصحاح : الكُرُّ بالضَّم : المشقة يقال : قمْتُ على كُرِّه أي على مشقة ، وأقامني فلان على كُرِّه بالفتح إذا أكرهك عليه ، قاله الفراء ، وكان الكسائي يقول : الكَرُّ ، والكُرُّ لغتان ، وأكرهته على كذا : حملته عليه كرهاً . اهـ .

أقول : هذا هو المشهور ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتَابُوا النِّسَاءَ كُرْهًا .. ﴾ أي بطريق القهر والإكراه .

(٢) قال في اللسان مادة كره : أجمع كثير من أهل اللغة أن الكَرَّ والكُرَّ لغتان ، فبأي لغة وقع فجائر ، إلا عند الفراء ، فإنه زعم أن الكُرَّ ما أكرهت نفسك عليه ، والكَرَّ : ما أكرهك غيرك عليه ، تقول : جفنتك كُرْهًا ، وأدخلتني كُرْهًا ، وقال ابن البرقي : يدل على صحة قول الفراء قوله سبحانه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ وقال سبحانه ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ فيصير الكَرُّ بالفتح فعل المضطر ، والكُرُّ بالضم فعل المختار . اهـ . بإيجاز .

(٣ — ٤) ذكرهما الطبري ١٦/٢٦ قال : وهو الأشبه من قال إنه بلوغ الحلم ، لأن المرء لا يبلغ في =

قال أبو جعفر : وقيل : الأشدُّ : ثماني عشرة سنة .

والأول أشبه ، لا تساق الكلام ، ألا ترى أن بعده ﴿ وَيَلْغِ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ؟

وأيضاً فإن البالغ ثلاثاً وثلاثين سنة أولى بهذا الاسم لأنه  
أكمل .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

روى أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكر بن عياش في  
قوله تعالى ﴿ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى  
وَالِدَيَّ ﴾ قال : هو أبو بكر الصديق<sup>(١)</sup> ، فلم يكفر له أب ، ولا

---

= حال حُلِّمه كمال قواه ، ونهاية شدته .. وهكذا قال الفراء في معاني القرآن ٥٢/٣ أنه الأشبه  
بالصواب ، لأن الأربعين أقرب في النَّسَقِ إلى ثلاث وثلاثين . اهـ . وقال الحسن : ﴿ وَيَلْغِ  
أَشَدَّهُ ﴾ هو بلوغ الأربعين لقوله تعالى بعده ﴿ وَيَلْغِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ أي تناهى عقله وكمّل  
فهمه ، ورجحه ابن كثير .

(١) هذا قول ابن عباس وعلي ، ذكره الفراء ٥٣/٣ والقرطبي عن علي في جامع الأحكام ١٩٤/١٦  
قال علي : « هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أسلم أبواه جميعاً ، ولم يجتمع  
لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره » ووالده أبو قحافة « عثمان بن عامر » وأمه أم الخير اسمها  
« سلمى بنت صخر » وذكر هذا القول الطبري في جامع البيان ١٧/٢٦ قال : وذكر أن هذه  
الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقال الحسن البصري : الآية على العموم أي  
تشمل كل مؤمن شكر الله وبرّ والديه ، واختاره صاحب البحر المحيط ٦١/٨ وهو الأظهر ، والله  
أعلم .

أَمْ ، قال : ﴿ وَأَوْزِعْنِي ﴾ : أَلْهِمْنِي <sup>(١)</sup> .

١٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفْ لَكُمْ أَنْ أَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي .. ﴾ [ آية ١٧ ] .

قال الفراء : ﴿ أَفْ لَكُمْ ﴾ : أي قَدْراً لَكُمْ ﴿ أَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾ <sup>(٢)</sup> !!

روى سعيّد عن قتادة قال : « هذا عبدٌ سوءٌ ، نَعَتَهُ اللهُ جَلَّ وعَزَّ ، قَالَ لَوْلَاذِيهِ : أَعِدَّانِي أَنْ أُبْعَثَ » <sup>(٣)</sup> !!

١٤ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا .. ﴾ [ آية ٢٠ ] .

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ

---

(١) قال في المصباح المنير مادة وزع : أوزعه الله الشكر : ألهمه . اهـ . وكذا هو في الصحاح ، ولسان العرب .

(٢) معاني القرآن للفراء ٥٣/٣ ولفظه : ذكر أن القائل « عبد الرحمن بن أبي بكر » قال هذا القول قبل أن يسلم ﴿ أَفْ لَكُمْ ﴾ أي قَدْراً لَكُمْ .

(٣) الطبري عن قتادة ١٩/٢٦ قال : أَعِدَّانِي أَنْ أُبْعَثَ بعد الموت ، قال : وهو نَعَتَ عبد سوء ، عاقاً لوالديه فاجراً ، وكذلك قال الحسن : هو الكافر الفاجر ، العاق لوالديه ، المكذّب بالبعث . اهـ . فالآية على هذا القول عامة ، وليست في عبد الرحمن بن أبي بكر كما زعم البعض ، فقد أنكرت عائشة أم المؤمنين أن تكون نزلت في أخيها عبد الرحمن ، قال الزجاج : كيف يُقال نزلت في عبد الرحمن ، والله عز وجل يقول ﴿ أولئك الذين حَقَّ عليهم القول ﴾ أي العذاب ومن ضرورته عدم الإيمان ، وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين ، فالصحيح أنها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه . اهـ . القرطبي ١٩٧/١٦ .



الدُّنْيَا ﴿١﴾ ؟ بالاستفهام .

قال أبو جعفر : العرب تقرر ، وتوبخ بالاستفهام وغير  
الاستفهام <sup>(٢)</sup> .

ويُروى أن عمر رضي الله عنه رأى جابر بن عبد الله ومعه  
إنسانٌ يحمل شيئاً ، فقال : ما هذا ؟ فقال : لحمٌ اشتريته بدرهم ،  
فقال : أكلتما قام أحدكم اشترى لحماً بدرهم ، والله لو شئتُ أن أكون  
أطبيكم طعاماً ، وألينكم ثوباً ، لفعلتُ ، ولكن الله يقول : ﴿ أَذْهَبْتُمْ  
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ ؟ فأنا أترك طيباتي <sup>(٣)</sup> .

١٥ — وقوله جل وعز : ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ .. ﴾ [ آية ٢٠ ] .  
قال مجاهد : الهُونُ : الهَوَانُ .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَادْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَخْقَافِ ، وَقَدْ  
خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .. ﴾ [ آية ٢١ ] .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٨ وقرأ الجمهور ﴿ أَذْهَبْتُمْ

طيباتكم ﴾ على الخبر للتوبيخ ، وانظر زاد المسير ٣٨٢/٧ .

(٢) قال الطبري ٢١/٢٦ : العرب تستفهم بالتوبيخ ، وتترك الاستفهام به ، فتقول : أَذْهَبْتُ ففعلت  
كذا وكذا ؟ وَذْهَبْتُ ففعلت ، وَفَعَلْتُ !! وأعجب القراءتين إليَّ ترك الاستفهام ، لإجماع الحجة  
من القراء عليه ، ولأنه أفصح اللغتين . اهـ .

(٣) روى هذه القصة ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٢/٧ والطبري في جامع الأحكام ٢٠٢/١٦ وذكر عن  
عمر رضي الله عنه أخباراً عجيبة ، في زهده في الدنيا ، وتركه للذائد الحياة ، يستحسن الرجوع  
إليها ، لنرى في أيِّ تَرْفٍ نعيش نحن ؟

قال قتادة : كانت عادٌ أحياء من اليمن ، منازلهم عند الرمال والدكاوات<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : الحَقْفُ عند أهل اللغة : الرَّمْلُ المنحني ، وجمعه : حَقَفَةٌ ، وَأَحْقَافٌ<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث أن النبي ﷺ مرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ ، أي منحني مشنٌ<sup>(٣)</sup> .

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا .. ﴾ [ آية ٢٣ ] .  
معنى ﴿ لِنَتَأَفَّكُنَا ﴾ لتصرفنا<sup>(٤)</sup> .

١٨ — وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

(١) في القاموس المحيط : الدكاوات : جمع الدكاء ، وهي الراية من الطين ، ليست بالغليظة ، والتي لا سنام لها ، والدكة : ما استوى من الرمل جمع دكاك . اهـ . القاموس مادة دك .

(٢) قال في اللسان مادة حقف : الحَقْفُ من الرمل المعوج وجمعه أحقاف ، وحقوف ، وحقاف وحَقَفَةٌ ، ومنه قيل لما اعوجَّ : محقوف ، وقال الجوهري : الحَقْفُ : المعوج من الرمل والجمع حقاف ، وأحقاف ، والأحقاف : ديار عاد .

(٣) ذكره ابن الأثير في كتابه النهاية ٤١٣/١ قال « فإذا ظبي حاقف » أي نائم قد انحنى في نومه ، وفي لسان العرب لابن منظور : وظبي حاقف : فيه قولان : أحدهما أن معناه صار في حَقْفٍ ، والآخر أنه رَبَضَ ، واحقوفَ ظهره ، قال الأزهري : الظبي الحاقف يكون رابضاً في حقف من الرمل ، أو منطوياً كالخقف ، وفي الحديث أنه ﷺ « مرَّ هو وأصحابه وهم محرمون بظبي حاقف في ظل شجرة » وهو الذي نام ، وانحنى وانتنى في نومه . اهـ .

(٤) في المصباح : أَفْكُتُهُ : صرفته ، وكل أمرٍ صُرِفَ عن وجهه فقد أُفْك ، والإفك بالكسر : الكذب . اهـ . ومعنى الآية ﴿ أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا ﴾ أي أَجِئْنَا لِنَتَصَرَّفْنَا عن عبادة آلهتنا بالإفك ، وقال الضحّاك : من الإفك بمعنى الصرف .

أي فلما رأوا الذي أُوعِدُوا ، كَسَحَابٍ عَارِضٍ ، قد اعترض ،  
فيه عذابٌ ، ولم يعلموا أن فيه عذاباً ، قالوا : هذا عارضٌ ممطرنا .

رَوَى طَاوُوسٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ « كَانَ لِعَادٍ وَادٍ ، إِذَا جَاءَ  
الْمَطَرُ أَوْ الْغَيْمُ مِنْ نَاحِيَتِهِ كَانَ غَيْشاً ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ مِنْ  
نَاحِيَتِهِ ، فَلَمَّا وَعَدَهُمْ هُودٌ ﷺ بِالْعَذَابِ ، وَرَأَوْا الْعَارِضَ ، قَالُوا :  
﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ قَالَ لَهُمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ بَلْ هُوَ مَا  
اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فَقَالُوا : كَذَبْتَ ، كَذَبْتَ «  
فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ .. ﴾ (١) .

١٩ — وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِي مَا إِنَّ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْنَا  
لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً .. ﴾ [ آية ٢٦ ] .

قال قتادة : أنبأنا الله أنه قد مكَّهم في شيء ، لم يمكَّنَّا فيه (٢) .

(١) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٦ بنحوه ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٤/٧ :  
العارض : السحاب الذي يعرض من ناحية السماء ، وكان المطر قد حُبس عن عاد ، فساق الله  
إليهم سحابة سوداء ، فلما رأوها فرحوا واستبشروا ، وقالوا : ﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾ فقال لهم  
هود ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ فنشأت الريح من تلك السحابة ، وكانت  
الريح تحمل الطعينة — أي المرأة — فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة ، فأصبحوا وقد هلكوا ،  
وروى البخاري ١٦٧/٦ عن ابن عباس : عارضٌ ، قال : السحاب .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٦ عن ابن عباس قال : فيما لم تمكَّنكم فيه ، وكان  
عاد أشدَّ قوةً ، وأكثر أولاداً ، وأطول أعماراً . اهـ .

قال أبو جعفر : ف « إن » على هذا القول بمعنى « ما »<sup>(١)</sup> .  
وقد قيل : إنها زائدة ، والأول أولى ، لأنه لا يُعرف زيادتها إلا  
في النفي ، وفي الإيجاب « أن » بالفتح .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ  
الْقُرْآنَ ۚ ﴾ [ آية ٢٩ ] .

قال زر بن حبيش : كانوا تسعة نفر<sup>(٢)</sup> .

٢١ — وقوله جل وعز : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ۚ ﴾  
[ آية ٣٥ ] .

قال قتادة : هم أربعة « نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى »  
صلى الله عليهم .

(١) هذا قول الفراء كما في معانيه ٥٦/٣ حيث قال : مكنأهم في الذي نكنكم فيه ، و « إن » بمنزلة  
« ما » في الجحد — أي في النفي — وهذا هو قول الأكثرين ، وإنما لم يؤت بـ « ما » فيقال :  
ولقد مكنأهم في ما ما مكنأهم فيه ، دفعاً لثقل التكرار ، وقد ضعف أبو حيان في البحر المحيط  
قول من قال : إنها شرطية ، أو زائدة فقال ٦٥/٨ : و « إن » نافية ، والمعنى : في الذي ما  
مكنأهم فيه ، من القوة ، والغنى ، والبسط في الأجسام ، والأموال ، ولم يكن النفي بلفظ « ما »  
كراهةً لتكرير اللفظ ، وإن اختلف المعنى ، وقيل : إنها شرطية محذوفة الجواب والتقدير : إن  
مكنأهم فيه طغيتم ، وقيل « إن » زائدة بعد « ما » الموصولة تشبيهاً بما النافية أي مكنأهم في مثل  
الذي مكنأهم فيه .. ثم قال : وكونها نافية هو الوجه ، لأن القرآن دلَّ عليه ﴿ كانوا أكثر منهم  
وأشد قوة ﴾ وهو أبلغ في التوبيخ . اهـ. البحر المحيط .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن زر ٣١/٢٦ قال : كانوا تسعة نفر ، وروى عن ابن عباس : كانوا  
سبعة نفر ، وذكره ابن كثير ٢٧١/٧ عن ابن مسعود قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ  
القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا ، وكانوا تسعة ، أحدهم زوبعة ، وعزاه إلى ابن أبي  
شيبه . قال ابن قتيبة : والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال مجاهد وعطاء الخراساني : أولو العزم من الرسل خمسة :  
نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليهم (١) .

٢٢ — وقوله جل وعز : ﴿ بَلَاغٌ ، فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾  
[ آية ٣٥ ] .

أي ذلك بلاغ .

وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عَمْرِو ﴿ بَلَاغًا ﴾ (٢) وَقَرَأَ أَبُو مَجْلَز ﴿ بَلِّغْ ﴾  
على الأمر .

٢٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ؟ ﴾  
[ آية ٣٥ ] .

أي فهل يُهلك مع رحمة الله ، وتفضُّله ، إِلَّا الْقَوْمُ  
الْفَاسِقُونَ (٣) ؟

\* \* \*

### « تم تفسير سورة الأحقاف »

- 
- (١) هذا هو الصحيح أن الرسل من أولي العزم خمسة ( نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد )  
وقد ذكروا في سورة الأحزاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ .. ﴾ الآية .
- (٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٦٨/٢ وكذلك قراءة أبي مجلز ﴿ بَلِّغْ ﴾  
شاذة ، كما نبه على ذلك ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات .
- (٣) « هل » استفهام يراد به النفسي أي لا يهلك إلا القوم الخارجون عن طاعة الله عز وجل كما قاله  
الطبري ، وابن كثير ، وتفسير الجلالين والآية وعيد وإنذار .



تفسير سورة محمد  
مدنية وآياتها ٣٨ آية





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُورَةُ مُحَمَّدٍ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾ [ آية ١ ] .

روى أبو يحيى عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى  
﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾ قال : أهل مكة<sup>(١)</sup> .  
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ قال : الأنصار<sup>(٢)</sup> .  
﴿ وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ ﴾ قال : أمرهم<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ : أبطلها<sup>(٤)</sup> ، كما

(١ — ٣) هذه الآثار عن ابن عباس ذكرها الطبري ٣٩/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٢٣/١٦ وهو قول مجاهد أيضاً قال : هم أهل مكة كفروا بتوحيد الله ، وصدوا المؤمنين عن دين الله ، وهو الإسلام ، بنهيم عن الدخول فيه ، وروى عن ابن عباس قال : هم المطعمون ببدر ، وهم اثنا عشر رجلاً . اهـ. القرطبي ، واللفظ عام يشمل كل من كفر ، وصد الناس عن سبيل الله ، كما في البحر المحيط ٧٣/٨ .

(٤) يؤيده قوله تعالى ﴿ وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَا هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ قال في المصباح المنير : الأصل في الضلال الغيبة ، ومنه قيل للحيوان الضائع : ضالّة ، بالهاء للذكر والأنثى ، ويقال لغير الحيوان : ضائع ، ولقطة ، وضلّ البعير : غاب وخفي موضعه ، وضلّ الطريق : زلّ عنه فلم يهتد إليه . اهـ.

قال تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ <sup>(١)</sup> والمعنى : لم يُضِلُّهم على ما عملوا لِكُفْرِهِمْ .

ومعنى ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ : غَطَّى عليها ، ولم يؤاخذهم بما عملوا وقت كفرهم <sup>(٢)</sup> .

٢ — وقوله جل وعز : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [ آية ٣ ] .  
المعنى : كذلك يُبَيِّنُ الله أَمْرَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ <sup>(٣)</sup> .

ومعنى : ضَرَبْتُ لَهُ مَثَلًا : بَيَّنْتُ لَهُ ضَرْبًا مِنَ الْأَمْثَالِ ، أي نوعاً منها <sup>(٤)</sup> .

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٠ قال الفراء : ضَلَّ الماء في اللبن ، وضل الشيء في الشيء : إذا أخفاه وغلب عليه ، ومعنى الآية : إذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً كالأرض . اهـ . معاني القرآن للفراء ٣٣١/٢ .

(٢) المراد بتكفير سيئاتهم أنه تعالى أزال ومحا عنهم ما مضى من الذنوب والأوزار ، والتكفير في اللغة : التغطية والستر كما في المصباح .

(٣) عبارة ابن كثير ٢٨٩/٧ : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي يُبَيِّنُ لَهُمْ مَالِ أَعْمَالِهِمْ ، وما يصيرون إليه في معادهم .

(٤) المثل بمعنى الشبيه والنظير ، تقول : هذا مثل هذا أي نظيره وشبيهه ، قال ابن جني : قولهم مثلك لا يفعل كذا أي أنت من جماعة شأنهم ألا يفعلوا كذا ، إذا كان له فيه أشباه وأضراب ، والمثل بفتحيتين والمثيل بمعنى الشَّبه ، من مَائِلَةٍ ، مُمَائِلَةٌ ، إذا شابهه ، وقد استعمل الناس المثل بمعنى الوصف والصورة ، فقالوا : مثاله أي وصفه وصورته ، قال تعالى : ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي صفتها وصورتها . اهـ . المصباح المنير .

٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [ آية ٤ ] .

أي فاقتلوهم ، وذكرت الرِّقَابُ لأنَّ القتل أكثر ما يقع بها<sup>(١)</sup> .

٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾ [ آية ٤ ] .

قال سعيد بن جبير : لا ينبغي أن يقع أسرٌ ، حتى يُثخن بالقتل في العدو<sup>(٢)</sup> ، كما قال جل وعز ﴿ مَا كَانَ لِئَبْيَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) هذا قول الزجاج ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ أي فاضربوا الرقاب ضرباً ، وخصَّ الرقاب بالذكر لأنَّ القتل أكثر ما يكون بها ، وقال القرطبي ٢٢٦/١٦ : ولم يقل : فاقتلوهم ، لأنَّ في العبارة بضرب الرقاب من الغلظة والشدَّة ما ليس في لفظ القتل ، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة ، وهو حُرُّ العُنُق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وأوجهُ أعضائه . اهـ .

(٢) الْوَتَاقُ : اسم لما يُربط به من جبل وغيره ، والمراد به هنا الأسر ، وإنما أمرهم بشدِّ الوتاق لئلا يُفلتوا .

(٣) ذكره القرطبي ٢٢٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ ولفظه : قال سعيد بن جبير ﴿ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾ أي لا تأسروهم ولا تُفادوهم حت تُثخنوهم بالسِّيف ، أي تُكثروا فيهم القتل والجراحات . اهـ . والإثخان في اللغة : الإكثار من القتل أو الجراح ، قال في المصباح : أثخن إيثخانا : إذا سار إلى العدو وأوسعهم قتلاً ، وأثخنه الجراحة : أوهنته وأضعفته .

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٦٧ .

٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [ آية ٤ ] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية اختلاف .

قال ابن جريج : كان عطاء يكره قتل الأسير صبراً ، لقول الله جل وعز ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ ، وَإِمَّا فِدَاءٌ ﴾ وقال : امنن ، أو فاد ، ولا تقتل <sup>(١)</sup> .

وقال قتادة : الآية منسوخة ، نَسَخَهَا قوله تعالى ﴿ فَإِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ .. ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ قَالَ : سَأَلَنِي مَغِيرَةُ عَنْ آيَةِ غَامِضَةٍ مَنَسُوخَةٍ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ ﴾ .

(١) ذكره القرطبي عن عطاء ٢٢٧/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٧/٦ وهذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن عطاء ، وهو قول الحسن البصري ، قال أشعث : كان الحسن يكره قتل الأسير ويتلو « فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ » وكان يقول : ليس للإمام إذا حصل الأسير في يديه أن يقتله ، لكنه بالخيار في ثلاثة منازل : إمَّا أن يُمَنَّ ، أو يفادي ، أو يسترق . اهـ. القرطبي ٢٢٨/١٦ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٠/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٢٧/١٦ قال : وهو قول قتادة ومجاهد ، أنه إذا أسر المشرك ، لم يُجْزَ أن يُمَنَّ عليه ، ولا أن يفادي به فيرد إلى المشركين ، ولا يفادي إلا بالمرأة لأنها لا تقتل ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، لئلا يعودوا حرباً على المسلمين .

وقال الضحاك : هي ناسخة ، نَسَخَتْ قوله تعالى ﴿ فَأَقْتُلُوا  
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ (١) .

قال أبو جعفر : البيِّنُ في الآية أنها ليست بمنسوخة ولا  
ناسخة ، وإنما هذا إباحةٌ ، وكذلك القتلُ ، لأن النبي ﷺ قد قُتِلَ ،  
وفادى ، وذكر القتلُ في آية أخرى ، وهو ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ  
وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ فاجتزأ بذلك (٢) .

٦ — وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [ آية ٤ ] .

قال قتادة : أي حَتَّى يُسَلِّمَ أَهْلُ الشَّرِّكَ ، فسمَّاهم جَرِباً (٣) .

قال سعيد بن جبیر ومجاهدٌ في قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ  
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ : حتى ينزلَ عيسى بن مريمَ فيكسرَ الصليبَ ،

(١) الأثر في القرطبي ٢٢٧/١٦ والطبري ٤١/٢٦ والدر المنثور ٤٧/٦ وعلى هذا القول تكون الآية  
ناسخةً لحكم القتل ، الذي ورد في سورة التوبة ، وهو قول مرجوح ، لأن سورة التوبة من أواخر  
ما نزل ، فلا تنسخها الآيات في سورة محمد ﷺ .

(٢) هذا هو الأرجح والأظهر من الأقوال ، كما نبّه المصنف رحمه الله ، فالآية محكمةٌ وليست بمنسوخة ،  
والإمام مخيرٌ بين القتل ، والأسر ، والمن ، والفداء ، لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين فعلوا ذلك  
كله ، فقتل النبي عليه السلام « عقبه بن أبي مُعَيْط » يوم بدر صبراً ، وفادى سائر أسارى  
بدر ، ومنَّ على سبي هوازن ، وهذا مذهب مالك والشافعي وهو قول عن ابن عباس ، على ما  
فيه الصلاح للمسلمين ، وهو اختيار الطبري .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٤٣/٢٦ وابن كثير عن قتادة ٢٩١/٧ واستدل قتادة بقوله تعالى  
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ .

وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ ، وَتَزُولُ الْأَدْيَانُ ، إِلَّا دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَتَكُونُ الْمَلَّةُ  
وَاحِدَةً<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ في الآية ، أي حتى يضع أهلُ  
الحرب أوزارهم ، فيُسلموا أو يُسالموا<sup>(٢)</sup> .

وقيل : يعني بالأوزار ههنا السِّلَاحُ كما قال الشاعر :

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا  
رِمَاحاً طَوَالاً ، وَخَيْلاً ذُكُوراً<sup>(٣)</sup>

والمعنى على هذا : فشُدُّوا الوَثَاقَ حتى تضع الحربُ أوزارها ،  
فإما متاً بعد وإمّا فِدَاءً<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٢٦ وابن كثير عن مجاهد ٢٩٠/٧ قال الحافظ ابن كثير : وكأنه  
أخذه من قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، حتى يقاتل آخرهم  
الديجال » . اهـ .

أقول : ونزول عيسى بن مريم إنما يكون عند خروج الدجال ، وهو من علامات الساعة  
الكبرى ، وعند نزول عيسى يدخل الناس جميعاً في الإسلام ، ويعمُّ الرخاء ، ويكثر المال ، كما  
ثبت في الصحيحين .

(٢) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٥٧/٣ ﴿ حتى تضع الحربُ أوزارها ﴾ أي آثامها وشركها ،  
حتى لا يبقى إلا مسلمٌ أو مسلم .

(٣) البيت للأعشى كما في ديوانه ص ٩٩ وغريب القرآن ص ٤٠٩ والقرطبي ٢٢٩/١٦ والبحر  
المحيط ٧٤/٨ وفي الصحاح واللسان مادة وزر .

(٤) قال الطبري : معنى الآية : اضربوا رقابهم حتى تضع الحرب آثامها ، وأثقال أهلها المشركين ،  
بأن يتوبوا إلى الله من شركهم ، وفي الصفة ٢٠٧/٣ : حتى تنقضي الحرب وتنتهي بوضع آلائها =

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْغِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۖ ﴾ [ آية ٤ ] .

أي ليمحُص المؤمنين ، ويمحق الكافرين <sup>(١)</sup> .

٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [ آية ٤ ] .

ويقرأ ﴿ قُتِلُوا ﴾ و ﴿ قُتِلُوا ﴾ و ﴿ قُتِلُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

٩ — وقوله جل وعز : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [ آية ٦ ] .

في معناه ثلاثة أقوال :

قال مجاهد : عَرَّفَهُمْ يَبُوتَهَا ، وَمَسَاكِنَهَا ، وَقَسَمَهُمْ مِنْهَا ، فَلَا

---

= وَأَثَقَالَهَا ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُنَافِقِينَ لِلْإِسْلَامِ ، وَذَلِكَ بَعْزَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْدِحَارُ الْمُشْرِكِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) الأظهر أن معنى قوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْغِضَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ أي ولكنه تعالى أمرهم بمجاهدتهم ، ليختبر إيمانكم وثباتكم ، فيظهر حال المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم .. وهو اختيار الطبري والجمهور .

(٢) قراءة ﴿ قُتِلُوا ﴾ قراءة الجحدري وأبي حنيفة ، والمراد : والذين قُتِلُوا المشركين ، وقراءة ﴿ قُتِلُوا ﴾ بالتشديد قراءة الحسن ، وكلتا القراءتين ليست من القراءات السبع ، قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٧٤/٢ : اختلفوا في قوله ﴿ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا ﴾ فقرأ البصريان وحفص ﴿ قُتِلُوا ﴾ بضم التاء وكسر القاف من غير ألف ، وقرأ الباقيون بفتح القاف وألف بينهما ﴿ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا ﴾ وكذلك قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٦٠٠ وانظر أيضاً الطبري ٤٣/٢٦ والقرطبي ٢٣٠/١٦ .

يَغْلُطُ أَحَدُ مِنْهُمْ ، فَيَدْخُلُ إِلَى مَوْضِعٍ غَيْرِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَسْتَدِلَّ <sup>(١)</sup> .  
 وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ : ﴿ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ : عَرَّفَهُمْ طَرِقَهَا ،  
 فَهَذَا قَوْلٌ .

وَقِيلَ : ﴿ عَرَّفَهَا ﴾ : طَيَّبَهَا <sup>(٢)</sup> .

وَقِيلَ : ﴿ عَرَّفَهَا ﴾ : رَفَعَهَا <sup>(٣)</sup> .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : الْقَوْلُ الْأَوَّلُ — وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ قَدْ  
 أَنْكَرَهُ ، وَقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا لَقَالَ : عَرَّفَهُمْ بِهَا — أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ  
 وَأَصَحُّهَا ، وَلَا يَلْزِمُ هَذَا الرَّدُّ .

(١) الْأَثَرُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ ٤٤/٢٦ وَابْنِ الْجَوْزِيِّ ٣٩٨/٧ وَالْبَحْرُ الْخَيْطُ ٧٥/٨ وَابْنُ كَثِيرٍ  
 ٢٩٢/٧ وَالْقُرْطُبِيُّ ٢٣١/١٦ وَهَذَا هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ ، وَاخْتَارَهُ الْقُرَاءُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ  
 وَالْأَرْجَحُ ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ١٣٨/٨ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، حُبِسُوا  
 بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، يَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا ، أُذِنَ لَهُمْ  
 فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَحَدَهُمْ يَمْنُزِلُهُ فِي الْجَنَّةِ ، أَهْدَى مِنْهُ يَمْنُزِلُهُ الَّذِي كَانَ فِي  
 الدُّنْيَا « قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي رَوَايَتِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ ٢٩٢/٧ : يَهْتَدِي أَهْلُهَا إِلَى بَيْتِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ ، لَا  
 يَخْطِئُونَهَا ، كَأَنَّهُمْ سَاكِنُوهَا مِنْذُ خُلِقُوا ، لَا يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهَا أَحَدًا . اهـ .

(٢) هَذَا الْقَوْلُ رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا فِي ابْنِ الْجَوْزِيِّ ٣٩٨/٧ وَالْقُرْطُبِيِّ ٢٣١/١٦ قَالَ : أَيْ  
 طَيَّبَهَا لَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَلَأَ ، مِنَ الْعَرَفِ وَهُوَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَطَعَامٌ مَعْرُوفٌ أَيْ مَطْيَبٌ ، تَقُولُ  
 الْعَرَبُ : عَرَفْتُ الْقِدْرَ إِذَا طَيَّبْتَهَا بِالْمَلْحِ وَالْأُزْزَارِ . اهـ . الْقُرْطُبِيُّ .

(٥) ذَكَرَهُ فِي الْبَحْرِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ اللُّغَةِ ٧٦/٨ قَالَ : شَرَّفَهَا لَهُمْ وَرَفَعَهَا وَعَلَّاهَا ، وَهَذَا مِنَ الْأَعْرَافِ  
 الَّتِي هِيَ الْجِبَالُ وَمَا أَشْبَهَهَا . اهـ . الْبَحْرُ الْخَيْطُ .



والمعنى : بينها لهم فتبينوها .

والقول الثاني : ليس بمتنع ، لأنه يُقال : طعامٌ معرَّفٌ أي مطيَّبٌ .

والقول الثالث : مأخوذ من العُرْف ، لارتفاعه .

وقيل : أي عرَّفَ المكلفين من عباده بأنَّها لهم<sup>(١)</sup> .

١٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ، وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ [ آية ٨ ] .

أي ممن ينبغي أن يُقال لهم : اتَّعَسَهُمُ اللهُ<sup>(٢)</sup> ، أي لا جبرهم ، وهذا يُدعى به على العاثر .

وقال ثعلب : التَّعَسُ : الشرُّ ، قال : وقيل : هو البُعْدُ ، وانتكس : قَلِبَ أمرُهُ وأُفْسِدَ .

وقال البن السكيت : التَّعَسُ : أن يَخِرَّ على رأسه ، قال

---

(١) ذكر نحوه القرطبي ٢٣١/١٦ قال : عرَّفَ أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها . اهـ .

أقول : القول الأول هو الأظهر وهو قول الجمهور ، والله أعلم .

(٢) ﴿ فَتَعَسَا لَهُمْ ﴾ نصب على المصدر على وجه الدعاء ، كأنه قال : فاتَّعَسَهُمُ اللهُ ، وأضَلَّ أعمالهم ، قال الفراء في معاني القرآن ٥٨/٣ لأن الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي ، ألا ترى أن « أضلَّ » فعلٌ ، والتَّعَسَ اسمٌ ، لأنه في معنى اتَّعَسَهُمْ . اهـ .

والتَّعَسُّ أَيْضاً : الهلاك<sup>(١)</sup> .

١١ — وقوله جل وعز : ﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾

[ آية ١٠ ] .

قال مجاهد : وللكافرين التدمير وعيداً من الله<sup>(٢)</sup> .

وقال غيره : فقتل منهم من قُتل بالسيف .

١٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ، وَأَنَّ

الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [ آية ١١ ] .

قال قتادة : أي ولي الذين آمنوا<sup>(٣)</sup> .

(١) قال في الصحاح : التَّعَسُّ : الهلاك ، وأصله الكبُّ ، وهو ضدُّ الانتعاش ، وتَّعَسَّ ، يَتَّعَسُّ ، تَعَسّاً يقال : تَعَسَّى لفلان أي ألزَمَهُ الله هلاكاً . اهـ . مادة تعس ، وفي المصباح : التَّعَسُّ أَنْ يَحْرَّ لوجهه ، والتَّكْسُ أَنْ لَا يَسْتَقِلَّ بَعْدَ سَقَطَتِهِ ، وهي أشدُّ من الأولى ، وقال الطبري : ﴿ فتعسّاً لهم ﴾ أي فحزناً لهم ، وشقاءً ، وبلاءً .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٤٦/٢٦ ولفظه : ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ قال مجاهد : مثل ما دُمِّرَتْ به القرون الأولى ، وعيدٌ من الله لهم . وقال القرطبي ٢٣٤/١٦ : ﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي أهلكهم واستأصلهم ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ أي أمثال هذه الفعلة يعني التدمير ، وقال الزجاج والطبري : الهاء تعود على العاقبة ، أي وللكافرين من قريش أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة . اهـ . القرطبي . ولفظ ﴿ دَمَّرَ عَلَيْهِمْ ﴾ أبلغ من دمرهم ، لأن معناها أن الله أهلكهم إهلاكاً فظيعاً ، مع أموالهم ، ودورهم ، وأولادهم ، وأطبق عليهم الهلاك إطباقاً ، حتى شمل الدمار الكل .

(٣) هذا قول الفراء وأبي عبيدة ، واختاره الطبري ، والقرطبي ، وصاحب البحر المحيط ، ويؤيده ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ أي ناصرهم وسندهم .

قال أبو جعفر : وفي قراءة عبد الله كذلك<sup>(١)</sup> ، وقال الشاعر :

فَعَدْتُ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَبَهُ

مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا<sup>(٢)</sup>

أي وليُّ المخافة .

وروى سِمَاكٌ عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ  
مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال : لا مولى لهم غيره<sup>(٣)</sup> .

قال قتادة : نزلت هذه الآية يوم أُحُدٍ ، والنبي ﷺ في  
الشَّعْبِ ، وقد أُتِخِنَ في المسلمين بالقتل والجراح ، فصاح المشركون :  
يومٌ بيوم بدر ، لنا العُزَى ، ولا عُزَى لكم ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ  
﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ .. ﴾ إلى قوله  
﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ .

فقال لهم النبي ﷺ قولوا : ( الله مَوْلَانَا ، ولا مولى لكم ،

---

(١) قراءة ابن مسعود ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ذكرها الطبري ٤٧/٢٦ والقرطبي ٢٣٤/١٦ والقراء في معاني القرآن ٥٩/٣ ، وليست من القراءات السبع .

(٢) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة كما في ديوانه ص ٣١١ في وصف بقرة ، والفرج : الواسع من الأرض ، وقد تقدم هذا الشاهد في سورة الدخان ، وانظر اللسان ، والصحاح مادة ولي ، وجامع الأحكام للقرطبي ٢٣٤/١٦ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد .

وقتلنا أحياء يُرزقون في الجنة ، وقتلناكم في النار (١) .

قال أبو جعفر : والمعنى : الله وليُّ الذين آمنوا في الهداية ،  
والنصرة (٢) .

فلما أخبر بولايته المؤمنين ، وخذلانه الكافرين ، أعلم بما أعدّه  
للمؤمنين والكافرين ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي منزل لهم .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ  
مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [ آية ١٤ ] .

١٣ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي  
أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [ آية ١٣ ] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند بأوسع من هذا ٤٦٣/١ ولفظه : ( .. فجاء أبو سفيان فقال :  
اعل هبل ، فقال رسول الله ﷺ قولوا : الله أعلى وأجل ، فقال أبو سفيان : لنا عزى ولا عزى  
لكم ، فقال رسول الله ﷺ قولوا : الله مولانا والكافرون لا مولى لهم .. ) الحديث ، وأخرجه الحاكم في  
المستدرک ٢٩٧/٢ والبيهقي في دلائل النبوة .

(٢) أي هو هاديتهم وناصرهم ، يتعهدهم ويتولّى شؤونهم ، ويدفع عنهم أذى المشركين ، فالولي بمعنى  
الناصر والمعين .

(٣) في المصباح : ثوى بالمكان أقام به فهو ثاوٍ ، قال تعالى ﴿ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾  
والمثوى : المنزل ، والجمع المشاوي ، وقال الطبري ٤٧/٢٦ : ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ أي ونار  
جهنم مسكن لهم ومأوى ، إليها يصيرون من بعد مماتهم .

قال قتادة : يعني أهل مكة ، قال : فلا ناصر لهم<sup>(١)</sup> .

١٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾

[ آية ١٤ ] .

قال قتادة : هو محمد ﷺ .

﴿ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ قال : هم مشركو العرب<sup>(٢)</sup> .

ثم قال ﴿ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ على معنى « مَنْ »<sup>(٣)</sup> .

١٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ

مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

ولم يأت بالمماثل .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٨/٢٦ عن قتادة قال : قريته . مكة ، وروى الطبري بسنده عن ابن عباس ( أن نبي الله ﷺ لما خرج من مكة التفت إليها فقال : أنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأنت أحب بلاد الله إليّ ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك ) فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم فلا ناصر لهم ﴾ وانظر الدر المنثور ٤٨/٦/٦ والقرطبي ٢٣٥/١٦ وابن كثير ٢٩٤/٧ .

(٢) الأثر في الدر المنثور ٤٩/٦ والبحر المحيط ٧٨/٨ وذكره الطبري ٤٨/٢٦ واختار أن الآية على العموم ، في كل مهتد وضال ، فليس المستنير بنور القرآن ، كالذي يتخبط في ظلمات الجهل والضلالة .

(٣) يريد المصنف أن الضمير في « وَاتَّبِعُوا » جاء بالجمع حملاً على المعنى ، لأن « مَنْ » من صنيع العموم ولو جاء على اللفظ لقال : واتبع هواه ، وقال قبله ﴿ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ حملاً على اللفظ ، فالأول محمول على اللفظ ، والثاني على المعنى .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ — منها أن مثلاً بمعنى : « صفة » قال ذلك النُّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ،  
والفراء<sup>(١)</sup> .

وزُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قرأ ﴿ أَمْثَلُ  
الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ ، ويكون على هذا « مَثَلٌ » على  
معنى « مِثْلٌ » ويكون فيه خلاف معناه ، كما أن في « عَدْلٍ » خلاف  
معنى « عَدْلٌ » .

ب — وقيل المعنى : مَثَلُ الجنة التي وَعَدَ المتقون ، فيما تعرفون في  
الدنيا ، جَنَّةٌ فيها أَنْهَارٌ<sup>(٣)</sup> .

ج — والقول الثالث : أن المعنى على التوبيخ والتقريب ، أي مثل الجنة  
التي وَعَدَ المتقون ، كمن هو خالد في النار ؟ أي مثل المطيع عندكم  
كمثل العاصي<sup>(٤)</sup> ؟

---

(١) معاني القرآن للفراء ٦٠/٣ والمعنى على قول الفراء : صفة الجنة العجيبة الشأن .. إلخ.

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٧٠/٢ عن علي ، وابن عباس ، وعدّها من القراءات الشاذة ،  
وكذلك ذكرها الفراء ٦٠/٣ .

(٣) على هذا التقدير يكون قوله تعالى ﴿ فيها أنهار ﴾ خيراً لمبتدأ محذوف تقديره .. مَثَلُ الجنة جنة  
فيها أنهار .

(٤) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٦٠/٣ قال : كأنه أراد : أَمَّنْ كان في هذا النعيم ، كمن هو  
خالد في النار ؟ وإليه ذهب الطبري في جامع البيان ٥٠/٢٦ قال : المعنى : أَمَّنْ هو في هذه =

وروى معمر عن قتادة ﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ قال : غير  
متن<sup>(١)</sup> .

قال قتادة : الآسِنُ : المتغيَّرُ ، الآجِنُ<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أصحُّ ، لأنه يُقال : أَسَنَ الماءُ  
يَأْسُنُ وَيَأْسُنُ فهو آسِنٌ وَأَسِنٌ : إذا أُنْتِنَ فلم يقدر أحدٌ على شربه ،  
وَأَجِنَ يَأْجِنُ وَهُوَ آجِنٌ : إذا تَغَيَّرَ ، وإن كان شَرِبَ على كُرْهِ .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ [ آية ١٥ ] .

يُقال : شرابٌ لذيذٌ ، وَلَذٌّ<sup>(٤)</sup> .

---

= الجنة التي صفتها ما وصفنا ، كمن هو خالد في النار ؟! قال ذلك استغناء بمعرفة السامع معنى  
الكلام ، وقال ابن كثير ٢٩٧/٧ : أي أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة ، كمن هو خالد  
في النار ؟ ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات ؟!

(١) الأثر في الطبري ٤٩/٢٦ والدر المنثور ٤٩/٦ وابن كثير ٢٩٥/٧ قال : والعرب تقول : آسِنَ  
الماء إذا تَغَيَّرَ ريحُه .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٠/٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢١٥/٢ : الآسِنُ : المتغيَّرُ  
الريح .

(٣) قال في اللسان : الآسِنُ من الماء مثلُ الآجِنِ ، وهو ما تَغَيَّرَتْ ريحُه ، وفي التهذيب : أَسَنَ الماءُ  
أَسْنًا وَأَسُونًا وهو الذي لا يشربه أحدٌ من نتنه ، وقال الجوهري : آسِنَ الرجل إذا دخل البئر  
فأصابته ريحٌ منتنة ، فَعُشِيَ عليه . اهـ .

(٤) قال الجوهري : اللَّذَّةُ واحدة اللذات ، وشرابٌ لَذٌّ ، ولذيذٌ بمعنى ، واستلذَّه : عدَّه لذيذاً . اهـ .  
الصحاح . وفي المصباح : لَذٌّ الشيء يَلَذُّ : صار شهياً فهو لَذٌّ ولذيذ . اهـ . قال الزمخشري :  
( لَذَّةٌ ) تأنيث لَذٌّ وهو اللذيذ أو وصفٌ بمصدر ، وقال ابن قتيبة : ( لَذَّةٌ ) أي لذيدة يقال : =

﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ أي ليس كعسل الدنيا ، الذي فيه الشمعُ وغيره<sup>(١)</sup> .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أي ولهم مغفرة من ربهم<sup>(٢)</sup> .

ثم قال تعالى ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ ؟

قال أبو جعفر : قد تقدّم القول فيها .

وفيه قول آخر ، وهو أن المعنى : أَمَّنْ يُخَلَّدُ فِي الْجَنَّةِ ، وفي هذا النعيم المذكور ، كمن هو خالدٌ في النار ؟ ثم حُذِفَ هذا ، لعلم السامع ، كما قال تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾<sup>(٣)</sup> .

---

= شراب لَذَا إِذَا كَانَ طَيِّباً . وقال الزجاج : أي ذات لَذَّة ، طعمها طيب كلونها . ومعنى الآية : أن في الجنة أنهار جاريات من خمر لذيدة الطعم ، يتلذذ بها الشاربون ، ليست كربة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة .

(١) قوله ﴿ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ : أي من عسل ليس فيه عكر ، ولا كدر ، كعسل أهل الدنيا قال ابن كثير : وفي حديث مرفوع ( لم يخرج من بطون النحل ) .

(٢) المعنى : ولهم فوق ذلك النعيم « الحسي » نعيم « روحي » وهو المغفرة من الله مع الرحمة والرضوان ، وفي الصحيح ( أحلَّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ) .

(٣) سورة الزمر آية رقم ٩ وقد حذف من الآية الجواب لدلالة الكلام عليه والتقدير : أم من هو مطيع عابد ، في ساعات الليل ، يتعبد ربه في صلاته ساجداً ، وقائماً ، كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ؟ وخلاصته : ليس المؤمن كالكافر ، ولا المطيع كالعاصي .



وإن كان قد قيل إن المعنى : يا من هو قانتٌ .

١٧ — وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ .. ﴾ [ آية ١٦ ] .

قال قتادة : هم المنافقون<sup>(١)</sup> .

١٨ — ثم قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ، قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ﴾ [ آية ١٦ ] .

أي إذا سمعوا النبي ﷺ يخطب ، ثم خرجوا ، قالوا للمسلمين استهزاء ﴿ مَاذَا قَالَ آنفًا ﴾ ؟ أي لم نلتفت إلى ما قال .

والمعنى : ماذا قال الساعة ، أي في أقرب الأوقات إلينا ؟ من قولهم : استأنفتُ الشيء ، وروضة أنف : لم تُرْعَ<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الطبري عن قتادة ٥١/٢٦ والدر المنثور ٤٩/٦ وابن كثير ٢٩٧/٧ قال : وهذا خبرٌ عن المنافقين في بلادهم وقلة فهمهم ، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئاً ، فإذا خرجوا من عنده قالوا للصحابه ﴿ ماذا قال آنفًا ﴾ ؟ أي الساعة ، لا يعقلون ما يُقال ، ولا يكثرثون له . اهـ .

(٢) قال في التسهيل لعلوم التنزيل ٨٦/٤ : ﴿ آنفًا ﴾ : معناه : الساعة الماضية قريباً ، وأصله من استأنفتُ الشيء إذا ابتدأته ، يقولونه سفهاً وجهلاً ، لأنهم كانوا وقت كلامه ﷺ معرضين عنه . اهـ . قال الزجاج ﴿ ماذا قال آنفًا ﴾ أي ماذا قال الساعة ، ومنه روضة أنف أي لم تُرْعَ ، فالمعنى : ماذا قال في أول وقت يقرب منا ؟ وعن غلام ثعلب ﴿ آنفًا ﴾ : مُدَّ ساعة . اهـ . زاد المسير لابن الجوزي ٤٠٢/٧ .

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [ آية ١٧ ] .

المعنى : زادهم الله هدى<sup>(١)</sup> ، فيكون الضمير يعود على قوله ﴿ أُوتِيَكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

ويجوز أن يكون المعنى : وزادهم قول النبي هدى<sup>(٢)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : وزادهم استهزاء المنافقين هدى<sup>(٣)</sup> .

ثم قال تعالى ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ : أي ألهمهم<sup>(٤)</sup> .

ويجوز أن يكون المعنى : ثواب تقواهم<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) هذا في مقابلة قوله تعالى ﴿ أُوتِيَكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ثم قال ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ أي زادهم الله إيماناً فوق إيمانهم ، وبقيناً فوق يقينهم ، وهذا قول الجمهور .
- (٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٣/٧ عن الزجاج ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧٩/٨ بصيغة التضعيف : وقيل .
- (٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٦١/٣ ونقله القرطبي عنه ٢٣٩/١٦ وابن الجوزي ٤٠٣/٧ وهو قول مرجوح ، والراجح القول الأول ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير والجمهور ، قال الطبري ﴿ زادهم هدى ﴾ أي زادهم الله إيماناً إلى إيمانهم .. إلخ .
- (٤) هذا هو الأرجح « وآتاهم تقواهم » أي ألهمهم رشدهم حتى ثبتوا على دين الله ، وقال في البحر : أي أعطاهم التقوى أي جعلهم متقين .
- (٥) هذا قول السدي حكاه عنه القرطبي ٢٣٩/١٦ مع أقوال أخرى ، وهو قول للفراء في معاني القرآن ٦١/٣ .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً <sup>(١)</sup> ﴾ فَقَدْ

جَاءَ أَشْرَاطُهَا .. ﴿ [ آية ١٨ ] .

أي فهل ينتظرون إلا أن تأتيهم الساعة فجأة ؟

﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قال الفراء : أي علامتها ، الواحد شرط <sup>(٣)</sup> .

٢١ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ ؟

[ آية ١٨ ] .

قال قتادة : أي فأنى لهم أن يتذكروا <sup>(٤)</sup> ؟

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : فمن أين لهم منفعة

الذكرى ، إذا جاءت الساعة ، وانقطعت التوبة <sup>(٥)</sup> ؟

---

(١) قال في المصباح : بغتة فجأة ، وجاء بغتة أي فجأة على غرة . اهـ. والمراد أن تأتيهم الساعة

دون سابق إنذار .

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢١٥ ولم أره للفراء في كتابه المعاني ، والأشراط في اللغة :

الأمارات والعلامات .

(٣) قال في المصباح : الشرط بفتححتين : العلامة ، والجمع أشراط ، مثل سبب وأسباب ، ومنه

أشراط الساعة ، وجمع الشرط شروط ، مثل فلس وفلوس . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٣/٢٦ وابن الجوزي ٤٠٤/٧ ولفظ الطبري عنه : أنى لهم أن

يتذكروا أو يتوبوا ، إذا جاءتهم الساعة ؟

(٥) هذا قول الفراء في معانيه ، وقال ابن جزي في التسهيل ٨٧/٤ : ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ

ذِكْرَاهُمْ ﴾ : أي كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟ فلا يقدرّون على عمل ، ولا

تنفعهم التوبة ، والمراد به الاستبعاد . اهـ. وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى

له الذكرى ﴾ أي ليس ينفعه تذكره ، ولا توبته ، أو ندامته لفوات الأوان .

٢٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .. ﴾ [ آية ١٩ ] .

والخطابة للنبي ﷺ مخاطبة لأُمَّته (١) .

أي اثبتوا على هذا .

٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ .. ﴾ [ آية ٢٠ ] .

قال قتادة : كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة (٢) .

قال أبو جعفر : وهذه آية مشككة ، وفي قراءة عبد الله ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ ﴾ (٣) .

والمعنى واحد ، أي لم يقع عليها النسخ ، وذكر فيها القتال .

(١) المراد من الآية ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ مع أنه ﷺ عالم ذلك ، هو الثبات عليها والدوام ، والخطاب له ولأُمَّته أي اثبت يا محمد وأتباعك على التوحيد والإخلاص لربك .. إلخ . وكثيراً ما يخاطب الرسول ويراد به هو وأُمَّته كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ ولهذا جاءت بصيغة الجمع ، والله أعلم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٤/٢٦ والقرطبي ٢٤٣/١٦ ولفظه : « كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة ، وهي أشدُّ القرآن على المنافقين ، والمراد بأنها آية محكمة أي لا يدخل إليها النسخ فحكمها ثابت إلى قيام الساعة .

(٣) هذه ليست من القراءات السبع ، بل هي من القراءات الشاذة ، ومعنى « محدثة » أي مُحدثة النزول ، وانظر القرطبي ٢٤٣/١٦ والطبري ٥٤/٢٦ .

وإنما كان المسلمون يقولون هذا ، لأنهم كانوا يأنسون بنزول  
الوحي<sup>(١)</sup> .

﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي ربّ وشكّ  
﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي نظر مغتاظين  
مغمومين ، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُواكَ  
بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ وإنما كانوا يكرهون ذكر القتال ، لأنهم إذا تأخروا عنه  
تبيّن نفاقهم ، فخافوا القتل .

ثم قال تعالى : ﴿ فَأُولَىٰ لَهُمْ ﴾ على التهديد<sup>(٢)</sup> .

وحقيقته : وَلِيَهُم المَكْرَهُ ، أي أولى لهم المَكْرَهُ ، والعربُ تقول

(١) كان المسلمون وهم بمكة يتشوقون للجهاد ويتمنون أن تنزل آيات تأذن بقتال أعداء الله ، شوقاً  
إلى الجهاد وحرصاً على ثوابه ، فكانوا يقولون : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ أي هَلَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فِيهَا  
الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ ، لتقرّر أعيننا من قتال المشركين ؟ فلما نزلت آيات القتال — وهي آيات  
محكمة — ظهرت خفايا نفوس المنافقين ، فأظهروا الامتناع من فرعهم ، ورعبهم ، وجبنهم من  
لقاء الأعداء .

(٢) قال الجوهري « أَوْلَىٰ لَكَ » تهذّب ووعيد ، قال الأصمعي : معناه قاربه ما يهلكه أي نزل به ،  
قال ثعلب : ولم يقل أحد في « أَوْلَىٰ » أحسن مما قال الأصمعي ... وقال ابن قتيبة : هذا وعيد  
وتهديد ، تقول للرجل إذا أردت به سوء ففاتك : أَوْلَىٰ لَكَ . اهـ . وانظر زاد المسير ٤٠٦/٧  
والقرطبي في جامع الأحكام ٢٤٤/١٦ وقال الزمخشري في تفسيره الكشف ٤٥٧/٣ ﴿ فَأَوْلَىٰ ﴾  
لهم ﴿ وعيد بمعنى فويل لهم ، وهو أفعل من الولي وهو القرب ، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم  
المكروه . اهـ .

لكل من قارب الهلكة ثم أفلت : « أُولَى لَكَ » أي كِدْتَ تهلك .

كما رُوي أن أعرابياً كان يوالي رمي الصيد ، ففلت منه ،  
فيقول : أُولَى لَكَ ، ثم رمى صيداً فقاربه ، ثم أفلت منه ، فقال :

فَلَوْ كَانَ « أُولَى » يُطْعِمُ الْقَوْمَ صِدْتُهُمْ  
وَلَكِنْ « أُولَى » تَشْرِكُ النَّاسَ جُوعاً<sup>(١)</sup>

٢٤ — ثم قال تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا  
اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [ آية ٢١ ] .

قال قتادة : أي طاعة الله ، وقولٌ بالمعروف في حقائق  
الأمور<sup>(٢)</sup> .

أي سمع وطاعة خيرٌ لهم .

وقال الخليل وسيبويه : أي طاعة وقولٌ معروفٌ أمثل<sup>(٣)</sup> .

---

(١) استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٤٤/١٦ ولم أعثر على قائله فيما بين يدي من دواوين  
الشعر ، ومراد الشاعر أن كلمة « أُولَى » لو كانت تطعم أحداً من القوم لصاد الأرنب والغزلان ،  
ولكن هذه الكلمة تترك الناس جياعاً خمس البطون ، وهو معنى بديع .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٦/٢٦ ولفظه : طاعة الله ، وقول بالمعروف عند حقائق الأمور  
خير لهم .

(٣) هذا هو الأوضح والأظهر ، وهو أن الآية ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ مستأنفة وليست من كلام  
المنافقين ، فهي مبتدأ حذف منه الخبر ، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة كأنه قال : طاعة  
صادقة مخلصة ، وقول جميل طيب ، خير لهم وأفضل وأحسن ، وهذا قول مجاهد وإليه ذهب  
الخليل وسيبويه ، وهذا قول الأكثرين .

وفي المعنى قول آخر : وهو أنه حكى ما كانوا يقولون ، قبل نزول القتال ، وقبل الفرض<sup>(١)</sup> .

فالمعنى على هذا : يقولون : منّا طاعة وقول معروف .

ويدل على صحة هذا القول ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ .

قال مجاهد : أي جدّ الأمر<sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا : فإذا جدّ الأمر بفرض القتال ، كرهوا ذلك ، ثم حذف .

٢٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [ آية ٢١ ] .

قال قتادة : فلو صدقوا الله في الإيمان ، والجهاد<sup>(٣)</sup> .

٢٦ — وقوله جل وعز : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [ آية ٢٢ ] .

---

(١) هذا القول ذكره الطبري ٥٥/٢٦ وهذا على أنه من كلام المنافقين أي يقولون قبل نزول فريضة القتال وقبل وجوبه : طاعة وقول معروف ، فإذا عزم الأمر ، وجدّ الجدّ كرهوه وشقّ عليهم .. وهذا القول مرجوح ، والقول الأول هو الراجح كما في البحر المحيط ، والقرطبي ، والألوسي ، وغيرها .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٥٥/٢٦ والمعنى : فإذا جدّ الجدّ ، وفرض القتال ، كرهوا ذلك وتقايسوا ، كما قدره المصنف .

(٣) هذه الجملة جواب الشرط ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ والمعنى : فإذا صار وقت الجد ، فلو أخلصوا نياتهم ، وجاهدوا بإخلاص ويقين ، لكان ذلك خيراً لهم ، من التقاعس والعصيان .

قال بكر بن عبد الله المزني : هؤلاء الحرورية (١) .

قال محمد بن كعب : أي فهل عسيتم إن توليتم الأمور ، أن يقتل بعضكم بعضاً ، كقتل قريش بني هاشم ، وكقتل بني هاشم قريشاً (٢) .

وفي المعنى قول آخر : وهو فهل تريدون ، إن توليتم عن النبي ﷺ ، وكفرتم بما جاءكم به ، على أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه ، من الكفر ، فتفسدوا في الأرض بالكفر ، وتقطعوا أرحامكم ، بأن تعدوا بناتكم (٣) ؟

وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

---

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٧ والقرطبي ٢٤٥/١٦ والمراد بالحرورية : الخوارج ، وفي هذا القول بُعد ، وما قاله أبو حيان في البحر المحیط ٨٢/٨ هو الأظهر ، قال : ﴿ فهل عسيتم ﴾ التفات للذين في قلوبهم مرض ، أقبل بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ ، وتوقيفهم على سوء صنيعهم . اهـ .

(٢) هذا قول الكلبي ، وقال قتادة : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ، ألم يسفكوا الدم الحرام ، وقطعوا الأرحام ، وعصوا الرحمن ؟! يشير إلى ما جرى من القتال بعد زمان الرسول ﷺ . اهـ . نقلاً عن البحر المحیط ٨٢/٨ .

(٣) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٧ عن بعض المفسرين ، واختاره الطبري في جامع البيان ٥٦/٢٦ وذكره القرطبي ٢٤٥/١٦ واختار ابن كثير ٣٠٠/٧ أن المراد : فهل عسيتم إن توليتم عن الجهاد ونكلمتم عنه .. إلخ . لأن الآيات قبلها في الجهاد .



تُؤْلِيْتُمْ ﴿١﴾ أَيُّ وُلِّي عَلَيْكُمْ .

٢٧ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [ آية ٢٥ ] .

قال قتادة : هؤلاء أهل الكتاب ، عندهم صفة محمد ﷺ ،  
فأنكروها وكفروا ، من بعد ما تبين لهم الهدى (٢) .

وقال الضحاك : هم أهل التَّفَاقِ (٣) .

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ قال قتادة : أي زين لهم .

ثم قال تعالى ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ .

المعنى : وأملى الله لهم ، أي مدَّ الله لهم في آجالهم ، مَلَاوَةً (٤)

---

(١) هذه القراءة ﴿ إن توليتم ﴾ بضم التاء والواو ، وكسر اللام ، من القراءات العشر ، كما ذكره ابن الجزري في النشر ٣٧٤/٢ وقال : هي رواية رويس ، والباقون قرءوا بفتح التاء والواو ﴿ إن توليتم ﴾ من التولي بمعنى الإعراض ، وبالضم من الولاية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٨/٢٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٨/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٦٦/٦ ولفظه : « قال هم أعداء الله أهل الكتاب ، يعرفون نعت محمد ﷺ وأصحابه عنده ، ويجدون مكتوباً في التوراة والإنجيل ثم يكفرون به » .

(٣) هذا قول ابن عباس ، والسدي ، وابن زيد أيضاً ، وهو الأظهر والأرجح ، لأن لفظه ( ارتدوا ) تدل على أنهم دخلوا في الإسلام ثم رجعوا عنه ، وهذه خاصة بالمنافقين ، والسورة معظمها في الحديث عن المنافقين ، وهذا ما رجحه الطبري وغيره .

(٤) مَلَاوَةٌ : أي زمناً وحيناً من الدهر ، قال الجوهري : يُقال : أقمتُ عنده مَلَاوَةً من الدهر أي حيناً وبرهة . اهـ. الصحاح .

من الدهر ، كما قال تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .

وقرأ مجاهد : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذه قراءة حسنة ، والمعنى : وأنا أُمْلِي لهم .

وَحَكَى الْفَرَاء أَنَّهُ قَرِءَ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وهي قراءة شعبة ،

وأبي عمرو .

٢٨ — ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ .. ﴾ [ آية ٢٦ ] .

[ أي في التضافر على عداوة محمد ﷺ ]<sup>(٣)</sup> .

وقال سفيان : يعني الفرائض<sup>(٤)</sup> .

قال قتادة : هم المنافقون<sup>(٥)</sup> .

---

(١) هذه القراءة ليست من السبع ، إنما هي من الشواذ ، ذكرها الفراء في معانيه ٦٣/٣ وابن جني في المختص في شواذ القراءات ٢٧٢/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٣/٣ فقد ذكر القراءتين ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ ومرسلة الياء ، و ﴿ أُمْلِي لَهُمْ ﴾ بالبناء للمجهول .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من تفسير القرطبي ، ومن إعراب القرآن للنحاس .

(٤) هذا تفسير لقوله ﴿ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾ يعني كرهوا ما فرضه الله ، وشرعه لعباده ، ولم أره في أقوال المفسرين .

(٥) هذا القول هو الأظهر كما قاله الألوسي في روح المعاني ٧٥/٢٦ ومعنى الآية : ذلك الارتداد بسبب أن المنافقين قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله — وهم بنو قريظة وبنو النضير من اليهود — =

٢٩ — وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ <sup>(١)</sup> ﴾ [ آية ٢٩ ] .

أي عداوتهم .. أي يظهروا عداوتهم لأهل الإسلام .

٣٠ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ .. ﴾ [ آية ٣٠ ] .

أي لعرفناكمهم ، يُقال : قد أريتك كذا أي عرفتكه .

﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ أي بعلامتهم .

٣١ — ثم قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ .. ﴾ [ آية ٣٠ ] .

أي فحواه ، ومعناه ، كما قال الشاعر :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَلَحْنٌ أَحْيَاناً

وَنَحِيرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً <sup>(٢)</sup>

= الذين كرهوا نزول القرآن ، سنطيعكم في بعض الأمر ، أي في بعض أموركم وأحوالكم ، وهو ما حكاه القرآن الكريم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم .. ﴾ الآية ، وهو اختيار أبي حيان في البحر المحيط ٨/٨٣ .

(١) في المصباح : الأضغان جمع ضَغْنٍ وهو الحقد ، مثل جَمَلٌ وأَحْمَالٌ ، وقال الجوهري : الضَّغْنُ ، والضَّغِينَةُ : الحقد ، وتَضَاغَنَ القَوْمُ : انطَوُّوا على الأحقاد . اهـ .

(٢) البيت للمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري ، وقبَّله — كما في الصحاح — مادة لَحَنَ :  
وَحَدِيثُ الْإِذَّةِ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا  
مَنْطِقٌ رَائِعٌ وَلَحْنٌ أَحْيَا نَأً ، وَنَحِيرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً =

أي ما لم يُصرَّح به ، وما عُرف بالمعنى ، ونحو الكلام .

وقولهم : لحن فلان في هذا : إنما معناه : أخذ في ناحية غير الصواب .

٣١ - وقوله جل وعز : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ [ آية ٣٥ ] .

قال مجاهد : لن يُنْقِصَكُمْ<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : من هذا حديث النبي ﷺ ( من فاتته صلاة العصر ، فكأنما وتر أهله )<sup>(٢)</sup> .

٣٢ - وقوله جل وعز : ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَحَّلُوا وَبُخِّرُوا أَضْغَانَكُمْ ﴾ [ آية ٣٧ ] .

---

= يريد أنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره ، وتعرض في حديثها ، فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٣/١٦ وأبو حيان في البحر المحیط ٧١/٨ .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٦٤/٢٦ وقال ابن عباس : ﴿ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ أي لن يظلمكم أجور أعمالكم ، قال ابن قتيبة : أي لن يُنْقِصَكُمْ ولن يظلمكم ، يُقال : وترتني حقّي : أي بخستني حقّي ، والمراد لن يُنْقِصَكُمْ من ثواب أعمالكم شيئاً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في المواقيت ١٤٥/١ ومسلم في المساجد ٤٣٥/١ بلفظ ( الذي تفوته صلاة العصر ، كأنما وتر أهله وماله ) .

﴿ فَيُخَفِّكُم ﴾ أي يُجْهِدَكُم ، ومنه حَفِيتِ الدَّابَّةُ (١) .

﴿ وَيُخْرِجُ أَضْعَانَكُمْ ﴾ قيل : أي عداوتكم .

وقال الضحاك : غَشَّ قلوبكم ، إذا سُئِلْتُمْ أموالكم (٢) .

٣٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ .. ﴾

[ آية ٣٨ ] .

قال قتادة : أي إن تولوا عن طاعة الله (٣) .

ثم قال : ﴿ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾

[ آية ٣٨ ] .

قال مجاهد : من شاء .

---

(١) قال الفراء ﴿ فَيُخَفِّكُم ﴾ أي يُجْهِدَكُم ، أحفيتُ الرجل : أجهدته ، وقال ابن قتيبة :

﴿ يُخَفِّكُم ﴾ يلح عليكم بما يوجب من أموالكم ، يُقال : أحفاني بالمسألة والحف : إذا ألح .

اهـ . وانظر زاد المسير ٤١٤/٧ والبحر المحيط ٨٦/٨ .

(٢) الأظهر في معنى الآية ﴿ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ ﴾ أي تبخلوا عن الإنفاق ، ويُخرج الله ما

في قلوبكم من البخل وكراهية الإنفاق ، وذلك لأن الإنسان جُحِلَ على محبة المال وأدَّخاره ، ومن

نُوزِعَ في حبيبهِ ، ظهرت سرائره ، فمن رحمته تعالى بالعباد : عدم التشديد عليهم في التكليف ،

فلذلك لم يأمرهم بإنفاق جميع أموالهم ، وانظر الطبري ٦٥/٢٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٩٦/٢٦ وابن كثير ٣٠٦/٧ وابن الجوزي ٤١٥/٧ وهو الأظهر

في معنى التولي .

وروى العلاء عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ( قالوا يا رسول الله : مَنْ هؤلاء الذين إن تولَّينا استُبدلوا ، ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ فضربَ بيده على فخِذِ سَلَمَانَ رضي الله عنه ، فقال : هم قومٌ هذا ، لو كان الدِّينُ بالثَرَيَّا لتناولوه رجالٌ من الفُرسِ ) (١) .

\* \* \*

« تمت سورة محمد ﷺ »

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي ٣٥٨/٥ وقال : هذا حديث غريب في إسناده مقال ، وأخرجه ابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الدلائل ، ورواه ابن جرير ٦٦/٢٦ والخافظ ابن كثير ٣٠٦/٧ وانظر الدر المنثور ٦٧/٦ وروح المعاني للألوسي ٨٢/٢٦ والقرطبي ٢٥٨/١٦ .

# تفسير سورة الفتح

مدنية وآياتها ٢٩ آية





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سُورَةُ الْفَتْحِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

مدنية في رواية مجاهد عن ابن عباس (١) .

وروى الزُّهْرِيُّ ، عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، ومروان قالاً : « نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة ، كلها في شأن الحديبية » (٢) .

١ — من ذلك قوله جل وعز : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [ آية ١ ] .

روى قتادة عن أنس قال : نزلت ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ . لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .. ﴿ بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية ، فقال رسول الله ﷺ : لقد نزلت علي آية

(١) هذا قول الجمهور ، قال القرطبي ٢٥٩/١٦ : سورة الفتح مدنية بإجماع ، نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية ، وقال الحافظ ابن كثير ٣٠٧/٧ : نزلت هذه السورة الكريمة ، لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة ، من سنة ست من الهجرة ، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ، ليقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل ، فأجابهم إلى ذلك على تكبره من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نحر هديه ورجع أنزل الله عز وجل عليه هذه السورة الكريمة .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الدلائل ، عن المسور بن مخرمة ، وانظر الدر المنثور ٧٦/٦ والقرطبي ٢٥٩/١٦ ولفظه : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالاً : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها .

أحب إلي من جميع الدنيا ثم تلاها ، فقال رجل من المسلمين : هنيئاً  
 مريئاً ، هذا لك يا رسول الله ، فماذا لنا ؟ فأنزل الله جل وعز  
 ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ ..﴾ (١) إلى آخر الآية .

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ قال :  
 قضينا لك قضاءً بيناً (٢) .

قال سفيان : ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ أي ما  
 كان في الجاهلية ، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال : ما كان في الإسلام ، ممّا لم  
 تعمله بعد (٣) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب « غزوة الحديبية » ١٦٠/٥ ومسلم في كتاب  
 الجهاد « صلح الحديبية » ١٧٦/٥ ورواه أحمد في المسند ١٩٧/٣ وذكره المفسرون ، الطبري ،  
 والقرطبي ، وابن كثير وغيرهم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦٨/٢٦ عن مجاهد ، والسيوطي في الدر المنثور ٦٩/٦ وابن الجوزي في زاد  
 المسير ٤١٩/٧ والقرطبي ٢٦٠/١٦ وروي عن البراء رضي الله عنه أنه قال : تعدّون أنتم الفتح  
 « فتح مكة » وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح « بيعة الرضوان » يوم الحديبية ، كنا  
 مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك  
 رسول الله ﷺ فأثأها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بماء فتوضأ ، ثم تمضمض ودعا ، ثم صبّه  
 فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا « أخرجه البخاري في المغازي  
 ١٥٦/٥ وكان ذلك من المعجزات الباهرة لرسول الله ﷺ .

(٣) أخرجه عبد حميد عن سفيان ، وانظر الدر المنثور ٧٠/٦ قال ابن كثير : وهذا من خصائصه  
 صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره ، وفيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ ، وهو  
 في جميع أموره على الطاعة ، والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ،  
 وهو أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة . ابن كثير ٣١٠/٧ .

قال أبو جعفر : في قوله جل وعز ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ثلاثة أقوال متقاربة :

أ — منها ما تقدم أنه فتح الحديبية<sup>(١)</sup> ، والحديبية بئرٌ سُمِّي المكان باسمها .

قال أبو جعفر : ولا أعرف أحداً من أهل اللغة يُشددُ الياءَ منها ، وكان في فتحها أعظمُ الآياتِ ، لأنَّ النبي ﷺ فيما رُوِيَ وَرَدَ على هذه البئر ، وقد نُزِفَ ماؤها ، فتمضمض ﷺ وَتَقَلَّ فيها ، فأقبل الماءُ ، حتى شرب كلُّ من كان معه ، ولم يكن بينهم إلا تَرَامٍ ، حتى كان الفتح<sup>(٢)</sup> هذا قولٌ .

(١) هذا أظهر الأقوال وأشهرها ، وإليه جنح عدد من المفسرين ، منهم الحافظ ابن كثير ، ويدلُّ عليه حديث البراء بن عازب المتقدم الذي رواه البخاري ( تعدُّون الفتح فتح مكة ، ونحن نعدُّ الفتح يوم الحديبية ) وذلك لما ترتب على صلح الحديبية من آثار عظيمة ، وفوائد جسيمة ، من بيعة الرضوان ، ودخول كثير في الإسلام ، قال الزهري : لم يكن فتح أعظم من فتح الحديبية ، اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم ، وتمكن الإسلام من قلوبهم ، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير ، وكثر بهم سواد الإسلام . اهـ . وروي أنها لما نزلت قال بعض الناس : ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون !! فبلغ ذلك الرسول فقال : بل هو أعظم الفتح ، وقد رضي المشركون أن يدفعوك عن بلادهم بالراح — أي الرجوع — ورغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا .. وانظر الدر المنثور ٦/٦٨ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ ، وقد تقدم آنفاً ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٠٧/٧ ومعاني القرآن للفراء ٦٤/٣ .

ب — وقيل المعنى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ باجتناب الكبائر  
﴿ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ الصغائر<sup>(١)</sup> .

ج — وقيل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ﴾ بالهداية إلى الإسلام<sup>(٢)</sup> .

فهذه الأقوال متقاربة ، وقول مجاهد يجمعها ، لأن فتح الحديبية  
قضاء من قضاء الله ، وهداية من هدايته ، يهدي بها من شاء ،  
وكذلك اجتناب الكبائر .

وقد روي عن ابن عباس ، ما يقويه ، قال : ما كنت أدري ما  
معنى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا ﴾ حتى قالت لي ابنة مشر : فَتَحَ اللَّهُ بيني  
وبينك<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) هذا قول غريب لم أره لأحد من المفسرين ، لأن الفتح إنما يكون فيما فيه جهاد وغزو ، أو يكون  
بطريق الصلح ، كما قال أهل اللغة ، فتفسيره باجتناب الكبائر ، قول لا يتفق مع اللغة ، ولا مع  
الأثار التي ذكرها المفسرون ، والله أعلم .

(٢) هذا قول مرجوح نُقل عن بعض المفسرين ، منهم مقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٢٣/٧  
والصحيح أن المراد به « فتح مكة » أو « صلح الحديبية » لأن السورة نزلت على رسول الله ﷺ  
مرجعه من الحديبية ، فإن كان يراد به « فتح مكة » فيكون ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله  
وللمؤمنين ، بقرب فتحها ، وحيء به بلفظ الماضي « إِنَّا فَتَحْنَا » لتحقيق الوقوع كما في قوله  
سبحانه ﴿ أَمَّا أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فكل ما أخبر عنه الباري جل وعلا لا بد وأن يحصل ،  
وإن كان يراد به « صلح الحديبية » فلما كان له من العاقبة الحمودة ، والنتائج الحسنة التي ترتبت  
على هذا الصلح .

(٣) في المصباح : فتح الحاكم بين الناس فتحاً : قضى ، والفتاح والفتاح : الحاكم والقاضي .

(٤) سورة الأعراف آية رقم ٨٩ وتتمة الآية ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ أي الحاكمين .

٢ — وقد تكلم العلماء في قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [ آية ٢ ] .

فقال أبو حاتم : المعنى : لِيَغْفِرَنَّ لَكَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> .

وقال أبو الحسن بن كيسان <sup>(٢)</sup> : لا يجوز أن تكون إلا « لَمْ كَيَّ » قال : قال الله جل وعزَّ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ فأمر الله أن يستغفره إذا كان الفتح ، ووَعَدَهُ بالمغفرة فكان قوله ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ متعلقاً بذلك <sup>(٣)</sup> .

وقيل : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ممَّا

(١) خطَّ العلماء « أبا حاتم السجستاني » في هذا القول ، لأنه على رأيه تكون اللام في « ليغفر » لام القسم أي ليغفرنَّ لك الله ، وهذا لا يصحُّ ، لأن لام القسم لا تُكسر ، ولا يُنصب بها الفعل ، قال القرطبي ٢٦٢/١٦ : ولو جاز هذا لجاز : لِيَقُومَ زيدٌ ، بتأويل ليقومنَّ زيدٌ ، وهذا لا يصحُّ في لغة العرب .

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم « أبو الحسن » المعروف بابن كيسان ، من كبار علماء العربية ، أخذ عن المبرد وثلعب ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ .

(٣) هذا القول عن ابن كيسان هو قول ثعلب ، وهو المشهور من أقوال المفسرين ، قال ابن الجوزي في تازاد المسير ٤٢٣/٧ قال ثعلب : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ اللّام لامٌ « كي » والمعنى : لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح ، فلما انضمَّ إلى المغفرة شيء حادث ، حسن معنى « كي » وغلط من قال : ليس الفتح سبب المغفرة . اهـ .

كان .. أي مما كان مقدماً ومؤخراً<sup>(١)</sup> ، وقد وقع ذلك كله .

وقيل : ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كله للمستقبل ، أي لتقع المغفرة في الاستقبال ، فيما يكون من الذنوب أولاً وآخراً<sup>(٢)</sup> .

٣ — ثم قال جل وعز : ﴿وَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [ آية ٢ و ٣ ] .  
أي نصراً ذا عِزٍّ ، لا ذُلَّ معه<sup>(٣)</sup> .

٤ — ثم قال جل وعز : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ..﴾ [ آية ٤ ] .

---

(١) هذا قول مجاهد كما في القرطبي ٢٦٢/١٦ قال : ﴿ما تقدم من ذنبك﴾ قبل الرسالة ﴿وما تأخر﴾ بعدها ، وحكى ابن الجوزي عن ابن عباس أنه قال ﴿ما تقدم﴾ في الجاهلية ﴿وما تأخر﴾ أي ما لم تعمله ، وهذا على سبيل التأكيد كما تقول : فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه . اهـ . زاد المسير ٤٢٣/٧ وهو قول حسن ، وبه قال سفيان الثوري ، واختاره الواحدي .  
(٢) على هذا القول يكون المراد من الآية : ليغفر الله لك جميع ما فعله في المستقبل ، بسبب جهادك ، وصبرك ، وكفاحك ، وتحملك الأذى في سبيل الله ، وهو قول لبعض المفسرين ، ذكره القرطبي ٢٦٣/١٦ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في تفسير ابن الجوزي ٤٢٤/٧ وقال القرطبي في جامع الأحكام نقلاً عن صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علةً للمغفرة ؟ قلت : لم يجعل ذلك علةً للمغفرة ، ولكن لما عدّد من الأمور الأربعة ، وهي : المغفرة ، وإتمام النعمة ، وهداية الصراط المستقيم ، والنصر العزيز ، كأنه قال : يسرنا لك فتح مكة ، ونصرتك على عدوك ، لنجمع لك عز الدارين . اهـ . جامع الأحكام ٢٦٢/١٦ .

﴿ السَّكِينَةُ ﴾ : أي السكون والطمأنينة .

٥ — وقوله جل وعز : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [ آية ٤ ] .

أي كل ما فيها يدل على أن له خالقاً ، وأنه واحد<sup>(١)</sup> .

٦ — ثم قال جل وعز : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .. ﴾ [ آية ٥ ] .

أي فَتَحَ لك بالإسلام والهداية بهذا<sup>(٢)</sup> .

ويدل عليه أيضاً قوله سبحانه ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ ﴾

---

(١) هذا قول مرجوح ، فإن كل ما في هذا الكون ناطق بعظمة الله ، شاهد على وحدانيته ، والآية وردت لغير هذا المعنى ، فقد قال ابن عباس : جنوده « الملائكة ، والجن ، والشياطين ، والإنس » قال الحافظ ابن كثير ٣١١/٧ : « ولو أرسل الله عليهم ملكاً واحداً ، لأباد حضراءهم ، ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة . وقال ابن الجوزي ٤٢٥/٧ : يريد أن جميع أهل السموات والأرض جنود ومملك له ، لو أراد نصرته نبيه بغيركم لفعل ، ولكنه اختاركم لذلك فاشكروه . اهـ .

(٢) الآية متعلقة بما قبلها ، وقد قدره ابن جرير الطبري بأنالمعنى : فتحنا لك فتحاً مبيناً ، لتشكر ربك ، وتحمده على ذلك ، فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وليحمد المؤمنون ربهم ، ويشكروه على إنعامه ، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقدره الألوسي في روح المعاني ٩٤/٢٦ بأن المراد من كون جنود السموات والأرض له جلّ وعلا معنى التصرف والتدبير ، فكأنه قال : دبّر سبحانه ما دبّر من تسليط المؤمنين ، ليعرفوا نعمة الله ويشكروها ، فيدخلهم الجنة بمجاهداتهم وقاتلهم .

وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴿٦﴾  
[ آية ٦ ] .

لأنهم ظنوا أن النبي ﷺ لا يرجع ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ أي الهلاك .

ويُقرأ : السَّوْءُ<sup>(١)</sup> ، والفرق بينهما أن « السَّوْءُ » الشيء بعينه ،  
والسَّوْءُ : الفعل<sup>(٢)</sup> .

٧ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [ آية ٨ ] .

قال قتادة : أي شاهداً على أمتك ﴿ ومبشراً ﴾ المحسن منهم  
﴿ ونذيراً ﴾ المسيء<sup>(٣)</sup> .

قال أبو جعفر : هذا قول حسن ، وهذه حال مقدرة<sup>(٤)</sup> .

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ دائرة السَّوْءِ ﴾ بضم السين ، وقرأ الباكون ﴿ دائرة السَّوْءِ ﴾ بالفتح ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٠٣ .

(٢) قال الجوهري : ساءه يسوءه سوءاً بالفتح : نقيض سره ، والاسم السَّوْءُ ، وقرئ ﴿ عليهم دائرة السَّوْءِ ﴾ أي الهزيمة والشر ، ومن فتح فهو من المساءة ، وتقول : هذا رجل السَّوْءِ ، ولا يقال : هذا رجل السَّوْءِ بالضم . اهـ . الصحاح .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٧٤/٢٦ ، والقرطبي ٢٦٦/١٦ والألوسي ٩٥/٢٦ ولفظه وقال قتادة ﴿ شاهداً ﴾ على أمتك ، وشاهداً على الأنبياء عليهم السلام ، أنهم قد بلغوا ﴿ ومبشراً ﴾ بالثواب على الطاعة ﴿ ونذيراً ﴾ بالعذاب على المعصية . اهـ .

(٤) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً ﴾ في محل نصب على الحال ، أي أرسلناك حال كونك شاهداً على أمتك .. إلخ .



حكى سيبويه : مررتُ برجلٍ معه صقرٌ ، صائداً به غداً .

فالمعنى : إنا أرسلناك مقدّرين لشهادتك يوم القيامة ، وعلى هذا تقول : رأيتَ عمرواً قائماً غداً .

٨ — وقوله جل وعز : ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعْزِزُوهُ ، وَتُقَرِّبُوهُ ، وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [ آية ٩ ] .

روى شعبة عن أبي بشرٍ عن عكرمة في قوله تعالى ﴿ وَتُعْزِزُوهُ ﴾ قال : وتقاتلوا معه بالسيف <sup>(١)</sup> .

قال قتادة : وتنصروه <sup>(٢)</sup> .

وقرأ جوير : أي وتفحّموه <sup>(٣)</sup> .

وقرأ عاصم الجحدري ﴿ وَتُعْزِزُوهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وأصله في اللغة من التبجيل ، والتّطهير ، ومنه « التعزير » الذي هو دون الحدّ <sup>(٥)</sup> .

---

(١ — ٣) هذه الآثار عن السلف ذكرها الطبري ٧٥/٢٦ والدر المنثور ٧١/٦. والقرطبي ٢٦٦/١٦ قال الطبري : « وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ، ومعنى التعزير في هذا الموضع : التقوية ، بالنصرة ، والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة ، والتعظيم ، والإجلال » . اهـ .

(٤) هذه القراءة شاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٧٥/٢ .

(٥) قال في الصحاح : التعزير : التعظيم ، والتوقير ، والتعزير أيضاً : السأديب ، ومنه سمي الضرب دون الحدّ تعزيراً . اهـ .

وقرأ محمد اليماني ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ <sup>(١)</sup> بزائين معجمتين ، يقال : عزَّزه : أي جعله عزيزاً وقوَّاه ، ومنه قوله تعالى ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ .  
ويجوز أن يكون ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقَرَّوهُ﴾ لله جلَّ وعزَّ وحده ، ويجوز أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> .

٩ — فأما قوله تعالى : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [ آية ٩ ] .  
فلا يجوز أن تكون إلا لله جلَّ وعزَّ <sup>(٣)</sup> .

لأنه ليس يخلو من أن يكون معناه كما قال جوير : وتُصَلُّوا له .  
أو يكون معناه : وتُعَظِّمُوهُ وتُنَزِّهُوهُ .

(١) هذه من القراءات الشاذة أيضاً كما في المختص ٢٧٥/٢ قال الألويسي في روح المعاني ٩٦/٢٦ :  
وقرأ ابن عباس ومحمد اليماني ﴿وتعززه﴾ بزائين من العزة ، أي تجعلوه عزيزاً ، وذلك بالنسبة إليه سبحانه بجعل دينه ورسوله عزيزاً .

(٢) قال بعض المفسرين : الضمائر في قوله ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقَرَّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ كلها لله تعالى ، فعلى هذا يكون تأويل الآية ﴿وتعزروه وتوقروه﴾ أي تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه الشريك والولد ، واختار هذا القول القشيري ، والراجح قول الضحاك أن الضمير في قوله ﴿وتعزروه وتوقروه﴾ عائد على النبي ﷺ ، وهنا وقف تام ثم ابتدئ ﴿وتسبحوه﴾ أي تسبحوا الله ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، فيكون بعض الكلام راجعاً إلى الله سبحانه ، وبعضه إلى الرسول عليه السلام .

(٣) هذا هو الصحيح أن الضمير في قوله تعالى ﴿وتسبحوه﴾ لا يجوز أن يكون إلا لله ، أي وتنزهوا الله كما قال الطبري ٧٦/٢٦ ﴿وتسبحوه﴾ من ذكر الله وحده ، دون الرسول .

١٠ — وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ .. ﴾ [ آية ١٠ ] .

أي عقدك عليهم البيعة ، عقد الله جل وعز<sup>(١)</sup> .

١١ — ثم قال جل وعز : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾ [ آية ١٠ ] .

أي يد الله في الثواب<sup>(٢)</sup> .

وقيل : في الوفاء<sup>(٣)</sup> .

وقيل : في المنة عليهم بالهداية<sup>(٤)</sup> .

---

(١) قال القرطبي : بين تعالى أن بيعتهم لنبيه ﷺ إنما هي بيعة الله ، كما قال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان .

(٢ — ٤) هذه الأقوال ذكرها القرطبي ٢٦٧/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٧/٧ ولفظه : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ فيه أربعة أقوال :

أحدها : يد الله في الوفاء فوق أيديهم .

والثاني : يد الله في الثواب فوق أيديهم .

والثالث : يد الله عليهم في المنة بالهداية ، فوق أيديهم بالطاعة .

والرابع : قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم ، ذكره ابن جرير ، وابن كيسان . اهـ . تفسير ابن الجوزي .

وذكر الطبري في جامع البيان ٧٤/٢٦ فقال : « في قوله ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وجهان من التأويل :

أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعته ﷺ .

والثاني : قوة الله فوق قوتهم في نصرته ﷺ ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو . اهـ .

﴿ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ في الطاعة .

﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ يُقال : نَكَثَ إِذَا

نقض ما اعتقده .

١٢ — وقوله جل وعز : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا

أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا .. ﴾ [ آية ١١ ] .

قال مجاهد : هم أعراب المدينة ، وجُهينة ومُزينة<sup>(١)</sup> .

ثم قال تعالى ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ أي ليس لنا من

يحفظ أموالنا ، ويقوم بأهلينا .

١٣ — وقوله جل وعز : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَارِمٍ

لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

قال مجاهد : دعاهم النبي ﷺ إلى الخروج إلى مكة ، فأبوا ،

وقالوا : كيف نخرج معه إلى قوم جاءوا إليه فقتلوا أصحابه ؟ فلمَّا

خرج النبي ﷺ وأخذ قوماً على غفلة ، ووجه بهم ، قالوا ﴿ ذَرُونَا

---

(١) قال الألوسي ٩٧/٢٦ : والمُخَلَّفُونَ من الاعراب هم « جُهينة ، ومزينة ، وغفار ، وأشجنع »

استنفرهم رسول الله حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية ، ولم يكن الإيمان تمكُن من قلوبهم فقعدوا عن النبي ﷺ وتخلفوا ، وقالوا : لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة ، ففضحهم الله تعالى في هذه الآية ، وأعلم رسوله بقولهم قبل أن يصل إليهم ، فكان الأمر كذلك . اهـ .

تَتَّبِعُكُمْ ﴿١﴾ .

١٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ .. ﴾ [ آية ١٥ ] .

وهو على قول ابن زيد<sup>(٢)</sup> ، قوله جل وعز ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾<sup>(٣)</sup> .

١٥ — وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [ آية ١٦ ] .

روى سفيان عن شعبة عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير ، قال سفيان — أراه عن ابن عباس — ﴿ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال : هوازن<sup>(٤)</sup> .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٧/٢٦ عن مجاهد ، والقرطبي ٢٦٨/١٦ والدر المنثور ٧٢/٦ قال السيوطي : وهم أعراب المدينة استنفرهم لخروجه إلى مكة ، فقالوا : نذهب معه إلى قوم جاءوا فقتلوا أصحابه فنقتلهم ، فاعتلوا له بالشغل ، فأقبل معتمراً فأخذ أصحابه أناساً من الحرم غافلين ، فأرسلهم النبي ، فذلك الإطفار ببطن مكة ، ووعد ﷺ وهو بالحديبية بمغانم خيبر ، فقال المخلفون ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ وهي المغانم التي قال الله فيها ﴿ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ﴾ . اهـ .

(٢) ذكره في البحر المحيط عن ابن زيد ٩٣/٨ ثم قال : وهذا لا يصح ، لأن هذه الآية نزلت مرجع رسول الله ﷺ من تبوك في آخر عمره ، وهذه السورة نزلت يوم الحديبية .

(٣) الآية التي استشهد بها المصنف من سورة التوبة رقم ٨٣ .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري ٨٣/٢٦ وعزاه إلى سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وذكره ابن الجوزي

٤٣١/٧ قال : إنهم « هوازن ، وغطفان » وذلك يوم حنين ، وكذلك في البحر المحيط ٩٤/٨ قال : هم هوازن ، ومن حارب الرسول في حنين ، وهو قول عكرمة ، وابن جبير ، والمشهور عن ابن عباس أنهم : الفرس .

وقال عطاء : هم فارس<sup>(١)</sup> .

وقال الحسن : فارسُ والرُّومُ<sup>(٢)</sup> .

ومن أصح ما قيل فيه : أنهم « بنو حنيفة »<sup>(٣)</sup> الذين قوتلوا في الرِّدَّة ، وكان هذا ممَّا يدلُّ على صحَّة خلافة أبي بكر رضي الله عنه من القرآن<sup>(٤)</sup> .

ويدلُّك على ذلك قوله تعالى ﴿ تَقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا ﴾ فليس هذا ممن تؤخذ منهم الجزية<sup>(٥)</sup> .

---

(١ - ٢) الآثار أخرجهما الطبري ٨٢/٢٦ وابن الجوزي ٤٣١/٧ والقرطبي ٢٧٢/١٦ قال : وهو قول ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وابن أبي ليلى .

(٣) هذا قول مقاتل ، والزهري كما في القرطبي ٢٧٢/١٦ قال : هم بنو حنيفة ، أهل اليمامة ، أصحاب مسيلمة الكذاب ، قال رافع بن خديج : والله لقد كنا نقرأ هذه الآية ﴿ أولي بأس شديد ﴾ فلا نعلم من هم ، حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة ، فعلمنا أنهم هم ، وذكره في الدر المنثور ٧٣/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٧ وأبو حيان في البحر المحيط ٩٤/٨ .

(٤) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٢/١٦ ما نصّه : « في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة ، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والرُّوم ، وأما قول عكرمة وقتادة : إن ذلك في هوازن ، وغطفان يوم حنين فلا ، لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام ، لأنه قال : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ، ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ فدلَّ على أن الداعي غير النبي ﷺ ، ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما » . اهـ .

(٥) قال في البحر المحيط ٩٤/٨ : « والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تأخذ منهم الجزية ، إذ لم يُذكر هنا إلا القتال ، أو الإسلام » . اهـ .  
أقول : وهو استنباط دقيق .

١٦ — وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [ آية ١٦ ] .

أي كما توليتم مع النبي ﷺ .

١٧ — قال عثمان بن المغيرة : سألتُ الحسن عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ [ آية ١٧ ] .

فقال : هذا في الجهاد<sup>(١)</sup> .

١٨ — وقوله جل وعز : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ .. ﴾ [ آية ١٨ ] .

قال جوير : بايعوا على أن لا يَفِرُّوا<sup>(٢)</sup> .

---

(١) هذا رأي الجمهور أن الآية نزلت في بيان الأعداء في ترك الجهاد ، فمنها العمى ، والعرج ، والمرضى الشديد ، ومعنى الآية : ليس على هؤلاء إثم ولا ذنب في ترك الخروج للجهاد ، روى الطبراني بسند حسن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : ( كنت أكتبُ لرسول الله ﷺ وإني لواضع القلم على أذني ، إذ أمر بالقتال ، إذ جاء أعمى فقال : كيف بي وأنا ذاهبُ البصر ؟ فنزلت ﴿ ليس على الأعمى حرج .. ﴾ الآية . قال : هذا في الجهاد ، ليس عليهم من جهاد ، إذا لم يطيقوا ) الدر المنثور ٧٣/٦ .

(٢) هذا قول أنهم بايعوا على ألا يَفِرُّوا من المعركة ، والمشهور القول الثاني ، أنهم بايعوا على الموت ، فقد أخرج البخاري عن « سلمة بن الأكوع » رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قيل : على أي شيء كنتم تبايعون ؟ قال : على الموت » الدر المنثور ٧٤/٦ .

وقال قتادة : كانوا ألفاً وأربعمائة ، وكانت الشجرة سمرة<sup>(١)</sup> .

١٩ — وقوله جل وعز : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [ آية ١٨ ] .

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإخلاص .

﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال قتادة : الصبر ، والوقار<sup>(٢)</sup> .

﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ قال ابن أبي ثيلى : خير<sup>(٣)</sup> .

٢٠ — وقوله جل وعز : ﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ .. ﴾ [ آية ٢٠ ] .

قوله ﴿ فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ قال مجاهد : يعني خير<sup>(٤)</sup> .

---

(١) السمرة : شجر الطلح ، ورواية قتادة أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، رواها البخاري في تفسير سورة الفتح ١٧٠/٦ عن جابر قال : « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة » وروي في الصحيح أيضاً أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة ، والجمع بينهما كما قال البيهقي أن جابراً رضي الله عنه كان في القديم يقول : كانوا خمس عشرة مائة ، ثم ذكر الوهم فقال : أربع عشرة مائة » وانظر ابن كثير ٣١٣/٧ .

(٢) السكينة : السكون والطمأنينة حتى يابعوا رسول الله ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفرّوا ، وأن يقاتلوا حتى الموت .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٨٨/٢٦ والقرطبي ٢٧٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٧٤/٦ وقيل : إن المراد بالفتح القريب « فتح مكة » لأنها كانت بعد سنين من الصلح ، والأول أشهر ، فتح خير كان بعد عودته من الحديبية ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٩٦/٤ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٨٩/٢٦ والقرطبي ٢٧٨/١٦ وابن كثير ٣٢٢/٧ وروى الطبري عن ابن عباس أن المراد بقوله تعالى ﴿ فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ يعني صلح الحديبية ، ورجح قول مجاهد ، وهو الأظهر والأشهر .



ثم قال تعالى ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ : لأنهم حلفوا عيالاتهم فزعين عليهم ، فمنع الله منهم ، وكف أيدي الناس عنهم<sup>(١)</sup> .

٢١ — وقوله جل وعز : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ، قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [ آية ٢١ ] .

روى شعبة عن سَمَاكِ الحنفي قال : سمعتُ ابن عباس يقول في قوله تعالى ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ : هي الفتوح التي فتحت لكم<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن أبي ليلى : هي فارس والروم<sup>(٣)</sup> .

وقال مجاهد : هو ما يكون بعدُ إلى يوم القيامة<sup>(٤)</sup> .

وقال قتادة : هو فتح مكة<sup>(٥)</sup> .

(١) هذا القول هو قول قتادة أن المعنى : كف أيدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي ﷺ إلى الحديبية وخيبر ، وقال بعضهم : المراد به المشركون أهل مكة ، كف أيديهم عنكم بالصلح ، واختار الطبري القول الأول ، وجمع ابن كثير بينهما فقال : ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ أي لم يترككم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدي الناس عن الذين خلفتموهم وراء أظهركم من عيالكم وحريمكم « ابن كثير ٣٢٢/٧ .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي عن ابن عباس ٢٧٩/١٦ وهو قول الحسن ، ومقاتل ، وقيل : فتح خيبر ، وقيل : فتح مكة ، وهو قول قتادة ، واختاره الطبري في جامع البيان ٩٢/٢٦ وقال : وهذا أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل ، لأنه لا يقال لقوم لم يقدرُوا على مدينة إلا إذا كانوا قد راموها ، وهي مكة التي قد عاجلها ورامها المسلمون .

(٣) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ٩٠/٢٦ وأبو حيان في البحر المحیط =

٢٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [ آية ٢٢ ] .

قال قتادة : كفار قريش<sup>(١)</sup> .

قال أبو جعفر : ولو قاتلكم من لم يقاتلكم منهم لانهزموا ، لأن في سنة الله نصر أوليائه<sup>(٢)</sup> .

قال قتادة : يعني في قوله عز وجل ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ولا يجدون لهم ولياً ولا نصيراً من الله جل وعز .

٢٣ — وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ .. ﴾ [ آية ٢٤ ] .

---

= ٩٧/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣١/٧ وغيرهم ، قال في البحر المحيط ٩٧/٨ « قال ابن عباس والحسن ومقاتل : بلاد الفرس والروم وما فتحه المسلمون ، وقال الضحاك وابن زيد : خير ، وقال قتادة والحسن : مكة ، وهذا القول يتسق معه المعنى ويتأيد ، وفي قوله ﴿ لم تقديروا عليها ﴾ دلالة على تقدم محاولة لها ، وفوات درك المطلوب في الحال ، كما كان في مكة » . اهـ . وما اختاره صاحب البحر هو الأظهر وهو ما رجحه الإمام الجليل ابن جرير رحمه الله .

(١) قال ابن الجوزي ٤٣٧/٧ : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا ﴾ هذا خطاب لأهل الحديبية ، والذين كفروا : مشركو قريش ، والمعنى : لو قاتلوكم يوم الحديبية ، لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ، لما في قلوبهم من الرعب ، ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً لأن الله خذلهم . اهـ .

(٢) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٤٣٧/٧ قال : لو قاتلك من لم يقاتلكم لنصرت عليه ، لأن سنة الله النصر لأوليائه .

كَفَّ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ عَمَّنْ خَلَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ ، حِينَ خَرَجُوا إِلَى  
الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup> .

قال قتادة في قوله تعالى ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ « تَطْلَعُ  
رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له : « زُنَيْم »<sup>(٢)</sup> فرماه المشركون  
بسهم ، فقتلوه ، فبعث النبي ﷺ خيلاً ، فأخذوا اثني عشر فارساً ،  
فأتوا بهم النبي ﷺ ، فقال لهم : ألكم عهدٌ أو ذِمَّةٌ ؟ قالوا : لا ،  
فأطلقهم<sup>(٣)</sup> » فأنزل الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ،  
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ .. ﴾ .

قال قتادة : يعني الحديث<sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) هذا قول قتادة كما ذكره الطبري وغيره ، وقد تقدّم .  
(٢) الأثر ذكره الطبري في جامع البيان ٩٤/٢٦ وذكر أن اسم الرجل « زُنَيْم » وهو تصحيف  
وصوابه « زَيْم » وقد ذكره الحافظ ابن كثير ٣٢٥/٧ عن قتادة بلفظ « ابن زَيْم » والرواية  
أخرجها عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٧٥/٦ وانظر الإصابة لابن حجر ٥٧٠/٢ فقد ذكر أنه  
« زَيْم » وأن له صحبة ، ولكنه غير معروف النسب .  
(٣) الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٧٦/٦ وتفسير ابن كثير ٣٢٥/٧ وروى أحمد في المسند ١٢٢/٣  
عن أنس بن مالك قال : « لما كان يوم الحديبية ، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون  
رجلاً من أهل مكة في السلاح ، يريدون غرة رسول الله ﷺ ، فدعا عليهم فأخذوا ، فغفا  
عنهم ، ونزلت هذه الآية ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ .. ﴾ الآية .  
(٤) هذا قول قتادة وأنس بن مالك أن بطن مكة يراد به الحديبية ، قال الفراء ٦٧/٣ ﴿ وَهُوَ الَّذِي  
كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ .. ﴾ الآية هذا لأهل خير ، وقال الطبري ٩٣/٢٦ : يعني كَفَّ أَيْدِيَ  
المشركين الذين كانوا يخرجوا على عسكر رسول الله ﷺ بالحديبية ليصيبوا منهم ، فبعث رسول  
الله ﷺ فأتى بهم أسرى فخلّى سبيلهم .

٢٤ — وقوله جل وعز : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ .. ﴾ [ آية ٢٥ ] .

قال قتادة : ﴿ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا ﴾ : محبوساً<sup>(١)</sup> .

٢٥ — وقوله جل وعز : ﴿ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [ آية ٢٥ ] .

﴿ أَنْ تَطَّوَّهُمْ ﴾ أي تقتلوهم ﴿ فَتُصَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ ﴾ أي

عيبٌ .

يقول المشركون : قتلوا أهل دينهم ، ولو فعلتم لأدخلهم الله في

رحمته<sup>(٢)</sup> .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٩٦/٢٦ والقرطبي ٢٨٣/١٦ قال الجوهري : عكفه أي حبسه ووقفه ، ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس .

(٢) أشار المصنف رحمه الله إلى أن جواب « لولا » محذوف لقوله تعالى ﴿ وَلَوْ لَا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ .. ﴾ الآية وقدره : ولو فعلتم لأدخلهم الله في رحمته ، وفسر المعرة بالعيب ، وفسره الجوهري بالإثم — وهو قول ابن زيد — قال ابن الجوزي ٤٤٠/٧ : ومعنى الآية : لولا أن تطَّوَّهوا رجالاً مؤمنين ، ونساءً مؤمنات ، بالقتل ، وثَّقَفُوا بِهِمْ وَلَا تَعْرِفُونَهُمْ ، فيصيبكم منهم إثمٌ أو عيب ، لأدخلتكم من عامكم هذا .. » .. إلخ . وقال في البحر المحيط ٩٨/٨ : كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركون ، غير متميزين عنهم ، ولا معروفين الأماكن ، فقال تعالى : لولا كراهة أن تُهْلِكُوا أَنَسَاءً مُؤْمِنِينَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكِينَ ، وَأَنْتُمْ غَيْرَ عَارِفِينَ لَهُمْ ، فيصيبكم بإهلاكمهم مكروه ومشقة ، ما كَفَّ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ، وحُذِفَ جواب « لولا » لدلالة الكلام عليه . اهـ .



محلّقين<sup>(١)</sup> .

وقال قتادة : هي رؤيا رآها النبي ﷺ بالحديبية ، كأنهم دخلوا مكة محلّقين رعوسهم ومُقصرين ، فاستَبَطُوا الرؤيا ، ثم دخلوا بعد ذلك<sup>(٢)</sup> .

فأما قوله تعالى ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ففيه أقوال :

أ — منها إنَّ المعنى : إن شئتُ دخلتم آمين .

ب — وقيل : هو حكاية لما قيل للنبي ﷺ .

ج — وقيل : تُحَوِّطُ العبادة على ما يجب أن يقولوه ، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ..﴾<sup>(٣)</sup> .

د — وقيل : الاستثناء لمن مات منهم ، أو قُتِلَ<sup>(٤)</sup> .

---

(١ - ٢) قول مجاهد ، وفتادة ذكرهما الطبري ١٠٧/٢٦ والقرطبي ٢٩٠/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٨٠/٦ ولفظه قال مجاهد : أرى رسول الله ﷺ أنه يدخل هو وأصحابه مكة آمينين محلّقين رعوسهم ومُقصرين ، فلما كان بالحديبية ونحر الهدي ، قال له أصحابه : أين رؤياك يا رسول الله ؟ فأَنزَلَ اللهُ عز وجل ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمينين محلّقين رعوسكم ومُقصرين ..﴾ الآية إلى قوله ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ ففتحوا خبير ، ثم اعتمر بعد ذلك ، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة . اهـ .

(٣) سورة الكهف آية رقم ٢٣ .

(٤) ذكر المصنف هنا أربعة أقوال للمفسرين ، وذكر ابن الجوزي ٤٤٣/٧ أن فيها ستة أقوال ، والراجح من هذه الأقوال أن قوله تعالى ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للتأكيد ، وليست للشك ، فكأنه تعالى يقول : لتدخلن المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى ، آمينين محلّقين رعوسكم ومُقصرين ، =

٣٠ — وقوله جل وعز : ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [ آية ٢٧ ] .

قال مجاهد : رجعوا من الحديبية ، ثم فتح الله عليهم خير<sup>(١)</sup> .

٣١ — وقوله جل وعز : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجّداً ، يَتَتَوْنَ فُضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .. ﴾ [ آية ٢٩ ] .

قال سعيد بن جبير : ذلك أثر الطُّهُور ، وثَرَى الأرض<sup>(٢)</sup> .

وقال عكرمة : هو أثر التراب<sup>(٣)</sup> .

= ف « إن » بمعنى « إذا » كما في الدعاء المأثور عند زيارة القبور ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾ أي إذا شاء الله ، وهذا ما اختاره بعض المفسرين ، منهم الحافظ ابن كثير حيث قال : هذا لتحقيق الخبر وتوكيده ، وليس هذا من الاستثناء في شيء . اهـ . ابن كثير ٣٣٧/٧ .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٠٨/٢٦ والقرطبي ٢٩١/١٦ وفي البحر المحيط ١٠١/٨ ولفظه : وقال كثير من الصحابة هذا الفتح القريب هو « بيعة الرضوان » وقال مجاهد ، وابن إسحاق ، هو فتح الحديبية ، وقال ابن زيد : خير ، وضعف قول من قال إنه ( فتح مكة ) لأن فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول وأصحابه مكة ، بل كان بعد ذلك . اهـ . أقول : قوله تعالى ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ أي فجعل قبل ذلك فتحاً عاجلاً لكم ، فالمراد به ما كان قبل فتح مكة ، وهو « فتح خير » الذي حدث بعد عودته ﷺ من صلح الحديبية ، والله أعلم .

(٢-٣) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري ١١٠/٢٦ وابن الجوزي ٤٤٦/٨ والقرطبي ٢٩٣/١٦ والبحر المحيط ١٠٢/٨ والسيوطي في الدر المنثور ٨٢/٦ وهي تلخص في =

قال ابن وهب : أخبرني مالك في قوله تعالى ﴿ سِيَمَاهُمْ فِي  
وُجُوهِهِمْ ﴾ قال : هو ما يتعلّق بالجهة من تراب الأرض ، فهذا  
قول<sup>(١)</sup> .

وقال مجاهد : إنما هو الخشوع والتواضع ، وليس للمنافق  
هذا<sup>(٢)</sup> .

وقال الحسن : بياض يكون في الوجه يوم القيامة<sup>(٣)</sup> .

وقال عطية : موضع الجبهة يوم القيامة أشدّ بياضاً من سائر  
الوجه<sup>(٤)</sup> .

وقال الضحاك : هذا يوم القيامة ، تبدو صلاتُهُمْ على

---

= قولين : إما أن تكون هذه السّما ، والعلامة ، في الدنيا ، وإما أن تكون في الآخرة ، فمن قال  
إنها في الدنيا كابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة فسره بما يتفق مع أحوال الدنيا ، فقال  
ابن عباس : هو السمّ الحسن أي المظهر الحسن ، والصفة الحسنة ، وقال مجاهد : هو  
الخشوع ، والتواضع ، قال منصور : سألت مجاهداً عن قوله تعالى ﴿ سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ من  
أثر السجود ؟ أهو أثر يكون بين عيني الرجل ؟ قال : لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركة  
العنز ، وهو أقسى قلباً من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع ، والذين قالوا في  
الآخرة ، فسروه بما يتفق مع الآخرة كالحسن البصري فقد قال : هو بياض يكون في الوجه يوم  
القيامة ، وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر ،  
ويشهد لهذا ما ورد في الصحيح ( قالوا كيف تعرف إخوانك يا رسول الله ؟ قال : إنهم يأتون  
يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء ) أي تشرق وجوههم وأيديهم بالنور يوم القيامة ، والله  
أعلم .

(١ - ٤) راجع التعليق السابق .



وجوههم<sup>(٧)</sup> .

وقال شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةٍ : هو تَهَيُّجُ الوجه وصفْرُهُ من سهر الليل<sup>(٢)</sup> .

وقال قتادة : نُعِتُوا بالصلاة ، أي يُعرفون بالصلاة<sup>(٣)</sup> .

٣٢ — ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ .. ﴾ [ آية ٢٩ ] .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ يعني نعتهم ﴿ في التوراة والإنجيل ﴾ أي مكتوب فيهما<sup>(٤)</sup> .

وقال قتادة : فيما تقدّم مثّلهم في التوراة ، ولهم مثّل آخر في الإنجيل وهو ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

قال الضحّاك : هما مَثَلان ، فالأول في التوراة ، والثاني في الإنجيل<sup>(٦)</sup> .

وقال مجاهد : هما مَثَلٌ واحدٌ ، والتّمَامُ على قول مجاهد ﴿ في الإنجيل ﴾<sup>(٧)</sup> .

---

(١ — ٣) راجع التعليق السابق .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٧/٧ : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ أي صفتهم ، والمعنى أن

صفة محمد ﷺ وأصحابه في التوراة هكذا . اهـ . يعني ذلك وصفهم في التوراة : الشدة على الكفار ، والرحمة بالمؤمنين ، وكثرة الصلاة والسجود ، هكذا وصفهم الله تعالى في التوراة . اهـ .

(٥ — ٧) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون ، فقد روى ابن الجوزي ٤٤٨/٧ عن مجاهد قال : =

٣٣ - ثم قال جل وعز : ﴿ كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَأَزَرَهُ ، فَاسْتَعْلَظَ ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ .. ﴾ [ آية ٢٩ ] .

﴿ كَزَرَ عَ ﴾ أي هم كَزَرَ عَ .

﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ روى حميد عن أنس قال : نَبَاتُهُ ، فُرُوخُهُ <sup>(١)</sup> .

قال أبو عبيدة : يقال : أَشْطَأَ الزَّرْعُ : إذا خرجت فِرَائِخُهُ <sup>(٢)</sup> .

قال الفراء : الحَبَّةُ تُخْرِجُ الْعَشَرَ ، وَالسَّبْعَ ، وَالثَّمَانِي ، مِنَ السَّبِيلِ <sup>(٣)</sup> .

= مثلهم في التوراة والإنجيل واحد ، وقال القرطبي ٢٩٤/١٦ قال مجاهد : هو مثل واحد ، يعني أن هذه صفتهم في التوراة والإنجيل ، قال : فلا يوقف على « التوراة » على هذا القول ، وإنما الوقف على قوله ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ﴾ ثم يتدنى بقوله ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ أي وهم كزرع أخرج فراخه وأولاده . اهـ . وعلى قول الضحاك ، وقتادة ، وابن عباس أنها مثلان ، فالمتقدم مثلهم في التوراة ، وأما مثلهم في الإنجيل فهو ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ . إلى آخر المثل ، فالوقف على هذا القول يكون عند قوله تعالى ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ ويكون الابتداء من قوله ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه .. ﴾ الآية وهذا ما رجحه الطبري ، وكثير من المفسرين ، قال أبو حيان في البحر المحیط ١٠٢/٨ : وقال ابن عباس : هما مثلان فيوقف على ذلك ﴿ في التوراة ﴾ و ﴿ كزرع ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي مثلهم كزرع ، أو هم كزرع ، وانظر الطبري ١١٣/٢٦ .

(١) الطبري عن أنس ١١٣/٢٦ قال : قرأ أنس بن مالك ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ قال : تدرون ما شطأه ؟ قال : نباته .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٦٩/٣ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَأَرْزُهُ ﴾ .

قال مجاهد : أي شدّده ، وأعانه (١) .

وقال الضحاك : هم أصحاب النبي ﷺ ، كانوا قليلاً

فكثروا ، وضعفاء فقوّوا (٢) .

٣٤ — ثم قال جل وعز : ﴿ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ .. ﴾

[ آية ٢٩ ] .

جمع ساق ﴿ يُعْجَبُ الزُّرَّاعُ ﴾ تمثيل (٣) ﴿ لِيَغِيْظَ بِهِمُ

الْكُفَّارَ ﴾ قال قتادة : أي ليغيظ محمد ﷺ وأصحابه الكفار (٤) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١٤/٢٦ عن مجاهد ، والقرطبي ٢٩٥/١٦ وابن الجوزي ٤٤٨/٧ .

(٢) قال الضحاك : هذا مثل في غاية البيان ، فالزرع محمد ﷺ ، والشطأ أصحابه ، كانوا قليلاً

فكثروا ، وضعفاء فقوّوا ، وانظر البحر المحيط ١٠٢/٨ والقرطبي ٢٩٥/١٦ .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٩٥/١٦ : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ

يعني أنهم يكونون قليلاً ، ثم يزدادون ويكثرون ، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعوة إلى دينه

ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى قوي أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً ، فيقوى

حالاً بعد حال ، حتى يغلظ نباته ، وأفراخه ، فكان هذا من أصحّ مثل ، وأقوى بيان . اهـ .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٩/٧ : إنما كثّروهم وقوّاهم ليغيظ بهم الكفار ، وقال مالك بن

أنس : من أصبح وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ، فقد أصابته هذه الآية ،

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : لا آمن على الرافضة أن يكونوا قد ضارعوا الكفار ، لأن الله تعالى

يقول : ليغيظ بهم الكافر . اهـ . وقال الحافظ ابن كثير ٣٤٣/٧ : ومن هذه الآية انتزع الإمام

مالك رحمه الله القول بتكفير الروافض الذين يغيظون الصحابة ، قال : لأنهم يغيظونهم ، ومن

غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك ، والأحاديث في فضائل

الصحابة ، والنبي عن التعرض لهم بمساء كثيرة جداً ، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم .

اهـ . ابن كثير .

٣٥ — ثم قال جل وعز : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [ آية ٢٩ ] .

يجوز أن تكون « مِنْ » ههنا لبيان الجنس<sup>(١)</sup> ، كما قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ .

ويجوز أن تكون للتبعيض أي وعد الله الذين ثبتوا على الإيمان منهم ، مغفراً وأجراً عظيماً .

آخر السورة ، والحمد لله وحده<sup>(٢)</sup>

وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى آله وصحبه وسلم

\* \* \*

« انتهت سورة الفتح »

---

(١) هذا قول الزجاج ، وهو الأظهر والأشهر ، أي وعد الله الذين آمنوا من هذا الجنس ، أي من جنس الصحابة ، مغفرةً وأجراً عظيماً ، واختاره الطبري ، والقرطبي ، وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن عطية .. قال القرطبي ٢٩٥/١٦ : « وليست « مِنْ » في قوله منهم للتبعيض ، لقوم من الصحابة دون قوم ، ولكنها عامسة للجنس ، كما يُقال : أنفق صدقتك من الدراهم أي اجعل نفقتك هذا الجنس . اهـ . والله أعلم . وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢) إلى نهاية سورة الفتح تنتهي المخطوطة التي بين أيدينا ، وهي المخطوطة الوحيدة كما أسلفنا ، وبذلك ينتهي الكتاب ، ولا ندري هل أكمل المصنّف تفسير بقية السور ، أم أنه اكتفى بهذا القدر من الكتاب العزيز ؟ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ( المحقق ) .

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه في البلد الحرام  
« مكة المكرمة » عام ١٤٠٩ هـ من هجرة خير الأنام

تم بعونه تعالى الكتاب



مؤسسة مكتبة للطباعة والإعلام (مطابع النوبة) - ٥٢٠٣٠٥٤